



مجلة جامعة الناصر

مجلة علمية محكمة-نصف سنوية-تصدرها جامعة الناصر
السنة الثامنة-العدد (١٥) المجلد (١) يناير - يونيو ٢٠٢٠م



AL-NASSER UNIVERSITY JOURNAL

A Scientific Refereed Journal Issued Biannually by Al-Nasser University
Eighth Year - No. 15 Volume (1) January - June 2020

ISSN 2307-7662

المُخْتَلَفُ فِي نُبُوتِهِمْ فِي ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ (دِرَاسَةٌ عَقْدِيَّةٌ) <

د. عبد الله بن علي الجودة <

الإشارات التاريخية في شعر محمد إقبال (دراسة في ضوء الخلفية والمضمون) <

د. جميلة هادي ناصر الرجوي <

مذهب جمهور الفقهاء المنصوص عليه في كتاب المغني لابن قدامة (ت ٦٢٠هـ)
(دراسة تحليلية تطبيقية) <

د. مشعل بن حمود بن فالح النفيعي <

تَنْوِينُ التَّنْكِيرِ إِشْكَالِيَّةُ الْمُصْطَلَحِ وَالِاسْتِعْمَالِ (دِرَاسَةٌ لُغَوِيَّةٌ) <

د. يحيى إبراهيم قاسم - باحث أول <

د. مُحَمَّد عَلِي مَهْدِي - باحث ثاني <

شبهات التطرف الديني والسياسي عند الخوارج المعاصرين تفنيدها وأثارها
ووسائل الوقاية منها <

د. أبوبكر عبد المقصود محمد كامل <

القواعد الفقهية والأصولية المستخرجة من كتاب فتح الإله المَنَّان
للعلامة باغيثان - رحمه الله - <

د. عادل محفوظ عوض باسدس <

سلوكيات الطرق المنحرفة في المجتمع (وكيفية معالجتها) <

أ. ضيف الله منصور الذيفاني <



السنة الثامنة-العدد (١٥) المجلد (١) يناير - يونيو ٢٠٢٠م
مجلة علمية محكمة-نصف سنوية-تصدرها جامعة الناصر

15

المجلد
الأول

Debatable Prophets in Light of Quran and Sunnah >

Dr. Abdullah Ben Ali El-Jawdah >

Historical Allusions in Mohammed Iqbal's Poetry: A Study of
Background and Content >

Dr. Jameelah Hadi Nasser Errajawi >

The Jurist Majority Doctrine Stated in Ibn Qudamah's Book El-Moghni
(620 H): An Analytical, Applied Study >

Dr. Mishal Ben Hamoud Ben Falih Ennafee'i >

Indefinite Tanween: The Term and Application Problematic
(A Linguistic Study) >

Dr. Yahya Ibraheem Qasim -1st author >

Dr. Mohammed Ali Mahdi -2nd author >

Contemporary Kharijites' Obscurities of Religious & Political
Radicalism: Refutation, Consequences, and Means of Prevention >

Dr. Abu-Bakr Abdulmaqsoud Mohammed Kamel >

The Jurisprudence Principles Extracted from Ba Ghaith's Book
Fat-h El-Ilah Elmanan >

Dr. Adil Mahfoudh Awadh Ba Suds >

Community Ill Manners and Methods of Treatment >

Mr. Dhaif Allah Mansour El-Thayfani >



جامعة الناصر
AL-NASSER UNIVERSITY

مجلة

جامعة الناصر

مجلة علمية محكمة- نصف سنوية- تصدرها جامعة الناصر
السنة الثامنة- العدد (١٥) المجلد (١) يناير - يونيو ٢٠٢٠م

الهيئة الاستشارية

أ.د. سلام عبود حسن - العراق
أ.د. جميل عبدالرب المقطري - اليمن
أ.د. صالح سالم عبدالله باحاج - اليمن
أ.د. حسن ناصر أحمد سرار - اليمن
أ.د. عبدالرحمن عبدالواحد الشجاع - اليمن
أ.د. عبدالوالي محمد الأغبري - اليمن
أ.د. علي أحمد يحيى القاعدي - اليمن
أ.د. محمد حسين محمد خاقو - اليمن
أ.د. يوسف محمد العواضي - ماليزيا
أ.د. سعيد منصور الغالي - اليمن
أ.د. أحمد لطفي السيد - مصر
أ.د. حمود محمد الفقيه - اليمن
أ.د. منى بنت راجح الراجح - السعودية

رئيس التحرير

رئيس الجامعة
أ.د. عبدالله حسين طاهش

مدير التحرير

أ.م.د. محمد شوقي ناصر عبدالله

هيئة التحرير

أ.م.د. إيمان عبدالله المهدي
د. محمد عبدالله سرحان الكهالي
د. فهد صالح علي الخياط
د. ياسر أحمد عبده المذحجي
د. قيس علي صالح النزيلي

أ.م.د. عبدالكريم قاسم الزمر
أ.م.د. أنور محمد مسعود
د. منصور عبدالله الزبيدي
أ.م.د. منير أحمد الأغبري
د. خالد رضوان المخلافي

رقم الإيداع في دار الكتب الوطنية - صنعاء (٦٣٠) لسنة ٢٠١٣م

مجلة جامعة الناصر - مجلة علمية محكمة - تهدف إلى إتاحة الفرصة للباحثين لنشر بحوثهم وإنتاجاتهم العلمية باللغتين العربية والإنجليزية في مختلف العلوم الإنسانية والتطبيقية.

Al-Nasser University

Journal



جامعة الناصر
AL-NASSER UNIVERSITY

A Scientific Refereed Journal Issued Biannually by Al-Nasser University
Eighth Year - No. 15 Volume (1) January - June 2020

Managing Editor

Prof Abdullah Tahish

Editor

Dr. Mohammed Shawqi Nasser

Advisory Board

Prof Salam Aboud Hasan, Iraq
Prof Jameel Abdurab EL-Maqtari, Yemen
Prof Saleh Salem Abdullah Bahaj, Yemen
Prof Hasan Naser Ahmed Sarar, Yemen
Prof Abdurrahman Esh-shuja, Yemen
Prof Abdulwali Mohammed Al-Aghberi, Yemen
Prof Ali Ahmed Yahya El-Qaedi, Yemen
Prof Mohammed Husein Khago, Yemen
Prof Yusof Mohammed El-Owadhi, Malay
Prof Saeed Munasar El-Ghalebi, Yemen
Prof Ahmed Lutf Essayed, Egypt
Prof Hamoud Mohammed El-Faqeeh, Yemen
Prof Muna Bent Rajeh Errajeh, KSA

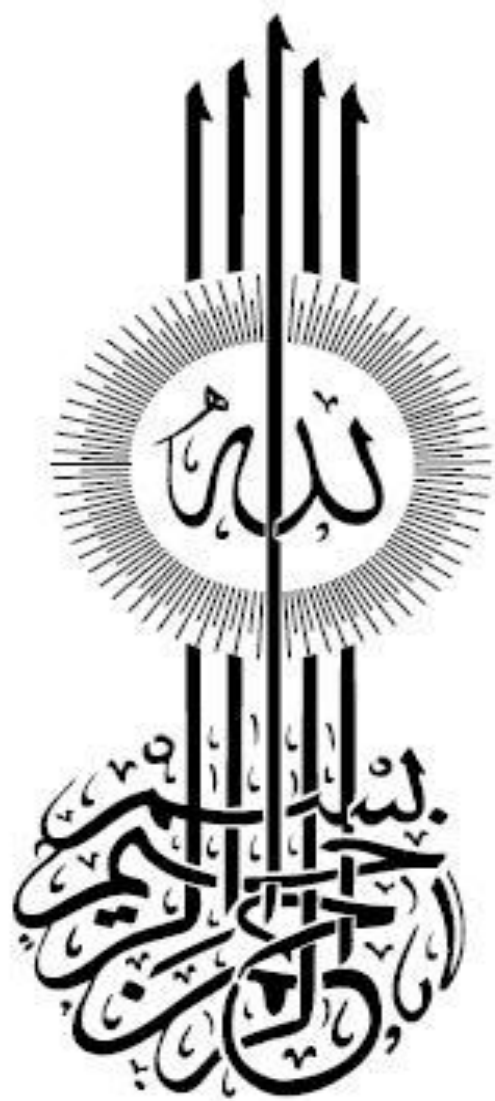
Editorial Board

Dr. Munir Ahmed Al-Aghberi
Dr. Anwar Mohammed Masoud
Dr. Abdulkareem Qasim Ezzumor
Dr. Mansour Ezzabadi

Dr. Iman Abdullah El-Mahdi
Dr. Mohammed Abdullah El-Kuhali
Dr. Fahd Saleh Ali Alkhyat
Dr. Yasser Ahmed El-Math-haji

Deposit Number at National Book House-Sana'a (630/2013)

Al-Nasser University Journal aims at giving scholars a chance to publish their Arabic and English research papers in the various fields of humanities and applied sciences.



أولاً: قواعد النشر:

تقوم مجلة جامعة الناصر بنشر الأبحاث والدراسات باللغتين العربية والإنجليزية في مختلف مجالات العلم والمعرفة وفقاً للشروط الآتية :

❖ تسليم البحث:

1. يجب ألا يكون البحث قد سلم أو نشر جزء منه أو كله في أي مجلة أخرى.
2. يجب أن يكون البحث أصيلاً متبعاً المنهجية العلمية في كتابة الأبحاث.
3. لغة البحث يجب أن تكون سليمة ، ويكون البحث خالياً من الأخطاء .
4. تجنب النقل الحرفي من أبحاث سابقة مع مراعاة قواعد الاقتباس.
5. أن يحتوي البحث على ملخصين: أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الانجليزية، وبما لا يزيد عن 300 كلمة للأبحاث الإنسانية و200 كلمة للأبحاث التطبيقية لكل ملخص.
6. ألا تزيد عدد صفحات البحث عن (40) صفحة للأبحاث الإنسانية أو (20) صفحة للأبحاث التطبيقية.
7. تنسيق البحث وكتابته بحسب قالب المجلة بحيث يمكن تحميله من الموقع.
8. يكتب البحث بحجم خط (16) عريضاً (simplified Arabic) للعناوين الرئيسية،
(و (14) عريضاً للعناوين الفرعية و (12) لبقية النص أو (Times New roman) للأبحاث
باللغة الانجليزية بحجم (14) عريضاً للعناوين الرئيسية و (12) عريضاً للعناوين الفرعية و
(12) عادياً لبقية النص، وبتباعد مضاعف وهامش 2.5 سم من كل الجهات .
9. رسالة تغطية موقع عليها من الباحثين، و يمكن تحميل القالب من الموقع.
10. تحميل البحث عبر موقع المجلة.
11. الهوامش أسفل كل صفحة، وترقم كل صفحة على حده، وبحجم خط (9) (Arabic
(Transparent).
12. مراجعة البحث لغوياً ومطبعياً قبل تسليمه للمجلة .

❖ تنسيق البحث:

أ- **صفحة العنوان** وتشمل عنوان البحث: (مختصر ودقيق ومعبر عن مضمون البحث ولا يحتوي اختصارات)، اسم أو أسماء الباحثين، عناوين الباحثين العلمية، عنوان المراسلة موضحاً فيها اسم ومقر عمل وإيميل وتلفون من سيتم مراسلته.

ب- **الملخص:** لا يزيد عن (300) كلمة للأبحاث في العلوم الإنسانية و(200) كلمة للأبحاث في العلوم التطبيقية، ولا يحتوي مراجع ويعبر عن مقدمة وطرق عمل البحث ونتائجه واستنتاجاته ويكتب باللغتين: العربية والانجليزية.

ت- **كلمات مفتاحية:** ما بين 4-6 كلمات مفتاحية.

ث- **المقدمة** تكون معبرة عن الأعمال التي سبقت البحث وأهميتها للبحث مع كتابة مشكلة البحث وأهميته وأهدافه في نهايتها.

ج- **طرق العمل:** اتباع طرق عمل واضحة .

ح- **النتائج:** تحدد بوضوح، وترقم الأشكال والصور بحسب ظهورها في المتن على أن تكون الصور بجودة لا تزيد عن 600*800 بكسل غير ملونة وبصيغة JPG ويظهر الشرح الخاص بها أسفل الصورة وبحجم خط 11، أما الجداول فتكون محددة بخط واحد ومرقمة بحسب الظهور في المتن ويكتب عنوان الجدول أعلى الجدول بخط 12 عربياً بحسب ورودها في المتن:

خ- **المناقشة**

د- **الاستنتاجات**

ذ- **الشكر إن وجد**

ر- **المراجع:** بأرقام بين قوسين في المتن (1) وفي نهاية البحث تكتب كما يلي:

1. إذا كان المرجع بحثاً في دورية : اسم الباحث (الباحثين) بدءاً باسم العائلة، (سنة النشر). "عنوان البحث"، اسم الدورية: رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات.

مثال: الغسلان، عبدالعزيز بن سليمان علي، (2017). عقوبة الشروع في الجرائم التعزيرية، مجلة جامعة الناصر، المجلد الأول ، العدد العاشر، ص 7.

Othman, Shafika abdukkader, (2013). Abstract Impact of the Lexical Problems upon Translating of the Economic Terminology. AL – NASSER UNIVERSITY JOURNAL, 2: 1-22.

2- إذا كان المرجع كتاباً : اسم المؤلف (المؤلفين) بدءاً باسم العائلة، (سنة النشر). عنوان الكتاب ، اسم الناشر، الطبعة، ارقام الصفحات.

مثال: الكاساني ، علاء الدين ابن أبي بكر بن مسعود، (1406 هـ – 1986) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، م ، ص 155 .

Byrne, J. (2006). *Technical Translation: Usability Strategies for Translating Technical Documents*. Dordrecht: Springer.

3- إذا كان المرجع رسالة ماجستير أو دكتوراه : يكتب اسم صاحب الرسالة بدءاً باسم العائلة،(السنة). "عنوان الرسالة"، يذكر رسالة ماجستير أو دكتوراه ، اسم الجامعة البلد.

مثال: الحيلة، أحمد محمد يحيى، (2017). آيات الأحكام في تفسير الموزعي والثلاثي من خلال سورة البقرة، رسالة ماجستير، جامعة الحديدة-اليمن.

Alhailah, Ahmed Mohammed Yahya, (2017). The Verses of Judgments in the Explanations of the Distributors and the Athletes through Surah Al-Baqarah, Master Thesis, Hodeidah University-Yemen

4- إذا كان المرجع نشرة أو إحصائية صادرة عن جهة رسمية : يكتب اسم الجهة، (سنة النشر). عنوان التقرير ، المدينة، أرقام الصفحات.

مثال : وزارة الشؤون القانونية، الجريدة الرسمية ، (1997). قانون الجرائم والعقوبات اليمني، 122.

Ministry of Legal Affairs, The Gazette, (1997). The Penal Code of Yemen, p. 122.

5- إذا كان المرجع موقعاً إلكترونياً : يكتب اسم المؤلف،(سنة النشر). عنوان الموضوع ، الرابط الالكتروني.

مثال : روبرت، ج والكر. (2008). الخصائص الاثنتا عشر للمعلم الفعال: دراسة نوعية لآراء المدرسين أثناء وقبل الخدمة، جامعة ولاية الاباما، آفاق تعليمية .

<http://files.eric.ed.gov/fulltext/EJ815372.pdf> .

Robert J, Walker, (2008). Twelve Characteristics of an Effective Teacher: A Longitudinal, Qualitative, Quasi-Research Study of In-service and Pre-service Teachers' Opinions ", Alabama State University, Educational Horizons, fall. <http://files.eric.ed.gov/fulltext/EJ815372.pdf>

6- وقائع المؤتمر: اسم الباحث (الباحثين) بدءاً باسم العائلة، عنوان البحث ، اسم المؤتمر، رقم المجلد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

مثال: عبد الرحمن، عفيف. (1983م، 20-21 أكتوبر). القدس ومكانتها لدى المسلمين وانعكاس ذلك على كتب التراث. ورقة مقدمة إلى المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام "فلسطين"، مج(3)، عمان: الجامعة الأردنية.

Abu Alyan, A. (2012, October 20-21). An Intercultural Email Project for Developing Students: Intercultural Awareness and Language Skills. Paper presented at The First International Conference on Linguistics and Literature, IUG, Gaza

❖ إجراءات النشر:

1. بعد استلام البحث ورسوم التحكيم سيعرض البحث على مدير التحرير ومن ثم يتم عرضه على اللجنة الاستشارية المختصة للموافقة المبدئية من عدمها ثم سيرسل للمحكمين الخارجيين .
2. بناء على قرار المحكمين سيتم قبول البحث بدون تعديلات أو مع تعديلات بسيطة او تعديلات جوهرية أو لا يقبل البحث وستتم موافاة الباحث(الباحثين) بالنتيجة عن طريق الأيميل .
3. ستعود النسخة المعدلة مرة أخرى إلى المحكم لإقرارها ومن ثم نشرها في أقرب عدد ممكن.
4. أبحاث مجلة جامعة الناصر يمكن استعراضها مجاناً من موقع المجلة، جامعة الناصر المجلة العلمية المحكمة على الرابط التالي (www.al-edu.com) وبالتالي سيتحصل الباحثون على نسخ ورقية وإلكترونية من أبحاثهم.

5. النسخ المطبوعة من المجلة مع المستلقات يتم بشأنها التواصل مع مدير التحرير .

6. ترسل البحوث والمراسلات إلى مجلة جامعة الناصر على الرابط الآتي:

الجمهورية اليمنية - صنعاء - جامعة الناصر (www.al-edu.com)

المجلة العلمية المحكمة.البريد الإلكتروني للمجلة : (journal@al-edu.com)

هاتف: (536307) تليفاكس (536310) البريد الإلكتروني لمدير التحرير (

m5sh5n55@gmail.com)

ثانياً : رسوم التحكيم والنشر في المجلة :

تفرض المجلة مقابل نشر البحوث والتحكيم الرسوم الآتية:

- البحوث المرسله من داخل الجمهورية اليمنية (15000) خمسة عشر ألف ريال.
- البحوث المرسله من خارج الجمهورية اليمنية (\$150) مائة وخمسون دولاراً أمريكياً .
- هذه الرسوم غير قابلة للإرجاع سواء تم قبول البحث للنشر أم لم يتم النشر.
- أعضاء هيئة التدريس والباحثون بجامعة الناصر معفيون من تسديد الرسوم.

ثالثاً : نظام الإشتراك السنوي في المجلة على النحو الآتي :

- للأفراد من داخل اليمن مبلغ وقدره (3000) ثلاثة ألف ريال.
- للأفراد من خارج اليمن مائة دولاراً أمريكياً (\$ 100) .
- للمؤسسات من داخل اليمن مبلغ وقدره (10000) عشرة ألف ريال .
- للمؤسسات من خارج اليمن مائتا دولار أمريكياً (\$ 200)

ملحوظة :

البحوث المنشورة في المجلة لا تعبر بالضرورة عن توجه المجلة وإنما تعبر عن آراء أصحابها

رقم الإيداع (630) (28 / 10 / 2013 م) (الهيئة العامة للكتاب والنشر والتوزيع - دار الكتب- صنعاء)

(جميع حقوق الطبع محفوظة للمجلة)

م	الموضوع	الباحث	الصفحة
1	المُخْتَلَفُ فِي نُبُوتِهِمْ فِي ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ دِرَاسَةٌ عَقْدِيَّةٌ	د. عبد الله بن علي الجودة أستاذ العقيدة والأديان المساعد كلية الشريعة وأصول الدين - جامعة نجران- السعودية	80-11
2	الإشارات التاريخية في شعر محمد إقبال دراسة في ضوء الخلفية والمضمون	د. جميلة هادي ناصر الرجوي أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد-كلية التربية – جامعة صنعاء	124 -81
3	مذهب جمهور الفقهاء المنصوص عليه في كتاب المغني لابن قدامة (ت620هـ) "دراسة تحليلية تطبيقية"	د. مشعل بن حمود بن فالح النفيعي أستاذ الفقه المساعد – وكيل عمادة شئون الطلاب – جامعة بيشة - السعودية	190 - 125
4	تَنْوِينُ التَّنْكِيرِ إِشْكَالِيَّةُ الْمُصْطَلَحِ وَالِاسْتِعْمَالِ دِرَاسَةٌ لُغَوِيَّةٌ	د. يَحْيَى إِبْرَاهِيمَ قَاسِمٍ – باحث أول أُسْتَاذُ الْبَلَاغَةِ وَالتَّنْقُدِ الْمَسَاعِدِ بِقِسْمِ اللُّغَةِ العربية وآدابها- جامعة الحُدَيْدَةِ. د. مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ مَهْدِي- باحث ثاني أُسْتَاذُ اللُّغَوِيَّاتِ الْمَشَارِكِ بِقِسْمِ اللُّغَةِ العربية وآدابها - جامعة الحُدَيْدَةِ.	230 -191
5	شبهات التطرف الديني والسياسي عند الخوارج المعاصرين تفنيدها وآثارها ووسائل الوقاية منها	د. أبو بكر عبد المقصود محمد كامل أستاذ العقيدة والأديان المشارك كلية الشريعة وأصول الدين - جامعة نجران – السعودية	296 -231
6	القواعد الفقهية والأصولية المستخرجة من كتاب فتح إله المَنَّان للعلامة باغيثان . رحمه الله .	د. عادل محفوظ عوض باسدس أستاذ أصول الفقه ومقاصد الشريعة المساعد- مدير عام مركز جامعة حضرموت لتدريب الطلاب.	330 -297
7	سلوكيات الطُّرُق المنحرفة في المجتمع (وكيفية معالجتها)	أ. ضيف الله منصور الذيفاني باحث دكتوراه – كلية علوم التربية جامعة محمد الخامس – المغرب	362 -331

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على معلم الناس الخير نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

استمراراً لمسيرة العطاء الفكري و الإنساني، يسعدنا ويسرنا في هيئة تحرير مجلة جامعة الناصر أن نقدم لزملائنا وقرائنا الكرام جمهور المجلة: العدد (15) المجلد(1) يناير- يونيو 2020 م ، والذي يتزامن مع قدوم مع شهر رمضان المبارك ،رمضان الخير والنفحات والبركات ..

وقد تضمن العدد (7) أبحاث ، وكلها ذات قيمة علمية رفيعة ومتنوعة في مختلف المجالات العملية وهي من قبل باحثين من مختلف الجامعات اليمنية والعربية العريقة .

كما تُقدم إدارة تحرير المجلة هذا العدد لباحثيها وقرائها الأعزاء ، بثوبها الجديد، وشروطها المحدثة ، فإنها تتقدم بالشكر والتقدير لكل من أسهم في إخراج هذا العدد إلى حيز الوجود، وتؤكد المجلة مجدداً للمشاركين الأفاضل التزامها الدقيق باتباع المنهجية العلمية السليمة والسرية التامة في تحكيم ونشر الأبحاث المقدمة إلى المجلة.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لصاحب الفضل العظيم على توفيقه وعونه لنا ربنا تبارك وتعالى ، كما نسأله أن يوفقنا دائماً في خدمة البحث العلمي وتنميته، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

رئيس الجامعة

أ.د. عبدالله حسين طاهش

رئيس التحرير



جامعة الناصر

AL-NASSER UNIVERSITY

المُخْتَلَفُ فِي نُبُوتِهِمْ فِي ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ - دِرَاسَةٌ عَقْدِيَّةٌ

د. عبد الله بن علي الجودة

أستاذ العقيدة والأديان المساعد

كلية الشريعة وأصول الدين - جامعة نجران - السعودية

abdullaha24434@gmail.com

الملخص

يتحدث هذا البحث عن الشخصيات ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، والتي وقع خلاف بين أهل العلم في نبوتهم، مثل: لقمان الحكيم، وذي القرنين، وعزير، وغيرهم، فهناك قرائن وشواهد يمكن أن تدل على نبوتهم، ويقابلها قرائن وشواهد أخرى تشير إلى عدم نبوتهم. فهذا البحث يعالج هذه القضية: بحصر هذه الشخصيات التي وقع الخلاف في نبوتها، ومن ثم بيان أدلة كل قول فيها مع مناقشتها؛ بغية الوصول إلى بيان الراجح في هذه الشخصيات مع دليله. راجيا أن يكون هذا البحث إسهاما في خدمة العلم والعقيدة الإسلامية، وإضافة متواضعة للمكتبة الإسلامية.

1

Debatable Prophets in Light of Quran and Sunnah

Dr. Abdullah Ben Ali El-Jawdah

Assistant Professor of Faith and Religions,

Faculty of Sharia & Religion Fundamentals, Najran University, KSA

Abstract:

This research speaks about the characters mentioned in the Noble Qur'an and the correct prophetic Sunnah, and that there was a dispute between the scholars in their prophecy, such as: Lukman al-Hakim, Dhi al-Qarnayn, Azir, and others.

Their lack of prophecy.

This research addresses this issue: by restricting these personalities whose disagreement occurred in its prophecy, and then explaining the evidence of Every opinion in it and discussing it, with a view to reaching the most correct statement in these personalities with its evidence.

I hope this research will be a contribution to the service of Islamic science and belief, and a modest addition to the Islamic Library.

Allah grant us success.

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد:

أهمية البحث وسبب اختياره :

فإن الله تعالى قد رحم البشرية و العالمين بإرسال الرسل و الأنبياء _ عليهم السلام _رحمة بهم لإخراجهم من الظلمات إلى النور ، و دلالتهم على طريق السعادة في هذه الحياة الدنيا ، وفي الآخرة التي تنتظرهم بعد الموت .

ولهذا فإن الإيمان بالرسول هو أحد أصول و أركان العقيدة الإسلامية كما قال تعالى: (و لكن البر من آمن بالله و اليوم الآخر و الملائكة و الكتاب و النبيين) و قال صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الإيمان: " أن تؤمن بالله و ملائكة و كتبه و رسله و اليوم الآخر و القدر خيره و شره "

وقد أحببت المشاركة في خدمة العقيدة الإسلامية الغراء عبر تحقيق بعض مسألتها التي تحتاج لتحصيل و تحقيق ، ومن ذلك موضوع يتعلق بالإيمان بالأنبياء عليهم السلام ، ألا و هو موضوع "الأشخاص المختلف في نبوتهم".

فكثير ما يمر على القارئ لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم شخصيات يتساءل عنها هل هم من الأنبياء أم ليسوا بأنبياء؟ مثل: الخضر ، تبع ، ذو القرنين ، لقمان الحكيم . وإذا رجع لبعض كتب التفسير أو شروح الحديث النبوي يجد أن لأهل العلم رأيين في هذه الشخصيات، وتتوق نفسه لبيان الراجح من القولين .

فأحببت بهذا البحث أن أساهم في تجلية الموضوع و الترجيح حسب ما يتوفر لدي من أدلة وبراهين في بيان نبوة هؤلاء الأشخاص من عدم ذلك .

الدراسات السابقة :

وقد تكلم علماء المسلمين عن المختلف في نبوتهم، وخاصة في كتب التفسير وشروح الحديث النبوي عند ذكر تلك الشخصيات، وكذلك في كتب العقيدة عند ذكر الإيمان بالرسول ومن اختلف في نبوته، وكذلك في كتب التاريخ عند ذكر تواريخ الأنبياء والأمم. وكذلك مؤلفات خاصة بالرسول يتعرضون فيها لذكر المختلف في نبوتهم. واذكر على سبيل المثال من ذلك :

- 1- النبوات لشيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية.
 - 2- تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء لأبي الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي .
 - 3- النبوة والأنبياء في ضوء القرآن لأبي الحسن الندوي
 - 4- الرسل والرسالات لعمر الأشقر
 - 5- كتاب : آراء خاطئة وروايات باطلة في سير الأنبياء عليهم السلام لعبد العزيز بن محمد السدحان.
- وغير ذلك.

ويتمثل الجديد في هذا البحث في الآتي:

- أ. أفراد هذا الموضوع بالدراسة، حيث لم أطلع - بحسب علمي - على من أفردته بالدراسة.
- ب. محاولة استيعاب جميع من حصل خلاف معتبر في نبوتهم ممن ورد ذكره في الكتاب وصحيح السنة.

ج. السعي في التمهيد للأقوال وبيان الراجح بحسب قواعد الترجيح المعتمدة عند أهل العلم. رحمهم الله تعالى.

وأرجو أن أكون قد وفقت فيما أسعى إليه، فإن أصبت فمن الله تعالى بفضلته سبحانه، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وأنا - إن شاء الله تعالى - متقبل لكل نصيحة أو تنبيه أو إرشاد.

منهج البحث:

ويقوم هذا البحث على الجمع بين المنهج الاستقرائي، والمنهج التاريخي، والمنهج النقدي التحليلي.

كما التزمت في هذا البحث بمقتضيات البحث العلمي من حيث:-

أ - عزو الآيات القرآنية .

ب - تخريج الأحاديث النبوية والحكم عليها.

ج - توثيق كلام أهل العلم من المصادر والمراجع المعتمدة.

حدود البحث:

الأشخاص الذين حصل فيهم خلاف معتبر بين علماء الأمة في نبوتهم، ممن ورد ذكرهم في القرآن الكريم أو في صحيح السنة النبوية.

فلم أتعرض للشخصيات التي لا ذكر لها في الكتاب العزيز وصحيح السنة⁽¹⁾ ، وكذلك لم أتعرض لمن كان فيه خلاف غير معتبر في نبوته⁽²⁾.

خطة البحث: يتكون البحث من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة..

فالمقدمة تحتوي على أهمية البحث وسبب اختياره والدراسات السابقة ومنهج البحث وخطته.

ثم التمهيد : في مسائل متعلقة بالبحث.

(1) ولذلك لم أورد ضمن من اختلف في نبوتهم: خالد بن سنان العنسي الذي يقال: إنه كان نبيا، وذلك لعدم ورودها بأسانيد يمكن أن يعتمد عليها. انظر ذكر هذه الروايات في: الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر (2/ 309)، وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني (1/ 449) فقد ذكر أن الخبر عنه بأنه نبى ضيعه قومه لا يصح. وانظر أيضا: الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية (2/ 696). وكذلك لم أورد ذكر: حنظلة بن صفوان، الذي يقال: إنه كان نبيا مبعوثا للعرب، وذلك لعدم ورود ذلك من طريق صحيحة، ولذلك استظهر ابن كثير رحمه الله أن هؤلاء كانوا قوما صالحين يدعون إلى الخير. البداية والنهاية ط إحياء التراث (2/ 270) والعلم عند الله تعالى.

2- وذلك كراي الهيثمي رحمه الله في أن إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم كان نبيا، واعتمد في ذلك على حديث لا يصح. انظر كتاب: آراء ابن حجر الميمني الاعتقادية عرض وتقويم ل محمد بن عبدالعزيز الشائع ص: 424. وما بعدها، وكراي من أثبت الرسالة في الكائنات الحية غير الجن والإنس، قال الألويسي رحمه الله: ونقل الشهاب عن ابن المنير أن من ذهب إلى أن البهائم والهوام مكلفة لها رسل من جنسها فهو من الملاحدة الذين لا يعول عليهم كالجاحظ وغيره، وعلى إكفار القائل بذلك نص كثير من الفقهاء. تفسير الألويسي: روح المعاني (4/ 139).

المبحث الأول : من اختلف في نبوتهم من الأشخاص :

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: اختلاف العلماء في نبوة الخضر.

المطلب الثاني: اختلاف العلماء في نبوة ذي القرنين.

المطلب الثالث: اختلاف العلماء في نبوة لقمان الحكيم.

المطلب الرابع: اختلاف العلماء في نبوة تُبَع.

المطلب الخامس: اختلاف العلماء في نبوة أبناء يعقوب غير يوسف عليه السلام.

المطلب السادس: اختلاف العلماء في نبوة عزيز.

المطلب السابع: اختلاف العلماء في نبوة ذي الكفل عليه السلام.

المبحث الثاني: من اختلف في نبوتهم من الأجناس :وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اختلاف العلماء في نبوة النساء

المطلب الثاني: اختلاف العلماء في نبوة الجن

الخاتمة: وتحتوي على أهم النتائج وأهم التوصيات.

تمهيد : في مسائل متعلقة بالبحث

المسألة الأولى: تعريف النبي والنبوة :

لفظ النبي مأخوذ من النبأ، وهو الخبر، فالنبي أنبأه الله وأخبره بالوحي، وهو يبيء ويخبر بما أنبأه الله به⁽¹⁾.

المسألة الثانية: الفرق بين النبوة والرسالة:

لفظ "النبيين والمرسلين" شأنه كلفظ "الإيمان والإسلام" إذا اجتمعا في نص افترق معناهما، وإذا افترقا دل كل واحد منهما على الآخر، ومن الثاني قوله تعالى: {وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ} [البقرة: 177] وقوله سبحانه: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَمْ نَفْرُقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ} [البقرة: 285] ، وقد اجتمعا في قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ...} [الحج: 52] فدل هذا النص على الفرق بين النبي والرسول.

1- أنظر: لسان العرب (15/ 302 — 303)، النبوات لابن تيمية (2/ 714)، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: 157).

وفي الفرق بين الرسول والنبى يقول الإمام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله: فالنبى هو الذي ينبئه الله، وهو يبنىء بما أنبأ الله به؛ فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليلبغه رسالة من الله إليه؛ فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشرعية قبله، ولم يرسل هو إلى أحد [يلبغه] عن الله رسالة؛ فهو نبى، وليس برسول؛ قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمَّنِيِّهِ﴾، وقوله: ﴿مَنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾؛ فذكر إرسالاً يعم النوعين، وقد خص أحدهما بأنه رسول؛ فإن هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف [أمر] الله؛ كنوح وقد ثبت في الصحيح أنه أول رسول بعث إلى أهل الأرض⁽¹⁾.

المسألة الثالثة: بيان بم ثبت وصف النبوة وضابط ذلك.

بالنظر في نصوص الكتاب والسنة فإن وصف النبوة يثبت لشخص ما بما يلي:

1. بالنص على نبوته، وذلك إما:

أ - على وجه الخصوص بالشخص، كما ذكر الله تعالى ذلك عن عدد من الأنبياء، ومثاله: قوله سبحانه: ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: 41]، وقوله تعالى: ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: 49]، وقال جل شأنه: ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: 51].

ب - أو على وجه العموم حيث نص الله تعالى على نبوة جماعة من الأنبياء في سورة الأنعام، وقد عرفنا مثلاً نبوة اليسع عليه السلام بذلك، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٥٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمَنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٨﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٥٩﴾ [الأنعام: 83 - 86]. ثم نص سبحانه على نبوتهم بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام: 89].

2. أو يذكر شخصاً في سياق ذكر الأنبياء عليهم السلام مقروناً بهم، وإن لم ينص صراحة على كونه نبياً، كما عرفنا نبوة ذي الكفل عليه السلام بذلك، حيث ورد اسمه في سياق ذكر الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ، إِنَّا

1- أنظر: النبوات لابن تيمية (2/714).

أَخْصَنَاهُمْ بِخَالِصَةِ ذِكْرِي الدَّارِ، وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ، وَادْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكُفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ {ص: 45 - 48}.

والضابط الذي أحب التتبيه عليه هنا: أن الأصل في هذا الباب هو عدم إثبات وصف النبوة لشخص إلا بدليل معتبر يدل على ذلك إما من الكتاب أو من السنة، فلا يثبت هذا الوصف بالاحتمال والظن. وأقول مع ذلك أيضاً: إن من لم يثبت له وصف النبوة بذلك، فلا يعني ذلك الجزم بعدم نبوته، فعدم العلم لا يعني العلم بالعدم كما هو معروف⁽¹⁾ قال ابن حزم رحمه الله: ولا يحل لمسلم أن يدخل في الأنبياء من لم يأت نص ولا إجماع أو نقل كافة بصحة نبوته، ولا فرق بين التصديق بنبوة من ليس نبياً، وبين التكذيب بنبوة من صحت نبوته منهم⁽²⁾ وقد ذكر العلامة أبو الحسن السبتي الأموي⁽³⁾ (ت614هـ) أن الله تعالى نص في محكم كتابه على ستة وعشرين نبياً أولهم آدم وآخرهم محمد عليهم الصلاة والسلام، قال: فهؤلاء هم الأنبياء الذين من أنكر نبوة واحد منهم أو قدح فيها قدحا يخل بشرط من شروط نبوتهم فهو كافر قال: ومن أثبت نبوة غيرهم على التعيين فعليه الدليل⁽⁴⁾ هذا مع اعتقادنا أن هناك كثيراً من الأنبياء - عليهم السلام - لا نعلم عنهم شيئاً لأنه سبحانه لم يخبرنا عنهم، كما قال تعالى: {وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ} [النساء: 164]. وقال سبحانه: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ} [غافر: 78].

المبحث الأول: من اختلف في نبوتهم من الأشخاص

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: اختلاف العلماء في نبوة الخضر.

المطلب الثاني: اختلاف العلماء في نبوة ذي القرنين.

المطلب الثالث: اختلاف العلماء في نبوة لقمان الحكيم.

1- انظر لتقرير هذه القاعدة: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، لمؤلفه: د. عثمان علي حسن. ط. الخامسة مكتبة الرشد عام

1427هـ. 700/2. وقال الإمام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله: "وعدم العلم بشيء ليس علماً بعدمه". الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (2/

415) دار المعرفة، بيروت، لبنان.

2- أنظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (4/ 7).

3- أبو الحسن علي بن أحمد بن حمير السبتي الأموي، فقيه أصولي مالكي، شاعر، توفي عام 614هـ. له ترجمة في قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان

لاين الشعر الموصلبي (3/ 280).

4- أنظر: تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء (ص: 141).

المطلب الرابع: اختلاف العلماء في نبوة تُبَع.

المطلب الخامس: اختلاف العلماء في نبوة أبناء يعقوب غير يوسف عليه السلام.

المطلب السادس: اختلاف العلماء في نبوة عزيز.

المطلب السابع: اختلاف العلماء في نبوة ذي الكفل عليه السلام.

المطلب الأول

اختلاف العلماء في نبوة الخضر

اختلف العلماء - رحمهم الله - قديماً وحديثاً في نبوة الخضر، وكل فريق منهم له أدلته على ما ذهب إليه، واعتراضاته على ما خالفه به غيره، وفي هذا المطلب سأعرض أقوال العلماء وأدلتهم في المسألة ومناقشتها؛ للوصول إلى الرأي الراجح الذي تؤيده الأدلة من النصوص الشرعية ..

وقيل ذلك سأستعرض النصوص الواردة من الكتاب والسنة في شأن الخضر:

أ- فقد ورد ذكر قصة الخضر في القرآن الكريم في قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام وفتاه:

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رَسُولًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * ...﴾ إلى آخر القصة [الكهف: 65 — 82].

ب - وقد وردت القصة في السنة النبوية:

ومن ذلك ما رواه أبي بن كعب رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "بينما موسى في ملا من بني إسرائيل جاءه رجل فقال: هل تعلم أحداً أعلم منك؟" قال موسى: لا، فأوحى الله عز وجل إلى موسى: بلى، عبدنا خضر، فسأل موسى السبيل إليه، فجعل الله له الحوت آية، وقيل له: إذا فقدت الحوت فارجع، فإنك ستلقاه، وكان يتبع أثر الحوت في البحر، فقال لموسى فتاه: (أرأيت إذ أومنا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره)، قال: (ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصاً)، فوجدوا خضراً، فكان من شأنهما الذي قص الله عز وجل في كتابه⁽¹⁾.

وقد اختلف أهل العلم في نبوة الخضر على قولين مشهورين:

1- صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب: ما ذكر في ذهاب موسى صلى الله عليه وسلم في البحر إلى الخضر (1/ 26)، برقم: 74. وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام (4/ 1853).

القول الأول: أنه نبي، وهو مروى عن ابن عباس⁽¹⁾ ووهب بن منبه، ومحمد بن إسحاق⁽²⁾ ومقاتل⁽³⁾ وممن اختار هذا القول أو رجحه من أهل العلم: أبو الليث السمرقندي⁽⁴⁾، والرماني⁽⁵⁾، والشعلبي⁽⁶⁾، وابن حزم⁽⁷⁾، والواحدي⁽⁸⁾، وعبد القاهر الجرجاني⁽⁹⁾، والزمخشري⁽¹⁰⁾، وابن الجوزي⁽¹¹⁾ وابن عطية⁽¹²⁾، وابن جزي⁽¹³⁾، وأبو عمرو بن الصلاح⁽¹⁴⁾، وأبو العباس القرطبي⁽¹⁵⁾، والقرطبي صاحب التفسير⁽¹⁶⁾، وكذا اختاره النووي⁽¹⁷⁾، والبيضاوي⁽¹⁸⁾ وأبو حيان⁽¹⁹⁾، وابن كثير⁽²⁰⁾، والحافظ ابن حجر⁽²¹⁾، والعيني⁽²²⁾، والبقاعي⁽²³⁾، والكوراني⁽²⁴⁾،

- 1- نقله عنه الحافظ في الإصابة في تمييز الصحابة (2/ 248)، كما نقله السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالماثور 5/ 425 عن أبي حاتم، وليس في المطبوع من تفسيره.
- 2- نقله عنه الحافظ في الإصابة في تمييز الصحابة (2/ 248)، وقد رجعت لتفسير ابن الجوزي فلم أجد حزم بأحد القولين في قصة الخضر.
- 3- نقله الماوردي في تفسيره النكت والعيون. تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. لبنان (3/ 324).
- 4- تفسير السمرقندي: بحر العلوم (2/ 354).
- 5- نسبه إليه الإمام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (4/ 397)، والحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ط إحياء التراث (1/ 382).
- 6- نسبه إليه الحافظ ابن حجر في الزهر النضر في حال الخضر (ص: 68) حيث قال: وَقَالَ الثَّعْلَبِيُّ هُوَ نَبِيِّ عَلَى جَمِيعِ الْأَقْوَالِ.
- 7- انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، مكتبة الخانجي - القاهرة، 23/3.
- 8- التفسير الوسيط للواحدى (3/ 158).
- 9- درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة (3/ 1156).
- 10- تفسير الزمخشري: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (2/ 733).
- 11- نقله عنهما الحافظ في الإصابة في تمييز الصحابة (2/ 248).
- 12- انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 3/ 530، و3/ 537.
- 13- تفسير ابن جزي: التسهيل لعلوم التنزيل (1/ 473 و470).
- 14- فتاوى ابن الصلاح (1/ 186).
- 15- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (6/ 209).
- 16- انظر: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2: 1384هـ- 1964م، 11/ 16.
- 17- انظر: شرح النووي على مسلم، 15/ 137.
- 18- انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 3/ 287.
- 19- انظر: تفسير البحر المحيط، 7/ 204.
- 20- انظر: تفسير ابن كثير، 5/ 157، والبداية والنهاية له 1/ 382-383.
- 21- انظر: الزهر النضر في حال الخضر، ص29.
- 22- عمدة القاري شرح صحيح البخاري (2/ 60).
- 23- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (5/ 389) و12/ 106.
- 24- الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (1/ 171).

وأبو السعود⁽¹⁾، وابن حجر الهيتمي⁽²⁾، والألوسي⁽³⁾، ومن المعاصرين الشنقيطي⁽⁴⁾، وابن عاشور⁽⁵⁾، عاشور⁽⁵⁾، وابن باز⁽⁶⁾، والألباني⁽⁷⁾، وغيرهم، رحم الله الجميع ونسبه جمع من أهل العلم إلى الجمهور، الجمهور، منهم: القرطبي وأبو حيان والرازي والشوكاني والألوسي⁽⁸⁾، واختلف القائلون به في كونه نبياً نبياً رسولاً أو نبياً فقط، وأكثرهم على القول بنبوته دون رسالته⁽⁹⁾.

والأدلة على قول الجمهور بأنه نبي لا ولي، متعددة منها:

1- قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾.

والاستدلال بهذا النص الكريم يتضح من وجهين:

الوجه الأول: قوله تعالى: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ والرحمة قد تكرر إطلاقها في القرآن الكريم على النبوة كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْبِينَ عَظِيمٍ * أَمْ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: 31-33] وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾ [القصص: 86، 87] وقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ...﴾ [الدخان: 4-6].

الوجه الثاني: قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: 65]، فإطلاق تعليم العلم يشير إلى النبوة، ومثل هذا في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ

1- أنظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم- أبو السعود محمد بن محمد العماد، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، 234/5.

2- الفتاوى الحديثة لابن حجر الهيتمي (ص: 93) وكذلك ص: 128.

3- أنظر: تفسير الألوسي: روح المعاني (8/302).

4- أنظر: أضواء البيان، 326/3.

5- أنظر: التحرير والتنوير، 211/24.

6- أنظر: فتاوى نور على الدرب- عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: 1420هـ)، جمعها: الدكتور محمد بن سعد الشويعر، قدم لها: عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ، 398/1، وانظر: مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله- أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، 287/9.

7- أنظر: موسوعة الألباني في العقيدة (2/519)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (11/585).

8- أنظر: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين الدين القرطبي، تحقيق: أحمد الردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2: 1384-1964م، 11/16، وتفسير ابن عطية: المخرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (3/529)، وتفسير الرازي: مفاتيح الغيب (21/481). وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 302/8. وفتح القدير للشوكاني (3/359).

9- أنظر: روح المعاني، 8/302.

تَكُنْ تَعَلَّمْ وَكَانَ فَضَّلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿النساء:113﴾. وقوله تعالى عن يعقوب عليه السلام: ﴿وَإِنَّهُ لَنُؤُ عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿يوسف:68﴾ (1) قال ابن الجوزي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ أي: من عندنا علماً قال ابن عباس: أعطاه علماً من علم الغيب (2) قلت: ومن المعلوم أن إيتاء شيء من علم الغيب يختص الله به الأنبياء كما قال سبحانه: {عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ، إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ.....} [الجن: 26، 27].

2- قوله تعالى حكاية عن قول موسى عليه السلام للخضر: ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿الكهف:66-67﴾.

وهذا التلطف في سؤال تعليم العلم دال على نبوته، قال الحافظ ابن كثير: فلو كان ولياً وليس بنبي لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة، ولم يرد على موسى هذا الرد، بل موسى إنما سأل صحبته لينال ما عنده من العلم الذي اختصه الله به دونه، فلو كان غير نبي لم يكن معصوماً، ولم تكن لموسى وهو نبي عظيم ورسول كريم واجب العصمة كبير رغبة ولا عظيم طلبه في علم ولي غير واجب العصمة، ولما عزم على الذهاب إليه والتفتيش عليه ولو أنه يمضي حقاً من الزمان، ثم لما اجتمع به تواضع له وعظمه واتبعه في صورة مستفيد منه: دل على أنه نبي مثله يوحى إليه كما يوحى إليه، وقد خص من العلوم الكونية والأسرار النبوية مما لم يطلع الله عليه موسى الكليم نبي بني إسرائيل الكريم (3). وقال أيضاً: وقد احتج بهذا المسلك بعينه الرماني (4) على نبوة الخضر عليه السلام (5).

3- إقدام الخضر - عليه السلام - على قتل الغلام، وذلك لايصح شرعاً إلا أن يكون عن طريق معرفة قطعية غيبية بشأنه وبمآله مأخوذة من الوحي، وقد ورد في الصحيح قول الخضر عن

1- أنظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن- محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر، بيروت- لبنان: 1415هـ-1995م، 323/3، المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضاً ونقداً- صادق سليم صادق، مكتبة الرشد، الرياض، ط. الأولى: 1415، ص256.

2- زاد المسير في علم التفسير (98/3).

3- البداية والنهاية- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1: 1418هـ-1997م، سنة النشر: 1424هـ / 2003م، 328/1. وانظر: الزهر النضر في حال الخضر- أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: صلاح مقبول أحمد، مجمع البحوث الإسلامية- جوغاباني نيودهي- الهند، ط1: 1408هـ-1988م، ص30، أضواء البيان، 326/3.

4- علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي، المتوفى: 384هـ.

5- المرجع السابق: 328/1.

الغلام: "وَأَمَّا الْغُلَامُ فَطَبِعَ يَوْمَ طَبِعَ كَافِرًا، وَكَانَ أَبَوَاهُ قَدْ عَطَفَا عَلَيْهِ، فَلَوْ أَنَّهُ أَدْرَكَ أَرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾" (1).

فإخباره أن الغلام طبع كافرًا، إخبار عن الغيب الذي لا يمكن الاطلاع عليه إلا عن طريق الوحي. 4- ومن أظهر الأدلة على أن الرحمة والعلم اللدني اللذين امتن الله بهما على عبده الخضر إنما هما النبوة والوحي قوله تعالى عنه: ﴿وما فعلته عن أمري﴾ أي: وإنما فعلته عن أمر الله جل وعلا، وأمر الله إنما يتحقق عن طريق الوحي، إذ لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه إلا الوحي من الله جل وعلا، ولا سيما قتل الأنفس البريئة في ظاهر الأمر، وتعييب سفن الناس بخرقها؛ لأن العدوان على أنفس الناس وأموالهم لا يصح إلا عن طريق الوحي من الله تعالى (2).

قال ابن بطال رحمه الله: وقوله: ﴿وما فعلته عن أمري﴾ يدل أنه فعله بوحي من الله بذلك إليه، ويشهد لهذا وجوه من نفس القصة، منها: أنه لا يجوز لأحد أن يقتل نفسًا لما يتوقع وقوعه منها بعد حين مما يوجب عليها القتل، لأن الحدود لا تجب إلا بعد وقوعها. وأيضًا فإنه لا يقطع على فعل أحد قبل بلوغه، ولا يعلمه إلا الله، لأن ذلك إخبار عن الغيب. وكذلك الإخبار عن أخذ الملك السفينة غضبًا، والإخبار أيضًا عن بنيانه الجدار من أجل الكنز الذي تحته ليكون سببًا إلى استخراج الغلامين له إذا احتاجا إليه مراعاة لصالح أبيهما، وهذا كله لا يدرك إلا بوحي من الله تعالى. وفي هذا الحديث: أن الخضر أقام الجدار بيده، وفي كتاب الأنبياء، قال سفيان: فأومأ بيده، وهذه آية عظيمة لا يقدر الناس على مثلها، وهي تشبه آية الأنبياء. وهذا كله حجة لمن قال بنبوته الخضر (3).

قال الحافظ ابن حجر: ومن أوضح ما يستدل به على نبوة الخضر قوله: ﴿وما فعلته عن أمري﴾ (4).

5- قوله صلى الله عليه وسلم: "وددت أن موسى صبر؛ حتى يقص علينا من أمرهما"، ففي تمني النبي صلى الله عليه وسلم هذا للاطلاع على ما يقع بينهما، دليل على أن الخضر كان موحى إليه، ولو

1- صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل الخضر عليه السلام، 1851/4، برقم: 2380.

2- أنظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (3/ 323)، وبنحوه قال المراغي رحمه الله: الإقدام على تفتيق أموال الناس وإراقة دمايتهم لا تجوز إلا بالوحي والنص القاطع. تفسير المراغي (9/ 16).

3- شرح صحيح البخاري لابن بطال (1/ 201).

4- فتح الباري لابن حجر (1/ 220).

لم يكن كذلك لما جازَ هَذَا التَّمَنِّي بَأَن يَنْتَظِرَ النَّبِيَّ - أَمْرًا غَيْرَ مَوْحَى مِنْ إِنْسَانٍ غَيْرِ مَوْحَى إِلَيْهِ⁽¹⁾.

6- أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَعَلَّمُ وَلَا يَتَّبِعُ إِلَّا مِنْ فَوْقِهِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فَوْقَ النَّبِيِّ مِنْ لَيْسِ بِنَبِيِّ⁽²⁾.
مناقشة استدلالات الجمهور: وقد ناقش أصحاب القول الثاني الذين يرون أن الخضر ولي لآلبي أدلة الجمهور القائلين بنبوته بما مفاده: أَنَّ كُلَّ مَا فَعَلَهُ أَوْ قَالَهُ الْخَضْرُ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى الْإِلْهَامِ وَالتَّحْدِيثِ، كَمَا يَكُونُ لِغَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾، فَالْعَلَمُ الَّذِي يَعْلَمُهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ نَوْعَانِ: عِلْمٌ مَكْتَسَبٌ يَدْرِكُهُ الْعَبْدُ بِجَدِّهِ وَاجْتِهَادِهِ، وَنَوْعٌ آخَرٌ هُوَ الْعِلْمُ اللَّدْنِيُّ الَّذِي يَهْبَهُ اللَّهُ لِمَنْ يَمُنُّ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ لِقَوْلِهِ ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾⁽³⁾.

والجواب: أَنَّ قَوْلَهُمْ بِالْإِلْهَامِ مَجْرَدُ احْتِمَالٍ فَقَطْ، وَالْقُرَائِنُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْقِصَّةِ تُشِيرُ لِنُبُوتِهِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي أَدْلَةِ الْجُمْهُورِ، وَلَا سِيَّمَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا فَعَلْتَهُ عَنْ أَمْرِي﴾ فَهُوَ يُشِيرُ لِأَمْرٍ لَهُ، وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ.

ثم إن الإقدام على إزهاق النفس البريئة لا يصح أبداً أن يكون عن طريق الإلهام، وما أدرى ذلك الملمهم بأن ما وقع في نفسه هو خاطر من قبل الله تعالى، وليس شيطاناً يوسوس له بإزهاق النفس البريئة؟! وقد كتب ابن عباس رضي الله عنه - وهو ممن روي عنه القول بنبوة الخضر - إلى نجدة الحروري عندما سأله عن قتل الصبيان في الحرب، فقال له: فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يقتل منهم أحداً، وأنت فلا تقتل منهم أحداً، إلا أن تكون تعلم منهم ما علم الخضر من الغلام حين قتله!!⁽⁴⁾ قال النووي رحمه الله: معناه أن الصبيان لا يحل قتلهم، ولا يحل لك أن تتعلق بقصة الخضر وقتله صبياً؛ فإن الخضر ما قتله إلا بأمر الله تعالى له على التعيين كما قال في آخر القصة: ﴿وَمَا فَعَلْتَهُ عَنْ أَمْرِي﴾⁽⁵⁾ وما أحسن مأسطره العلامة الشنقيطي حيث قال: فإن قيل: قد يكون ذلك عن طريق الإلهام؟ فالجواب: أن المقرر في الأصول أن الإلهام من الأولياء لا يجوز الاستدلال به على شيء، لعدم العصمة،

1- أنظر: الزهر النضر في حال الخضر، ص32.

2- أنظر: الجامع لأحكام القرآن، 16/11. و الزهر النضر في حال الخضر (ص: 66).

3- أنظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، ط1:

1420هـ-2000م، ص484، وانظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (8/96) لصديق حسن خان.

4- صحيح مسلم (3/1446).

5- شرح النووي على مسلم (12/192).

وعدم الدليل على الاستدلال به، بل لوجود الدليل على عدم جواز الاستدلال به، وما يزعمه بعض المتصوفة من جواز العمل بالإلهام في حق الملهم دون غيره، وما يزعمه بعض الجبرية أيضاً من الاحتجاج بالإلهام في حق الملهم وغيره جاعلين الإلهام كالوحي المسموع مستندين بظاهر قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ ، وبخبر: "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله" كله باطل لا يعول عليه، لعدم اعتضاده بدليل، وغير المعصوم لا ثقة بخواطره ؛ لأنه لا يأمن دسياسة الشيطان، وقد ضمننت الهداية في اتباع الشرع، ولم تضمن في اتباع الخواطر والإلهامات⁽¹⁾.

وسبق قوله رحمه الله: ومن أظهر الأدلة على أن الرحمة والعلم اللدني اللذين امتن الله بهما على عبده الخضر إنما هما النبوة والوحي قوله تعالى عنه: ﴿وَمَا فَعَلْتَهُ عَنْ أَمْرِي﴾ أي: وإنما فعلته عن أمر الله جل وعلا، وأمر الله إنما يتحقق عن طريق الوحي، إذ لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه إلا الوحي من الله جل وعلا، ولا سيما قتل الأنفس البريئة في ظاهر الأمر، وتعييب سفن الناس بخرقها ؛ لأن العدوان على أنفس الناس وأموالهم لا يصح إلا عن طريق الوحي من الله تعالى⁽²⁾.

قال ابن حزم رحمه الله: وقال تعالى مخبراً عنه ومصداقاً عنه: ﴿وَمَا فَعَلْتَهُ عَنْ أَمْرِي﴾ فصح أن كل ما قال الخضر عليه السلام فمن وحي الله عز وجل⁽³⁾.

القول الثاني: أنه ولي لا نبي، وهو قول البغوي⁽⁴⁾، والخازن⁽⁵⁾، والإيجي⁽⁶⁾، ونسبه الحافظ ابن حجر حجر إلى بعض الصوفية ومن وافقهم⁽⁷⁾، وبه قال صديق حسن خان⁽⁸⁾ واختاره من المعاصرين العلامة

1- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (3/ 323).

2- أنظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (3/ 323)، ونحوه قال المراغي رحمه الله: الإقدام على تنقيص أموال الناس وإراقة دمائهم لا تجوز إلا بالوحي والنص القاطع. تفسير المراغي (9/ 16).

3- الفصل في الملل والأهواء والنحل (3/ 23).

4- معالم التنزيل في تفسير القرآن- محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1: 1420هـ، 205/3.

5- تفسير الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل (3/ 174).

6- تفسير الإيجي: جامع البيان في تفسير القرآن (2/ 451).

7- انظر: الزهر النضر في حال الخضر، ص24، وروح المعاني: 302/8. وكلامه صحيح رحمه الله: فذلك هو رأي القشيري في رسالته القشيرية انظر: الرسالة القشيرية- لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، 526/2. وهو رأي جماعة من الصوفية، وقد قال بعض الصوفية بنبوته. أنظر: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضاً ونقداً- صادق سليم صادق، ص256. ولبعث الصوفية في بيان حقيقة الخضر وما يأخذونه عنه عجائب وغرائب. أنظرها في المرجع المذكور ص 248-265.

8- فتح البيان في مقاصد القرآن (8/ 96).

العلامة السعدي⁽¹⁾، وتلميذه محمد ابن عثيمين⁽²⁾. رحمهم الله، وغيرهم، وقد نسبته الإمام البغوي لأكثر أهل العلم⁽³⁾ وكذا الإمام ابن تيمية⁽⁴⁾ وفيه نظر: فبحسب تتبعي رأيت أن الجمهور على القول بنبوة الخضر، كما يظهر من سياق القائلين بذلك في القول الأول، وقد نسبته للجمهور جماعة من العلماء كما سبق بيانه.

أدلة القائلين بأنه ولي لا نبي:

- 1، أن الله وصفه بالعبودية، وذكر منته عليه بالرحمة والعلم، ولم يذكر رسالته ولا نبوته، ولو كان نبياً، لذكر ذلك كما ذكره غيره⁽⁵⁾.
2. ومما استدل به بعضهم: أنه لا يزال حياً بين أظهرنا⁽⁶⁾، وذلك يقتضي ولايته، ومن أدلة حياته: مارواه الدارقطني عن ابن عباس قال: الخضر بن آدم لصلبه ونسب له في أجله حتى يكذب الدجال⁽⁷⁾. ومنها ما يروى عن الحسن البصري، قال: "وكل إلياس بالفيافي، ووكل الخضر بالبحور، وقد أعطيا الخلد في الدنيا إلى الصيحة الأولى، وأنهما يجتمعان في موسم كل عام"⁽⁸⁾ ووجه الاستدلال بهذا قوله عليه الصلاة والسلام: "وَأِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي"⁽⁹⁾ وقوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب:40]، والخضر

1- أنظر: تيسير الكريم الرحمن، ص482، و ص484.

2- انظر: تفسير العثيمين لسورة الكهف، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، المتوفى: 1421هـ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، الأولى، 1423هـ، 1/113.

3- معالم التنزيل في تفسير القرآن- محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1: 1420هـ، 3/205.

4- المستدرك على مجموع الفتاوى (1/113) قال: والجمهور على أنه ليس بنبي. أما ابن تيمية نفسه فلم يجزم بشأن الخضر من حيث نبوته بشيء، قال رحمه الله: وهو أن كان نبيا فنبينا أفضل منه، وإن لم يكن نبيا فأبو بكر وعمر أفضل منه. الرد على المنطقيين (ص: 185).

5- أنظر: تيسير الكريم الرحمن، ص484.

6- وفي بقائه حياً قال الإمام النووي رحمه الله: «الأكثر من العلماء هو حي موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة، والمعرفة، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه، وسؤاله وجوابه، ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر. تهذيب الأسماء واللغات، 1/177.

7- المؤلف والمختلف- أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1: 1406هـ- 1986م، 2/827.

8- الإصابة في تمييز الصحابة - أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1: 1415هـ، 2/251.

9- صحيح البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: مَا ذُكِرَ عَنْ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ، 169/4، برقم: 3455.

وإلياس جميعاً باقياً مع هذه الكرامة، فوجب أن يكونا غير نبیین، لأنهما لو كانا نبیین لوجب أن يكون بعد نبينا عليه الصلاة والسلام نبي، إلا ما قامت الدلالة في حديث عيسى أنه ينزل بعده⁽¹⁾.

مناقشة استدلالاتهم:

1. أما قولهم بأن الله تعالى لم يذكر رسالته ولا نبوته، ولو كان نبياً، لذكر ذلك كما ذكره في غيره. فالجواب: أنه وإن لم ينص على نبوته، فقد أفادت النصوص قرائن قوية تدل على نبوته كما تقدم في أدلة الجمهور الذين فهموا من هذه القرائن الدلالة على نبوته عليه السلام، فلتراجع.
2. ورد القرطبي رحمه الله على استدلالهم ببقاء حياته على عدم نبوته؛ لكون ذلك يقتضي وجود نبي بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، بقوله: "قلت: الجمهور أن الخضر كان نبياً - على ما تقدم - وليس بعد نبينا عليه الصلاة والسلام نبي، أي يدعي النبوة بعده ابتداءً، والله أعلم"⁽²⁾. ويضاف إلى ذلك أن الروايات والاستدلالات التي استدلت بها القائلون بحياة الخضر غير صحيحة، ولذا جمع من العلماء منهم:

أ- الإمام ابن الجوزي الذي ذكر تلك الروايات في الموضوعات فقال معقّباً عليها: "هذه الأحاديث باطلة"، وبين عللها وضعفها⁽³⁾. وقال رحمه الله: والدليل على أن الخضر ليس بباقي في الدنيا أربعة أشياء: القرآن والقرآن والسنة وإجماع المحققين من العلماء والمعقول: أما القرآن فقوله تعالى: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ فلو دام الخضر كان خالداً.

وأما السنة فذكر حديث "أرأيتم ليلتكم هذه فإن على رأس مئة سنة منها لا يبقى على ظهر الأرض ممن هو اليوم عليها أحد" متفق عليه.... إلخ كلامه رحمه الله وهو كلام غاية في النفاسة، فليراجع، ومنه قوله في الأدلة العقلية: فكيف يكون حياً ولا يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة والجماعة ويجاهد معه؟ وقوله: الوجه الثامن: أن الخضر فارق موسى بن عمران كليم الرحمن ولم يصاحبه وقال له: {هذا فراق بيني وبينك} فكيف يرضى لنفسه بمفارقه لمثل موسى ثم يجتمع بجهلة العباد الخارجين عن الشريعة الذين لا يحضرون جمعة ولا جماعة ولا مجلس علم ولا يعرفون من الشريعة شيئاً؟ وكل منهم يقول قال الخضر وجاءني الخضر وأوصاني الخضر!

1- أنظر: الجامع لأحكام القرآن، 29/28/11.

2- الجامع لأحكام القرآن، 29/28/11.

3- للموضوعات- جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط1: 1386-1388. 197/1.

فيا عجباً له! يفارق كلِّم الله تعالى ويدور على صحبة الجهال ومن لا يعرف كيف يتوضأ ولا كيف يصلي؟! وقوله: الوجه العاشر: أنه لو كان حياً لكان جهاده الكفار ورباطه في سبيل الله ومقامه في الصف ساعة وحضوره الجمعة والجماعة وتعليمه العلم أفضل له بكثير من سياحته بين الوحوش في القفار والفلوات وهل هذا إلا من أعظم الطعن عليه والعيب له؟⁽¹⁾

وقال في موضع آخر: قال ابن المنادي: وقد روى عن أهل الكتاب أنه شرب من ماء الحياة ولا يوثق بقولهم. قال: وجميع الأخبار في ذكر الخضر واهية الصدور والأعجاز لا تخلو من أمرين: إما أن تكون أدخلت بين حديث بعض الرواة المتأخرين استغفالاً، وإما أن يكون القوم عرفوا حالها فرووها على جهة التعجب فنسبت إليهم على وجه التحقيق. قال: وأكثر المغفلين مغرور بأن الخضر باق، والتخليد لا يكون لبشر، قال عز وجل: (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد)⁽²⁾..... إلى أن قال: وقد روى أبو بكر النفاش أن محمد بن إسماعيل البخاري سئل عن الخضر وإلياس هل هما في الأحياء؟ فقال: كيف يكون هذا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو على ظهر الأرض أحد " ⁽³⁾.

ب - ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: والصواب الذي عليه المحققون أن الخضر - عليه السلام - ميت لم يدرك الإسلام⁽⁴⁾ وقال في موضع آخر: ولو كان موجوداً في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لوجب عليه أن يؤمن به ويجاهد معه كما أوجب الله ذلك عليه وعلى غيره وكان يكون في مكة والمدينة، وكان يكون حضوره مع الصحابة للجهاد معهم وإعانتهم على الدين أولى به.... ولم يكن مختفياً عن خير أمة أخرجت للناس..... وإذا كان الخضر حياً دائماً فكيف لم يذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك قط ولا أخبر به أمته ولا خلفاؤه الراشدين..... وعامة ما يحكى في هذا الباب من الحكايات بعضها كذب وبعضها مبني على ظن رجل: مثل شخص رأى رجلاً ظن أنه الخضر وقال: إنه الخضر، كما أن الرافضة ترى شخصاً تظن أنه الإمام المنتظر المعصوم أو تدعي ذلك وروي عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال - وقد ذكر له الخضر - من أحالك على غائب فما أنصفك، وما ألقى هذا على ألسنة الناس إلا الشيطان⁽⁵⁾.

1- نقل هذا كله عن ابن الجوزي ابن القيم في المنار المنيف في الصحيح والضعيف (ص: 69 — 76). ولم أجده في المطبوع من كتب ابن الجوزي رحمه الله، فالظاهر أنه في كتابه: عجالة المنتظر في شرح حال الخضر، كما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ط إحياء التراث (1/ 385 وما بعدها).

2- الموضوعات لابن الجوزي: 1/ 199.

3- المرجع السابق: (1/ 200).

4- الفتاوى الكبرى لابن تيمية (5/ 364).

5- مجموع الفتاوى: 27/ 100-102.

وقال رحمه الله: ومن ملاحظة المتصوفة من يزعم أن أرسطو كان هو الخضر خضر موسى..... وقولهم أن الخضر هو أرسطو من اظهر الكذب البارد، والخضر على الصواب مات قبل ذلك بزمان طويل والذين يقولون أنه حي كبعض العباد وبعض العامة وكثير من اليهود والنصارى غاطون في ذلك غلطا لا ريب فيه.

وسبب غلظهم أنهم يرون في الأماكن المنقطعة وغيرها من يظن أنه من الزهاد ويقول: أنا الخضر وقد يكون ذلك شيطانا قد يتمثل بصورة آدمي، وهذا مما علمنا في وقائع كثيرة حتى في مكان الذي كتبت فيه هذا عند الربوة بدمشق رأى شخص بين الجبلين صورة رجل قد سد ما بين الجبلين وبلغ رأسه راس الجبل وقال: أنا الخضر وأنا نقيب الأولياء، وقال للرجل الرائي: أنت رجل صالح وأنت ولي الله. ومد يده إلى فأس كان الرجل نسيه في مكان وهو ذاهب إليه فناوله إياه وكان بينه وبين ذلك المكان نحو ميل. ومثل هذه الحكاية كثير.

وكل من قال أنه رأى الخضر وهو صادق، أما أن يتخيل له في نفسه أنه رآه ويظل ما في نفسه كان في الخارج كما يقع لكثير من أرباب الرياضات، وأما أن يكون جنيا يتصور له بصورة إنسان ليضله وهذا كثير جدا قد علمنا منه ما يطول وصفه وأما أن يكون رأى انسيا ظن أنه الخضر وهو غالط في ظنه فان قال له ذلك الجني أو الإنسي أنه الخضر فيكون قد كذب عليه لا يخرج الصدق في هذا الباب عن هذه الأقسام الثلاثة ، وأما الأحاديث فكثيرة، ولهذا لم ينقل عن احد من الصحابة أنه رأى الخضر ولا اجتمع به؛ لأنهم كانوا أكمل علما وإيمانا من غيرهم فلم يكن يمكن الشيطان التلبس عليهم كما لبس على كثير من العباد، ولهذا كثير من الكفار اليهود والنصارى يأتيهم من يظنون أنه الخضر ويحضر في كنائسهم وربما حدثهم بأشياء، وإنما هو شيطان جاء إليهم فيضلهم، ولو كان الخضر حيا لوجب عليه أن يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيؤمن به ويجاهد معه كما اخذ الله الميثاق على الأنبياء وأتباعهم بقوله: **لَوْ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ** { والخضر قد أصلح السفينة لقوم من عرض الناس فكيف لا يكون بين محمد وأصحابه!! (1).

1- الرد على المنطقيين (ص: 183-185). وينسب لشيخ الإسلام رأي آخر في بقاء الخضر حيا، كما يفهم ذلك مما في مجموع الفتاوى 4/ 338 ، ولكن الراجح عنه القول بوفاته، كما هي النقول المذكورة أعلاه عنه، وما ينسب له من القول بحياته إما أنه متقول ومدسوس عليه، أو هو مما تراجع عنه، ولتفصيل ذلك أنظر: مقدمة الزهر النضر في حال الخضر لصلاح مقبول أحمد: ص: 41-49، وانظر كذلك: مقدمة تحقيق كتاب انبوات لابن تيمية لعبدالعزیز الطويان 92/1.

ج - وقال ابن القيم رحمه الله: الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته كلها كذب ولا يصح في حياته حديث واحد⁽¹⁾.

د - وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وهذه الروايات والحكايات هي عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم، وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جداً، لا يقوم بمثلها حجة في الدين، والحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف في الإسناد، وقصاراها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم من صحابي أو غيره، لأنه يجوز عليه الخطأ، والله أعلم⁽²⁾ وقال أيضاً: فلو كان الخضر حيا في زمانه [أي: زمان الرسول صلى الله عليه وسلم]، لما وسعه إلا اتباعه والاجتماع به والقيام بنصره، وكان من جملة من تحت لوائه يوم بدر، كما كان تحتها جبريل وسادات من الملائكة⁽³⁾.

هـ - ومنهم الإمام السخاوي الذي ناقش تلك الروايات وبين عللها وضعفها كلها⁽⁴⁾.

الترجيح: والراجع - والله أعلم - أن الخضر نبي لسببين :

1. لرجحان أدلة الفريق المثبت لنبوته وهم جمهور العلماء.

2. ولعدم نهوض أدلة الفريق الآخر على معارضتها.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: والذي لا يتوقف فيه الجزم بنبوته⁽⁵⁾.

قال الألوسي رحمه الله: والمنصوص ما عليه الجمهور، وشواهد من الآيات والأخبار كثيرة وبمجموعها يكاد يحصل اليقين⁽⁶⁾ وقال الألباني رحمه الله: وخلاصة القول في هذه المسألة أن الأدلة المتقدمة [يعني أدلة الجمهور] إذا تأملها المسلم ووعاها بقلبه، تيقن أن الصواب القول بنبوته الخضر كما ذهب إليه جمهور العلماء، ولذلك فعل ما فعل من العجائب التي لم يصبر لها موسى عليه الصلاة والسلام، وهو كليم الله تعالى⁽⁷⁾.

1- المنار المنيف في الصحيح والضعيف (ص: 67).

2- البداية والنهاية ط إحياء التراث (1/ 389).

3- البداية والنهاية ط إحياء التراث (1/ 349).

4- أنظر: المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة- شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي- بيروت، ط: 1، 1405 هـ- 1985م، ص 62.

5- الزهر النضر في حال الخضر (ص: 162).

6- تفسير الألوسي : روح المعاني (8/ 302).

7- موسوعة الألباني في العقيدة (2/ 519).

ومن البديهي أن القول بنبوته لا ينافي حصول ولايته كما قال الحافظ ابن كثير (1). هذا ومن الآثار الإيجابية لما رجحه الجمهور من نبوته: دحض بعض الانحرافات العقدية المتعلقة بشخصية الخضر عليه السلام حيث ذهب بعض المنحرفين في الاعتقاد من القائلين بأنه ولي وليس نبيا إلى القول بأن بعض الأولياء قد يكون أفضل من بعض الأنبياء!! وأنه قد يستغني الولي عن علوم الوحي بما لديه من علم الباطن الذي سموه العلم اللدني!! كما قرروا أن علم الحقيقة قد يخالف علم الشريعة!! ومن أعظم استدلالاتهم على ذلك ما زعموه من قصة الخضر مع موسى عليهما السلام (2). والقول الراجح بنبوته يدحض هذه الأوهام ويدمغ هذه الأباطيل، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وكان بعض أكابر العلماء يقول: أول عقدة تحل من الزندقة، اعتقاد كون الخضر نبيا، لأن الزنادقة يتذرعون بكونه غير نبي، إلى أن الولي أفضل من النبي، كما قال قائلهم: (مقام النبوة في برزخ ... فويق الرسول ودون الولي) (3).

قال القرطبي رحمه الله: قال شيخنا الإمام أبو العباس: ذهب قوم من زنادقة الباطنية إلى سلوك طريق تلزم منه هذه الأحكام الشرعية، فقالوا: هذه الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأنبياء والعامّة، وأما الأولياء وأهل الخصوص فلا يحتاجون إلى تلك النصوص، بل إنما يزداد منهم ما يقع في قلوبهم، ويحكم عليهم بما يغلب عليهم من خواطرهم. وقالوا: وذلك لصفاء قلوبهم عن الأكدار، وخلوها عن الأغيار، فتتجلى لهم العلوم الإلهية، والحقائق الربانية، فيقفون على أسرار الكائنات، ويعلمون أحكام الجزئيات، فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات، كما اتفق للخضر، فإنه استغنى بما تجلى له من

1- البداية والنهاية ط إحياء التراث (1/383).

2- قال العلامة ابن عاشور: واعلم أن قصة موسى والخضر قد اتخذها طوائف من أهل النحل الإسلامية أصلا بنوا عليه قواعد موهومة، فأول ما أسسوه منها أن الخضر لم يكن نبيا وإنما كان عبدا صالحا، وأن العلم الذي أوتيته ليس وحيا ولكنه إلهام، وأن تصرفه الذي تصرفه في الموجودات أصل لإثبات العلوم الباطنية، وأن الخضر منحه الله البقاء إلى انتهاء مدة الدنيا ليكون مرجعا لتلقي العلوم الباطنية، وأنه يظهر لأهل المراتب العليا من الأولياء فيفيدهم من علمه ما هم أهل لتلقيه. وبنوا على ذلك أن الإلهام ضرب من ضروب الوحي، وسموه الوحي الإلهامي، وأنه يجيء على لسان ملك الإلهام وقد انتصب علماء الكلام وأصول الفقه لإبطال أن يكون ما يسمى بالإلهام حجة. وعرفوه بأنه إيقاع شيء في القلب يثبج له الصدر، وأبطلوا كونه حجة لعدم الثقة بخواطر من ليس معصوما ولتفاوت مراتب الكشف عندهم. ... ولا يقام التشريع على أصول موهومة لا تنضب. والأظهر أن الخضر نبي عليه السلام وأنه كان موحى إليه بما أوحى، لقوله: {وما فعلته عن أمري} أنظر: التحرير والتنوير (15/16)، وانظر عددا من المقولات الموثقة عن بعض هؤلاء المنحرفين في أوهامهم وانحرافاتهم في شأن الأولياء مع دحضها في كتاب: التصوف - المنشأ والمصادر (ص: 186—196 وكذلك ص200 وكذلك ص: 243—253)، مؤلفه: إحسان الهي ظهير الباكستاني. نشر: إدارة ترمجان السنة، لاهور - باكستان، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م.

3- الزهر النضر في حال الخضر (ص: 67).

العلوم، عما كان عند موسى من تلك الفهوم. قال شيخنا رضي الله عنه: وهذا القول زندقة وكفر (1) وقد قرر الإمام ابن تيمية رحمه الله أن: مَنْ يظن أن من الأولياء من يسوغ له الخروج عن الشريعة النبوية، كما سَأَغَ لِلْخَضِرِ الخروج عن متابعة موسى، وأنه قد يكون للولي في المكاشفة والمخاطبة ما يستغني به عن متابعة الرسول في عموم أحواله أو بعضها، وكثيرٌ منهم يُفْضَلُ الولي -في زعمه: إما مُطْلَقًا، وإما من بعض الوجوه- على النبي، زاعمين أن في قصة الخَضِرِ حُجَّةً لهم، وكل هذه مقالات من أعظم الجهالات والضلالات، بل من أعظم أنواع النفاق، والإلحاد، والكفر (2).

وقال ابن أبي العز: "وأما من يتعلق بقصة موسى مع الخضر عليه السلام، في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني، الذي يدعيه بعض من عَدِمَ التوفيق: فهو ملحد زنديق؛ فإن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثاً إلى الخضر، ولم يكن الخضر مأموراً بمتابعته، ولهذا قال له: أنت موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم" (3) وقال الألويسي رحمه الله: وزعم بعضهم أن أحكام العلم الباطن وعلم الحقيقة مخالفة لأحكام الظاهر وعلم الشريعة وهو زعم باطل عاطل وخيال فاسد كاسد، وأنه لا مستند لهم في قصة موسى والخضر عليهما السلام (4) مع التنبيه إلى أنه لا يلزم من القول بولايته وعدم نبوته الانجرار إلى هذه الأوهام، ولذا رأينا من أهل العلم ممن يقول بمجرد ولايته، لا يلتزم بما وقع فيه أولئك المنحرفون في شأن الخضر عليه السلام، تنبيه: من الأقوال الغربية في الخضر: أنه من الملائكة، وهذا القول لامستند له فيما أعلم، قال الإمام النووي: "هَذَا غَرِيبٌ بَاطِلٌ" (5). وقال الحافظ ابن كثير: "هَذَا غَرِيبٌ جَدًّا" (6).

المطلب الثاني

اختلاف العلماء في نبوة ذي القرنين

أ - نص قصة ذي القرنين في القرآن الكريم:
قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَاتَّبَعْ سَبَبًا * إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا} [الكهف: 83-92].

1- البداية والنهاية ط إحياء التراث (1/ 349).

2- مجموع الفتاوى (11/ 422).

3- شرح الطحاوية، ص526.

4- تفسير الألويسي: روح المعاني (8/ 311).

5- شرح النووي على مسلم (15/ 136).

6- البداية والنهاية ط إحياء التراث (1/ 383).

ب - ذكر ذي القرنين في السنة النبوية: أخرج الحاكم في المستدرک عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "... وَمَا أَدْرِي ذُو الْقَرْنَيْنِ نَبِيًّا كَانَ أُمَّ لَنَا، وَمَا أَدْرِي الْخُدُودُ كَفَّارَاتٌ لِأَهْلِهَا أُمَّ لَنَا" (1) فهذا النص يفيد التوقف في شأن ذي القرنين وعدم الجزم بنبوته، ولكن الحديث مختلف في صحته (2). مع أنه أصح ما ورد في شأن ذي القرنين مرفوعا بحسب علمي، وقد وردت آثار أخرى مرفوعة ولكن لا يعتمد عليها لعدم صحة أسانيدها (3) وقد اختلف أهل العلم في نبوة ذي القرنين على قولين:

1- المستدرک على الصحيحين للحاكم: 17/2.

2- أخرجه الحاكم من رواية عبد الرزاق، أبنا معمر، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي هريرة مرفوعا وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُعْرَجْ جَاهُ، وَفِي تَلْحِيصِ الذَّهَبِيِّ: عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ. وَرَوَاهُ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي: "تَارِيخُهُ" 4/ 11، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ (2/ 828)، وَابْنُ بَيْهَقِي فِي السَّنَنِ الْكَبْرَى تِ التَّرَكِيمِ (17/ 524) وَقَالَ: فَهَكَذَا رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ. وَرَوَاهُ هِشَامُ الصَّنَعَانِيُّ عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي ذَيْبٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُرْسَلًا. قَالَ الْبُخَارِيُّ: وَهُوَ أَصْحَحُ، وَلَا يَثْبُتُ هَذَا عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "الْخُدُودُ كَفَّارَةٌ". قَالَ الشَّيْخُ شُعَيْبُ الْأَرْنَؤُوطُ: رَجَالُهُ ثِقَاتٌ، لَكِنِ أَعْلَى بِالْإِسْرَائِيلِ. سَنَّ أَبُو دَاوُدَ تَحْقِيقَ الْأَرْنَؤُوطُ 65/7. وَقَالَ الدَّارِقُطِيُّ فِيمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي: "تَارِيخُهُ" 4/ 11: تَفَرَّدَ بِهِ عَبْدُ الرَّزَّاقِ. قَالَ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ: قُلْتُ: وَلَعَلَّهُ يَعْنِي عَنْ مَعْمَرٍ، وَإِلَّا فَقَدْ تَوَبَّعَ عَلَيْهِ مَعْمَرٌ عَنْ ابْنِ أَبِي ذَيْبٍ كَمَا يَأْتِي.... وَفِي رِوَايَةِ هِشَامٍ لَهُ مَرْسَلًا يَقُولُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ: "هِشَامٌ ثَقَّةٌ، وَقَدْ خَالَفَهُ مَعْمَرٌ كَمَا تَقَدَّمَ، وَكَذَلِكَ خَالَفَهُ آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَّاسٍ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذَيْبٍ عَنِ الْمُقْبَرِيِّ بِهِ، فَقَدْ اتَّفَقَ الثَّقَاتَانِ عَلَى وَصْلِهِ عَنْ ابْنِ أَبِي ذَيْبٍ عَنِ الْمُقْبَرِيِّ بِهِ، فِيمَا أَنْ يَقَالُ: وَأَمَّا أَنْ يَقَالُ: كُلُّ صَحِيحٍ، وَابْنُ أَبِي ذَيْبٍ لَهُ سَنَدَانٌ، أَحَدُهُمَا عَنِ الْمُقْبَرِيِّ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَالْآخَرُ: عَنِ الزُّهْرِيِّ مَرْسَلًا، وَكُلُّ حِفْظٍ عَنْهُ مَا سَمِعَ مِنْهُ، وَكُلُّ ثَقَّةٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. سِلْسِلَةُ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ وَشَيْءٌ مِنْ فَتَاهَا وَفَوَائِدِهَا (5/ 251). قُلْتُ: وَلَكِنْ سَنَدُهُ إِلَى آدَمَ بْنِ أَبِي إِيَّاسٍ فِيهِ ضَعْفٌ مِنْ أَجْلِ شَيْخِ الْحَاكِمِ: عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَسَنِ الْقَاضِي بِهَمْدَانَ. أَنْظُرْ: لِسَانَ الْمِيزَانِ تِ أَبِي غَدَّةٍ (5/ 96).

3- وقد أوردتها السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (5/ 435 وما بعدها) ومن ذلك: أنه ذكر ما أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: قالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم: يا محمد إنما تذكر إبراهيم وموسى وعيسى والنبيين أنك سمعت ذكرهم منا فأخبرنا عن نبي لم يذكره الله في التوراة إلا في مكان واحد قال: ومن هو؟ قالوا: ذو القرنين، قال: ما بلغني عنه شيء، فخرجوا فرحين وقد غلبوا في أنفسهم فلم يبلغوا باب البيت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات {ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا}. قلت: وهذا مرسل. وأخرج ابن أبي حاتم عن عمر مولى غفرة قال: دخل بعض أهل الكتاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقالوا: يا أبا القاسم كيف تقول في رجل كان يسبح في الأرض قال: لا أعلم لي به، فبينما هم على ذلك إذ سمعوا نقيضا في السقف ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم غمّة الوحي ثم سري عنه فتلا {ويسألونك عن ذي القرنين} الآية، فلما ذكر السد قالوا: أتاك خبره يا أبا القاسم حسبك. قلت: وهذا مرسل وعمر مولى غفرة مختلف في توثيقه. أنظر: ميزان الاعتدال (3/ 210).

وأخرج ابن مردويه عن سالم بن أبي الجعد قال: سئل علي عن ذي القرنين: أنبي هو فقال: سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول: هو عبد ناصح الله فصحه. قلت: وهذا مرسل. وأخرج ابن أبي حاتم عن الأوص بن حكيم عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم: سئل عن ذي القرنين فقال: هو ملك مسح الأرض بالإحسان. قلت: وهذا مرسل. وأخرج ابن عبد الحكم في فتوح مصر وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن خالد بن معدان الكلاعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذي القرنين فقال: ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب. قلت: وهذا مرسل أيضا.

القول الأول: أنه نبي من الأنبياء، ورد ذلك عن ابن عباس قال: ذو القرنين نبي⁽¹⁾، وهو مروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص⁽²⁾، ونقله الحافظ ابن حجر قال: وعليه ظاهر القرآن....⁽³⁾، وذكره الواحدي عن مجاهد⁽⁴⁾، وذكره ابن الجوزي عن الضحاك بن مزاحم⁽⁵⁾.

القول الثاني: أنه عبد صالح مكنه الله تعالى حتى ملك الأرض وليس نبي، وهذا القول مروى عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ونُسب لجمهور العلماء⁽⁶⁾ وعن أبي الطفيل قال سمعت ابن الكواء يسأل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذي القرنين فقال علي: لم يكن نبيا ولا ملكا، كان عبدا صالحا أحب الله فأحبه، وناصح الله فناصره الله، بعث إلى قومه فضربوه على قرنه فمات، فبعثه الله فسمي ذي القرنين⁽⁷⁾ قال الحافظ ابن حجر: وفيه إشكال لأن قوله: "ولم يكن نبيا" مغاير لقوله: "بعثه الله إلى قومه" إلا أن يحمل البعث على غير رسالة النبوة⁽⁸⁾ قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: والصحيح: أنه كان ملكا من الملوك العادلين⁽⁹⁾.

و قال السخاوي رحمه الله: "أما ذو القرنين، فالصحيح أنه كان ملكاً من الملوك العادلين"⁽¹⁰⁾ وقال السعدي رحمه الله: "وهذا يدل على كونه من الملوك الصالحين الأولياء، العادلين العالمين، حيث وافق

1- أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور 436/5.

2- البداية والنهاية ط إحياء التراث (2/122).

3- فتح الباري لابن حجر، 383/6. ولعله يقصد بظاهر القرآن قوله تعالى: {فَلَمَّا يَآذَا الْقَرْنَيْنِ إِيمًا أَنْ تُعَذَّبَ وَإِمًا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا} [الكهف: 86].

4- أنظر: التفسير البسيط (14/127).

5- أنظر: زاد المسير في علم التفسير، 105/3.

6- أنظر: تفسير الطبري، 369/15، وفي حكايته عن أكثر العلماء: أنظر: تفسير البغوي، 198/5، تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (3/175)، البداية والنهاية 95/2، فتح الباري لابن حجر، 383/6، روح المعاني، 8/352. وانظر عرضا موسعا لأقوال أهل العلم وخلافهم في نبوة ذي القرنين في تحقيق كتاب: ذو القرنين وسد الصين لمؤلفه: محمد راغب الطباخ بتحقيق مشهور حسن سلمان. دار غراس بالكويت ط. الأولى: 1424هـ، في حاشية ص 99 - 105، وقد مال المحقق لعدم قوة أدلة من ذهب لنبوة ذي القرنين.

7- الأحاديث المختارة: المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج البخاري ومسلم في صحيحهما - ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي، دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن دهبش، دار خضر، بيروت - لبنان، ط: 3، 1420هـ - 2000م، 2/175. وأورده الحافظ ابن حجر من رواية الزبير في أوائل كتاب النسب، وقال: أخرجه سفيان بن عيينة في جامعه. وقال: وسنده صحيح. فتح الباري (6/383)، وأخرجه الطبري من طريق أبي الطفيل قال: سمعت عليا وسأله... فذكره (التفسير 9/16) وسنده صحيح كما في الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (3/322).

8- فتح الباري لابن حجر: 383/6 وقوله: "بعثه الله إلى قومه" في رواية الزبير في أوائل كتاب النسب كما في المرجع المذكور.

9- البداية والنهاية ط إحياء التراث (2/122).

10- الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية - شمس محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، دار الراجعية للنشر والتوزيع، ط: 1، 1418هـ، 856/2.

مرضاة الله في معاملة كل أحد، بما يليق بحاله⁽¹⁾ ومن الملاحظ أن: "الناظر في سياق كلام أهل العلم لهذه الأقوال يجد اضطراباً كثيراً في نسبتها إلى أصحابها حتى أن الرجل الواحد ربما نسبت له الأقوال الثلاثة"⁽²⁾.

أدلة من قال بأنه نبي :منها:

1- قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكْنَا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ قالوا: والأولى حمله على التمكين في الدين، والتمكين الكامل في الدين هو النبوة⁽³⁾ قلت: وفي هذا مناقشة: إذ التمكين لايلزم أن يكون للأنبياء فقط، بل يكون أيضاً لغيرهم، كالمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ.....﴾ [النور: 55].

2- قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِمْأ أَنْ تَعْدُبَ وَ إْمَأ أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حَسَنًا﴾ قيل: أن مخاطبة الله جل وعلا لذي القرنين دليل على نبوته، فظاهره يدل على أن الله تعالى كلمه⁽⁴⁾.

وقد نوقش هذا الاستدلال بأن المخاطبة لا تستلزم أن تكون عن طريق الوحي، فقد تكون عن طريق نبي ذلك الزمان⁽⁵⁾ مثل قول الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ...﴾، فالله تبارك وتعالى لم يخاطب بني اسرائيل خطاباً مباشراً، قال الرازي: وحمل هذا اللفظ على أن المراد أنه خاطبه على السنة بعض الأنبياء فهو عدول عن الظاهر⁽⁶⁾، وقال القاسمي رحمه الله: ولا يخفى ضعف الاستدلال بهذه الأدلة على نبوته، لأن مقام إثباتها يحتاج إلى تنصيص وتخصيص، وأما تعمق الجري وراء العمومات لاستفادة مثل ذلك، فغير مقنع⁽⁷⁾ ويمكن أن يستدل للقاتلين بأنه رجل صالح وليس نبيا: بعدم ورود دليل صحيح قاطع يمكن من خلاله الجزم بأنه نبي.

1- تيسير الكريم الرحمن، ص486.

2- أنظر: آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية عرض وتقييم في ضوء عقيدة السلف- محمد بن عبد العزيز الشايع، مكتبة دار المنهاج، ط1: 1427، ص430. والقول الثالث الذي يقصده: هو القول بأن ذا القرنين ملك من الملائكة، ولا يصح كما سيأتي قريبا إن شاء الله.

3- أنظر: تفسير الرازي : (21/ 495).

4- المرجع السابق : (21/ 495).

5- أنظر: تفسير القرطبي 52/11، وقال البيضاوي رحمه الله: ونداء الله إياه إن كان نبياً فيوحي، وإن كان غيره فيأهام أو على لسان نبي. تفسير البيضاوي البيضاوي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل (3/ 292).

6- أنظر: تفسير الرازي : (21/ 496).

7- تفسير القاسمي : محاسن التأويل (7/ 72) .

الراجح: الراجح لدى الباحث -والله أعلم- أن ذا القرنين عبد صالح مكن الله له في الأرض كما تدل النصوص الواضحة في ذلك من القرآن الكريم؛ أما القول بنبوته فأرى التوقف فيه، لأنه لا يوجد دليل قاطع وواضح يدل على نبوته ولا على نفيها، وإنما ذلك موضع احتمال، والآثار الواردة عن السلف متضاربة في ذلك، وكل من الإثبات والنفي يحتاج لدليل، ولا سيما أنه قد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم توقف عن القول بنبوته في حديث: "وَمَا أَدْرِي ذُو الْقَرْنَيْنِ نَبِيًّا كَانَ أَمْ لَا"⁽¹⁾ فبالأحرى أن يتوقف غيره. والله أعلم.

تنبيه: من الأقوال الغريبة في ذي القرنين: أنه ملكٌ من الملائكة.

فقد أخرج ابن أبي حاتم عن جبير بن نفير أن ذا القرنين ملك من الملائكة أهبطه الله إلى الأرض وآتاه من كل شيء سبباً⁽²⁾ وقد ذكر ذلك الألويسي رحمه الله ورد عليه فقال: وروي ذلك عن جبير بن نفير، واستدل على ذلك بما أخرجه ابن عبد الحكم وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في كتاب الأضداد وأبو الشيخ⁽³⁾ عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه سمع رجلاً ينادي بمنى يا ذا القرنين فقال له عمر: ها أنتم قد سميتم بأسماء الأنبياء فما لكم وأسماء الملائكة!! وهذا قول غريب بل لا يكاد يصح، والخبر على فرض صحته ليس ناصاً في ذلك؛ إذ يحتمل ولو على بعد أن يكون المراد أن هذا الاسم من أسماء الملائكة عليهم السلام فلا تسموا به أنتم، وإن تسمى به بعض من قبلكم من الناس⁽⁴⁾.

تنبيه آخر: اشتهر لدى بعض الناس أن ذا القرنين هو الإسكندر المقدوني الملك المشهور، وهذا خطأ تاريخي، فذو القرنين ملك صالح مؤمن عادل، بل هو نبي على أحد الأقوال، وأما الإسكندر المقدوني فملك كافر ظالم مجرم سفاك للدماء⁽⁵⁾، قال الإمام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله: الإسكندر الذي وزر له أرسطو هو ابن فيلبس المقدوني، الذي يؤرخ له تاريخ الروم المعروف عند اليهود والنصارى، وهو

1- سبق تخريجه في أول المطلب.

2- الدر المنثور في التفسير بالماثور، 436/5.

3- جاء في كتاب العظمة: عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ فَقَالَ: «مَلِكٌ مَسَحَ الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِهَا بِالْأَسْبَابِ» بِالْأَسْبَابِ قَالَ خَالِدٌ: وَسَمِعَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا يَقُولُ: يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللَّهُمَّ عَفِّرْهُ، أَمَا رَضِينُمْ أَنْ نَسْمُوَ بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى نَسْمُوَ بِأَسْمَاءِ الْمَلَائِكَةِ؟» قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «فَإِنْ كَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَلِكَ فَالْحَقُّ مَا قَالَ، وَالْبَاطِلُ مَا خَالَفَهُ» [العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني، 1479/4] والحديث لا يصح.

4- روح المعاني، 346/8.

5- أنظر لمزيد من التفصيل في الفرق بين ذي القرنين والإسكندر المقدوني بما لا مزيد عليه في كتاب: ذو القرنين وسد الصين مع حاشيته: ص: 28—51

28—51 وص: 77 وما بعدها، وص: 120—131.

إنما ذهب إلى أرض القدس، لم يصل إلى السد عند من يعرف أخباره، وكان مشركا يعبد الأصنام، وكذلك أرسطو وقومه كانوا مشركين يعبدون الأصنام، وذو القرنين كان موحدًا مؤمنًا بالله وكان متقدما على هذا ومن يسميه الإسكندر يقول: هو الإسكندر بن دارا (1).

المطلب الثالث

الاختلاف في نبوة لقمان الحكيم

ذكر لقمان في القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ*...﴾ [إلخ السياق [لقمان: 12-19] ولم يصح في شأنه شيء من السنة - فيما يتعلق بنبوته - بحسب علمي، والله أعلم (2) وقد ورد ذكره في السنة الصحيحة في غير موضوع نبوته، ومن ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال: لما نزلت هذه الآية: {الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم} شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: أينما لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: " بني لا تشرك بالله، إن الشرك لظلم عظيم" (3) وفيما ورد عن ابن عمر رضي الله عنه قال: أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن لقمان الحكيم كان يقول: إن الله عز وجل إذا استودع شيئًا حفظه " (4) . وقد اختلف العلماء في نبوة لقمان (5) على قولين - بناء على اختلافهم في بيان المقصود بالحكمة (6) التي آتاه الله إياها:

- 1- مجموع الفتاوى (9/ 175)، وانظر تفسير ابن كثير ت سلامة (5/ 189) وفتح القدير للشوكاني (3/ 363).
- 2- أنظر عددا من الآثار في شأن لقمان الحكيم في الدر المنثور في التفسير بالمتأثر (6/ 509) وما بعدها.
- 3- أخرجه البخاري ومسلم، وهو في مسند أحمد ط الرسالة (7/ 275).
- 4- مسند أحمد ط الرسالة (9/ 431) وقال محققو المسند: إنساده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير نهمش بن جهم الضبي الكوفي، فقد روى له النسائي، ووثقه أبو داود، وذكره ابن حبان في "الثقات" وارتضاه سفيان الثوري، وقال أبو حاتم: لا بأس به، يكتب حديثه.
- 5- أنظر في شأن لقمان الحكيم: جامع البيان للظري 545/18، تفسير السمعاني 229/4، تفسير البغوي 286/6، تفسير القرطبي 59/14، تفسير ابن كثير، 333/6، تفسير الألوسي: روح المعاني 82/11، فتح الباري لابن حجر 466/6.
- 6- ورد في مسند أحمد ط الرسالة (3/ 340) عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: " مسح النبي صلى الله عليه وسلم، رأسي ودعا لي بالحكمة". قال الحافظ الحافظ في "الفتح" 1/170: واحتلف الشراح في المراد بالحكمة هنا، فقيل: القرآن، وقيل: العمل به، وقيل: السنة، وقيل: الإصابة في القول، وقيل: الخشية، وقيل: الفهم عن الله، وقيل: العقل، وقيل: ما يشهد العقل بصحته، وقيل: نور يفرق به بين الإلهام والوسواس، وقيل: سرعة الجواب مع الإصابة، وبعض هذه الأقوال ذكرها بعض أهل التفسير في تفسير قوله تعالى: (ولقد آتينا لقمان الحكمة) ، والأقرب أن المراد بها في حديث ابن عباس: الفهم في القرآن. وانظر للاستزادة في معنى الحكمة وورودها في النصوص وكلام العلماء: صفة الحكمة من كتاب: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (5/ 1677).

القول الأول: أنه ليس بنبي، والحكمة التي أوتيتها هي: الفقه في الدين والعقل والإصابة في القول⁽¹⁾، ونُقِلَ هذا القول عن سعيد بن المسيب ومجاهد وقتادة⁽²⁾، ونسب لأكثر أهل العلم⁽³⁾، بل نقل الاتفاق عليه⁽⁴⁾.

القول الثاني: إِنَّهُ كَانَ نَبِيًّا، ونُقِلَ هذا القول عن الشَّعْبِيِّ وَعِكْرِمَةَ والسَّدي⁽⁵⁾ ونقل الثعلبي اتفاق العلماء — عدا عكرمة — على أنه ليس بنبي، حيث قال: "واتفق العلماء على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً إلا عكرمة فإنه قال: كان لقمان نبياً، تفرد بهذا القول"⁽⁶⁾. وبنفس هذه العبارة كان كلام البغوي رحمه الله⁽⁷⁾.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وَيُقَالُ إِنَّ عِكْرِمَةَ تَفَرَّدَ بِقَوْلِهِ كَانَ نَبِيًّا"⁽⁸⁾ لكن ذكر السمعاني رحمه الله أنه قول الشعبي وعكرمة⁽⁹⁾، وقد نقل القول بذلك عن غيرهما، فقد قال ابن الجوزي رحمه الله: "وقد اختلف في نبوته على قولين: أحدهما: أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً، قاله سعيد بن المسيب، ومجاهد، وقتادة، والثاني: أنه كان نبياً، قاله الشعبي، وعكرمة، والسدي، هكذا حكاها عنهم الواحدي، ولا يعرف، إلا أن هذا مما انفرد به عكرمة والقول الأول أصح"⁽¹⁰⁾ وقد ذكر الواحدي رحمه الله أن القول بنبوته هو قول ابن عباس في رواية عطاء⁽¹¹⁾، ولم أجد هذه الرواية مسندة، وقد ذكر بعض الباحثين أن أقوال غير عكرمة ليست مسندة⁽¹²⁾ وقد أورد الحافظ ابن كثير رحمه الله عدداً من الآثار عن السلف في شأن لقمان الحكيم، ثم قال معلقاً عليها: فهذه الآثار منها ما هو مصرح فيه بنفي كونه نبياً، ومنها ما هو مشعر

1- أنظر: تفسير الطبري: جامع البيان ت شاکر (20/ 134).

2- زاد المسير في علم التفسير، 430/3.

3- أنظر في نسبه لأكثر العلماء: تفسير الزمخشري: الكشف عن حقائق غوامض التزويل (3/ 493)، زاد المسير في علم التفسير 430/3، تفسير القرطبي 59/14، والبحر المحييط في التفسير (8/ 412)، تفسير السمعاني 229/4، وتفسير ابن كثير، 333/6، وغيرهم.

4- أنظر في ذلك: تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التزويل (3/ 397)، والثعلبي في: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 7/ 312.

5- زاد المسير في علم التفسير، 430/3.

6- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 7/ 312.

7- أنظر: تفسير البغوي، 6/ 287.

8- فتح الباري لابن حجر، 6/ 466.

9- أنظر: تفسير السمعاني، 4/ 229.

10- زاد المسير في علم التفسير، 3/ 430.

11- التفسير البسيط (18/ 9).

12- أنظر: آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية عرض وتقوم في ضوء عقيدة السلف - محمد بن عبد العزيز الشايع، مكتبة دار المنهاج، ط1: 1427، ص429.

بذلك؛ لأن كونه عبداً قد مسه الرق ينافي كونه نبياً؛ لأن الرسل كانت تبعث في أحساب قومها؛ ولهذا كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبياً، وإنما ينقل كونه نبياً عن عكرمة - إن صح السند إليه، فإنه رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم من حديث وكيع عن إسرائيل، عن جابر، عن عكرمة فقال: كان لقمان نبياً. وجابر هذا هو ابن يزيد الجعفي، وهو ضعيف، والله أعلم⁽¹⁾ ومما ورد مرفوعاً في شأن نبوة لقمان ما ورد عن ابن عمر مرفوعاً "حقاً أقول لم يكن لقمان نبياً ولكن عبد صمصامة كثير التفكير، حسن اليقين..... الحديث، ولكنه لا يصح⁽²⁾ ومما يقوي القول بعدم نبوته ما يلي:

- 1- أن القرآن لم ينص على نبوته، وليس في ثابت السنة ما يدل على نبوته.
- 2- أن الله تعالى قد مدحه بالحكمة، ولو كان نبياً لنص على صفة النبوة لأنها أعلى مقاماً.
- 3- أن الله ذكر الأنبياء، تارة ذكر أسماءهم، وتارة ذكر أخبارهم مفرقة ولم يذكر لقمان لا مع ذكر المفرق ولا مع ذكر أسمائهم مجموعة.
- 4- أنه قد كثر كلام المفسرين وكثرت نقولاتهم بأن لقمان كان رقيقاً، والأنبياء تبعث في أعلى نسب قومها⁽³⁾.

الراجح: يظهر بوضوح قوة أدلة الفريق الأول القائل بعدم نبوة لقمان الحكيم، ولكن أرى أن الأولى - والله أعلم - التوقف في شأن لقمان الحكيم - وإن كان رأي الجمهور القول بعدم نبوته - وذلك لما يلي:

- 1- لعدم وجود الدليل القاطع على القول بنفي النبوة عنه أو إثباتها.
- 2- عدم العلم بنبوته وبما يدل عليها ليس علماً بالعدم كما سبق تقريره في المقدمة.
- 3- أن القائلين بنفي نبوته لم يذكروا مستنداً من النصوص لهذا النفي.
- 4- الواضح من نصوص القرآن الكريم أنه عبد صالح أتاه الله الحكمة، ويحتمل أن الحكمة النبوة⁽⁴⁾ فالوصايا التي وصى بها ابنه تشبه تعاليم الأنبياء، ويحتمل كذلك أن تكون الحكمة هي الفقه في الدين والعقل والإصابة في القول⁽¹⁾ بلا نبوة.

1- تفسير ابن كثير ت سلامة (6/334).

2- تاريخ دمشق لابن عساکر (17/85) وفي سنده نوفل بن سليمان الهنائي، وهو ضعيف الحديث. أنظر: لسان الميزان ت أبي غدة (8/300).

3- أنظر: آراء خاطفة وروايات باطلة في سير الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام لمؤلفه عبدالعزيز السدحان، ص115.

4- قال العلامة ابن عاشور: ولفظ الحكمة يسمح بهذا القول لأن الحكمة أطلقت على النبوة في كثير من القرآن كقوله [تعالى] في داود {وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب} [ص: 20]. وقد فسرت الحكمة في قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً [البقرة: 269]. بما يشمل النبوة. وإن الحكمة «معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه» وأعلماها النبوة لأنها علم بالحقائق مأمون من أن يكون مخالفاً لما هي عليه في نفس الأمر إذ النبوة متلقاة من الله الذي لا يعزب عن عمله شيء. التحرير والتنوير (21/149).

ونظرا لهذا الاحتمال فالأولى - والله أعلم - التوقف وعدم الجزم بإثبات النبوة للقمان الحكيم أو نفيها عنه.

المطلب الرابع

الاختلاف في نبوة تُبَعِّ

أ- ذكر تُبَعِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: قال تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [الدخان: 37] وقال سبحانه: ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمٌ تُبَعِّ كُلُّ كَذَّبِ الرُّسُلِ فَحَقَّ وَعَيْدٌ﴾ [ق: 14].
ففي الآيتين الكريمتين النص على أن قوم تبع كذبوا الرسل فأهلكهم الله تعالى، دون التعرض لشخص تبع نفسه.

ب- ذكر تُبَعِّ فِي السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ: أخرج الحاكم في المستدرک عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا أَدْرِي أَنْتَبِعَ لَعِينًا كَانَ أُمَّ لَأ، وَمَا أَدْرِي ذُو الْقُرْنَيْنِ نَبِيًّا كَانَ أُمَّ لَأ، وَمَا أَدْرِي الْحُدُودُ كَفَّارَاتٌ لَأَهْلِهَا أُمَّ لَأ" (2).

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "لَا تَسْبُوا تُبَعًّا؛ فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ أَسْلَمًا" (3).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: "كَانَ تُبَعِّ رَجُلًا صَالِحًا، أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ذَمَّ قَوْمَهُ وَلَمْ يَذُمَّهُ؟" (4).

وقد جمع العلماء بين حديث توقف النبي صلى الله عليه وسلم في شأن تُبَعِّ، وحديث النهي عن سبه، فقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: " فالجمع بينه وبين ما قبله أنه صلى الله عليه وسلم أعلم بحاله بعد أن كان لا يعلمها فلذلك نهى عن سبه خشية أن يبادر إلى سبه من سمع الكلام الأول" (5).

1- أنظر: تفسير الطبري: جامع البيان ت شاكر (20 / 134).

2- المستدرک على الصحيحين للحاكم 17/2، وقد سبق تخريج الحديث والكلام عليه في المطلب الثاني: اختلاف العلماء في نبوة ذي القرنين.

3- مسند أحمد 519/37، قال محققو المسند: حسن لغيره.... قال صاحب إتحاف الخيرة: «إِسْتَأْدَةُ حَسَنٍ». قال الألباني: «للحديث شواهد يرتقي بها إلى درجة الحسن على أقل الدرجات» سلسلة الأحاديث الصحيحة، 252/5.

4- المستدرک على الصحيحين للحاكم، 488/2، هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، التعليق - من تلخيص الذهبي: 3681- على شرط البخاري ومسلم، ووافقهما الألباني سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (5/ 549)، وقال محققو مسند أحمد: ورجاله ثقات رجال الشيخين. أنظر حاشية مسند أحمد ط الرسالة (37/ 520).

5- فتح الباري لابن حجر: 571/8، وقد أورد السيوطي عددا من الآثار في النهي عن سبه وبيان أنه كان رجلا صالحا، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (415 / 7) (417).

وقال العلامة الألباني: "وقال ابن عساكر: وهذا الشك من النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل أن يُبَيَّنَ له أمره، ثم أُخْبِرَ أنه كان مسلماً وذلك فيما أخبرنا ... ثم ساق إسناده بحديث: "لَا تَسْبُوا تَبِعَا فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ أَسْلَمَ"، ولهذا الحديث شواهد يتقي بها إلى درجة الحسن ونحوه قول الهيثمي: يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم قاله في وقت لم يأت فيه العلم عن الله، ثم لما أتاه قال ما روينا في حديث عبادة وغيره، يعني قوله صلى الله عليه وسلم: "ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب فهو كفارة له ... " أخرجه الشيخان وغيرهما. أ. هـ"⁽¹⁾ وقد اختلف العلماء في نبوة تبع على قولين:

القول الأول: أنه كان نبياً ونسبه بعض المفسرين إلى ابن عباس رضي الله عنهما⁽²⁾.

القول الثاني: أنه ليس بنبي، وإنما كان رجلاً صالحاً، أو ملكاً صالحاً⁽³⁾.

قال الإمام القرطبي: "واختلف هل كان نبياً أو ملكاً، فقال ابن عباس: كان تبع نبياً، وقال كعب: كان تبع ملكاً من الملوك، وكان قومه كهاناً وكان معهم قوم من أهل الكتاب، فأمر الفريقين أن يقرب كل فريق منهم قرباناً ففعلوا، فتقبل قربان أهل الكتاب فأسلم"⁽⁴⁾.

الراجح: الراجح - والله أعلم - أن تبعاً رجل صالح، لما يلي:

1— لأن النبي صلى الله عليه وسلم بين أنه قد أسلم ولم يذكر له نبوة، ولو كان نبياً لأوشك أن يذكر ذلك عنه.

2— وأيضاً فإن اثبات النبوة يحتاج لدليل أو قرينة تدل عليه، وهذا مالم يتحقق هنا.

3— ومن المستبعد أن يكون نبياً ويرد فيه الحديث السابق: مَا أَدْرِي أُنْتَبَعُ لِعَيْنًا كَانَ أَمْ لَأ.

4— الحديث والآثار الواردة في النهي عن سبه، مشعرة بصلاحه فقط، وأنه قد أسلم⁽⁵⁾، ويستبعد أن

أن يقال ذلك في حق نبي، والله أعلم.

وغاية ماورد في القرآن أن قومه كذبوا الرسل فأهلكهم الله تعالى.

1- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، 5/ 252، وكلام ابن عساكر في تاريخ دمشق، 5/ 11.

2- أنظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 5/ 75، الجامع لأحكام القرآن، 16/ 146، ولم أجد هذه الرواية عن ابن عباس.

3- أنظر: جامع البيان، 21/ 49، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 8/ 354، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 5/ 75، الجامع لأحكام القرآن، 16/ 146.

4- تفسير القرطبي، 16/ 146.

5- أنظر عددا من الآثار في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (7/ 415).

المطلب الخامس

اختلاف العلماء في نبوة أبناء يعقوب عليه السلام غير يوسف عليه السلام.

ذكر (الأسباط) في القرآن الكريم: جاء ذكرهم في المواضع التالية:

1. قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ

وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:136]

2. وقال سبحانه: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَنتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا

تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:140]

3. وقال سبحانه: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ

مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:84]

4. وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَأَتَيْنَا

دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء:163].

فالآيات الكريمة تدل دلالة واضحة على أن الله تعالى أوحى إلى الأسباط، والأسباط جمع سبط، وأصل السَّبْطُ: انبساط في سهولة، يقال: شَعَرَ سَبْطًا، وَسَبِطٌ ورجل سَبِطُ الكَفَيْنِ: ممتدَّهما، ويعبر به عن الجود، والسَّبْطُ: ولد الولد، كأنه امتداد الفروع، قال تعالى: ﴿وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ [البقرة/ 136] ، أي: قبائل كل قبيلة من نسل رجل، وقال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف/ 160] (1).

والسَّبْطُ مِنَ الْيَهُودِ: كَالْقَبِيلَةِ مِنَ الْعَرَبِ، وَهُمْ الَّذِينَ يَرْجِعُونَ إِلَىٰ أَبِي وَاحِدٍ، سُمِّيَ سَبِطًا لِتَفَرُّقِ بَيْنِ وَكَلْدِ إِسْمَاعِيلَ وَوَلَدِ إِسْحَاقَ، وَجَمْعُهُ أَسْبَاطُ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾.... وَالْأَسْبَاطُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: كَالْقَبَائِلِ مِنَ الْعَرَبِ. (2) وقد سماوا أسباطا: جمع سبط، وهو الحافد؛ سماوا بذلك لكونهم حفدة إبراهيم وإسحاق (3).

1- المفردات في غريب القرآن (ص: 394).

2- لسان العرب (7/ 310).

3- تفسير البغوي - إحياء التراث (1/ 172)، وتفسير القاسمي: محاسن التأويل (1/ 407).

وقد اتفق العلماء بأنَّ المقصود بـ (الأسباط) هم ذرية يعقوب عليه السلام، واختلفوا هل الأنبياء الموحى إليهم المذكورون في النصوص هم أبناؤه لصلبه أي: إخوة يوسف الأحد عشر، أم هم من جاءوا من ذريتهم؟⁽¹⁾ وعلى هذا فمن يرى بأن المقصود بالأسباط الموحى إليهم هم من الذرية التي جاءت من أبناء يعقوب فلا يلزمه القول بأنَّ أبناءه من صلبه كلهم أنبياء، ومن يرى بأنَّ الأسباط هم أبناؤه من صلبه: يكون لزاماً عليه أن يقول بنبوتهم؛ لأنه تعالى أخبر أنه أوحى إليهم وذكرهم ضمن الأنبياء.

وبهذا يكون في نبوتهم قولان:

القول الأول: أن إخوة يوسف عليه السلام ليسوا بأنبياء. القول الثاني: أنهم أنبياء.⁽²⁾

ونسب الإمام السيوطي القول بعدم نبوتهم لجمهور العلماء⁽³⁾، ولخص آراء أهل العلم في هذه المسألة، وهذا نص كلامه رحمه الله [مع تعليقي على كلامه في الهامش]:

في إخوة يوسف عليه السلام قولان للعلماء، والذي عليه الأكثرون سلفاً وخلفاً أنهم ليسوا بأنبياء، أما السلف فلم ينقل عن أحد من الصحابة أنهم قالوا بنبوتهم⁽⁴⁾ - كذا قال ابن تيمية⁽⁵⁾، ولا أحفظه عن أحد من التابعين⁽⁶⁾، وأما أتباع التابعين، فنقل عن ابن زيد أنه قال بنبوتهم⁽⁷⁾، وتابعه على هذا فئة قليلة، وأنكر ذلك أكثر الأتباع فمن بعدهم، وأما الخلف، فالمفسرون فرق؛ منهم من قال بقول ابن زيد كالبيهقي

1- أنظر: جامع البيان للطبري، 596/2، تفسير التعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 283/1، تفسير السمعي، 145/1، تفسير البغوي، 172/1، تفسير ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 215/1، تفسير القرطبي، 421/1، تفسير ابن كثير، 70/2. فتح القدير للشوكاني، 170/1.

2- أنظر: جامع البيان للطبري، 596/2، تفسير التعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 283/1، تفسير السمعي، 145/1، تفسير البغوي، 172/1، تفسير القرطبي، 421/1، تفسير ابن كثير، 70/2، فتح القدير للشوكاني (3/11).

3- أنظر: الحاوي للفتاوي: للسيوطي (1/367).

4- ورد عند الطبري مايلي: قال ابن جريح: قال ابن عباس: "الأسباط" بنو يعقوب، كانوا اثني عشر رجلاً كل واحد منهم ولد سبطاً، أمة من الناس. تفسير الطبري: جامع البيان ت شاكر (2/121). وهذا فيه احتمال، وليس نصاً قاطعاً منه - رضي الله عنه - بنبوتهم، والله أعلم. وقد ورد عن أنس رضي الله عنه مايدل على أهم أعطوا النبوة بعد استغفار أبيهم يعقوب لهم، ولكن الأثر منكر وهو في تفسير الطبري: جامع البيان ت شاكر (16/281).

5- أنظر كلامه في: جامع المسائل لابن تيمية ط عالم الفوائد - المجموعة الثالثة (ص: 297).

6- روى الإمام الطبري عن قتادة السدي والربيع أنهم فسروا الأسباط بأولاد يعقوب الاثني عشر: يوسف وإخوته. تفسير الطبري: جامع البيان ت شاكر (3/111-112) وهذا فيه احتمال للقولين أيضاً، وليس نصاً قاطعاً منهم بنبوتهم، والله أعلم. وروى الطبري عن أبي عمران الجوني - وهو تابعي - تصريحه بنبوتهم تفسير الطبري: جامع البيان ت شاكر (16/282).

7- رواه الطبري عنه في تفسيره جامع البيان ت شاكر (15/557) وانظر: تفسير القرطبي (9/130).

(1) ، ومنهم من بالغ في رده كالقرطبي (2) ، والإمام فخر الدين (3) ، وابن كثير (4) ، ومنهم من حكى القولين بلا ترجيح كابن الجوزي (5) ، ومنهم من لم يتعرض للمسألة، ولكن ذكر ما يدل على عدم كونهم كونهم أنبياء كتفسيره الأسباط بمن نبي من بني إسرائيل، والمنزل إليهم بالمنزل إلى أنبيائهم كأبي الليث السمرقندي (6) ، والواحدي (7) ، ومنهم من لم يذكر شيئاً من ذلك، ولكن فسر الأسباط بأولاد يعقوب (8) ، فحسبه ناس قولاً بنبوتهم، وإنما أريد بهم ذريته لا بنوه لصلبه، كما سيأتي تحرير ذلك، قال القاضي عياض في الشفا: إخوة يوسف لم تثبت نبوتهم، وذكر الأسباط وعدمهم في القرآن عند ذكر الأنبياء قال المفسرون: يريد من نبي من أبناء الأسباط (9) ، فانظر إلى هذا النقل عن المفسرين من مثل القاضي... (10) ويظهر لي أن نسبة الحافظ السيوطي القول بعدم نبوة إخوة يوسف للجمهور يحتمل المناقشة؛ إذ يتبين من تعليقي على كلامه - رحمه الله - ومما سيأتي نقله أن القولين شبه متكافئين في عدد القائلين بهما، والله أعلم.

واستدل من قال بأنهم أنبياء بأدلة منها:

- 1- أنظر ذلك صريحاً في تفسيره لسورة يوسف 476/2 - وفي موضع سابق من تفسيره (172 /1) نقل القولين، وصدر القول بأهم الأنبياء من ذرية يعقوب في قبائل بني إسرائيل حيث قال: "والأسباط من بني إسرائيل كلقبائل من العرب من بني إسماعيل، والشعوب من العجم، وكان في الأسباط أنبياء"، ثم أشار إلى القول الآخر بقوله: "وقيل: هم بنو يعقوب من صلبه صاروا كلهم أنبياء". ومن ذهب لنبوتهم أيضاً الخازن في تفسيره لباب التأويل في معاني التنزيل (2/ 514).
- 2- أنظر: تفسير القرطبي (9/ 133).
- 3- أنظر: تفسير الرازي (18/ 421)، ولكن فيه يظهر اختياره للقول بنبوة إخوة يوسف، عكس ما حكاه عنه الإمام السيوطي رحمه الله.
- 4- أنظر: تفسير ابن كثير ت سلامة (4/ 372)، وقد نقل قوله العلامة القاسمي مقراً له. تفسير القاسمي: محاسن التأويل (6/ 155).
- 5- ورد في تفسيره: زاد المسير في علم التفسير (1/ 116): فأما الأسباط: فهم بنو يعقوب، وكانوا اثني عشر رجلاً، وهذا يشعر بميله للقول بنبوتهم، والله أعلم.
- 6- لكن نقل السمرقندي في تفسير سورة يوسف عن الزجاج ما يدل على أنهم صاروا أنبياء، ولم يتعقبه، فلعل ذلك يشير لاختياره القول بنبوتهم، والله أعلم. أنظر: تفسير السمرقندي: بحر العلوم (2/ 180).
- 7- أنظر: التفسير البسيط (12/ 24).
- 8- كالطبري حيث قال: والأسباط: وهم الأنبياء من ولد يعقوب. جامع البيان ت شاكر (3/ 109) ويظهر - والله أعلم - اختيار الطبري للقول بنبوتهم كأشخاص فإنه قال تفسيره: (6/ 569): وما أنزل على "الأسباط" وهم ولد يعقوب اثنا عشر، وقد بينا أسماءهم بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.
- 9- ولكن القاضي عياض قال بعد كلامه ذلك: وقد قيل إنهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار الأسنان، ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا: أرسله معنا غدا نزع ونلعب، وإن ثبت لهم نبوة فبعد هذا والله أعلم. أنظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى - وحاشية الشمني (2/ 164).
- 10- الحاوي للفتاوي: للسيوطي (1/ 367 - 368).

1- قوله أنه قد ورد النص بأن الله تعالى أوحى إلى الأسباط، والسبط في اللغة ولد الولد، وهم أولاد يعقوب فقد صاروا كلهم أنبياء⁽¹⁾.

ولكن هذا معترض عليه بأن فيه احتمالاً، فقد يكون هؤلاء الأسباط أبناء يعقوب لصلبه، وقد يكون المقصود من جاء من ذرياتهم، فإن أصل السَّبَطِ في اللغة: شجرة ملتفة كثيرة الأغصان فسمي الأسباط بها لكثرتهم، فكما إنَّ الأغصان من شجرة واحدة كذلك الأسباط كانوا من يعقوب، وكان في الأسباط أنبياء، والأسباط في بني إسرائيل كالقبايل في العرب وهم ذرية الاثني عشر أولاد يعقوب عليه السلام⁽²⁾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "..... وإنما احتجَّ من قال إنهم نبؤوا بقوله في آيتي البقرة والنساء ﴿وَالْأَسْبَاطُ﴾، وفسر الأسباط بأنهم أولاد يعقوب، والصواب أنه ليس المراد بهم أولاده لصلبه بل ذُرِّيَّتُهُ، كما يقال فيهم أيضاً "بنو إسرائيل"، وكان في ذريته الأنبياء، فالأسباط من بني إسرائيل كالقبايل من بني إسماعيل⁽³⁾".

وقال رحمه الله: والحاصل أن الغلط في دعوى نبوتهم حصَلَ من ظَنِّ أنهم هم الأسباط، وليس كذلك، إنما الأسباط ذريتهم الذين قُطِعُوا أسباطاً من عهد موسى، كل سبطٍ أمة عظيمة، ولو كان المراد بالأسباط أبناء يعقوب لقال: "يعقوب وبنيه"، فإنه أوجز وأبين. واختير لفظ "الأسباط" على لفظ "بني إسرائيل" للإشارة إلى أن النبوة إنما حصلت فيهم من حين تقطيعهم أسباطاً من عهد موسى. والله أعلم⁽⁴⁾.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ومن استدل على نبوتهم بقوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ [البقرة: 136]. وزعم أن هؤلاء هم الأسباط، فليس استدلاله بقوي؛ لأن المراد بالأسباط شعوب بني إسرائيل، وما كان يوجد فيهم من الأنبياء الذين ينزل عليهم الوحي من السماء، والله أعلم.

قال: ومما يؤيد أن يوسف عليه السلام هو المختص من بين إخوته بالرسالة والنبوة أنه نص على نبوته والإيحاء إليه في غير ما آية في كتابه العزيز، ولم ينص على واحد من إخوته سواه، فدل على ما ذكرناه

1- أنظر: تفسير التعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 283/1، تفسير السعدي: تيسير الكريم الرحمن، ص408. وإلى القول بنبوته ذهب العلامة العلامة محمد الطاهر بن عاشور اعتماداً على أهم الأسباط الموحى إليهم. التحرير والتنوير (1/ 732).

2- أنظر: تفسير القرطبي، 421/1.

3- جامع المسائل- المجموعة الثالثة، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق: محمد عزيز شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد- مكة، ط: 1، 1422هـ، ص297.

4- جامع المسائل لابن تيمية ط عالم الفوائد - المجموعة الثالثة (ص: 299).

- (1) وقال العلامة محمد رشيد رضا: والمراد بالوحي إلى الأسباب: الوحي إلى الأنبياء الذين بعثوا فيهم..... وقد علمت أن إطلاق لفظ الأسباب على أبناء إسرائيل من صلبه خاصة غلط، وإن المتفق عليه عند أهل الكتاب عامة هو ما ذكرناه، وما حاجهم الله - تعالى - إلا بما هو معروف عندهم (2)
- 2- أن إتمام النعمة المذكور في قوله تعالى: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ يعني: النبوة، ﴿وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾، أي: عَلَى أَوْلَادِهِ فَإِنَّ أَوْلَادَهُ كُلَّهُمْ كَانُوا أَنْبِيَاءَ، ﴿كَمَا أْتَمَّتْهَا عَلَى أَبِيكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ كما قاله البغوي رحمه الله (3) وقاله أيضا أبو منصور الماتريدي (4)، وهو المفهوم من كلام الثعالبي (5).
- و يناقش هذا الاستدلال بأن فيه احتمالا أيضا، فقد يكون المقصود من إتمام النعمة على آل يعقوب التوحيد والعبادة (6)، ولا يلزم أن يكون جميع بني يعقوب — عليه السلام — أنبياء، والله أعلم.
- 3- أن يوسف عليه السلام رأى إخوته في المنام برمز الكواكب، والكواكب فيها النور والهداية التي هي من صفات الأنبياء (7).

قال العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره: ".... العبرة في حال العبد بكمال النهاية، لا بنقص البداية، فإن أولاد يعقوب عليه السلام جرى منهم ما جرى في أول الأمر، مما هو أكبر أسباب النقص واللوم، ثم انتهى أمرهم إلى التوبة النصوح، والسماح التام من يوسف ومن أبيهم، والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة، وإذا سمح العبد عن حقه، فإله خير الراحمين ولهذا - في أصح الأقوال - أنهم كانوا أنبياء لقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾ وهم أولاد يعقوب الاثنا عشر وذريتهم، ومما يدل على ذلك أن في رؤيا يوسف أنه رأى كواكب نيرة، والكواكب فيها النور والهداية الذي من صفات الأنبياء، فإن لم يكونوا أنبياء فإنهم علماء هداة" (8).

1- البداية والنهاية ط هجر (1/ 459)

2- تفسير المنار (6/ 57).

3- أنظر: تفسير البغوي- إحياء التراث، 476/2.

4- أنظر: تفسير الماتريدي : تأويلات أهل السنة (6/ 209).

5- أنظر: تفسير الثعالبي : الجواهر الحسان في تفسير القرآن (3/ 311).

6- أنظر: التفسير البسيط (12/ 25).

7- أنظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (3/ 92)، و التفسير البسيط للواحدي (12/ 25)، وتفسير الزمخشري : الكشف عن حقائق غوامض الترتيل

(2/ 445)، وتفسير السعدي : تيسير الكريم الرحمن (ص: 408).

8- تفسير السعدي : تيسير الكريم الرحمن، ص: 408.

ولكن هذا الاستدلال غير قوي لما فيه من الاحتمال، فلربما كان رمز الكواكب مشيراً لمجرد إخوته فقط، وأيضاً لو صح هذا الاستدلال لدل على نبوة أمه المرموز لها بالشمس وهي أعظم ضوءاً من الكواكب، والله أعلم.

إشكال: وقد استشكل على القائلين بنبوتهم ما وقع منهم مع أخيه يوسف عليه السلام فاختلّفوا في الجواب عن ذلك، فمنهم من يرى أن زلتهم قد غفرت بندمهم واستغفار أبيهم لهم ولا يستحيل في العقل زلة نبي، وهذا مردود بأن الأنبياء معصومون من الكبائر، وقيل: بأن هذا كان قبل نبوتهم ثم أنبأهم الله بعد توبتهم، وهذا يردّه من يقول بأن العصمة للأنبياء عن الكبائر تكون حتى قبل نبوتهم، وقيل: بأن ذلك حصل منهم قبل البلوغ، وهذا ليس بصحيح؛ بدليل أنهم قالوا: ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾، وعلّوا أنفسهم بالتوبة⁽¹⁾.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: " وفي هذا دليل على أن إخوة يوسف ما كانوا أنبياء، فإن الأنبياء لا يجوز عليهم التواطؤ على القتل لمسلم ظلماً وبغياً وقيل: كانوا أنبياء، وكان ذلك منهم زلة قدم، وأوقعهم فيها التهاب نار الحسد في صدورهم واضطراب جمرات الغيظ في قلوبهم. ورد بأن الأنبياء معصومون عن مثل هذه المعصية الكبيرة المتبالغة في الكبر، مع ما في ذلك من قطع الرحم وعقوق الوالد وافتراء الكذب، وقيل: إنهم لم يكونوا في ذلك الوقت أنبياء، بل صاروا أنبياء من بعد."⁽²⁾.

واستدل من قال بأنهم ليسوا أنبياء بأدلة منها:

1- أنه لم يدل دليل في القرآن ولا في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، بل ولا عن أحد من أصحابه رضي الله تعالى عنهم خبر بأن الله تعالى نبأهم⁽³⁾.

قال ابن حزم رحمه الله: أخوة يوسف عليه السلام لم يكونوا أنبياء، ولا جاء قط في أنهم أنبياء نص لا من قرآن ولا من سنة صحيحة ولا من إجماع ولا من قول أحد من الصحابة رضي الله عنهم، وإما يوسف صلى الله عليه وسلم فرسول الله بنص القرآن قال عز وجل ﴿وَلَقَدْ جَاءكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ إلى قوله ﴿مَنْ بَعْدَهُ رَسُولًا﴾، وأما إخوته فأفعالهم تشهد أنهم لم يكونوا متورعين عن العظائم فكيف أن يكونوا أنبياء، ولكن الرسولين أباهم وأخاهم قد استغفرا لهم وأسقطا

1- أنظر: تفسير البغوي، 218/4، المحرر الوجيز، 222/3، تفسير القرطبي، 133/9، تفسير السعدي: تيسير الكريم الرحمن، ص408، آراء ابن حجر

الميثمي الاعتقادية عرض وتقوم في ضوء عقيدة السلف - محمد بن عبد العزيز الشايع، مكتبة دار المنهاج، ط: 1، 1427، ص422.

2- فتح القدير للشوكاني، 11/3.

3- أنظر: روح المعاني، 376/6.

التشريب عنهم، وبرهان ما ذكرنا من كذب من يزعم أنهم كانوا أنبياء قول الله تعالى حاكيا عن الرسول أخيه عليه السلام أنه قال لهم: {أنتم شر مكانا} ولا يجوز البتة أن يقوله نبي من الأنبياء نعم ولا لقوم صالحين إذ توقير الأنبياء فرض على جميع الناس؛ لأن الصالحين ليسوا شرا مكانا ولا يحل لمسلم أن يدخل في الأنبياء من لم يأت نص ولا إجماع أو نقل كافة بصحة نبوته، ولا فرق بين التصديق بنبوة من ليس نبيا، وبين التكذيب بنبوة من صحت نبوته منهم (1).

وإلى القول بعدم الدليل على إثبات نبوتهم ذهب أيضا العلامة أبو الحسن السبتي الأموي (2). قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الذي يدلُّ عليه القرآنُ واللغةُ والاعتبارُ أن إخوةَ يوسفَ ليسوا بأنبياء، وليس في القرآن ولا عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بل ولا عن أصحابه خبرٌ بأن الله تعالى نبأهم، وإنما احتجَّ من قال إنهم نبُّوا بقوله في آيتي البقرة والنساء ﴿وَالْأَسْبَاطُ﴾، وفسر الأسباط بأنهم أولاد يعقوب، والصواب أنه ليس المراد بهم أولاده لصلبه بل ذُرِّيَّتِهِ، كما يقال فيهم أيضا "بنو إسرائيل"، وكان في ذريته الأنبياء، فالأسباط من بني إسرائيل كالقبايل من بني إسماعيل (3)".

وأضاف شيخ الإسلام رحمه الله من الأدلة والحجج التي ترد على من ذهب إلى نبوتهم مايلي:

• أن اسم الأسباط كان للذرية المنتشرة من أبناء يعقوب عليه السلام.

قال رحمه الله: الأسباط حفدة يعقوب ذراري أبنائه الاثني عشر. وقال تعالى: (وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ، وَقَطَعْنَاَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَّةً) ، فهذا صريح في أن الأسباط هم الأمم من بني إسرائيل، كلُّ سبطٍ أمةٌ، لا أنهم بنوه الاثنا عشر؛ بل لا معنى لتسميتهم قبل أن تنتشر عنهم الأولاد أسباطاً، فالحال أن السَّبَطُ هم الجماعة من الناس، ومن قال: الأسباط أولاد يعقوب، لم يُرد أنهم أولاده لصلبه، بل أراد ذريته، كما يقال: بنو إسرائيل وبنو آدم. فتخصيصُ الآيةِ ببنيه لصلبه غلط، لا يدلُّ عليه اللفظُ ولا المعنى، ومن ادَّعاه فقط خطأً بيِّنا. والصواب أيضاً أن كونهم أسباطاً إنما سُمُّوا به من عهد موسى للآية المتقدمة، ومن حينئذٍ كانت فيهم النبوة.

1- أنظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (7/4)..

2- أنظر كتابه: تزوية الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغباء (ص: 138 وما بعدها).

3- جامع المسائل- المجموعة الثالثة، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق: محمد عزيز شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد- مكة، ط1: 1422هـ، ص297.

- أنه لا يُعْرَفُ أنه كان فيهم نبيٌّ قبلَ موسى إلا يوسف، ومما يؤيِّدُ هذا أن الله تعالى لما ذكر الأنبياء من ذرية إبراهيم قال: (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ) الآيات ، فذكر يوسف ومن معه، ولم يذكر الأسباط، فلو كان إخوة يوسف نُبِّئُوا كما نبئ يوسف لذكروا معه.
- ثم إن القرآن يدلُّ على أنه لم يأتِ أهلَ مصرَ نبيٌّ قبلَ موسى سوى يوسف، الآية غافر⁽¹⁾ ، ولو كان من إخوة يوسف نبيٌّ لكان قد دعا أهل مصر، وظهرت أخبار نبوته، فلما لم يكن ذلك عُلِمَ أنه لم يكن منهم نبيٌّ. فهذه وجوهٌ متعددةٌ يُقوِّي بعضها بعضها⁽²⁾.

وقال العلامة محمد رشيد رضا: ولم يصح في نبوة غير يوسف من أبناء يعقوب شيء⁽³⁾. وقال: والمراد بالوحي إلى الأسباط: الوحي إلى الأنبياء الذين بعثوا فيهم..... وقد علمت أن إطلاق لفظ الأسباط على أبناء إسرائيل من صلبه خاصة غلط، وإن المتفق عليه عند أهل الكتاب عامة هو ما ذكرناه، وما حاجهم الله - تعالى - إلا بما هو معروف عندهم⁽⁴⁾.

1- أن أفعالهم المذكورة في سورة يوسف تدل على أنهم ليسوا بأنبياء⁽⁵⁾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في سياق رده على القائلين بنبوتهم: وأيضاً فإن الله يذكر عن الأنبياء من المحامد والثناء ما يناسب النبوة، وإن كان قبل النبوة، كما قال عن موسى: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) الآية، وقال في يوسف كذلك، وفي الحديث: "أكرم الناس يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، نبي من نبي من نبي". فلو كانت إخوته أنبياء كانوا قد شاركوه في هذا الكرم.

قال رحمه الله: وهو تعالى لما قصَّ قصَّةَ يوسف وما فعلوا معه ذكر اعترافهم بالخطيئة وطلبهم الاستغفار من أبيهم، ولم يذكر من فضلهم ما يناسب النبوة، ولا شيئاً من خصائص الأنبياء، بل ولا ذكر عنهم توبة باهرة كما ذكر عن [من] ذنبه دون ذنبهم، بل إنما حكى عنهم الاعتراف وطلب الاستغفار. ولا ذكر سبحانه عن أحدٍ من الأنبياء -لا قبل النبوة ولا بعدها- أنه فعلَ مثلَ هذه الأمور العظيمة، من عقوق الوالد وقطيعة الرحم وإرقاق المسلم وبيعه إلى بلاد الكفر والكذب البين وغير ذلك مما حكاه عنهم، ولم

1- وهي قوله تعالى: {وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زُئِمْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا...} [غافر: 34].

2- أنظر: جامع المسائل لابن تيمية - المجموعة الثالثة، ص 297-299 بتصرف يسير.

3- تفسير المنار (1/ 397).

4- تفسير المنار (6/ 57).

5- أنظر: تفسير القرطبي، 9/ 133.

يَحْكُ شَيْئاً يَنَاسِبُ الْإِصْطِفَاءَ وَالِاخْتِصَاصَ الْمَوْجِبَ لِنُبُوتِهِمْ، بَلِ الَّذِي حَكَاهُ يَخَالِفُ ذَلِكَ، بِخِلَافِ مَا حَكَاهُ عَنْ يُوْسُفَ (1).

الترجيح: وبعد استعراض القولين يظهر - والله أعلم - قوة القول الذي نسبه السيوطي لجمهور العلماء بأن أخوة يوسف ليسوا أنبياء؛ وذلك لقوة استدلالاتهم، ومع ذلك أرى أن التوقف في الجزم بنبوتهم من عدمها أولى؛ وذلك لأن ماذهب إليه الجمهور مع قوته يدخله الاحتمال، فلربما جاءت النبوة لإخوة يوسف بعد تلك القصة، وبعد استغفار أبيهم يعقوب لهم. والله أعلم.

المطلب السادس

الخلاف في نبوة عزيز

أولاً: ذكر عزيز في القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: 30].

وقد أورد السيوطي (2) رحمه الله عدداً من الآثار الدالة على أن عزيزاً هو الرجل المذكور في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طُعَامِكَ وَسَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 259].

ثانياً: ذكره في السنة النبوية: ورد ذكره في السنة الصحيحة في أكثر من حديث، منها ما في سياق يوم القيامة حين تحشر كل أمة مع مثال معبودها الباطل إلى جهنم (3)، ولا أعلم أنه قد صح في السنة النبوية شيء عن عزيز مما يتعلق بنبوته من عدمها، وقد وردت روايات ضعيفة في ذلك: من ذلك ما رواه ابن عساکر عن ابن عباس مرفوعاً: "...ولا أدري أكان عزيز نبياً أم لا" (4).

وروى ابن عساکر أيضاً عن أبي أمامة مرفوعاً: "إن عزيزاً النبي عليه السلام كان من المتعبدین.... إلخ" (5).

1- أنظر: جامع المسائل لابن تيمية - المجموعة الثالثة، ص 297-299 بتصرف يسير.

2- الدر المنثور في التفسير بالمأثور (2/ 26) وما بعدها) وقد رويت هذه الآثار عن ابن عباس والحسن وقادة والسدي وسليمان بن بريدة وهذا القول هو المشهور كما في تفسير ابن كثير سلامة (1/ 687)، . وهناك آثار تشير إلى أن الرجل المذكور هو إرميا أو غيره.

3- أنظر مثلاً: صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ (6/ 45).

4- تاريخ دمشق لابن عساکر (40/ 317) ولا يصح إسنادها، أنظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (7/ 440).

5- المرجع السابق (40/ 318) وفي إسنادها: جميع بن ثوب الشامي، قال البخاري منكر الحديث. الكامل في ضعفاء الرجال (2/ 414).

وذكر ابن عساكر عددا من الآثار عن السلف يفهم من جملتها أن عزيرا كان نبيا يوحى إليه⁽¹⁾. وقد روى البخاري رحمه الله وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة، فلدغته نملة، فأمر بجهازه فأخرج من تحتها، ثم أمر ببيتها فأحرق بالنار، فأوحى الله إليه: فهلا نملة واحدة " ⁽²⁾ قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قوله: نزل نبي من الأنبياء قيل: هو العزيز ⁽³⁾، وروى الحكيم الترمذي في النوادر أنه موسى عليه السلام، وبذلك جزم الكلاباذي في معاني الأخبار، والقرطبي في التفسير ⁽⁴⁾ قال العلامة الألباني: قلت: ولا وجه للجزم بشيء من ذلك؛ ما دام أنه غير مرفوع، فنتبه ⁽⁵⁾.

ثالثا: الخلاف في نبوته: وقد حكى الخلاف في نبوته أبو الحسن السبتي والحافظ ابن كثير. قال العلامة أبو الحسن السبتي الأموي (ت614هـ): وأما عزيز عليه السلام فاختلف الناس في نبوته؛ لكونه لم ينص عليه الكتاب، والأظهر إثبات نبوته بدليل قوله تعالى: ﴿لَوْ لَا بِأَمْرِكُمْ لَأَخَذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ وهذا خطاب لليهود والنصارى، واليهود عبدت عزيرا بنص الكتاب. ومما يدل على نبوته أيضا من الكتاب أنه ذكر مع الأنبياء في معرض الفضيلة والإكرام في موطنين ذكره تعالى مع إبراهيم عليه السلام في إحياء الموتى لهما، وذكره مع عيسى عليه السلام في أن عبد من دون الله... جاء في الأثر أنه كان في بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام نبي سمي عزيرا لكثرة تعزير اليهود له وإعظامهم لقدرة عليه السلام، ثم غلوا في تعظيمه حتى عبده؛ وسبب ذلك لأن أماته الله مئة سنة ثم أحياه وأراه الآية في طعامه وشرابه الذي مرت عليه مئة عام ولم يتسنه أي: لم يتغير، وفي حماره الذي أماته معه وتبددت أجزاؤه ثم أنشرت وجمعت وحييت وهو ينظر إلى ذلك كله، فقال الجهلة لم يختصه بهذه الكرامات إلا لأن كان ولده فعبده تعالى الله عما يصفون ⁽⁶⁾.

1- تاريخ دمشق لابن عساكر (40/ 318 — 337) وانظر: الدر المنثور في التفسير بالماثور (2/ 26).

2- صحيح البخاري: كتاب: بدء الخلق، باب: خمس من الدواب فواسق، يقتلن في الحرم (4/ 130).

3- قال الحافظ المنذري: قد جاء من غير ما وجه أن هذا النبي هو عزيز عليه السلام. الترغيب والترهيب للمنذري ت عمارة (3/ 628). وقال الحافظ ابن كثير: روى إسحاق بن بشر: عن ابن جريح، عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه أنه عزيز. وكذا روى عن ابن عباس والحسن البصري أنه عزيز فإله أعلم. البداية والنهاية ط إحياء التراث (2/ 55).

4- فتح الباري لابن حجر (6/ 358).

5- صحيح الترغيب والترهيب (3/ 149).

6- تزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء (ص: 104—105).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: المشهور أن عزيرا نبي من أنبياء بني إسرائيل ، وأنه كان فيما بين داود وسليمان وبين زكريا ويحيى، وأنه لما لم يبق في بني إسرائيل من يحفظ التوراة ألهمه الله حفظها فسردها على بني إسرائيل كما قال وهب بن منبه: أمر الله ملكا فنزل بمعرفة⁽¹⁾ من نور فقذفها في عزير فنسخ التوراة حرفا بحرف حتى فرغ منها⁽²⁾.

وممن ذكر عنه أن عزيرا ليس بنبي: عطاء بن أبي رباح، والحسن البصري ؛ بناء على أن عزيرا كان في الفترة، وقد صح الحديث أنه ليس بين عيسى عليه السلام ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي⁽³⁾ .
رابعاً: الترجيح: أرى — والله أعلم — التوقف في القول بنبوّة عزير، وعدم القطع بأحد القولين؛ لعدم الدليل الصريح على إثبات النبوة له أو على نفيها.

وإن كانت بعض القرائن تؤيد القول بنبوته، مثل: ذكره مقرونا مع عيسى عليه السلام بجامع أن اليهود ادعوا فيه الإلهية كما ادعت النصارى الإلهية في عيسى عليه السلام. ويستأنس لذلك بما ورد في كتب التفسير والتاريخ أنه أعاد كتابة التوراة بوحي بعد أن فقدها بنو إسرائيل.

وكما ورد ذلك في كتب المسلمين فقد ورد ذلك في بعض مصادر أهل الكتاب، فقد نقل العلامة محمد رشيد رضا رحمه الله ما يفيد مثل ذلك مع مناقشته عن عدد من مصادر أهل الكتاب⁽⁴⁾.

هذا ولعزير سفر كامل فيما يعرف بالعهد القديم من الكتاب المقدس واسمه فيه (عزرا)، وفيه وصفه بأنه كاهن وكاتب شريعة إله السماء، وأنه كان مقدما في أمور الدين لدى اليهود⁽⁵⁾.

إلا أن تلك القرائن وإن كانت تتشئ ظنا، فإنها لاتساعدنا على الجزم بنبوته، لعدم المستند القاطع في ذلك، والله أعلم.

تتمة: من الأمور المستغربة ماروي عن ابن عباس ونوف البكالي وسفيان الثوري وغيرهم من أن عزيرا سأل عن القدر فمُحي اسمه من ذكر الأنبياء⁽⁶⁾.

1- المعرفة، بالفتح: مثبت عُرفُ الفَرَسِ مِنَ النَّاصِيَةِ إِلَى الْمُسْتَح. لسان العرب (9/ 241).

2- أنظر: البداية والنهاية ط إحياء التراث (2/ 54).

3- المرجع السابق، ولكن لم يصح السند إلى عطاء والحسن فهو من رواية إسحاق بن بشر وهو متروك، كما في ميزان الاعتدال (1/ 184).

4- أنظر: تفسير المنار (10/ 283 — 288).

5- أنظر: العهد القديم: سفر عزرا وسفر نحemia من الكتاب المقدس لدى أهل الكتاب ص: 838 — 874 الطبعة اليسوعية، دار المشرق، بيروت 1994م. بيروت 1994م.

6- أنظر: تاريخ دمشق لابن عساکر (40/ 318، و 333 وما بعدها).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: هو منكر وفي صحته نظر؛ وكأنه مأخوذ عن الإسرائيليات، وقد روى عبد الرزاق وقتيبة بن سعيد عن جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجوني عن نوف البكالي قال: قال عزير فيما يناجي ربه: "يا رب تخلق خلقا فتضل من تشاء وتهدي من تشاء" فقيل له: أعرض عن هذا فعاد فقيل له: لتعرضن عن هذا، أو لأمحون اسمك من الأنبياء، إني لا أسأل عما أفعل وهم يسألون. وهذا لا يقتضي وقوع ما توعد عليه لو عاد فما محاسمه، والله أعلم⁽¹⁾.

المطلب السابع

الخلاف في نبوة ذي الكفل

أولاً: ذكر ذي الكفل في القرآن الكريم: قال تعالى: {وإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ} [الأنبياء: 85] وقال سبحانه: {وَأَذْكُرُ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ} [ص: 48] ثانياً: ذكره في السنة النبوية: ولا أعلم أنه قد ورد لهذا النبي الكريم ذكراً في السنة النبوية بعد البحث والتتبع لأشهر كتب السنة وشروحها، والله أعلم.

ثالثاً: الخلاف في نبوته: قال الحافظ ابن كثير: وأما ذو الكفل فالظاهر من السياق أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهو نبي. وقال آخرون: إنما كان رجلاً صالحاً، وكان ملكاً عادلاً وحكماً مقسطاً، وتوقف ابن جرير في ذلك، فانه أعلم⁽²⁾.

ومع ورود اسم ذي الكفل مع الأنبياء إلا أنه قد نُفِلَ خلاف في نبوته، فقد روى الطبري عن أبي موسى الأشعري أنه لم يكن نبياً، وكذلك روى عن مجاهد⁽³⁾.

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن رجلاً تكفل لقاظ من بني إسرائيل أن يقوم مقامه فسُمي ذا الكفل في قصة ذكرها⁽⁴⁾.

قال الحافظ ابن كثير: وهكذا روي عن عبد الله بن الحارث، ومحمد بن قيس، وابن حجية الأكبر، وغيرهم من السلف، نحو من هذه القصة، والله أعلم⁽⁵⁾.

قلت: وفي هذه الروايات نلاحظ ما يلي:

- 1- البداية والنهاية ط إحياء التراث (2/ 55)، والرواية المذكورة عن عبدالرزاق في تاريخ دمشق لابن عساکر (40/ 335).
- 2- تفسير ابن كثير ت سلامة (5/ 363).
- 3- تفسير الطبري: جامع البيان ت شاكر (18/ 509 _____ 510).
- 4- تفسير ابن أبي حاتم - محققاً (8/ 2462).
- 5- تفسير ابن كثير ت سلامة (5/ 365)، وهذه الروايات أوردها الحافظ السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمتأثر (5/ 661_____664).

1- أن الرواية المنقولة عن أبي موسى الأشعري ومجاهد هي التي فيها التصريح بأن ذا الكفل لم يكن نبيا، وأما الروايات المنقولة عن عبدالله بن عباس و عبد الله بن الحارث، ومحمد بن قيس، وابن حجرية الأكبر فليس فيها نفي نبوته، وإنما فيها بيان سبب تسمية رجل ب (ذي الكفل).

2- والملاحظ أيضا أن المنقول عن أبي موسى الأشعري ومجاهد من نفي النبوة عن ذي الكفل لم يُذكر مستند هذا النفي ودليله.

3- ويلاحظ أيضا أن جميع هذه الروايات من أخبار بني إسرائيل، والتي يسميها أهل العلم بالإسرائيليات. أن هذه الروايات لم يصح من إسنادها إلى قائلها سوى الرواية عن مجاهد⁽¹⁾.

4- ونجد أن الشائع بين أهل العلم هو القول بنبوة ذي الكفل عليه السلام، حيث قال القرطبي رحمه الله: وقال الحسن: هو نبي قبل إلياس. وقيل: هو زكريا بكفالة مريم⁽²⁾.

ونقل عن الخليل بن أحمد قوله: خمسة من الأنبياء (ذو) اسمين محمد وأحمد نبينا، وعيسى والمسيح، وإسرائيل ويعقوب، ويونس وذو النون، وإلياس وذو الكفل - صلى الله عليهم وسلم⁽³⁾.

وقال ابن دقيق العيد رحمه الله: ولا يجب الإيمان تفصيلاً إلا بخمسة وعشرين من الأنبياء المرسلين، وهم المذكورون في سورة الأنعام في قوله تعالى: {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ} الآيات، كما جمعهم بعضهم في قوله:

حتم على كل ذي التكليف معرفة ... بأنبياء على التفصيل قد علموا

في "تلك حجتنا" منهم ثمانية ... من بعد عشر، ويبقى سبعة وهم:

إدريس هود شعيب صالح. وكذا: ... ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا⁽⁴⁾.

وقال ابن الجوزي رحمه الله: وصنف جماعة من الأعاجم كتباً في الوعظ مألؤها بالأحاديث المحالة والمعاني الفاسدة. وفي التفاسير من هذا كثير قد ذكر منه أبو إسحاق الثعلبي قطعة. فإنه ذكر في قصة ذي الكفل حديث الكفل وأنه كان لا يتورع من معصية، والكفل رجل من فساق بني إسرائيل. فأضاف حديثه إلى نبي مرسل⁽⁵⁾.

1- أنظر لمعرفة الحكم على أسانيد هذه الروايات: تعليق الأستاذ الدكتور حكمت بشير ياسين على تفسير ابن كثير ط. ابن الجوزي (5/ 354)، وانظر أيضا كتابه: الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (3/ 393).

2- تفسير القرطبي (11/ 328).

3- أنظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح (20/ 100)، و شرح سنن أبي داود لابن رسلان (1/ 375).

4- شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص: 15).

5- القصاص والمذكرين (ص: 310).

ولذا قال الفخر الرازي: وقال الحسن والأكثرون إنه من الأنبياء عليهم السلام (1) وبنحوه قال ابن حيان (2)، والألوسي (3) وعلى هذا فمن المستغرب قول القرطبي رحمه الله: والجمهور على أنه ليس بنبي (4).

رابعاً: الترجيح: وبعد استعراض القولين يظهر - والله أعلم - رجحان القول بنبوته ذي الكفل عليه السلام، وذلك لما يلي:

1- ذكره مقروناً بالأنبياء عليهم السلام في سورتي الأنبياء وص، والظاهر أنه ماقرن معهم إلا وهو نبي مثلهم.

2- وصفه بصفات الأنبياء المذكورين معه من الصبر والخيرية، ومن المعلوم أن الأنبياء هم خير الخليقة الذين اختارهم الله تعالى.

3- أن أكثر أهل العلم قالوا بنبوته، كما سبق بيانه.

4- أن الأسانيد لم تصح إلى من روي عنهم القول بعدم نبوته من السلف سوى مجاهد.

5- أن من نفى النبوة عنه لم يذكر مستنداً صحيحاً وواضحاً لهذا النفي.

وممن رجح القول بنبوته - سوى من سبق ذكره - الفخر الرازي، واستدل على ذلك بوجوه: أحدها: أن ذا الكفل يحتمل أن يكون لقباً وأن يكون اسماً، والأقرب أن يكون مفيداً، لأن الاسم إذا أمكن حمله على ما يفيد فهو أولى من اللقب. إذا ثبت هذا فنقول الكفل هو النصيب، والظاهر أن الله تعالى إنما سماه بذلك على سبيل التعظيم، فوجب أن يكون ذلك الكفل هو كفل الثواب فهو إنما سمي بذلك لأن عمله وثواب عمله كان ضعف عمل غيره وضعف ثواب غيره، ولقد كان في زمنه أنبياء على ما روي ومن ليس بنبي لا يكون أفضل من الأنبياء.

1- تفسير الرازي: (22/ 177).

2- البحر المحيط في التفسير (7/ 461) وكذلك نسب جماعة من أهل العلم المعاصرين لأكثر العلماء القول بنبوته ذي الكفل. أنظر: التفسير الوسيط - مجمع البحوث (6/ 1148).

3- تفسير الألوسي: روح المعاني (9/ 78).

4- تفسير القرطبي (11/ 328) بيد أن القرطبي رحمه الله نفسه قد فسر آية سورة: ص التي فيها وصف ذي الكفل ومن معه من الأنبياء بالأخيار، قال: { وكل من الأخيار } : أي ممن احتسبوا للنبوة. تفسير القرطبي (15/ 219).

وثانيها: أنه تعالى قرن ذكره بذكر إسماعيل وإدريس والغرض ذكر الفضلاء من عباده ليتأسى بهم وذلك يدل على نبوته.

وثالثها: أن السورة ملقبة بسورة الأنبياء فكل من ذكره الله تعالى فيها فهو نبي. وبعض هذه الوجوه يحتمل المناقشة ، ولكن الغرض بيان ترجيحه لنبوة ذي الكفل عليه السلام⁽¹⁾. والله تعالى أعلم.

تتمة: تعددت أقوال الذين ذهبوا لنبوته — عليه السلام — في تحديد شخصيته، قال ابن عساكر: ويقال إن ذا الكفل هو إلياس ويقال يوشع ويقال اليسع⁽²⁾ قلت: وكيف يصح أن يكون هو اليسع وقد عطف عليه في قوله تعالى: {وَإِذْ ذَكَرُ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ} [ص: 48].

وقال الحافظ السيوطي: ذو الكفل قيل هو ابن أيوب: في المستدرك عن وهب أن الله بعث بعد أيوب ابنه بشر بن أيوب نبيا وسماه ذا الكفل وأمره بالدعاء إلى توحيدهِ وكان مقيما بالشام عمره حتى مات وعمره خمس وسبعون سنة، وفي العجائب للكرماني: قيل هو إلياس وقيل هو يوشع بن نون وقيل: هو زكريا من قوله: {وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا} انتهى⁽³⁾ وقال القاسمي رحمه الله: وذهب بعض المحققين إلى أن ذا الكفل هو حزقيل عليه السلام.⁽⁴⁾ وقال الطاهر بن عاشور: وأما ذو الكفل فهو نبيء اختلف في تعيينه، فقيل هو إلياس المسمى في كتب اليهود (إيليا). وقيل: هو خليفة اليسع في نبوءة بني إسرائيل. والظاهر أنه (عوبديا) الذي له كتاب من كتب أنبياء اليهود وهو الكتاب الرابع من الكتب الاثني عشر وتعرف بكتب الأنبياء الصغار، والكفل- بكسر الكاف وسكون الفاء-، أصله: النصيب من شيء، مشتق من كفل إذا تعهد. لقب بهذا لأنه تعهد بأمر بني إسرائيل لليسع. وذلك أن اليسع لما كبر أراد أن يستخلف خليفة على بني إسرائيل فقال: من يتكفل لي بثلاث أستخلفه: أن يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يغضب. فلم يتكفل له بذلك إلا شاب اسمه (عوبديا) ، وأنه ثبت على ما تكفل به فكان لذلك من أفضل الصابرين. وقد عد عوبديا من أنبياء بني إسرائيل على إجمال في خبره (انظر سفر الملوك الأول الإصحاح 18. ورؤيا

1- تفسير الألوسي: روح المعاني (9/ 78).

2- تاريخ دمشق لابن عساكر (17/ 370).

3- الإيقان في علوم القرآن (4/ 75).

4- تفسير القاسمي: محاسن التأويل (7/ 214).

عوبديا من الكتاب المقدس⁽¹⁾. وعلى كل حال لا يلزم تعيين شخصه بعد ترجيح القول بنبوته،
ويكفينا الإيمان بالاسم الذي سماه الله تعالى به في كتابه، والله أعلم.

المبحث الثاني

من اختلف في نبوتهم من الأجناس

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اختلاف العلماء في نبوة النساء اختلف العلماء في نبوة النساء على قولين:

القول الأول: أنّ النبوة محصورة في الرجال: وهو قول جمهور العلماء كما حكاه ابن عطية⁽²⁾
والثعالبي⁽³⁾، وغيرهم⁽⁴⁾، بل نقل إجماع العلماء على أنّ النبوة لا يمكن أن تكون في النساء، كما نقله أبو
الحسن الأشعري⁽⁵⁾، ونقله شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض مصنفاته عن القاضي أبي بكر بن الطيّب
والقاضي أبي يعلى بن أبي الفراء وأبي المعالي الجويني وغيرهم⁽⁶⁾.

القول الثاني: أنه يوجد من النساء نبيات⁽⁷⁾: وهو قول ابن حزم⁽⁸⁾، والقرطبي⁽⁹⁾، وغيرهم⁽¹⁰⁾ على
خلاف بينهم في عددهن⁽¹¹⁾ وابن حزم رحمه الله ذكر أربع نسوة: مريم الصديقة وأم موسى وسارة
وامرأة فرعون⁽¹⁾. والقرطبي رحمه الله رجح نبوة مريم الصديقة، وتردد في شأن امرأة فرعون⁽²⁾.

1- التحرير والتنوير (17/ 129-130)، وانظر: الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى سفر الملوك الأول ص665 وعوبديا ص1950 .

2- أنظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 434/1.

3- أنظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، 43/2.

4- أنظر: فتح الباري لابن حجر، 471/6.

5- أنظر: تفسير ابن كثير سلامة (3/ 159).

6- أنظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: 349/2، مجموع الفتاوى، 395/4، الصفدية، 198/1.

7- أنظر: تفسير السمعاني، 122/4، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 434/1، و222/2، و43/4، و9/4، مفاتيح الغيب، 522/21، تفسير

القرطبي، 83/4، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، 349/2، التسهيل لعلوم التنزيل، 240/1، تفسير ابن كثير، 422/4، روح المعاني،

148/2، تيسير الكريم الرحمن، ص240.

8- أنظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، 12/5.

9- أنظر: تفسير القرطبي، 83/4.

10- ذكر الحافظ ابن حجر أنه نُقل عن الأشعري القول بأن في النساء عدة نبيات. فتح الباري لابن حجر (6/ 471)، وهذا لا يتلاءم مع ما حكاه ابن

كثير عنه من نقله الإجماع على عدم وجود نبوة في النساء، وأرى — والله أعلم — ترجيح نقل ابن كثير عنه لاعتضاده بما نقله شيخ

الإسلام عن الباقلاني والجويني من حكايتهما الإجماع المذكور دون بيان خلاف الأشعري، وهما من أعلم الناس بمذهبه.

11- أنظر: فتح الباري لابن حجر، 471/6.

وهناك من العلماء من رأى التوقف في ذلك، كما حكاها ابن حزم رحمه الله⁽³⁾.

أدلة القولين: تحرير محل النزاع: إذا كان المقصود بنبوة النساء: أي: من جاءها نبأ من الله تعالى كمریم الصديقة فحسب، فهذا لا إشكال فيه، ولا منازعة، ولكن موضع الخلاف هو في إثبات النبوة الكاملة بالمعنى الاصطلاحي بحيث تأخذ المرأة أحكام النبيين وخصائصهم.

أدلة القائلين بوجود نبيات من النساء:

1- ورد في القرآن أن الله تعالى أرسل ملائكة إلى النساء كتبشير سارة زوجة نبي الله إبراهيم بالولد، وإرسال جبريل إلى مريم، والإيحاء إلى أم موسى، وهذا كله وحي كما أوحى إلى سائر النبيين⁽⁴⁾.
وعضد ابن حزم ذلك بالدليل اللغوي، فلفظ النبوة مأخوذ من النبأ، وعلى ذلك فمن أعلمه الله بأمر قبل أن يكون، أو أوحى إليه منبئاً له بأمر فهو نبي بلا شك، وقد أرسل الله تعالى ملائكة لعدد من النساء⁽⁵⁾.
وقد نقل عن الأشعري أن الضابط عنده أن من جاءه الملك عن الله بحكم من أمر أو نهي أو بإعلام مما سيأتي فهو نبي، وقد ثبت مجيء الملك لهؤلاء بأمر شتى من ذلك من عند الله عز وجل، ووقع التصريح بالإيحاء لبعضهن في القرآن⁽⁶⁾ وهذا يناقش: بعدم اللزوم، إذ لا يلزم أن كل من أتاه ملك بخبر من الله تعالى أن يكون نبياً، ومن ذلك حديث الأقرع والأعمى والأبرص الذين أرسل الله إليهم الملك ليختبرهم⁽⁷⁾، وحديث الذي زار أخاً له في الله، فأرسل الله على مدرجته ملكاً فكلمه⁽⁸⁾ وأما الإيحاء إلى أم موسى فقد يكون من هذا القبيل بأن أرسل الله تعالى إليها ملكاً يأمرها بذلك⁽⁹⁾ وربما كان خطاباً منامياً كسائر الرؤى الصادقة⁽¹⁰⁾.

1- أنظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، 12/5.

2- أنظر: تفسير القرطبي، 83/4.

3- أنظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، 12/5، وقال الخافظ: وقال السبكي الكبير لم يصح عندي في هذه المسألة شيء. فتح الباري (6/471).

4- أنظر: تفسير القرطبي، 83/4.

5- أنظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، 12/5.

6- أنظر: فتح الباري لابن حجر، 447/6.

7- أنظر: صحيح البخاري، 171/4، برقم: 3464، وصحيح مسلم، 2275/4، برقم: 2964.

8- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، "أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرَادَ اللَّهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تُرِيدُهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْبَبَكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ" [صحيح مسلم، 1988/4، برقم: 2567].

9- أنظر: زاد المسير في علم التفسير (3/375).

10- أنظر: المرجع السابق، والتفسير الوسيط - مجمع البحوث (7/1737).

وقد يكون بمعنى الإلهام⁽¹⁾، وهو مروى عن ابن عباس⁽²⁾. وقد روى الطبري بسند حسن عن قتادة قال: قال: وحيا جاءها من الله، فقف في قلبها، وليس بوحى نبوة⁽³⁾.

قال القرطبي - وهو من القائلين بنبوة مريم الصديقة - بعد ذكره للأقوال السابقة في الوحي إلى أم موسى: وأجمع الكل على أنها لم تكن نبية⁽⁴⁾، وإنما إرسال الملك إليها على نحو تكليم الملك للأقرع والأبرص والأعمى في الحديث المشهور، خرج البخاري ومسلم، وقد ذكرناه في سورة "براءة" وغير ذلك مما روي من تكليم الملائكة للناس من غير نبوة، وقد سلمت على عمران بن حصين فلم يكن بذلك نبيا⁽⁵⁾.

1- عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَمَلَمَ مِنَ الرَّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمَلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا أَسِيَّةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ"⁽⁶⁾.

والشاهد في هذا أن الكمال المذكور في الحديث يعني به النبوة لأنه أعلى الكمال الإنساني⁽⁷⁾. وهذا الاستدلال يناقش بأنه ليس قاطعا في المسألة لما فيه من الاحتمال. قال الكرماني: "لَا يَلْزَمُ مِنْ لَفْظِ الْكَمَالِ ثُبُوتُ نُبُوتِهَا لِأَنَّهَا يُطْلَقُ لِتَمَامِ الشَّيْءِ وَتَنَاهِيهِ فِي بَابِهِ، فَالْمُرَادُ بُلُوغُهَا النَّهَائِيَةَ فِي جَمِيعِ الْفَضَائِلِ الَّتِي لِلنِّسَاءِ"⁽⁸⁾.

1- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [إل عمران: 42] فاصطفاه الله لمريم على نساء العالمين دليل على نبوتها⁽⁹⁾.

وهذا الاستدلال يناقش بعدم اللزوم: فلا يلزم أن كل من اصطفاه الله أن يكون نبيا، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ

1- أنظر: معالم التنزيل للبغوي، 522/3.

2- أنظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (6/393).

3- تفسير الطبري: جامع البيان ت شاكر (19/519). وانظر: الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (4/44).

4- وكأنه رحمه الله لم يطلع على خلاف ابن حزم في ذلك، أو لم يعتد به، والله أعلم.

5- أنظر: فتح الباري لابن حجر، 447/6.

6- أخرجه البخاري، 158/4، برقم: 3411، ومسلم، 4/1886، برقم: 2431.

7- أنظر: تفسير القرطبي، 83/4.

8- فتح الباري لابن حجر، 447/6.

9- أنظر: تفسير القرطبي 83/4.

عليهم ﴿[آل عمران: 33، 34]، وفي آل إبراهيم وآل عمران من ليسوا بأنبياء ولا رسل، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: 32]، فالآية قسمت الناس إلى ثلاث طبقات: الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات، وبينها تفاوت، ومعلوم أنَّ الأنبياء لا يظلمون أنفسهم، لأنهم في أعلى مقام، وبهذا يُعلم بأنَّ الاصطفاء حصل لمن ليسوا بأنبياء ولا رسل⁽¹⁾.

أدلة القائلين بعدم نبوة النساء:

- 1- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى...﴾ [يوسف: 109]، فالآية تدل على أنَّ النبوة خاصة بالرجال⁽²⁾، وهذا ناقشه ابن حزم بما مفاده: أن النبوة غير الرسالة، والنبى هو من تتبأ دون التكليف بتبليغ شرع، والآية السابقة حصرت الرسالة في الرجال، لكن النبوة يمكن أن تكون في النساء⁽³⁾ ويمكن دفع اعتراضه بأن يقال: إن لفظ النبوة والرسالة يطلق كل أحد منهما على الآخر عند الافتراق، وأيضا لا يخلو النبي من إرسال ما. وقد سبق تفصيل ذلك⁽⁴⁾.
 - 2- قوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نَبَّيْنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤفَكُونَ﴾ [المائدة: 75].
- فجعل سبحانه غاية مريم الصديقية ؛ كما جعل غاية المسيح الرسالة⁽⁵⁾. وهذه الصفة لمريم تدفع قول من قال هي نبيه⁽⁶⁾، فالصديقية صفة دون النبوة، فلو كانت نبيهً لذكر ذلك في مقام التشريف والباعظام، فهي صديقة بنص القرآن⁽⁷⁾ و قد نوقش هذا بأنه يجوز أن تكون صديقة مع كونها نبيه كإدريس عليه السلام⁽⁸⁾ والجواب: أن سياق الآية الكريمة هو في ذكر أقصى فضائل مريم الصديقة ردا على من يقول بإلهيتها ودفعاً لغلو النصارى فيها، فلو كانت النبوة ثابتة لها لأوشك أن يذكر لها في ذلك المقام.

1- أنظر: آراء حاطفة وروايات باطلة في سير الأنبياء عليهم السلام ص29.

2- أنظر: البحر المحيط في التفسير، 334/6، روح المعاني، 149/2.

3- أنظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، 12/5.

4- أنظر: المسألة الثانية في التمهيد في أول البحث.

5- أنظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (2/349).

6- أنظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 222/2.

7- أنظر: التسهيل لعلوم التنزيل، 240/1، تفسير ابن كثير، 423/4.

8- أنظر: تفسير القرطبي، 251/6.

3- إجماع السلف على تخصيص النبوة في الرجال، فقد نقل الإجماع عنهم غير واحد، قال الكُرْمَانِيُّ: "وَقَدْ نُقِلَ الْإِجْمَاعُ عَلَى عَدَمِ نُبُوَّةِ النِّسَاءِ"⁽¹⁾ ونقل الإجماع الإمام ابن تيمية⁽²⁾، بل حتى مريم التي انتفق القائلون بنبوة النساء على نبوتها فقد نقل الإجماع على عدم نبوتها، قال الإمام النووي: "وقد نقل إمام الحرمين إجماع العلماء على أن مريم ليست نبية"⁽³⁾، ونقل القاضي عياض عن جمهور الفقهاء أن مريم ليست نبوية، ونقل عن الحَسَنِ البَصْرِيِّ أنه لَيْسَ فِي النِّسَاءِ نَبِيَّةٌ⁽⁴⁾.

4- ما يمنع من نبوة النساء من تكوينهن الخَلْقِي والوظيفة التي أناطها الله تعالى بالنساء، ومن ذلك ما يطرأ عليها من آلام الدورة الشهرية، والحمل والنفاس والرضاع وارتباطها برعاية النشء، وترتيب شؤون الأسرة وما أشبه ذلك. فمن رحمته تعالى بالمرأة عدم تكليفها بالولايات ذات الأعباء الكبرى، والنبوة أعلاها .

5- أن مقام النبوة يقتضي أن تشهر دعوة النبي ، وأن يُنَاطَرَ أهل الباطل، وأن يخالط الناس على مختلف طبقاتهم، وأن يكون مرجعا للأمة، وربما احتاج لجهاد المخالفين، وهذا المقام ليس من مقامات النساء بل من مقامات الرجال.

الراجع: وبعد استعراض أدلة الرأيين يتضح رجحان أدلة الجمهور القائلين بعدم نبوة النساء، وذلك لما يلي:

1- لقوة أدلتهم.

2- ضعف أدلة القائلين بنبوة النساء، كما سبق مناقشتها.

3- عدم ورود أي دليل صريح من القرآن أو السنة في بيان نبوة أي امرأة.

4- ضعف الخلاف في هذه المسألة، فقد نُقِلَ الإجماع على القول بعدم نبوة النساء، قال شيخ

الإسلام: وخلاف ابن حزم شاذ مسبوق بالإجماع؛ فإن دعواه أن أم موسى كانت نبية هي

ومريم قول لا يعرف عن أحد من السلف والأئمة⁽⁵⁾.

1- أنظر: فتح الباري لابن حجر، 447/6.

2- أنظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، 349/2، الصغدية، 198/1، مجموع الفتاوى، 396/4.

3- الأذكار للنووي ت الأر نووط (ص: 119).

4- أنظر: فتح الباري لابن حجر، 473/6.

5- أنظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، 12/5.

المطلب الثاني

اختلاف العلماء في نبوة الجن

وهذه المسألة فيها قوله تعالى: { يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ } [الأنعام: 130].

فالآية الكريمة تدل بوضوح على أن الله تعالى أرسل رسلا إلى الجن والإنس، ولكن يبقى السؤال هل هؤلاء الرسل من كل جنس على حدة؟ أم هم من الإنس وقد بعثوا للفرقيين؟.

وقوله تعالى: { وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ، قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ } [الأحقاف: 29، 30].

وهاتان الآيتان تدلان بوضوح على أن الجن بلغتهم رسالة موسى عليه السلام، ثم بلغتهم الرسالة المحمدية، فانطلقوا لإنذار قومهم، ولعله من هاهنا ذهب كثير من العلماء إلى أنه لم يكن من جنس الجن خاصة رسل، وإنما هم تبع للإنس في هذا. وعلى هذا ففي المسألة قولان لأهل العلم:

القول الأول: أن الرسل من الإنس وليس من الجن رسل، ولكن فيهم نذر. ونُسب هذا القول لأكثر العلماء⁽¹⁾ قال الحافظ ابن كثير في: وهذا استفهام تقرير: {يا معشر الجن والإنس أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ} أي: من جملتكم. والرسل من الإنس فقط، وليس من الجن رسل، كما قد نص على ذلك مجاهد، وابن جريج، وغير واحد من الأئمة من السلف والخلف، وقال ابن عباس: الرسل من بني آدم، ومن الجن نذر⁽²⁾ قال الكلبي: كانت الرسل يبعثون إلى الجن والإنس⁽³⁾ وبين ابن كثير رحمه الله الدليل على ذلك فقال: والدليل على أن الرسل إنما هم من الإنس قوله تعالى: {إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده...} إلى أن قال: {رسلنا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل} [النساء: 163-165] ، وقال تعالى عن إبراهيم: {وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب} [العنكبوت: 27] ،

1- ممن ذكره عن الجمهور: الواحدي في التفسير البسيط (8/442)، والرازي في "تفسيره" 13/151، والحازن 2/157، والسفاري في لوامع الأنوار البهية (2/223)، وأفاد شيخ الإسلام أنه الأشهر. انظر: مجموع الفتاوى (4/234).
2- تفسير ابن كثير ت سلامة (3/340)، وانظر: شرح الطحاوية ت الأرنؤوط (1/168).
3- التفسير البسيط (8/443).

فحصر النبوة والكتاب بعد إبراهيم في ذريته، ولم يقل أحد من الناس: إن النبوة كانت في الجن قبل إبراهيم الخليل عليه السلام ثم انقطعت عنهم ببعثته. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْكَ مِنْ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنْهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْشُوا فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: 20] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [يوسف: 109] ، ومعلوم أن الجن تبع للإنس في هذا الباب؛ ولهذا قال تعالى إخباراً عنهم: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصَتُوا فَلَمَّا قَضى لَوْأ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ. قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنْآ سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجْرِمَكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * وَمَنْ لَا يَجِبِ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: 29-32] (1) .

القول الثاني: أن الجن فيهم رسل من جنسهم:

وهذا مروى عن الضحاك بن مزاحم [من صغار التابعين] استدلالاً بآية الأنعام: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رِسلٌ مِنْكُمْ﴾ فقد روى ابن جرير عنه أنه سئل عن الجن، هل كان فيهم نبي قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ألم تسمع إلى قول الله: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رِسلٌ مِنْكُمْ يَقصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ ، يعني بذلك: رسلا من الإنس ورسلا من الجن؟ فقالوا: بلى! (2).

قال ابن جرير مبيناً مناقشة أصحاب هذا القول للقول الأول: وأما الذين قالوا بقول الضحاك، فإنهم قالوا: إن الله تعالى ذكره أخبر أن من الجن رسلا أرسلوا إليهم، كما أخبر أن من الإنس رسلا أرسلوا إليهم. قالوا: ولو جاز أن يكون خبره عن رسل الجن بمعنى أنهم رسل الإنس، جاز أن يكون خبره عن رسل الإنس بمعنى أنهم رسل الجن!! قالوا: وفي فساد هذا المعنى ما يدل على أن الخبرين جميعاً بمعنى الخبر عنهم أنهم رسل الله، لأن ذلك هو المعروف في الخطاب دون غيره (3).

قال الحافظ ابن كثير في استدلال الضحاك بالآية: وفي الاستدلال بها على ذلك نظر؛ لأنها محتملة وليست بصريحة (4).

1- تفسير ابن كثير ت سلامة (3/340).

2- تفسير الطبري: جامع البيان ت شاكر (12/121).

3- المرجع السابق 12/122.

4- تفسير ابن كثير ت سلامة (3/340).

الترجيح: يظهر لي - والله أعلم - رجحان القول المنسوب للجمهور بعدم وجود رسل من جنس الجن، وذلك لما يلي:

1. قوة استدلالهم المركب من الجمع بين آية الأنعام وآيات سورة الأحقاف، وما أورده الحافظ ابن كثير وغيره من الأدلة.
2. أنه اختيار أكثر العلماء من السلف والخلف.
3. وجود الاحتمال في دليل القول الثاني.
4. قوله تعالى: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ} [الحج: 75]. ولم تُذكر الجن، فلعل ذلك يكون قرينة على عدم وجود رسل منهم.

ومع هذا الترجيح فإن للقول الآخر وجهاً لا يحسن تجاوزه وعدم الالتفات إليه، قال السفاريني رحمه الله: وتأول الجمهور كل ما ورد من ذلك، ولا يخفى أن ظاهر القرآن مع ما قاله الضحاك، والأكثرين على خلافه، وتحقيق ذلك والبحث فيه مما لا فائدة فيه؛ لعدم ترتب شيء عليه، غير أن نقطع بأنهم سمعوا ببعثة رسل الإنس لقوله تعالى: {إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى} [الأحقاف: 30] وظاهر هذا أنهم كانوا مؤمنين بشريعة موسى عليه السلام، والظاهر أن الشياطين الذين سخرهم الله لسليمان كانوا يأتَمرون في الشرائع بقوله... (1).

وانقل هنا كلاماً نفيساً للعلامة محمد رشيد رضا رحمه الله حول هذه المسألة حيث قال:

وجملة القول في الخلاف أنه ليس في المسألة نص قطعي، والظواهر التي استدلت بها الجمهور يحتمل أن تكون خاصة برسل الإنس لأن الكلام معهم، وليست أقوى من ظاهر الآيات التي استدلت بها على كون الرسل من الفريقين.

والجن عالم غيبي لا نعرف عنه إلا ما ورد به النص، وقد دل القرآن - وكذا الحديث الصحيح - على رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم إليهم، وحكى تعالى عن الذين استمعوا القرآن منهم أنهم قالوا: {إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى} فظاهره أنه كان مرسلًا إليهم. فنحن نؤمن بما ورد ونفوض الأمر فيما عدا ذلك إلى الله تعالى (2).

1- لوامع الأنوار البهية (2/ 224).

2- تفسير المنار (8/ 93)، وقال الطاهر بن عاشور: والخوض في هذا ينبغي للعالم أن يربأ بنفسه عنه لأنه حوض في أحوال عالم لا يدخل تحت مدرجاته. التحرير والتنوير (8/ 77-77).

الخاتمة :

أ- أهم النتائج:

1. أن أهل العلم قد حصل بينهم خلاف في عدد من الشخصيات من حيث تحقق وصف النبوة فيهم من عدمه.
2. سبب وقوع الخلاف في هذه الشخصيات عدم وجود الدليل القاطع بإثبات النبوة لأحدهم أو نفيها عنه، مع وجود قرائن تشير للرأيين.
3. أن عدد الشخصيات التي وقع الخلاف بشأنها من حيث النبوة أو عدمها: سبعة عشر رجلاً ممن ورد ذكرهم في القرآن وصحيح السنة، وهم: ذوالكفل والخضر وذو القرنين ولقمان وتبع وعزير وإخوة يوسف الأحد عشر.
4. أن الخضر هو الشخصية التي وقع بشأنها أوسع خلاف في ثبوت نبوته من عدم ذلك.
5. ترجح لدى الباحث بحسب الأدلة المعتبرة نبوة شخصين من هؤلاء، وهما: ذوالكفل عليه السلام، والخضر عليه السلام.
6. ترجح لدى الباحث عدم نبوة تبع رحمه الله، وأنه كان رجلاً صالحاً.
7. ما كان الأرجح لدى الباحث في شأنه: التوقف فيه؛ لعدم الدليل القاطع المرجح لأحد القولين فيه، وهم: ذو القرنين ولقمان وإخوة يوسف وعزير. وهؤلاء على نوعين: أ- ما كان الجمهور فيه على ترجيح عدم نبوته: وهم: لقمان الحكيم، وذو القرنين .
ب- ما تكافأت فيه الأقوال، وهم: إخوة يوسف وعزير.
8. حصل الخلاف أيضاً بين أهل العلم في جنسين من الأجناس، هل ثبتت فيهما النبوة أم لا؟ وهما: النساء، والجن.
9. ترجح لدى الباحث عدم ثبوت النبوة في النساء، وهو قول جمهور العلماء.
10. كما ترجح لديه عدم ثبوت النبوة في الجن، والثابت فيهم: النُّذُرُ.
11. ظهر للباحث كثرة الآراء والروايات الضعيفة والزائفة في هذا الباب.
12. كما ظهر له أيضاً تضارب الروايات المنقولة عن الشخص الواحد في إثبات النبوة لشخص أو نفيها عنه، ومرد ذلك غياب النقد العلمي للروايات المنقولة في عدد من كتب التفسير والتاريخ والعقائد.

13. كما ظهر له أيضا الاختلاف في نسبة القولين المختلفين للجمهور، ومرده أيضا عدم التتبع الدقيق للأقوال المنسوبة لأهل العلم.
14. ظهر للباحث أيضا أن بعض الانحرافات الاعتقادية بنيت على القول بعدم نبوة الخضر، وأنه مجرد ولي، مما جر بعض الزائغين لاعتقاد فضل بعض الأولياء على بعض الأنبياء، وأن ماسموه علم الحقيقة اللدني قد يخالف علم الشريعة المأخوذ من الأنبياء عليه السلام.
15. ليس كل من قال بعدم نبوة الخضر يلزم وقوعه في تلك الترهات التي وقع فيها بعض المنحرفين.
16. ظهر للباحث جهود علماء المسلمين في تمحيص الحقائق في هذا الباب، مما يمثل ثروة علمية، تظهر العقليات الجبارة لدى علماء المسلمين رحمهم الله.

ب — أهم التوصيات:

1. أوصي الباحثين وأهل العلم بمزيد من الدراسة والتحقيق العلمي للروايات الواردة فيما يتعلق بالنبوة والأنبياء.
2. ظهور الحاجة الملحة للتعليق النقدي على عدد من كتب التفسير والتاريخ ولاسيما التي تحتوى على قصص الأنبياء عليهم السلام.
3. أوصي ببحث من اختلف في نبوتهم ممن لم ترد أسماؤهم في الكتاب وصحيح السنة لتمحيص هذا الموضوع.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: مؤلفات أهل العلم:

- 1- الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية، المؤلف: شمس محمد بن عبد الرحمن السخاوي (المتوفى: 902 هـ)، المحقق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، الناشر: دار الراجية للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، النشر: 1418 هـ
- 2- الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما، المؤلف: ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: 643هـ)، دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، 1420 هـ - 2000 م.
- 3- آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية عرض وتقويم في ضوء عقيدة السلف - محمد بن عبد العزيز الشايح، مكتبة دار المنهاج، ط1: 1427، ص430.
- 4- آراء خاطئة وروايات باطلة في سير الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام لمؤلفه عبدالعزيز السدحان
- 5- الإصابات في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1415هـ.
- 6- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، المؤلف: نخبة من العلماء، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1421هـ
- 7- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: 1415 هـ - 1995 م.
- 8- الأذكار المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنووط رحمه الله، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، طبعة جديدة منقحة، 1414 هـ - 1994 م

- 9- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ) ، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ.
- 10- بحر العلوم [تفسير السمرقندي]، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ).
- 11- البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أنير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420 هـ.
- 12- البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1997 م ، سنة النشر: 1424هـ / 2003م .
- 13- تاريخ دمشق، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: 571هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة، عام النشر: 1415 هـ - 1995 م .
- 14- التحرير والتتوير «تحرير المعنى السديد وتتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: 1984 هـ.
- 15- التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقام: بيروت، ط: الأولى 1416 هـ.
- 16- تفسير أبي السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت
- 17- التفسيرُ البسيطُ، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ) أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام

- محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: الأولى، 1430 هـ.
- 18- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: 1990 م.
- 19- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية .
- 20- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م.
- 21- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تعليق الأستاذ الدكتور حكمت بشير ياسين، ط. الأولى دار ابن الجوزي 1431هـ.
- 22- تفسير القرآن: المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية ، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1997م.
- 23- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م.
- 24- تفسير الماوردي : النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن الماوردي (المتوفى: 450هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان
- 25- تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365 هـ - 1946 م.

- 26- تفسير سورة الكهف، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1423 هـ
- 27- تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي المعروف بـ «ابن خمير» (المتوفى: 614هـ)، المحقق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر - لبنان، الطبعة: الأولى، 1411هـ - 1990م
- 28- تهذيب الأسماء واللغات، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنبرية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان
- 29- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ)، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.
- 30- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420 هـ - 2000 م.
- 31- جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.
- 32- جامع المسائل - المجموعة الثالثة، المؤلف: شيخ الإسلام ابن تيمية (661 - 728 هـ)، تحقيق: محمد عزيز شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - مكة
- 33- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه [صحيح البخاري]، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422 هـ.

- 34- جامع بيان العلم وفضله، المؤلف: أبو عمر بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1994 م
- 35- الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م.
- 36- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، المؤلف: تقي الدين أبو العباس ابن تيمية (المتوفى: 728هـ)، تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، الناشر: دار العاصمة، السعودية، الطبعة: الثانية، 1419هـ / 1999م
- 37- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: 875هـ)، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - 1418 هـ.
- 38- الحاوي للفتاوي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، عام النشر: 1424 هـ - 2004 م
- 39- الدر المنثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.
- 40- دَرْجُ الدُّرِّ فِي تَفْسِيرِ الْآيِ وَالسُّورِ، المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ)، دراسة وتحقيق: (الفاحة والبقرة) وليد بن أحمد بن صالح الحسين، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، مجلة الحكمة، بريطانيا، ط الأولى، 1429 هـ - 2008 م.
- 41- الرد على المنطقيين، المؤلف: تقي الدين ابن تيمية (المتوفى: 728هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان

- 42- الرسالة القشيرية، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، الناشر: دار المعارف، القاهرة.
- 43- ذو القرنين وسد الصين لمؤلفه: محمد راغب الطباخ بتحقيق مشهور حسن سلمان. دار غراس بالكويت ط. الأولى: 1424هـ.
- 44- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (المتوفى: 1270هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى، 1415 هـ.
- 45- زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ.
- 46- الزهر النضر في حال الخضر، المؤلف: ابن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، المحقق: صلاح مقبول أحمد، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية - جوغابائي نيودلهي - الهند، الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1988م
- 47- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: 1420هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف).
- 48- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1412 هـ / 1992 م .
- 49- سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - محمّد كامل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ
- 50- السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ)، حقه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب

- الأرنأؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001م.
- 51- شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، المؤلف: تقي الدين ابن دقيق العيد (المتوفى: 702هـ)، الناشر: مؤسسة الريان، الطبعة: السادسة 1424 هـ - 2003 م.
- 52- شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: ابن أبي العز الحنفي (المتوفى: 792هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة: العاشرة، 1417هـ - 1997م.
- 53- شرح سنن أبي داود، المؤلف: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان المقدسي الرملي الشافعي (المتوفى: 844 هـ)، تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، الناشر: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، 1437 هـ - 2016 م.
- 54- شرح صحيح البخارى لابن بطلال، المؤلف: ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: 449هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، 1423هـ - 2003م
- 55- الشفا بتعريف حقوق المصطفى - مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: 544هـ)، الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمني (المتوفى: 873هـ)، الناشر: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: 1409 هـ - 1988 م
- 56- صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م
- 57- الصفدية، المؤلف: تقي الدين ابن تيمية (المتوفى : 728هـ)، المحقق : محمد رشاد سالم، الناشر : مكتبة ابن تيمية، مصر الطبعة : الثانية، 1406هـ
- 58- العظمة، المؤلف: أبو الشيخ الأصبهاني (المتوفى: 369هـ)، المحقق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة - الرياض، الطبعة: الأولى، 1408

- 59- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: بدر الدين العيني (المتوفى: 855هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 60- فتاوى ابن الصلاح، المؤلف: عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، ابن الصلاح (المتوفى: 643هـ)، المحقق: د. موفق عبد الله عبد القادر، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، 1407.
- 61- الفتاوى الحديثية، المؤلف: ابن حجر الهيتمي (المتوفى: 974هـ)، الناشر: دار الفكر، بون ذكر تاريخ الطبعة.
- 62- الفتاوى الكبرى لابن تيمية، المؤلف: تقي الدين ابن تيمية (المتوفى: 728هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1987م
- 63- فتاوى نور على الدرب، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: 1420هـ)، جمعها: الدكتور محمد بن سعد الشويعر، قدم لها: عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ.
- 64- فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
- 65- فتح البيان في مقاصد القرآن، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: 1307هـ)، عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، عام النشر: 1412 هـ - 1992 م.
- 66- فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - 1414 هـ .
- 67- الفصل في الملل والأهواء والنحل، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ)، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة.

- 68- القصاص والمذكرين، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، المحقق: د. محمد لطفي الصباغ، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، 1409 هـ - 1988م
- 69- قلائد الجمال في فرائد شعراء هذا الزمان، المشهور بـ «عقود الجمال في شعراء هذا الزمان»، المؤلف: كمال الدين أبو البركات المبارك بن الشعار الموصلي (المتوفى: 654 هـ)، المحقق: كامل سلمان الجبوري، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: الأولى - 2005 م.
- 70- الكامل في ضعفاء الرجال، المؤلف: أبو أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: 365هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، 1418هـ.
- 71- الكتاب المقدس لدى أهل الكتاب ، الطبعة اليسوعية، دار المشرق، بيروت1994م.
- 72- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) ، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ.
- 73- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ) ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان الطبعة : الأولى 1422، هـ - 2002 م.
- 74- الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، المؤلف: أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي المتوفى 893 هـ، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية ، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ،ط: الأولى، 1429 هـ
- 75- لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.
- 76- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.

- 77- لسان الميزان، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، المحقق: دائرة المعارف النظامية - الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، 1390هـ / 1971م.
- 78- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضوية في عقد الفرقة المرضية، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: 1188هـ)، الناشر: مؤسسة الخافقين : دمشق، الطبعة : الثانية - 1402 هـ - 1982 م.
- 79- مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين ابن تيمية (المتوفى: 728هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م.
- 80- مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: 1420هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.
- 81- محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى - 1418 هـ.
- 82- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى - 1422 هـ.
- 83- المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 - 1990
- 84- المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، المؤلف: تقي الدين ابن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم (المتوفى: 1421هـ). الطبعة: الأولى، 1418 هـ

- 85- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، [صحيح مسلم] المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 86- المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضاً ونقداً - صادق سليم صادق، مكتبة الرشد، الرياض، ط. الأولى: 1415هـ.
- 87- معالم التنزيل في تفسير القرآن: تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ)، المحقق: حقه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م.
- 88- معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى 1408 هـ - 1988 م.
- 89- مفاتيح الغيب التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ.
- 90- المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - 1412 هـ.
- 91- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، المؤلف: أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي (578 - 656 هـ)، حقه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، الناشر: (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت)، الطبعة: الأولى، 1417 هـ.
- 92- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (المتوفى: 902هـ)، المحقق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1405 هـ - 1985 م.

- 93- المنار المنيف في الصحيح والضعيف، المؤلف: ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) - المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة: الأولى، 1390هـ/1970م.
- 94- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، 1392.
- 95- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، لمؤلفه: د. عثمان علي حسن. ط. الخامسة مكتبة الرشد عام 1427هـ.
- 96- المؤلف والمختلف، المؤلف: أبو الحسن الدارقطني (المتوفى: 385هـ)، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1406هـ - 1986م
- 97- موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، المؤلف: أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، الناشر: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة - المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 1999م
- 98- موسوعة العلامة محمد ناصر الدين الألباني «موسوعة تحتوي على أكثر من (50) عملاً ودراسة حول العلامة الألباني وتراثه، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: 1420هـ)، صنعة: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، الناشر: مركز نعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء - اليمن، الطبعة: الأولى، 1431هـ - 2010م.
- 99- الموضوعات، المؤلف: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ج 1، 2: 1386هـ - 1966م ج 3: 1388هـ - 1968م.
- 100- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1382هـ - 1963م .

- 101- النبوات المؤلف: تقي الدين أبو العباس ابن تيمية (المتوفى: 728هـ) ، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان ، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1420هـ/2000م
- 102- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم، المؤلف : عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر : دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة : الرابعة
- 103- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ) ، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة
- 104- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو الحسن الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية- دمشق، بيروت الطبعة: الأولى، 1415 هـ.
- 105- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1994 م.



جامعة الناصر

AL-NASSER UNIVERSITY

الإشارات التاريخية في شعر محمد إقبال دراسة في ضوء الخلفية والمضمون

د. جميلة هادي ناصر الرجوي

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر - المساعد - كلية التربية - جامعة صنعاء

Dr.alragawi@gmail.com

الملخص

يحظى شاعر الإسلام إقبال بمكانة كبيرة في قلب وعقل كل عربي ومسلم، لما قدمه من خدمة جليلة في الارتقاء بالأدب الإسلامي إلى مكانة رفيعة بين آداب الأمم، وما زرعه في النفوس من أمل وهمة وتعظيم للحياة وللإنسان والحياة الإنسانية بشكل عام، ولمكانته كشاعر له عقيدة ودعوة ورسالة، ولما تركه من آثار مزرعة بدماء قلبه ويضوع منها عطر وجدانه وروحه. وسوف أشير في هذا البحث إلى بعض الحقائق التاريخية التي وردت في شعر إقبال، وأحاول أن نستوعب تلك الأفكار والآراء التي قدمها، موضحة خلفياتها التاريخية والأجواء التي أنشئت فيها، والظروف التي دفعت إليها. مع الحرص على تقصي أهمها وأكثرها انتشاراً في شعره، كنموذج لاهتمامه بالتاريخ والقضايا التاريخية بشكل عام وارتباطها بتاريخ الأمة العربية والإسلامية بشكل خاص. ولو أردنا استيفاء تلك المضامين التاريخية وخلفياتها وظروف نشأتها، لأحتاج الأمر منا سعة في الوقت والجهد لإعطاء صورة واضحة عن هذا الجانب التاريخي المهم في فلسفة إقبال وشعره وسوف يتضح لنا من خلال النطاق لبعض نصوص "محمد إقبال" المترجمة شعراً ونثراً، القيمة التاريخية التي عكست موسوعية الشاعر والفيلسوف، واهتمامه الكبير بقضايا أمته التي ينتمي إليها وتغنيه بأمجاد العرب والمسلمين والدعوة لإحيائها، وتأكيد على أن العقل العربي هو الأقدر على فهم الإسلام فهماً صحيحاً، والأجدر على حمل أمانته. وقد عني الشاعر عناية عظيمة بالغوص في بحر القرآن وتدبر معانيه، وهو الأمر الذي انتفع به الشاعر انتفاعاً عظيماً عصمه من التيه الفكري والهييام الأدبي المتمحور حول الذات وحب الملذات، كما هو حال الكثيرين من أدباء وشعراء الأمة. كما حماه هذا التدبر أيضاً من الانجراف مع التيار العقلي الأوربي الذي كان سائداً في عصره، والذي يأخذ المرء بعيداً عن المعاني الروحية والمبادئ الخلقية، ولذا نراه يشتد في نقد الحضارة الغربية المادية ويرى في الإسلام وحضارته السعادة الحقيقية.

2

Historical Allusions in Mohammed Iqbal's Poetry: A Study of Background and Content

Dr. Jameelah Hadi Nasser Errajawi
Assistant Professor of Contemporary History,
Faculty of Education, Sana'a University

Search Summary:

The Muslim poet Iqbal has a great place in the heart and mind of every Arab and Muslim, for his great services in elevating Islamic literature to a high position among the etiquette of the nations, and for spreading hope, inspiration and the appreciation of life, human and humanity in general, and for his position as a poet with a doctrine and a message, and for his great effects in poetry, literature, philosophy and history.

In this research, I referred to some historical facts in Iqbal's poetry. I tried to understand these ideas and insights, explaining their historical backgrounds, the atmosphere in which they were brought up, and the circumstances that led them to happen. With carefully trying to focus on the most important and most widespread in his poetry, as a model of his interest in history and historical issues in general and its association with the history of the Arab and Islamic nations in particular.

It is clear to us through the cruise of some of the translated poetry and prose of "Muhammad Iqbal", the historical value that reflected the Encyclopedic poet and philosopher, and his great interest in the issues of his nation to which he belongs and to enrich the glories of Arabs and Muslims and call to revive it, and his assertion that the Arab mind is the best to understand Islam correctly, And the most qualified to carry its legacy. The poet has devoted great attention to diving in Qur'an and its meanings. This is what the poet has benefited greatly from and prevented him from an intellectual loss and literary delights centered on self and love of pleasures, as it is with many writers and poets of the nation. It also

protected him from drifting with the European mentality that prevailed in his time, which takes one away from the spiritual meanings and moral principles, and therefore we see him strongly criticized material Western civilization and find in Islam and its civilization real happiness.

The Muslim audience have learned the obvious difference between European and American civilization, which is devoid of any sense of faith or spirit, and the Muslim civilization that brought together religion and Politics, and between the spiritual aspect that man needs every day, and the material aspect that the earth needs in order to be reconstructed which was referred to by the Koran.

Muhammad Iqbal was proud in many of his poetry of the glories of the Arabs and bewail them at the same time. An example of his sorrow was when he visited Cordoba and stood in front of the mosque he did not find the Muslims, instead he found the mosque turned into bars of wine. He remembered the lost paradise (Andalusia) and the prayers of Tariq and the nostalgia left in the heart and soul of the poet for those glorious and old days.

At the end of the research, I mentioned that the literature of Muhammad Iqbal - may God have mercy on him - is one of the bases formed on the foundations of Islamic literature, and contained in its content the natural sciences and human experiences, which moved him from the local framework to the international, which is a property that influenced his ideas and poetry.

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71) { سورة الأحزاب.**

فإن شاعر الإسلام محمد إقبال يحظى بمكانة كبيرة في قلب وعقل كل عربي ومسلم، لما قدمه من خدمة جليلة في الارتقاء بالأدب الإسلامي إلى مكانة رفيعة بين آداب الأمم، وما زرعه في النفوس من أمل وهمة وتعظيم لحياة المسلم والحياة الإنسانية بشكل عام، ولمكانته كشاعر له عقيدة ودعوة ورسالة. ولما تركه من آثار مزرجة بدماء قلبه ويضوع منها عطر وجدانه وروحه.

ويقوم بحثي على دراسة أهم الحقائق التاريخية التي وردت في شعر إقبال، واستيعاب تلك الأفكار والآراء التي قدمها، موضحا خلفياتها التاريخية والأجواء التي أنشئت فيها، والظروف التي دفعت إليها. استقراءً وتتبعاً لأهمها وأكثرها انتشاراً في شعره، كنموذج لاهتمامه بالتاريخ والقضايا التاريخية بشكل عام، وارتباطها بتاريخ الأمة العربية والإسلامية بشكل خاص. وإدراكاً من الباحث بأهمية الموضوع، اخترنا الكتابة فيه، ودراسته في ضوء الخلفية والمضمون، والذي وسمناه بعنوان (الإشارات التاريخية في شعر محمد إقبال دراسة في ضوء الخلفية والمضمون). والله أسأله التوفيق والرضا،

أهمية البحث وأسباب اختياره: إن أهمية البحث ودوافعه تتمثل في النقاط الآتية:

- 1- بيان الحقائق التاريخية التي ذكرت في شعر محمد إقبال.
- 2- المساهمة في إيضاح الأفكار والآراء للخلفية التاريخية المتمثلة في شعر محمد إقبال، واهتمامه بالتاريخ الإنساني رغم أن التاريخ لم يكن تخصصه ولا محور دراساته .
- 3- السعي إلى كشف النصوص التي تضمنت الإشارات التاريخية من حيث الخلفية والمضمون، ودراستها دراسة تحليلية وصفية.

الدراسات السابقة: رغم أن شعر محمد إقبال قد دُرِسَ من جميع جوانبه باستفاضة، إلى أن الجانب التاريخي لم نجد له أي دراسة أو بحث كبقية الجوانب الأخرى الأدبية والفلسفية وقامت الباحثة بالتتبع والاستقراء في المكتبات العامة والخاصة، والشبكات المعلوماتية، فلم تجد بحثاً مثيلاً لهذا العنوان، إلا بعض مقالات يسيرة وغير مباشرة لم تف بالموضوع، فكان مما دفعنا للكتابة فيه.

منهج البحث: إن المنهج الذي ارتأته الباحثة محققاً لأهداف البحث ومؤدياً إلى الثمرة المرجوة، هو المنهج الاستقرائي القائم على التحليل والوصف لدراسة الإشارات التاريخية في شعر محمد إقبال.

خطة البحث: اشتملت خطة البحث على مقدمة وتمهيد وسبعة مباحث:

المبحث الأول: (الصراع بين الدين والسياسة).

المبحث الثاني: (شهوة الحكم ونشوة القوة).

المبحث الثالث: (فشل المؤسسات العالمية).

المبحث الرابع: (مصير الأمم وعاقبتها).

المبحث الخامس: (تذكر أمجاد العرب والمسلمين).

المبحث السادس: (نقد محمد إقبال لتبعية المسلمين للغرب).

المبحث السابع: (مسائل أخرى متفرقة في شعر محمد إقبال).

تمهيد:

لم يكن الشاعر والفيلسوف "محمد إقبال" مختصاً في مادة التاريخ ولا محور دراساته، إلا أنه اعتنى بموضوعاته عناية لائقة شأن كل باحث يهمله مصير الإنسان ونهضة الإنسانية وانحطاطها، والقضايا البشرية وتقلباتها. ضف إلى ذلك، أن الفلسفة تثير في الإنسان تطلعاً قوياً إلى الحقيقة المجهولة، وتحديث فيه ملكة خاصة في ربط الوحدات الضائعة والأجزاء المتناثرة، والتوصل من المقدمات إلى النتائج، ومن الجزئيات إلى الكليات، والانتقال من الحوادث الظاهرة والتغييرات العابرة والأحداث الطارئة، إلى كُنْه الحوادث وأعماقها؛ لذلك نجد إقبالاً يتوصل بدراسته العامة للتاريخ إلى نتائج وحقائق قد لا يصل إليها أولئك الباحثون والعلماء والمؤرخون التقليديون، وقد دله الوصول إلى تلك الحقائق

والنتائج العميقة فهمه العميق للقرآن، ودراسته المخلصة والمتواصلة لهذا الكتاب المعجز، الذي يحتوي على حقائق أساسية ومبادئ واضحة، تتوقف عليها سعادة الأجيال البشرية وشقاؤها، ورفيها وزوالها، والذي يكشف الستار عن الحوادث التي ستواجهها الإنسانية في المستقبل، وأسباب شقاء الأمم وهلاكها وازدهارها، كشفاً تتحير له الألباب، ويقف عنده العقل عاجزاً مشلولاً لا يجد له التأويل (1).

كما إن دراسة شعر إقبال تمدنا بمعلومات وحقائق جديدة، إذا ما تم تفحصها في إشارته ودراساته التاريخية، حيث رأينا إلى أي مدى تستطيع هذه الومضات التاريخية في شعره الحي، أن تسعف رواد مناهل العلم والبحث الذين يريدون الاستفادة من التجارب الحضارية، وإنه ليس أقل من اكتشاف إذا قلنا أن شعره يتضمن بعض إشارات تاريخية دقيقة تتكون منها مؤلفات كاملة إذا تم شرحها شرحاً وافياً، لما جمع في بعض أبياته ومقطوعاته أحياناً وفي بيت واحد بعض الحين، عصاره دراسات عميقة ومحصول تأملات طويلة، ولباب مكتبات كاملة تكونت في التاريخ وفلسفة التاريخ، وهذا ما نجد، التقى إيجازه بالإعجاز، يظهر إذا شُرح شعره في نثر وسوق له شواهد تاريخية ودلائل -وهي كثيرة- أن يأتي رائعا إذا أخذ كما هو الحال في شعره الحلو وبيانه الجميل، وكلامه الجدل، ولا يعرف قدر قيمة هذه الإشارات العلمية والتاريخية وصدق نتائجها وعواقبها التي جاءت في شعره تقديراً صحيحاً دقيقاً إلا من كان له إطلاع واسع عميق على التاريخ الإنساني والتاريخ الإسلامي، وعلى علوم القرآن، وخبرة دقيقة في دراسة الأديان، وتاريخ القرون الوسطى التي يسميها المؤرخون الغربيون "بالقرون المظلمة (dark ages)(2) .

وقد لا يمكننا أن ندرك قيمة الحقائق التاريخية التي وردت في شعر إقبال، وأن نستوعب تلك الأفكار والآراء التي قدمها، إلا إذا اطلعنا على خلفياتها التاريخية والمجتمع التي تدور حوله هذه الأبيات. وهي من الكثرة بمكان مما دفعنا إلى أن نتحدث عنها في بحثنا، وأن عند أهمها وأكثرها انتشاراً في شعره، كنموذج لاهتمامه بالتاريخ والقضايا التاريخية للأمة، ولذا توصلنا إلى وضع عنوان للفكرة التي يدور

(1) محمد إقبال (ديوان الأعمال الكاملة، سيد عبد الماجد الغوري، ط3، دار بن كثير، بيروت، 2007م، ص: 43، 44.

(2) ديوان إقبال، الغوري، مرجع سابق، ص: 44، 45.

حولها النص، من باب التيسير وترتيب الأفكار. واستعراض الأجواء التي أنشدت فيها، والظروف التي دفعت إليها .

المبحث الأول

الصراع بين الدين والسياسة

لقد وزعت الديانات القديمة - خاصة المسيحية - الحياة الإنسانية إلى قسمين، قسم للعالمية وقسم للدين، ووزعت الكوكب الأرضي في معسكرين، معسكر رجال الدين ومعسكر رجال الدنيا، وما كان هذان المعسكران منفصلين فحسب، بل حال بينهما خليج كبير أو وقف دونهما حاجز سميك، وظلا متشاكسين متحاربين، وكانا يعتقدان أن هناك خصومة بين الدين والدنيا، فإذا أراد إنسان أن يتصل بأحدهما فعليه أن يقطع صلته بالآخر، ويعلن الحرب عليه، فلا يمكن له - على حد قولهم - أن يركب سفينتين في وقت واحد، وأنه لا سبيل إلى الكفاح الاقتصادي ورخائه والتقدم العلمي ونمائه من غير غفلة عن الدار الآخرة، وإعراض عن فاطر السموات والأرض، ولا بقاء لحكم أو سلطة من غير إهمال التعاليم الدينية والخلقية والتجرد عن خشية الله، ولا إمكان للتدين من غير الرهبانية وقطع الصلة عن الدنيا وما فيها (1).

وقد وجدت هذه القناعة لدى المجتمعات في العصور الوسطى إبان الصراع الذي أخذ يتصاعد بين الكنيسة ورجال الحكم والسياسة، وبينها وبين العلماء الذين أخذت تضطهدهم بطريقة وحشية وغير إنسانية، وهي ذات الفترة التي ظهر فيها المصلح الديني الألماني الشهير "مارتن لوثر" (1483م - 1546م)، والذي قاد ثورة الإصلاح الديني في أوروبا بعد استبداد الكنيسة، وتمتعها بصلاحيات وسلطات واسعة، تقوم على أن الكنيسة ممثلةً بشخص (البابا) إنما هي خليفة الرسول "بطرس" ووريثة صلاحياته، وأن هذه السلطة المتوارثة منصوصٌ عليها في الكتاب المقدس". وقد أثبت (لوثر) أفكاره ومعتقداته التي آمن بها في بيان يعلن عن التصرفات الخاطئة في العالم الكنسي، وخطايا الفاتيكان بمختلف القضايا التي

(1) نفسه، ص 45، 46.

يعيشها الناس وعرفت بعد ذلك باسم "وثائق التخلص من الخطايا" عام (1517م). يقول (مارتن لوثر): "أنت لا تستطيع أن تقبل كلاً من الإجيل والعقل فأحدهما يجب أن يفسح الطريق للآخر"⁽¹⁾.

وقد ترتبت على حرب الكنيسة ضد العلم والعلماء وضد العقل والعقلاء، إلى أن توجه العالم المسيحي بشكل عام إلى الإلحاد والتخلي عن العقائد الموروثة التي تتناقض في مجملها مع منطق العقل، وأبسط مراتب البحث والتفكير العلمي، ولم تشق "أوروبا" طريقها نحو العلم والنهضة الصناعية والعلمية والعمرائية إلا بعد أن أزاحت الكنيسة عن حياتها، وأبعدتها عن التدخل في شؤون الحياة العامة والخاصة للمجتمعات والدول، فتحوّلت "أوروبا" خلال سنوات معدودة من عصر الظلمات إلى عصر العلم والتنوير⁽²⁾.

وهنا تطالعنا رؤية إقبال لهذه المتغيرات السياسية في قصيدته التي بعنوان (الدين والسياسة)، فهو يرى أنها جاءت نتيجة كبت رجال الدين للغرائز الطبيعية في الإنسان، وأن تصاعد الصراع بين المعسكرين، أدى إلى أن عدداً كبيراً من أصحاب الفطنة والذكاء والكفاءات العلمية آثروا الدنيا على دينهم، ورضوا بها كحاجة اجتماعية وواقع حي، واطمأنوا إليها، وعكفوا على تحسين حياتهم والرضوخ لملذاتهم، وفقدوا الأمل في الدين. ومما زاد الطين بلة دعاة المسيحية المتطرفون والمفرطون، الذين كانوا يعتبرون الفطرة البشرية أكبر عائق في التزكية الروحية والاتصال بالسماء، والذين لم يدخروا وسعاً في إذلالها وتعذيبها بأنواع من الأحكام الفاسية والتعاليم الجائرة، وقدموا صورة وحشية انعكست سلباً على الدين، ودفعت الكثيرين إلى هجر الدين والإقبال على عبادة النفس والهوى، وأصبحت الدنيا تتأرجح بين طرفي نقيض، ثم آلت إلى السقوط أخيراً في هوة عميقة من الفوضى الخلقية العامة.

وأكثر الذين هجروا الدين، كان هجرهم له على أساس هذا التناقض الذي حسبه حقيقة بديهية مسلم بها، هذا الانفصال بين الدين والدنيا، وذلك العناد بين رجال الدين ورجال الدنيا، لم يضع حداً على الدين والأخلاق ولم يحرمه من بركات السماء والأرض فحسب، بل فتح الباب على مصراعيه للإلحاد

(4) ول ديورانت ، (قصة الحضارة) ، الجزء (14)، ترجمة: زكي نجيب محفوظ، تقديم: محيي الدين صابر، ص 35.

(5) ولي شيرين، تاريخ أوروبا السياسي والثقافي، ترجمة: د. نزار نبيل أبو منشار، ص: 52.

واللادينية وكانت فريسته الغرب أولاً، والأمم التي دانت لها في الفكر والعلم والثقافة أو عاشت تحت رايته ثانياً⁽¹⁾.

ومن المعلوم أن الإنسان محب لليسر ومحبول عليه، وكل فكرة عن الدين لا تسمح بالاستمتاع المباح لا تصلح في الغالب للنوع البشري، ولذلك حظ نبي الرحمة على التيسير والتجرد من الاستعلاء والحكم بالقوة، عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : ((يسرّوا ولا تعسّروا، ويسرّوا ولا تنفّروا))؛ متفق عليه. أي اسلكوا ما فيه اليسر والسهولة؛ سواء كان فيما يتعلق بأعمالكم، أو معاملاتكم مع غيركم؛ ولهذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - من هديه أنه ما خيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً، كان أبعد الناس عنه. وأعظم هدية للبعثة المحمدية ومنتهى العظمة ونداؤها التي دوت به الآفاق، أن أساس الأعمال والأخلاق هو الهدف الذي ينشده المرء الذي عبر عنه الهدي النبوي بلفظ مفرد بسيط، ولكنه واسع عميق وهو "النية"، والتي تعني أن المسلم لا يؤمن بأن هذا مجرد دنيا، وذلك مجرد دين، إنه يعتقد أن كل عمل يقوم به الإنسان ابتغاء مرضاة الله، وبدافع الإخلاص وامتنال أمره وطاعته، هو وسيلة للتقرب إلى الله والوصول إلى أعلى درجات الإيمان ومراتب اليقين⁽²⁾.

ومن مآثر الرسول صلى الله عليه وسلم ومنتهى العظمة الخالدة على الإنسانية، أنه ملأ هذه الفجوة الواسعة بين الدين والدنيا، وجعل هذين المتناقضين المتباعدين اللذين عاشا في خصام دائم وعداء سافر وحقد مستمر، يتعانقان في إلف وود، ويتعايشان في سلام ووثام، إنه صلى الله عليه وسلم رسول الوحدة، وبشير ونذير في الوقت ذاته، هو من أخذ النوع البشري من المعسكرين المتحاربين إلى جبهة موحدة من الإيمان والاحتساب، والعطف على البشرية وابتغاء مرضات الله، إن حياة المؤمنين ليست مجموعة وحدات متفرقة متضادة، فالعبودية والعبادة وحدة شاملة وصورة جامعة، وترى في هذه الحياة رجال في زي أمراء، ومعيشة أصحاب الجاه والثراء، وهم في الوقت ذاته من العباد والزهاد الذين جمعوا بين

(6) ديوان إقبال، مرجع سابق، ص 46، 47.

(7) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، الجزء الأول، كتاب الإيمان، مؤسسة المختار، القاهرة، 2004م، ص

السيف والمصحف، عباد ليل وأحلاس خيل، من غير أن يروا في ذلك تناقضا، ومن غير أن يجدوا فيه مشقة وحرجا. وقد أكد هذه المعاني القرآن الكريم في قوله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}. الأنعام آية (162).

ومن هنا تتجلى فإسالة إقبال التاريخية، وتبرز الحكمة القرآنية، يقول في ديوانه (أسرار خودي): "إن هذا الكتاب الخالد، حكيمته غارقة في الأزل سارية للأبد، إنه يفشي أسرار تكوين الحياة، ويثبت الضعيف الذي تزلزلت أقدامه بالقول الثابت".

وفي مقطوعته التي تحت عنوان "الدين والسياسة" حين نتأمل فيها، نلحظ كيف قيد هذا التاريخ الحافل بالإسلام والمسيحية والقرون الوسطى والعصر الحديث، وتعاليم هاتين الديانتين، ووضع كل هذه الحقائق والمعلومات والمعارف في إطار صغير أو زجاجة رانقة من أبيات تترامي لنا بحلاوتها وسهولتها وعذوبة جرسها، إلى جانب طابعها العلمي الرزين وجلالها الفني البديع يقول: "قامت الكنيسة على أساس الرهبانية فلما تسعها - بالطبع - القيادة والسياسة والحكم والإدارة وقد كان هناك عداء قديم بين الرهبانية والحكم هذا خضوع واستسلام وذاك استعلاء كامل واستيلاء، حتى خلصت السياسة نفسها أخيرا من الدين ومرقت منه كما يمرق السهم من الرمية، وأصبح رجال الكهنوت مكتوفي الأيدي أمام هذا الوضع لا يقدرين على شيء، فلما انفصل الدين عن الدولة جاءت الشهوة وشاع الهوى، وساد قانون الغاب، هذا الانفصال شؤم على الدولة والدين، وهو لا يدل إلا على ضعف بصر هذه الحضارة وفساد ذوقها.

ولكنه إعجاز رجل من رجال البداية، الذي كان بشيرا ونذيرا بذات الوقت، يتجلى في بشارته الإذار وفي إنذاره البشارة. ولا حفاظ للإنسانية من أخطارها ولا سبيل إلى نهضتها إلا بأن يسير الزهاد والعباد مع الراكبين على صهوات الخيل ومتون الجياد" (*).

(* من ديوانه (جناح جبريل). الأعمال الكاملة، الغوري، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: 403.

المبحث الثاني

شهوة الحكم ونشوة القوة

يشهد التاريخ الإنساني الطويل الذي أثنى بالجراح، وطفح كأسه بالدماء والدموع جراء معارك ضارية، ومغامرات أفراد وجماعات وشعوب، بأن شهوة الحكم ونشوة القوة قد أضرا بالنوع البشري، وجلبا له الشقاء، حيث يسيطر الشعور بالنفوق والعظمة على فرد أو جماعة، ويحس بأنه ليس على وجه الأرض من هو أقوى منه، وأنه سيل جارف لا يمنعه شيء، وقضاء الله المحكم الذي لا راد له، والحقيقة الباقية والشريعة السائدة هي القوة، أما الإنسانية والعدالة الاجتماعية والأخلاق والضمير، والحسن والقبح والطيب والخبيث، فهي كلمات فارغة لا تحمل معنى، بل منطق انهزامي يختص به أولئك العبيد والضعفاء والمساكين، والأمم المستضعفة التي لا تملك حولاً ولا طولاً.

وإن هذا السيل الجارف يأتي بين عشية وضحاها على سائر الجهود المعمارية والإنشائية والإنمائية، وكنوز الآباء والأجداد، وذخائر العلم والأدب، وعلى كل ما بناه الأوتل، بل يقطع الأمل في بناء الإنسانية، ونهضتها وصحتها من جديد إلى قرون طويلة، وقد صور القرآن ببلاغته المعجزة هذا التغيير الهائل على لسان ملكة سبأ قائلاً: **قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا أُدْءَةً وَكَذَءِكَ يَفْعَلُونَ** { النمل آية (34)}. كما أن التاريخ الإنساني زاخر بهذه النماذج البشرية التي تمثل هذا الشيء وهذه العقلية، وذلك كالروم والفرس الذي نشأ فيهم هذا السكر بالقوة والشعور بالنفوق على غيرهم، وتملكتهم رغبة عنيفة في القتل والتدمير والإبادة، وإذلال الكرامة الإنسانية تجلت في حروبهم ومعاركهم التي تعكس عبادة القوة وقهر النفوس، يقول الدكتور (دابري) في كتابه "الصراع بين الدين والعلم" لما بلغت الدولة الرومية من القوة الحربية والنفوذ السياسي أوجها، ووصلت في الحضارة إلى أقصى الدرجات، هبطت في فساد الأخلاق وفي الاحتطاط في الدين والتهذيب إلى أسفل الدرجات" (1) كذلك غزو التتار للعالم الإسلامي في القرن السادس الهجري الذي خلف مأساة إنسانية مروعة، حين تدفقت جحافل التتار كالسيل العرم وكالجراد المنتشر، تدمر البلاد العامرة والمدن الزاهرة والأقاليم الخصبة، وجعلها خراباً يباباً، وقاعاً صفصفاً، كما تأخر التقدم العلمي والمدني مسيرته

(8) ديوان إقبال، مرجع سابق، ص 52، 53.

الحضارية لعدة قرون، وغشيت سماء العالم الإسلامي الذي حمل لواء الدين والأخلاق والعلم والحكمة في هذه الحقبة من الزمن سحب داكنة قائمة من الجذب العلمي والإعلاء الفكري والعقلي، حتى سدت بعض الأوساط العلمية أبواب الاجتهاد ومنافذه، وابتغت العافية في التقليد والنقل، وتطبيق الفعل بالفعل⁽¹⁾.

أما قيصر والإسكندر وجنكيز وهولاكو وتيمور لنك، لم يكونوا إلا مرضى هذا الداء العضال، داء السكر بالقوة المادية، ونشوة الحكم والشعور بالتفوق والعظمة، الذي دفعهم للعبث بالنفوس والأرواح، وتدمير أسوار الإنسانية مرة تلو أخرى، نجد ذلك مسطرا في ملاحظهم وغزواتهم التي تأمل فيها الشاعر إقبال ثم قدم لها عصاره دراسات طويلة ودون فيها آلافاً من الصفحات في هذه الأبيات القليلة يقول: " انظر كيف مزق جنكيز وإسكندر رداء الإنسانية، وهتكا ستار الحشمة ولباس الكرامة، ففضحا الإنسان مرارا وتكرارا .

بل إن تاريخ الأمم يشهد منذ الأزل أن سكر القوة ونشوة الحكم خطر في خطر، ومصيبة على مصيبة، إنه سيل جارف يكتسح العقل والفكر والعلم والمعرفة والفن والصناعة كحشائش ونباتات حقيرة، يجعلها هباء منثوراً"^(*).

المبحث الثالث

فشل المؤسسات العالمية

يرى كثير من رجال الفكر في الشرق أن أوربة (بمعسكرها الشرقي والغربي) وأمريكا أصابتها هذا الداء القديم، فهم يعتبرون أنفسهم أوصياء على الشعوب والأمم والحاكمين على مصائرهم، وهم يقيسون كل شيء بميزان القوة أو الربح والخسارة، ولا يرضون بقيادة صالحة أمينة في أي بقعة من بقاع العالم، ويحاولون اجتثاثها حالاً إذا نشأت، وهو منطق نفعي مجرد عن الحق والنزاهة، ولا يسمح للقيادة الغربية معه أن تفكر في أي قضية بحياد تام، ورغبة مخلصه في التوصل إلى كنه الأمر،

(9) عماد الدين إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، الجزء الثالث عشر، دار بن الهيثم، القاهرة، 2006م، ص 125.

(*) وهذا هو سبب انصراف العلماء من الاجتهاد إلى التقليد عند إقبال.

وإيجاد حلها العادل، بل على العكس من ذلك تقف مع الظالم القوي في وجه المظلوم الضعيف الذي له الحق، ولذلك خابت المؤسسات العالمية والمنظمات الدولية مثل (جمعية الأمم المتحدة، ومجلس الأمن) في تحقيق مقاصدها، وصارت لا تمنع صداماً ولا تلم شعناً ولا تحقق أملاً، ولا تقدر على إسعاف الإنسانية، والأخذ بيدها خالصة مجردة من الأغراض المادية. إلا أنه قد زال بفقدان هذا العنصر الهام والعامل الأكبر - الإخلاص والحياد - تأثير معونات الغرب السخية في المشاريع العمرانية والغذائية في الشرق، ولم تكسب احترامه مقابل هذه المساعدات السخية والدعم القوي⁽¹⁾.

وعلى عهد "محمد إقبال" وجدت "عصبة الأمم" والذي تبنى فكرتها الرئيس الأمريكي "ولسون" عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى على أساس المبادئ الأربعة عشر للسلام، وحدد الغرض منها توفير ضمانات متبادلة للاستقلال السياسي واحترام وحدة تراب الأمم الكبيرة والصغيرة على حد سواء، إلا أن العصبة أثبتت فشلها في مواجهة القوى الفاشية في العالم، ومنعها وقوع الحرب، مما تطلب استبدالها بهيئة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، التي لم تكن أحسن حالا من سابقتها، فرغم أن الهدف المعلن من إنشائها هو الاهتمام بقضايا الدول المستقلة بعد الدمار الكبير الذي حدث على أثر الحرب العالمية الثانية، وبعد الفشل الكبير الذي حققته عصبة الأمم في تحقيق أهدافها على مدار عشرين عاماً في حفظ السلام والأمن العالمي. إلا أن سيطرة الدول الكبرى الأعضاء على القرار السياسي، والظلم الناتج عن مثل هذه الهيمنة يبنى بفشلها وسقوطها من جديد⁽²⁾.

وهذا ما تنبأ به شاعرنا وعبر عنه في النص الآتي: يقول إقبال: "مِسْكِينَةٌ مِنْذُ زَمَانٍ تَحْتَضِرُ/ لَا فَاهَ مِقُولِي بِسَيِّءِ الْخَبْرِ/ وَمَوْتَهَا مُحْتَمٌّ لَكِنَّمَا/ يَدْعُو الْفُسُوسُ أَنْ يَزُولَ ذَا الْخَطَرِ/ عَجُوزٌ أَوْرَبَةٌ يَجُوزُ عَيْشُهَا/ عَلَى رُقَى أَبْلِيَسَ أَيَّاماً أُخْرَ"^(*).

(10) ديوان إقبال، مرجع سابق، ص 55.

(11) تشالرز آر. بيتر، فكرة حقوق الإنسان، ترجمة: شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون

والآداب، الكويت، 2015م، وكذلك، وموسوعة المعرفة على الإنترنت.

(*) من ديوان (ضرب كلیم)، الغوري، الجزء 2، مرجع سابق، ص: 17.

أما إذا اقترنت هذه القوة بغاية نبيلة سامية، وصارت تحت توجيه قيادة راشد، واستخدمت وسيلة لا غاية، فإنها تتحول من نقمة إلى نعمة ومن موت إلى حياة، وتصبح أداة بناء لا معول هدم يستجد بها في إغاثة الملهوف، ونصرة المظلوم، وتحرير الإنسان من سلاسل العبودية، ورد اعتبار الإنسانية وكرامتها ومكانتها اللاتقة بها في هذه الأرض، هنالك يفتح عهد سعيد، ويبني هذا العالم المنهار المتداعي من جديد. يقول إقبال: " إذا تخلت السياسة عن الدين صارت سما ناقعا، وإذا كانت في خدمته صارت ترياقا واقيا".

ويعتقد إقبال أن أروع نموذج وأجمل مثال لهذه القوة الممتزجة بالغايات النبيلة والمقاصد الصالحة، هي الفتوح المباركة والمغامرات التي قام بها العرب الأوائل، الذين حملوا رسالة الإسلام، وانطلقوا بها في الآفاق مبشرين، والذين استعملوا القوة استعمالاً صحيحاً لائقاً، وهو ما عبّر عنه لسان سفيرهم حين قال: أتينا لإخراج العباد من عبادة الناس إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

وفي الأبيات الآتية يشيد إقبال بالأمة العربية، ويشرح دورها القيادي البناء في تاريخ الشعوب والأمم والحضارات والمدنيات، ويشيد بالعقيدة والإيمان والرسالة التي كانت مصدر هذا الانقلاب، ومنيع التحول العظيم في سير الإنسانية واتجاهها " اكتست صحراء العرب في ظل هذا النبي الأمي حلة أنيقة، وأنبتت زهرة يانعة، إن عاطفة الحرية نشأت في ظل هذا النبي بل ترعرعت ونمت في حجره، وهكذا كان يوم هذا العالم المعاصر مدينا لأسمه. لقد وضع قلبا نابضا خفاقا في جسد الإنسان البارد، وأزاح الستار عن طلعه الجميلة الوضاءة، هزم كل طاغوت وحطم كل صنم، وأورق به كل غصن يابس وأزهر وأثمر، إنه روح معركة بدر وحنين، وإنه مربي الصديق والفاروق والحسين. أذان صلاة الحرب وجرس سورة الصافات غيض من فيضه، جعل سيف صلاح الدين البتار ، ونظرة بايزيد النافذة مفتاح كنوز الدنيا والآخرة. جرعة من كأسه أروت العقل والقلب، والتقى بها روح الرومي بفكر الرازي، واجتمع بها العلم والحكمة والدين والشرع والإدارة والحكم، مع قلوب أواهة مخبئة منيئة في الصدور.

إن جمال قصر الحمراء، والتاج الذي نال خراج الملائكة وإعجاب القديسين، هو نفحة من نفحاته، ولمحة قصيرة من لمحاته، وممضة من أنواره وبركاته. ظاهره تلك التجليات والنفحات، وباطنه در

مكونون لم يطلع عليه العارفون، ولم يصل إلى كنهه السالكون. فلا ريب أن يستحق ثناء الجميع وشكرهم وحمدهم، لأنه أسبغ نعمة الإيمان على هذه الحفنة من التراب" (*).

المبحث الرابع

مصير الأمم وعاقبتها

من المفارقات العجيبة في هذا الكون أن الأشخاص الذين أنشأوا إمبراطوريات عظمى، ودخلت بهم الأمم المستضعفة المهانة في دور النهضة والرقي والنجاح والازدهار، كانوا متقشفين صابرين مغامرين، زاهدين في الدنيا وزهرتها، بعيدين عن التمتع والعيش الرغيد، ولكنهم نجحوا بفضل طموحهم وعلو همتهم وجهادهم واجتهادهم، في تأسيس تلك الحكومات التي ثبتت كالجبال الراسيات لقرون طويلة، ولكن توفر وسائل الرخاء والبيئة الفاسدة، ووجود طبقة من المتزلفين وهواة المناصب، أثر في أخلاقهم وأعقابهم بصورة تدريجية أفشلت قواهم، وأخذوا إلى الأرض وتمرغوا في النعيم والترف، وارتكز ذكاؤهم ونبوغهم وإبداعهم على التنافس في الطرب والمجون، والاستمتاع بلذات الدنيا ومباهجها. والأمثلة من التاريخ العربي والإسلامي كثيرة، نكتفي بمثالين ونموذجين من هذه الأمة التي سبقت قريناتها في حمل لواء التعاليم الخلقية في هذا العالم، وهي أمة النبي الذي عانق الزهد والقناعة، وربط الأحجار على بطنه، واهتم بمراقبة النفس والعطف على الخلق.

ومن المعروف لدى الجميع أن العرب حين خرجوا من حدود الجزيرة العربية لنشر رسالة الإسلام في العالم، كانوا فقراء وغرباء عن حواشي الحضارة ومستلزماتاتها، وكانت حياتهم حياة فتوة وشكيمة وصبر وزهد وشطف، ولكنهم بفضل القوة الذاتية في الإسلام، نجحوا في إنشاء دول عظيمة مرهوبة الجانب، مثل الدولة العباسية التي حكمت باسم الخلافة خمس مائة عام حكماً مستقلاً ذاتياً، ودان لها نصف العالم المتمدن على أقل تقدير، وشهدت نهضة علمية رائدة في مختلف الجوانب خاصة في عهد الخليفة (هارون الرشيد) وابنه (المأمون)، يذكر "ابن خلدون" في مقدمته أن بغداد كانت في عهد الخليفة (المأمون) المركز الثقافي لبلدان الشرق، وسوقاً تجارياً عالمياً تتعامل مع نيسابور وبخارى وطشقند

(* ديوان جناح جبريل: الغوري، المجموعة الكاملة، جزء 1، مرجع سابق، ص: 407

والقاهرة والقيروان وقرطبة، وكانت بغداد السوق المالية المزدهرة متحكمة في ديارها الذهبي ودرهمها الفضي، وفي الوقت نفسه كانت منابع الثقافة تتدفق على بغداد من ينابيعها القديمة في مصر وبابل والشام، لتفجر بركان الإبداع في عاصمة الإمبراطورية الإسلامية، حتى غدت منارة للإشعاع الفكري، ورائدة للنهضة الثقافية، فقد أدخل الخليفة العباسي (المأمون) إلى بلاطه أساطين العلم والمعرفة من شتى الأجزاء، لينشروا ما عندهم، ويترجموا الكتب اليونانية واللاتينية والفارسية والهندية والسريانية إلى اللغة العربية، وبذلك اغنوا البلاد بعلمهم الوافر، ومعرفتهم الواسعة وإبداعاتهم الخلاقة⁽¹⁾.

وكسبت الدولة العباسية في عهد (هارون الرشيد) احترام ملوك الإفرنج حتى إن ملكهم "شارلمان" كان يحرص على إقامة علاقة جيدة مع "هارون الرشيد"، وقد أرسل (شارلمان) إلى بغداد عام (797م) وفدًا بغية تثبيت أواصر الصداقة بين الدولتين، كما استقبل (شارلمان) رسلاً من قبل (هارون الرشيد) يحملون هدايا شرقية أثارت إعجاب الفرنجة⁽²⁾.

إلا أنه أصاب هذه الدولة داء الترف والتنعم، وأصبح ولاة أمورها الذين حملوا عبء الخلافة الإسلامية على أكتافهم مدة من الزمن عالية على نفوسهم وأهوائهم، وصاروا فريسة الحكم الطويل والمدنية الناعمة المترفة التي عبثت بكثير من رجال العلم والفضل، وضرب حب الدنيا وحب ما فيها أطنابه على العاصمة وما جاورها من البلاد والأقاليم، وقد صور المؤرخ "قطب الدين النهرواني" أوضاع بغداد المترفة في هذه الفترة الزمنية قائلاً: " مرفهون بلين المهاد، ساكنون على شط بغداد، في ظل ثخين وماء معين، وفاكهة وشراب، واجتماع أحباب وأصحاب، ما كابدوا حرباً ولا دافعوا طعناً ولا ضرباً".

وحين ننظر في تاريخ الشعوب نرى هذا التفاوت واضحاً بين الأوائل والأواخر في السير والأخلاق وأنماط الحياة، وقد صور لنا (محمد إقبال) هذا التفاوت، وسبب نهضة الأمم وتأخرها في بيت واحد: " تعال أنبئك عن مصير الأمم وعاقبتها، سنان ورماح أولاً، ولهو وغناء آخراً".

(12) محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، ط5، ص 134.

(13) Vasiliev, A.A., Histoire de L'Empire Byzantin, Paris, 1932, p. 82. كذلك طقوش، نفس المرجع، ص 106، 107.

وحين تدخل هذه الأمم مرحلة اللهو والغناء والترف والمجون، وتتخطى سائر الحدود الخلقية والاعتبارات الإنسانية، وتتجاهل كل حقيقة، هنالك تتدخل الرحمة الإلهية، وتتناولها بعملية جراحية، وتختار لهذه الجراحة جنكيز أو تيمور أو هولوكو، فيقطع هذا الناسور أو هذا السرطان من غير رحمة ولا هوادة، إنه يقول:

"الملوكية تتحول بين يوم وليلة إلى جنون أو مجون، وليس التيمور أو جنكيز إلا آلات جراحية تستعملها - في حينها - القدرة الإلهية".

كما يرى إقبال أن دور الملوكية القديمة والشخصيات المستبدة تقلص الآن إلى حد كبير، وجاء دور الديمقراطية والجمهورية، وتكدست قوى العالم وثرواتها في أيدي القيادة الغربية (أمريكا وأروبا)، وهي تجتاز في هذا الوقت مرحلة الجنون والانتحار بعد أن وصلت إلى آخر نقطة من النهضة والرقى والازدهار، وهي مرحلة مرت بها حكومات شخصية قديمة، وحضارات بائدة، ويروي لنا التاريخ عن قيادة فتية شابة كانت تظهر على مسرح العالم في مثل هذه الظروف، فتقوم بعملية جراحية على هذا السرطان وتنقذ الإنسان من الهلاك، وتجري في عروقه الميته دماً فائراً جديداً، ولكن الحضارة الغربية ما تركت على وجه الأرض قيادة أو قوة، والطريق الذي اختارته من استخدام القوة الهائلة في التدمير والقتل والإبادة، التي زودت بها أناساً لا يخافون الله، ولا يستحيون من الناس، أو شكت أن تقضي على نفسها، ويأتي حنقها بيدها. يقول إقبال:

" إن هذا الفكر الجريء الذي فضح قوى الطبيعة، وأفشى أسرار الكون، انقلب اليوم برقاً خاطفاً ورعداً قاصفاً، يهدد عش الغرب ووكره، وحصنه ومعقله"⁽¹⁾.

(14) ديوان إقبال، مرجع سابق، ص 59-63.

المبحث الخامس

تذكير بأمجاد العرب والمسلمين

حينما كانت أوروبا تعيش في ظلام القرون الوسطى تعاني شعوبها (منذ سقوط روما) أفسى صنوف العذاب من الفقر والجهل والمرض لفترة جاوزت مئات السنين، كانت العواصم في الوطن العربي الكبير كبغداد زمن العباسيين والقاهرة زمن الفاطميين وقرطبة زمن الأندلسيين تطفح بالازدهار الحضاري الزاهي، ساطعة أنوارها المعرفية لا على بلدان المنطقة فحسب بل جاوزتها إلى البلدان الأوروبية ودخلت جامعاتها. ويقول الموسوعي "ويل ديورانت" في قصة الحضارة ما نصه:

"عندما يتم مسح أدق وأشمل تراث، يصنف القرن العاشر في الشرق الإسلامي كأحد العصور الذهبية في تاريخ العقل الإنساني. وإن قصتنا تبدأ من الشرق، لا لأنه كان مسرحاً لأقدم المدنيات فحسب، بل لأن تلك المدنيات كانت البطانة التاريخية لثقافة وأرباب. وكم كان نظامنا الاقتصادي والسياسي، وكذلك علومنا وآدابنا وفلسفتنا، وديننا يرتد إلى الشرق إني أرى في هذه اللحظة أن التعصب الإقليمي الذي سار عليه كتابنا التقليديين لم تعد مجرد غلطة، بل ربما كان إخفاقاً ذريعاً في فهم الواقع، ونقصاً فاضحاً في الذكاء، ولم يكن العقل قد تابع خطاه"⁽¹⁾.

وعندما عبّر (طارق ابن زياد) بجيشه الصغير المضيق إلى إسبانيا في العام الهجري الثمانين من الفتوحات الإسلامية، استقبله سكانها المحليون، وساعدوه لتحريرهم من نير سلطة القوط البرابرة، فكانوا حقاً شركاء في الفتح المبين. وبدأ المسلمون في تأسيس حضارة متفوقة جعلت من إسبانيا أجمل وأغنى البلدان الأوروبية، وأنشأوا مدناً كبيرة مزدهرة لم يكن لها نظير على وجه الأرض، خططها مهندسون واسعوا الاطلاع، وشيدها بناؤون مهرة فعدت قرطبة عاصمة الأندلس مركز الثقافة لبلدان أوروبا قاطبة. وبعد قرنين من انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوروبا عبر الأندلس، كان هناك معبراً آخر لانتقال الحضارة وهي جزيرة "صقلية". ففي عهد الإمبراطور "فردريك الثاني" طاف "كونستانتين" عام (1060م) بلاد الشرق الإسلامي، وتعرف على بعض مراكزها العلمية، وبعد رجوعه تأسست مدرسة لدراسة الطب

(15) ويل ديورانت، مرجع سابق، الجزء (24)، ص 85.

في مدينة (ساليرنو) في صقلية، وأخرى للطبوعات في مدينة نابولي الإيطالية. وهكذا فإن هذه الأمجاد عندما تمر عبر ذاكرة متقدة بحب الإسلام وأهله والاعتزاز بمآثره، مؤطرة بشعلة الحب والشعر، فإنها تترجم هذا الحب إلى لوحات فنية وصور جمالية تسلب الألباب، وهذا ما حدث عندما مر (محمد إقبال) على إسبانيا وجزيرة صقلية في طريق العودة من أوروبا إلى بلاده (1).

أبيات منظومة في "صقلية": بعد أن عاد (محمد إقبال) من أوروبا، مرت سفينته بجزيرة صقلية، الجزيرة التي غزتها الجيوش الإسلامية في عهد الخليفة عثمان بن عفان، عام (652م)، وانتهى المسلمون من فتحها في عام (965م)، وكانت صقلية على مستوى عالٍ من الأهمية للدولة الرومانية، كونها كانت بمثابة مخزن حبوب الإمبراطورية. وبعد انهيار الإمبراطورية الرومانية، أعلن الإمبراطور البيزنطي "جستنيان الأول" صقلية مقاطعة بيزنطية عام "535م" (2).

وأمام انثيال الذكريات التاريخية قبالة الجزيرة، تذكر إقبال ما كان للعرب والمسلمين من حضارة مزدهرة في هذه الجزيرة، والمآل الذي أصبح فيه عموم المسلمين في العصر الحاضر، فحز ذلك في نفسه وأحزنه كثيراً. تقول المنظومة:

"وَبِكَاءٍ بِدَمُوعٍ مِنْ دَمَاءٍ / مَجْدُ إِسْلَامٍ عَلَيْهِ فَالْعَفَاءُ / أَهْلُ صَحْرَاءٍ لَهُمْ هَذَا الْمَكَانُ / فُلُكُهُمْ يَجْرِي بِهَذَا
الْبَحْرِ كَانُ / وَقُصُورٌ لِمُلُوكٍ زُلْزِلَتْ / وَسَيْوْفٌ لِبُرُوقِ أَلْقَتْ / إِنَّهُمْ جَاءُوا لِدُنْيَا بِالْجَدِيدِ / بِحُسَامٍ هَدَمُوا
الْمَاضِي الْمَشِيدِ / أَصْبَحَ الْعَالَمُ حَيًّا بَعْدَهَا / نَبَذَ الْأَوْهَامَ كَانَ عِبْدَهَا / إِنَّ لِلتَّكْبِيرِ لِحَنًا فِي الْأَدْنِ / أَتْرَاهُ بَعْدَ
هَذَا قَدْ سَكَنُ / بِكَ لَكِنْ ذَلِكَ الْبَحْرُ جَمِيلٌ / أَنْتِ فِي صَحْرَائِهِ نَعَمَ الدَّالِيلُ.. " إلى أن يقول:
"قِصَّةٌ فِيمَا لَدَيْكَ مِنْ أَثَرٍ / لَكَ صَمْتٌ كَبِيَانٍ مِنْ دُرَّرٍ / قَلْبُكَ الْمَحْزُونُ بِالْأَسْرَارِ نَمُ / أَنَا مَنْ كُنْتُ تُرَابًا لِلْقَدَمِ /
أَنَا شَاهِدْتُ قَدِيمًا كَمْ تَلَوْنُ / وَكَيْ الْقَلْبُ لِمَا قَدْ فَاتَ يَحْزَنُ / مِنْكَ حُمَلْتُ الْهَدَايَا لِبِلَادِي / وَهَنَا أَبْكَى وَفِي
أَرْضِي أَنَادِي" (*).

(16) رضا العطار، فضل الحضارة الإسلامية على النهضة الأوروبية، مقال منشور على الإنترنت.

(17) صقلية، موسوعة المعرفة على الإنترنت، على الرابط: www.marefa.org/index.ph

(*) ديوان رنين الجرس، الغوري، (الأعمال الكاملة)، مرجع سابق، الجزء 1، ص: 87.

ف نجد أن المنظومة تتحدث عن مجد الإسلام، وعبور سفن العرب نحو (جزيرة صقلية) فاتحين مجددين، حيث هدموا الماضي الشامخ، وحرروا بالإسلام العالم من الأوهام والضلالات، وهو يحزن عندما يتنكر صوت الأذان الجميل الذي سكن واختفى، ثم يقول: إن صقليه أفضت له بسرها، لأنه حزين مثلها، وكان هو تراب تلك القافلة التي كانت في منزلها المقصود (1).

مسجد قرطبة في إسبانيا: المسجد الجامع بقرطبة يسمى بالإسبانية (Mezquita) وتتنطق: مِثْكيتا، وهي تحريف لكلمة مسجد. وقد كان أشهر مسجد بالأندلس، ومن أكبر المساجد في أوروبا بناه "عبدالرحمن الداخل" في مدينة قرطبة. وتم بناء المسجد الجامع على مدى قرنين من الزمان. حيث بدأ بناؤه عام (784م) أمير قرطبة (عبد الرحمن الداخل)، الملقب بصقر قریش، والذي يسميه الإسبان عبد الرحمن الأول. ثم أضاف له "عبد الرحمن الناصر" مئذنة جديدة، وقام "الحكم الثاني" في عام (961م) بتوسيع رقعة المسجد وتزيين المحراب، وكانت آخر الإضافات هي التي قام بها "المنصور بن أبي عامر" عام (987م) وقد تحول المسجد إلى "كاتدرائية العذراء" عام (1236م) مباشرة بعد سقوط (قرطبة) في يد "فرديناند الثالث" ملك (قشتالة) (2).

(18) بدائع العلامة إقبال في شعره الأردني، ترجمة: حازم محفوظ، حسين مجيب المصري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م، ص 32-33، 125-126.

(19) موسوعة المعرفة، مرجع سابق، كذلك، موسوعة ويكيبيديا على الإنترنت، <https://ar.wikipedia.org/wiki>



وفي عام (1932م) زار " محمد إقبال " إسبانيا - الفردوس المفقود - وحرص على زيارة مسجد قرطبة، وتجزم بعض المصادر أن "محمد إقبال" كان أول مسلم يصلي بالمسجد منذ سقوط الأندلس(*)، وهناك وقف الشاعر المؤمن أمام سيل الذكريات التي أخذت تتهاى عليه مستعرضاً إيمان وعزيمة العرب الذين أقاموا دولة الأندلس بقيادة (عبد الرحمن الداخل) وإخضاع هذه البلاد النائية الجميلة للعقيدة الإسلامية، ووقف خاشعاً أمام العاطفة القوية، والحب الطاهر الذي حمله على بناء هذا المسجد العظيم الذي أسس على التقوى، منبهراً أمام العبقرية المعمارية التي أنتجت هذا الأثر البنائي الخالد، وتذكر بهذا المسجد أهله الذين رفعوه وشادوه، وجمعوا به بين الجمال والجلال، والأنفة والتواضع، وتذكر ذلك الأذان الذي انفردت به هذه الأمة، فليس له نظير في الأصوات والإعلانات والرسالات، ذلك الأذان الذي كان يخشع له الكون، وتزلزل به أوكار الفساد، ويتنفس به الصبح الصادق في العالم. هو ذلك الصوت المليء بالمعاني السماوية السامية.

(*) أبو الحسن الندوي، روائع إقبال، ط1، دار الفكر، دمشق، 1960، ص: 77.

فقد حرك هذا المنظر الرائع والأثر التاريخي الفريد مشاعر إقبال، الذي لم يعرف منبره الخطبة ولا بلاطه السجود، ولم تعرف منائره الرفيعة الأذان منذ قرون، حرك كل ذلك في إقبال الإيمان والحنان، والأحزان والأشجان، وجادت قريحته الوقادة بهذه القصيدة الخالدة التي أسماها في "جامع قرطبة" وقد كتب معظمها في قرطبة وأكملها في إسبانيا.

يقول إقبال: "تدين أيها المسجد العظيم في وجودك لهذا الحب البريء، ولهذه العاطفة القوية التي كتب لها الخلود، فهي لا تعرف الزوال والانقراض، إن البدائع الفنية التي لم ترافقها العاطفة، ولم يسبقها دم القلب - الحب (*) - أصبحت مصنوعات سطحية من لون أو قرميد أو حجر أو لفظة أو كتابة أو صوت لا حياة فيها ولا روح، إن المعجزات الفنية لا تعيش إلا بالحب، ولا تقوم إلا على العاطفة والإخلاص، الحب هو الذي يفرق بين قطعة من حجر، وقلب خفاق حنون للبشر، فإذا فاضت منه قطرة على الحجارة الصماء خفقت وعاشت، وإذا تجردت منه القلوب الإنسانية جمدت وماتت".

ويقول في عقيدة مؤمن ودلال شاعر محب: "إن بيني وبينك أيها المسجد العظيم نسبا في الإيمان والحنان، وتحريك العاطفة وإثارة الأحزان، إن الإنسان في تكوينه وخلقه قبضة من طين لا تخرج من هذا العالم، ولكن له صدرا لا يقل عن العرش كرامة وسموا، فقد أشرق بنور ربه، وحمل أمانة الله، إن الملائكة تمتاز بالسجود الدائم، ولكن من أين لهم تلك النوعة واللذة التي أمتاز بها سجد الإنسان؟!".

وهنا يتذكر (محمد إقبال) جنسيته ووطنه، وأنه هندي النجار، ومن إحدى بيوتا (البراهمة)، ويتذكر أنه أمام أثر إسلامي عربي صميم قديم، فيقول: " انظر أيها المسجد إلى هذا الهندي الذي نشأ بعيدا عن مركز الإسلام ومهد العروبة، نشأ بين الكفار وعباد الأصنام، كيف غمر قلبه الحب والحنان، وكيف فاض قلبه ولسانه بالصلاة على نبي الرحمة، الذي يرجع إليه الفضل في وجودك، كيف ملكه الشوق، وكيف سرى في جسمه ومشاعره التوحيد والإيمان". لقد كشفت أيها المسجد العظيم عن سر المؤمن، ومثلته في العالم، وصورت ذلك الاضطراب الذي يقضي فيه نهاره، والرقعة التي يمضي فيها ليله، صورت للعالم مقامه الرفيع، وتفكيره السامي، ومسيرته وأشواقه، وتواضعه ودلاله"

ثم يقول أيضا: 'يا مثابة هواة الفن، ويا مقصد رواد الجمال، ويا مجد الدين الإسلامي، لقد سمت بك أرض الأندلس وتقدست في أعين المسلمين، إنك فريد في الفن والجمال لا يوجد لك نظير تحت السماء إلا في قلب مؤمن، أين لنا أولئك الرجال؟ هؤلاء الفرسان العرب أصحاب الخلق العظيم، وأصحاب الصدق واليقين، الذين برهنت حكومتهم على أن حكومة أهل القلوب خدمة وزهادة، وليست حكما ولا ملكا، هؤلاء العرب المسلمون الذين كانوا مربى الشرق والغرب، وكانوا أصحاب عقول حصيفة وبصيرة نافذة، يوم كانت أوروبا تتسكع في الجهل المطبق والظلام الحالك، والذين لا تزال في الشعب الإسباني بفضل دمهم العربي خفة روح وحفاوة وبساطة، وجمال شرقي وتكثر فيهم عيون المها، ولا تزال عيونهم ترشق بالنبال ولا تزال الريح في الوادي تحمل نفحات اليمين ورنات الحجاز'(1).

يعود مخاطباً إسبانيا - الأندلس- فيتغنّى بأرضها التي تطاولت السماء سمواً ورفعة، ويتوجع على أن أجواءها لم تسمع الآذان منذ قرون، يقول شعرا: "إنَّ أرضاً أنتَ فيها لسماءَ للعُيون/ كيفَ لمَ يسمع أذانا أهلها منذُ قرون/ ليتَ شعري كيفَ أسرى موكبُ الحبِّ الغضُوبِ/ ليتَ شعري ما يُرى الآنَ وفي أيِّ الدروب"(2).

ثم يذكر ما مر على العالم المتمدن من تقلبات وثورات، ويتشوق إلى ثورة جديدة مركزها الشرق الإسلامي فيقول نثرا: "لقد شهدت ألمانيا ثورة الإصلاح الديني التي عفت الآثار القديمة والتقاليد العتيقة في أوروبا، فجذدت أوروبا المسيحية عصمة القسوس والباباوات، وتحرر الفكر الأوربي وتحركت سفينته في يسر وسهولة، وشهدت فرنسا الثورة الكبيرة التي اضطربت لها أوروبا اضطرابا، وأصبح الشعب الطلياني - الرومي- شابا فتيا بلذة التجديد*، هكذا الروح الإسلامية مضطربة قلقة تطلب انتفاضة جديدة، ولكن متى ذلك؟ إنه سر من أسرار الله لا يفصح به اللسان والعالم يتمخض بحوادث جسام، فلا يستطيع أحد أن يتكهن بالمستقبل".

(20) أبو الحسن الندوي، روائع إقبال، مرجع سابق، ص: 81.

(21) ديوان إقبال، الغوري، مرجع سابق، ص 480.

ويخاطب نهر قرطبة (الوادي الكبير) ويقول: "إن على شاطئك أيها النهر العزيز رجلا يرى حلما
لذيذا، يرى في مرآة المستقبل عصرا لا يزال في طيات الغيب، يرى عصرا قد بدت تباشيره وظهرت
طلاتعه لعينه ولكنها لا تزال محجوبة عن أعين الناس، لو كشفت الغطاء عن هذا العالم الجديد وبحت
ما في صدري من أفكار وأسرار لشق ذلك على أوروبا وفقدت رشدها وجن جنونها".

ثم يعود مرة ثانية يشيد بفضل التجديد في حياة الأمم والشعوب والحاجة إلى الثورة على الأوضاع
الفاصلة ويقول: "كل حياة لا تجديد فيها ولا ثورة، أشبه بالموت، إن الصراع هو حياة روح الأمم، إن
أمة تحاسب عملها في كل زمان سيف بتار في يد القدر، لا يقاومه شيء ولا يقف في وجهه شيء".

ويختتم (محمد إقبال) قصيدته البديعة بكلمة حكيمة ومأثورة مبنية على تجارب واسعة ودراسات
عميقة، واستعراض واسع للأدب والشعر والفن والأفكار. يقول: "إن كل مأثرة وكل إنتاج لم تذب فيه
حشاشة النفس ناقص وجليد بالفناء والزوال السريع، وكل رنة أو نشيد لم يدم له القلب، ولم تتألق به
النفس قبل أن يصدر، ضرب من العبث والتسلية، ولا مستقبل له في المجتمع وعالم الأفكار"⁽¹⁾.

من دعاء طارق بن زياد: نزل (طارق بن زياد) القائد الشاب بجيشه العربي المسلم على أرض
إسبانيا وأمر بإحراق السفن التي حملت الجيش الإسلامي لتقطع بالمسلمين أسباب الرجوع، ثم وجه
طارق بن زياد خطابه قائلاً: (يا أيها الناس أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو من أمامكم، وليس
لكم والله إلا الصديق والصبر⁽²⁾)، وواقعة إحراق السفن، والخطبة التي خطب بها طارق في جيشه يشكك
في صحتها كثير من المؤرخين، ويسوقون دلائل لذلك ليس موضعها هنا، ولكن هذه الواقعة ذكرت في
كثير من كتب المؤرخين الأواخر، واستشهدوا بها على شجاعة طارق، وقوة بيانه التي انعكست في
خطبته، والتي رمى من ورائها أن يثير في جنده القوة الكامنة، والاعتماد على الله ثم على سواعدهم
وسيوفهم، ويتضح في بقية فقرات الخطاب، أن طارق صف جيشه أمام العدو واستعرضه ورأى أنه لا
يكفى الجيش الإسباني في العدد والعُدّة، فإن العدو في مركزه ومملكته والجيش الإسلامي غريب

(22) رواع إقبال، مرجع سابق، ص 81-83.

(2) مقطع من خطبة طارق بن زياد. نفس المرجع، ص 40.

منقطع عن مركزه وبلاده، كل ذلك أثار فيه التفكير والاهتمام، فلم ير حيلة إلا أن يضم إلى هذا الجيش قوة لا تهزم، وإرادة لا تغلب، أنها القوة الإلهية والإرادة الربانية، وقد وثق بها طارق ووثق أنها معه، أليس هذا جند الله؟ ألم يأت ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة الناس إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

هنالك وقف القائد المؤمن يناجي ربه، ويطلب نصره مقتدياً في ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بدعائه ويقول: " اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد " دعا طارق بهذا الدعاء العجيب الذي لا يدعو به قادة الجيوش ولا يخطر منهم على بال، وقد سبكه "محمد إقبال" في قالب شعره، فزاد في تأثيره وسحره (1).

يقول "محمد إقبال" على لسان طارق: "اللهم إن هؤلاء الفتيان الذين خرجوا جهاداً في سبيلك وابتغاء مرضاتك رجال غامضون مجهولون لا يعرف سرهم وحقيقتهم غيرك، لقد منحتم طموحا وعلو وهمة لا يرضون معه إلا أن يكونوا سادة العالم يحكمون الدنيا كلها بحكمك وينفذون فيها أمرك، لا يعلوهم غيرك، أبطال مغاوير، تنفلق بهيبتهم البحار وتنضوي لصولتهم الجبال، لقد ذاقوا لذة الحب والإيمان حتى استغنوا بها عن العالم والمادة، وهانت عليهم الدنيا وزخارفها وشهوتها، وذلك شأن الحب اذا خالطت بشاشته القلوب، ما جاء بهم من بلادهم النائبة إلا الحنين إلى الشهادة، التي هي وطر المؤمن العزيز وهمه الوحيد، لا يفكرون في الغنائم ولا في فتح البلاد ولا في بسط السيطرة والنفوذ على العباد، إن العالم قد وقف على شفا حفرة من النار، لا يمنعه من التردى في الهاوية إلا أن يبذل العرب دماءهم ونفوسهم بسخاء وشجاعة، إن العالم بحاجة إلى دم عربي زكي فلا يروي غليله ولا يشفي عليه إلا الدم العربي الطاهر، ها إن الأزهار والورود في الغابة في انتظار أن تسقى بهذا الدم القاني، فترفل في حلتها، وقد قدمنا لنزرع نفوسنا ونريق دماننا في هذه الأرض النائبة، لتخصب الإنسانية بعد جذب طويل، ويحل الربيع بعد انتظار شاق طال أمده .

(23) محمد عبدالله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، الجزء الأول، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2001م، ص: 46، 47.

- وكذلك، الغوري، مرجع سابق، ص 486، 487.

لقد أكرمت يا رب رعاة الإبل وسكان الوبر - العرب - بنعم فريدة لم يشركهم فيها أحد، لقد أفردتهم بعلم جديد وإيمان جديد وشعار جديد، هو: أذان الصبح، فقد أفلست الأمم من العلم الصحيح والإيمان القوي والذوق الرفيع، والدعوة الصارخة السافرة إلى التوحيد على حين غفلة من الناس، أما العرب فقد فاجأوا العالم بصحة علمهم وجدة إيمانهم وسلامة ذوقهم ودوي أذانهم في السكون المخيم على العالم والظلام الحالك، لقد كانت الحياة فقدت لوعتها وحرارتها من قرون طويلة، وقد وجدتتها من جديد في قلوبهم الفائضة بالإيمان والحنان، إنهم لا ينظرون إلى الموت كنهاية لهذه الحياة وكتلف للنفس الإنسانية، انهم يرون فيه فتحة جديدا وعيشا جديدا، أعد يا رب إلى هذه الأمة المؤمنة الحمية الإيمانية والغضبة المؤمنة التي تجلت في دعاء في نوح حين قال : " وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لِمَا نَدَّرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا " حتى تصبح صاعقة على عالم الكفر والفساد، واخلى فيها المطامح البعيدة والعزائم القوية الشديدة، واقذف في قلوب الناس رعبتها وهيبتها، حتى تعمل نظراتها عمل السيوف" (*).

وقد استجاب الله دعاء طارق القائد المؤمن المخلص وانتصر الجيش الإسلامي على عدوه الذي كان يفوقهم مرارا في العدد والعدة ، وأصبحت إسبانيا النصرانية الأوربية الأندلس الإسلامي الغربي ، وقامت دولة المسلمين في ربوعها وازدهرت قرونا ولم تضعف ولا تنزل إلا بفقدهم الروح التي تضلع بها طارق وأصحابه ، وبنسيانهم الرسالة التي جاءت بهم ممن جزيرة العرب، وبفقرهم في الإيمان الذي امتاز به طارق بين قادة الجيوش وفتاحي البلدان، وبانغماسهم في الشهوات والحروب الداخلية (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ تَجْدِ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا). الأحزاب، آية 62(1).

(*) سورة نوح، الآية (26)

(*) ديوان جناح جبريل، الغوري، مرجع سابق، ص: 486.

(24) روائع إقبال، مرجع سابق، ص 95-97.

المبحث السادس

نقد "محمد إقبال" لتبعية المسلمين للغرب

يرى "محمد إقبال" أن الحضارة الأوربية حضارة مادية، لا روح لها ولا قلب، ويشند في نقدها، ويرى أن في الإسلام وحضارته سعادة البشر والتأليف بينهم، وجمعهم على شرعة الحق أخوة متحابين متعاونين. وهو يدعو المسلم - الذي يعرف الفرق بين الروح والجسد - أن يحطم سحر هذه المدنية الملحدة، وأن ينتزع السيف من قبضة قاطع الطريق! وهنا يُعبر إقبال عن مضمون رسالته الشعرية، والعقلية - أيضاً - حين يُخاطب هذا المسلم قائلاً: "انفث روح الشرق في جسده، حتى تصير هذه الروح مفتاح قفل المعنى. إن الإنسان العقلاني رباني ما دام في حكم القلب، فإذا تحرر منه صار شيطانياً!".

وهذا ما حدث في أوروبا، التي أصبح شرعها هو شرع الغابة، وهو الذي جعل لحم الحمل حلالاً للذئب، أولئك الذين يصفهم إقبال بأنهم "سارقو الأكفان، ونباشو القبور!" وهو يُخاطب ابن الشرق، المسلم الحقيقي فيقول: يا أسير الألوان، انتبه! كن مؤمناً بذاتك، واكفر بالغرب؛ فزمام النفع والضرر بيدك أنت، وكرامة الشرق وعزته في يدك أنت. وحد شتات هذه الأمم العريفة، وارفع راية الصدق والصفاء عالياً؛ فقوة الأمة تكمن في وحدتها. ثم يُخاطبه - وهو في الواقع كأنما يشير إلى نفسه - قائلاً: "أيها العالم! لا يعرف أسرار الإفرنج سواك، ولا يستطيع الخوض في نارهم إلا أنت!"

ويُنشد إقبال الإنسان المسلم، التائه عن مقامه ومكانه ووطنه، قائلاً بأعلى الصوت:

"كن نفسك: رجلاً للحظة، وكُنْ أجنبياً مع الأجنبي، أيها الجاهل عن اللحن والصوت، اعرف جنسك، ولا تطر مع الغربان!" ثم يختم القصيدة بقوله: "خذ حظك من فقري، فلن يأتي بعد الآن فقير مثلي!" (*).

ولا تقتصر دعوة "محمد إقبال" للمسلمين إلى النهوض بذواتهم، والتماسك من أجل وحدتهم، وعدم الاغترار بحضارة الغرب الزائفة، والتي تخفي سمها القاتل في العسل الذي تقدمه للشعوب الشرقية

(* من ديوان "والآن ماذا ينبغي أن نعمل يا أمم الشرق؟"، ترجمة: يوسف عبد الفتاح، مقال منشور على الإنترنت.

المقهورة، بل إنه يعمل على المقارنة بين الطرفين، مُشيدًا بالحضارة الإسلامية التي أشرقَتْ بنورها على العالم كله، فأضاءته:

نبت العلم والدين في أرض الشرق، رفَعنا الحجاب عن الكائنات، فالشمس منّا، ونحن من الشمس !
جَوهْرُ كلِّ صدفٍ من ربيعنا، وشوكة كل بحر من قوّة طوفاننا، كَشَفَ فِكْرُنَا أسرارَ الوجود، وكُنَّا أوَّلَ
عازفٍ على أوتار الكون".

يحرص (محمد إقبال) الشاعر الإسلامي الحقيقي إلى أن يوضّح معنى السياسة والدين لأهل الحق،
وأن يُعيد التوضيح لهاتين الحكمتين؛ ففي قصيدته التي بعنوان "خطاب إلى الشمس المضيفة" يقول:
" أنتِ ضياء الصبح، وأنا غروبُ اليوم، فأشعلي سراجًا في ضميري، وأبيري ظلمة تُرابي، واستريه في
تجلياتك؛ حتى أحيل ليل أفكار الشرق نهارًا، وأشعل صدور أحرار الشرق، وأصوغ النغمات من خام
الطبع، وأفتح الأيام دورةً أخرى؛ كي يتحرر فكرُ الشرق من الإفرنج، ويكتسب من شعري مياهاً جديدة،
ولونا آخر."

الهدف إذاً واضح، وهو "إحالة ليل أفكار الشرق إلى نهار، وإشعال الجذوة في صدور أحرار
الشرق"، وإذا تساءلنا: ماذا حدث للأمة الإسلامية؟ يجيب إقبال: منذ ثلاثة قرون، وهذه الأمة مسكينة
ذليلة، تحيا بلا سرورٍ ولا حرقة قلب، أصبح الفكرُ خسيساً، والذوقُ أعمى، فحرم معلّموها الشوق،
وحُرمت مدارسها منه، لدرجة أنه لم يعد الإنسان فيها يعلم شيئاً عن مقامه ومنزله، ومات ذوق
الثورة في قلبه، صار طبعه بلا صحبةٍ لمُرشدٍ خبير، سقيماً لا يقبل الحق. حتّى إنه جعل العبد المفلس
الماكر السافل مولاه ليس لديه المال الذي يأخذه السلطان، ولا نور القلب الذي ينزعه الشيطان! هو
مريدٌ لشيخه اللورد الإفرنجي، وإن تغنى بمقام (بايزيد!). وبعد أن يستطرد إقبال إلى المقارنة بحال
أوروبا التي لا تدرك حقيقة هذا المقام الديني؛ لأنّ عيونها لا تنتظر بنور الله، ولا تميّز بين الحرام
والحلال، يؤكّد للمسلمين أن:

"الشرع ينهض من أعماق الحياة، وإذا أردت أن ترى أعماق الدين واضحة، فلا تنظر إليه إلا من
أعماق الضمير، وإن لم تفعل، فدينك هو الجبر، ومثل هذا الدين لا يرضاه الله."

ويستمرُّ إقبال في دعوة علماء الدين إلى الخروج من مجالسهم المحدودة إلى فضاء العالم الرَّحيب؛ لكي ينشروا الإسلام، ويكتشفوا أسرار الشَّرْع المبين؛ حتَّى لا يُصبح أحدٌ في هذا العالم مُحتاجًا إلى أحد، وهو يُعلِّق على هذا قائلاً: "هذه هي أسرار الشَّرْع المبين وحَسْب! أمَّا العلماء الذين لجأوا إلى التأويل، فقد خمدَ ميزانهم في الضَّمير، ومن ثمَّ لم يعودوا قادرين على التَّواصل مع الشَّبَاب، والتأثير فيهم." ويقول أيضًا: "لقد وُجد في عصري مَنْ لا يرى في القرآن سيوَى نفسه، وكأَنه نبيٌّ! كلُّ واحد منهم عالمٌ في القرآن والحديث، إلَّا أنهم قليلو الدَّراية بالشريعة جعلوا العقل والنقل تبعًا لأهوائهم، فمَنبرهم منبر "أكل العيش وحسب"! وفي قصيدته "دموعٌ بسبب فرقة الهنود" تصل اللهجة الثائرة لدى إقبال أقصى مداها، وفيها يقول:

"إنَّ الأمة التي لا تأكل السمَّ من أجل المجد سوف يُحمى مكانها من خريطة الوجود."

وهو يحدِّد وضع الهند المُتردِّي بسبب الاستعمار البريطاني قائلاً:

"اختلَفَ الهنودُ مع بعضهم، وأثاروا الفتنَ القديمة، حتَّى جاء الإفرنجُ من الغرب؛ لكي يكونوا وسيطًا بين الكُفر والدين، فما عاد المرءُ يُفرِّق بين الماء والسراب، فالثورة، الثَّورة، الثَّورة!".

أما قصيدة "السياسة الحاضرة"، فتصف أسلوبَ الاستعمار الماكر، والذي يخدع أبناءَ الوطن بقشرة من الحرية، بينما هو يُحكِّم القيد على رقابهم، يقول إقبال: "يُحكِّم الاستعمارُ القيدَ على العبيد، ويعدُّ ذلك حريةً لهم، وعندما رأى شعاراتِ الجمهوريّة برّاقة، أسدلَ الستارَ على المَلَكِيَّة، وقال: إنَّ السُّلطة جامعةٌ للأقوام، فبدأ نَقصُها! لا يَسْتَطيع أحدٌ أن يطير في فضاءها، كما لا يستطيع أحدٌ فَتَحَ بابها بمفتاحها!"(1).

أمَّا القصيدة "خطاب إلى الأمة العربيَّة"، فيحمل فيها إقبال على العرب، مُشيرًا إلى جهلهم بماضيهم العريق، وبدانيتيَّتهم الحاضرة، ثم بانخداعهم بأسلوب حياة الغرب الذي استعمرَ أرضهم، وفرَّق مجتمعهم الواحد إلى العديد من المُجتمعات المُتفرِّقة الغريبة إحداهما عن الأخرى. وفي البداية، يُنادي إقبال العربَ قائلاً:

(25) حامد ظاهر، بعث الروح الإسلامية في أمم الشرق عند محمد إقبال، سلسلة أبحاث جامعية محكمة، مقال منشور

بالإنترنت

"يا مَنْ مُلْكُهُمْ باقٍ إلى الأبد، يا مَنْ أطلَقوا صيحة: "لا كسرى ولا قيصر"، مَنْ الذي كان أوَّلَ قارئٍ للقرآن في هذا العالم المترامي الأطراف بالأمنس واليوم؟ وَمَنْ الذي علَّمَ الدُّنيا سرَّ "إلاَّ اللهُ؟! ومن الذي أشعلَ هذا السَّرَّاجَ لأوَّلَ مرَّةٍ؟ ومن الذي أطعم النَّاسَ على مائدته العلمَ والحكمة، وَمَنْ الَّذِينَ نزلتْ فيهم آيةٌ ﴿ فَأَصْبَحْتُمْ ﴾؟! (*).".

ثمَّ بعد أن عدد بعض مناقب الرِّسول - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - وأشاد بسيف "صلاح الدِّين الأيوبي"، ونظرةً بايزيد، والمنجزات الحضاريَّة الرائعة التي ما زالت قائمة، ومُعبرة عن مدى ما وصلَ إليه المسلمون من حضارةٍ ورُقِّي؛ مثل: "قصر الحمراء" في إسبانيا، و"تاج محل" في الهند "التي يدفع الزُّوار الخراجَ لأهلها طوعاً"، يُصارع إقبالُ العربَ قائلاً:

"لقد تقدَّمت الأمم بسعيها، وأنت أيُّها العربي لا تعرف قيمة صحرائك، كنتم أمةً، فصرُّتم أمماً، وأصبحتم متفرِّقين غُرباء، حتَّى عن أنفسكم، كلُّ مَنْ تحلَّل من قيد ذاتيَّته فقد مات، وكلُّ مَنْ أسلمَ زمامه للغُرباء فقد مات. لقد فعلتَ بنفسك ما لم يفعلْه أحد، فتألَّمت روحُ المصطفى الطَّاهرة من فعلتك، يا مَنْ صرت جاهلاً بسحرِ الغرب، انظر: إنَّ الفتنَ كامنةٌ تحتُ ثوبه، فإذا أردتَ الخلاصَ من خداعه، فعليك أن تطرد إبَّله عن حياضك!.

لقد وضعَ الشُّعوبَ في فمه، ومزَّقَ الوطنَ العربي مائة دويِّلة، منذ وَقَعَ العربُ في قبضته، لم تتمتع سماؤهم بلحظةٍ واحدةٍ من الأمان، فانظر إلى عصرك يا صاحب النَّظَر؛ حتى تعيد روحَ عُمر - رضي الله عنه - إلى بدِّيك. إنَّ قوَّة الجماعة من الدِّين المبيِّن، والدِّين عزمٌ وإخلاصٌ وبقين!".

إنَّ الشاعر المُلهَم هو الذي يتمكَّن من وضع يده بدقَّة على مواطن الدَّاء في أمِّته، كما يُمكنه - أيضاً - أن يُشخِّصَ المرض، ورُبَّما نبَّه إلى علاجه والشفاء منه، ويكفي أن نتأمَّل قول (محمد إقبال) في هذه القصيدة الرائعة عن العربِ وأحوالهم: "منذ وَقَعَ العربُ في قبضتيه - الاستعمار - لم تتمتع سماؤهم بلحظةٍ واحدةٍ من الأمان؛ لكي ندرك حقيقةً واقعة، ومع ذلك فإنَّها قد تغيب عن معظم العقول التي ترصد وتُحلَّل، والكثير منها يتفلسفُ ويتفدَّل!"

(*). والإشارة هنا إلى الآية الكريمة: ﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ آل عمران: (103).

كذلك فإنَّ الشاعر يُؤكِّد أن الحلَّ موجودٌ ومُتاح:

"إنَّ قوَّة الجماعةِ من الدِّينِ المبينِ، والدِّينِ عزمٌ وإخلاصٌ ويقينٌ" وفي قصيدة إقبال التي اختارَ عنوانها؛ ليكون هو عنوان هذا الدِّوان الهام: "إذاً ماذا يجب أن نَفعل يا أمم الشرق؟"، يضعُ خلاصةَ تجربته وثقافته السياسيَّة، التي أدركَ من خلالها حقيقةَ الغرب، أو موقفه المُعاديَ من أمم الشَّرْق؛ باعتبارها مجالاً واسعاً لاستعمارهِ واستغلالهِ، مُحاولاً بكلِّ الطُّرق تحطيمَ ذاتيته، وتفريقَ شعوبه، وجعلهُ دائماً في مكان التَّابع الذليل له؛ لذلك فهو يستهلُّ القصيدة بقوله: "لَقَدْ أَنْتَ الْإِنْسَانِيَّةَ مِنْ جَوْرِ الْغَرْبِ، وَذَبَلْتَ الْحَيَاةَ بِسَبَبِهِ!". وهو يؤكِّد أنَّ: "أوروبا هوتْ بحدِّ سيفها، منذُ رسمتْ طريقَ الإلحاد تحت القُبَّة الزرقاء."

وهكذا يضعُ (محمد إقبال) الصِّراعَ بين الغرب والشرِّق على بساط الدِّين واللادِّين، وليس فقط على بساط الاستعمار والاستغلال، فيقول: إنَّ عقلَ الغرب وفكره لا يُفرِّق بين الخير والشرِّ، وعيِّناه جامدتان، وقلبه صخرٌ أصم. العلم في الحواضر والبوادي في خجلٍ منهم، علمُ الغرب سيفٌ بتارٍ قد صنَّع لإهلاك النُّوع الإنساني، فأه من الغرب! وآه من قوانيئه! وآه من فكره الإلحادي!" ويُنَبِّه "محمد إقبال" المسلم إلى عدم الانخداع بمُنتجات الغرب، فيقول:

"يا غافلاً عن شؤون هذا العَصْر، تأملْ مهارة الأيدي الأورويَّة؛ نسجوا السجَّاد من حريرك، ثم أعادوه إليك مرَّةً أُخرى، فانخدعت عينك بظَاهره وبأصباغه الزَّائفة!"

وهو يتأسَّى على حال المسلم، الَّذي نزع (العلماءُ الجامدون) من قلبه "جذبة الدِّين" أو بالأحرى شعلته التي كانت تضيء العالمَ من حوله، حتَّى صار مثل العبد الَّذي يرسف في أغلاله، ويستجدي من الغرب خبز الشعير؛ يقول إقبال: "تجولتُ بين العجم والعرب، فرأيتُ قلةً أتباع المصطفى، وكثرةً أتباع أبي لهب! هذا المسلم مضيء القلب، الَّذي يُضيء ضميره بدون سراج، كالحرييرِ نعمةً ولُطفاً في شبابه، تموت الرِّغبة في صدره! وهذا العبدُ أبو العبد ابن العبد، فكره في الحريَّة حرام! أخذ أهل العلم جذبة الدِّين منه، ولا يَعلم من وجوده سوى أَنَّهُ كائنٌ حي، فنسي نفسه، وتعلَّق بالغرب، يَطْلُب منه خبز الشعير!"

إذاً لن يَنْهَضَ العالم الإسلاميُّ المعاصر إلا إذا تَخَلَّصَ من تبعيته للغرب، هذا الغرب الذي يُسبِّهه (محمد إقبال) بالذئب الذي يوصي الحمل بأن يبتني حظيرته في فئانه! والواضح تماماً لدى الشاعر أن التَّعَارُضَ - بل التَّضَادَّ - قائمٌ - وسيظلُّ - بين الغرب والعالم الإسلامي؛ لأنَّ مُنْطَلَقَاتِ كُلِّ مِنْهُمَا مُخْتَلِفَةٌ تَمَامًا. فالغرب لا يعترف إلاَّ بحضارة الجسد، بينما العالم الإسلاميُّ كلُّه يقوم تصوُّره على أنَّ الإنسان - أكرمَ المخلوقات - مكوَّنٌ من جسد وروح، وهذا يعني أننا أمام طرفين: أحدهما تقوم حضارته على الإيمان بالله الواحد، والطرف الآخر ميَّال بطبعه وحضارته إلى الإلحاد.

وأخيراً، فإنَّ تميُّز الشاعر (محمد إقبال) يَظْهَرُ - بالإضافة إلى فكره الثاقب، وتحليلاته الدقيقة، وملاحظاته الواعية - في صُوْرِهِ الشعريَّةِ التي تُضْفِي على أبياته جمالاً وروعة، وتبثُّ فيها روحاً وحيويَّةً، وتجعلها تنتقل بين العقول والقلوب، وتمتزج بالنفوس والأرواح، ومن المقرَّر أنَّ هذه الخصائص تقف وراءها موهبةٌ شعريَّةٌ متكاملَةٌ العناصر والأدوات (1).

حب إقبال للعربية واتصاله بالعرب: خاطب (محمد إقبال) العرب خاصة، والمسلمين عامة، قائلاً لهم: "إنكم الآن تجتازون أدقَّ مرحلة، وتقومون بأصعب دور في حياتكم السياسية؛ فعليكم أن تحتفظوا بالارتباط الشامل، والاتحاد القومي، في العزائم والجهود، وفي الوسائل والغايات، إنني لا أستطيع أن أخفي عنكم شعوري بأنكم -في سبيل تدارك هذه الحال الخطرة- لابد أن تناضلوا كِفاحَ الحرية. ولا سبيل إلى محاولة أخيرة لكسب سياسي؛ إلا حيث تكون العزائم عزماً واحداً، والقلوب المتباعدة قلباً واحداً، وأن تتركز مشاعركم في مطلب لا تختلفون عليه. إنكم تستطيعون ذلك، وبِقوَّة -إن شاء الله- يوم تتحررون من القيود النفسية، وحين تضعون أعمالكم الفردية والاجتماعية في ميزان ما تشدونه من الأهداف العالية، والمثل الرفيعة".

ويقول عنه "د. عائض القرني": "هو يحب العرب كثيراً، ويقول: يا ليتني أُجيد اللغة العربية مئة في المئة. ومع ذلك لا زلنا والحمد لله نتمتع بمقطوعاته الجميلة الإيمانية". ويقول في قصيدته واصفاً حاله: أنا أعجميُّ الدنِّ، لكنَّ خمرتي صنُّع الحجازِ وكرمها الفينانِ

(26) حامد طاهر، مرجع سابق.

إن كان لي نغم الهنود ولحنهم لكنّ ذلك الصوت من عدنان⁽¹⁾.

وأما اتصال (محمد إقبال) بالعرب فلعل أول زيارة لإقبال للعالم العربي كانت عام 1905م، إذ توقفت الباخرة التي كانت تقله إلى إنكلترا في عدن وبورسعيد، "لم يخرج إقبال من الباخرة في عدن؛ بسبب شدة حرارة الجو، ولكنه خرج متنزهاً في بورسعيد فزار بعض المدارس والمساجد"⁽²⁾.

ولدى توقفه هناك؛ كتب رسالة في قناة السويس إلى حاكم مصر، وكان يومها الملك فؤاد (1917-1936م) يقول: "بسم الله الرحمن الرحيم، من إقبال إلى فاروق مصر: يا فاروق مصر! إنك لن تكون كالفاروق عمر، حتى تحمل برّة عمر! والسلام!!". وربما أطلق على الملك فؤاد لقب (الفاروق) تيمناً بالفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه⁽³⁾.

وقد تأخر تعرّف إقبال كثيراً في البلاد العربية، فمع أنّ رحيله كان عام 1938م؛ فإن التعريف به الذي يستحقه جاء بعد أكثر من عقد من الزمن، بيد أن التعريف به - في حياته - كان مقتصراً على النخبة المثقفة فقط، التي كانت تهتم باللغة الفارسية والأردية. ويبدو أن أول تكريم لإقبال في بلاد العرب كان في مصر، وهو في طريقه إلى فلسطين، لحضور المؤتمر الإسلامي الأول، عام 1931م؛ إذ رسا مركب إقبال في قناة السويس، شأنه شأن أي مسافر على متن باخرة في الطريق نفسه، ثم عرّج على الإسكندرية، حيث أقامت له "جمعية الشبان المسلمين" احتفالاً هناك، يقول (عبد الوهاب عزام): "وكان من سعادة الجدّ، وغبطة العين والقلب؛ أن قدّم (محمد إقبال) مصر في طريقه إلى المؤتمر الإسلامي، الذي اجتمع في المسجد الأقصى، سنة 1931م؛ ودعت "جمعية الشبان المسلمين" إلى الاحتفال بالرجل العظيم. واقترح أستاذنا الشيخ (عبد الوهاب النجار) - رحمه الله - أن أقدّم (محمد إقبال) إلى الحضور"⁽⁴⁾.

(27) عايض القرني، مملكة البيان، دار ابن حزم، الرياض، ط1، 1422هـ..، ص 18.

(28) خليل محمود الصمادي، الشاعر محمد إقبال وصلته بالعرب، مقال منشور على الإنترنت.

(29) مملكة البيان، مرجع سابق، 22.

(30) عبد الوهاب عزام، موقع رابطة أدباء الشام على الإنترنت.

المبحث السابع

مسائل أخرى متفرقة في شعر محمد إقبال

أولاً: علاقة محمد إقبال بالمشاهير والحكام:

كانت قضيت "محمد إقبال" الكبرى أن يُؤمنَ الناسُ ويهتدوا إلى الحق، فأرسل رسالة إلى "لينين"، زعيم الاشتراكيين وقائد ثورة 1917م في روسيا التي ألغت الملكية القيصيرية ورسخت قواعد الاشتراكية العالمية، وكان (محمد إقبال) مشهوراً على مستوى العالم يعرفه لينين، ويعرفه أذنان الشرق والغرب، يقول: "أتق الله يا لينين، فإنك قصمت ظهر الرأسمالية فأحسنت، فألحق بقصمك للرأسمالية لا إله إلا الله"⁽¹⁾ ودخل على "نادر شاه" في كابل، ونادر شاه كان ملك أفغانستان آنذاك، وكتب رسالة إلى "محمد إقبال" يقول: "أقدم إلينا، اقدم إلينا". فدخل محمد إقبال فخرج الأفغان ألوفاً مؤلفة في الشوارع يستقبلونه، فأخذ - قبل أن يقابل الرئيس أو الملك- نسخة من المصحف وأعطاه، وقال: "يا نادر شاه، والله لن تعلق بشعب الأفغان حتى تأخذ هذه الوثيقة، إنني أتيت بها من الله"⁽²⁾. يعني: أن هذا القرآن من الله.

ثانياً: استشهاد فاطمة بنت عبدالله: استشهاد امرأة على تری أرض عربية نتيجة تصدي شعب هذه الأرض للهجمة الاستعمارية، قد يكون حدثاً عادياً يتكرر في أماكن كثيرة دون أن يترك أثراً أو ذكراً، إلا أن حدثاً مثل هذا لم يمر مرور الكرام عند شاعر العروبة والإسلام (محمد إقبال)، فانبرى يرثي الشهيدة "فاطمة بنت عبدالله" التي استشدهت وهي تطوف بالماء على المجاهدين والجرحي في الحرب الإيطالية - الطرابلسية، التي نشبت بين عرب ليبيا والمستعمر الإيطالي، بعصارة فنه ولحنه ليثبت الشاعر أنه لم يكن فكره يوماً متحيزاً لبيئته ولا قارته، بل تجاوز ذلك إلى كل بقعة في أرض العرب والمسلمين، وحسبنا هذا بينة على أن إقبالاً كان يقف من المسلمين على اختلافهم في

(31) عبد العظيم رمضان، تاريخ أوروبا والعالم، جزء (2) الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1997م، ص 269

عبد اللطيف الجوهري، مع إقبال شاعر الوحدة، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، القاهرة، 1986م، ص 132) 32

الجنس والوطن واللسان، موقفه من مسلم واحد تجمعه بأخيه في الدين وحدة الإيمان، والذي طالما عبر عن هذا المبدأ الذي ثبت عليه في كثير من أشعاره، ولم يحد عنه لأي سبب من الأسباب (1).

يقول إقبال:

"أنتِ لئامةُ عنوانِ الشرفِ / وبهذا فتراكِ قد هتفِ / نلتِ هذا حوراءُ الصَّحاريِّ / فجعلتِ السَّقِيَّ لَكُنْ بِالْفَخَارِ / ذَا جِهَادٍ دُونَ دَرِعِ أَوْ حُسَامٍ / لِشَهِيدٍ إِنَّ هَذَا لِلْمَرَامِ / بُرْعَمُ أَنْتِ وَلَكُنْ فِي الْخَرِيفِ / فِي رَمَادِ شُعْلَةٍ ذَاتِ وَرَيْفٍ* / إِنَّ فِي الصَّحْرَاءِ أَسْرَابَ الظُّبَاءِ / كَمْ بُرُوقِ بَغَمَامٍ فِي خَفَاءٍ / وَعَلَيْكَ الدَّمْعُ حَتَّى لَوْ سَكَبْنَا / وَأَقْمَنَا مَاتَمًا فِيهِ طَرِينًا / فِي ثَرَاكِ قَدْ رَقَدَتْ يَا شَهِيدَةً / وَبَذَرَاتِ الثَّرَى رُوحَ جَدِيدَةٍ / مَا بِهِذَا الْقَبْرِ مِنْ صَمْتٍ رَهِيْبٍ / إِنَّمَا جِيْلٌ عَلَيْهِ لِلرَّقِيْبِ / لَسْتُ أُدْرِي الْجِيْلُ مَاذَا يَقْصِدُ / هُوَ يَأْبَى أَنْ يُضَمَّ الْمَرْقَدُ / هُوَ ذَا بَدْرٍ جَدِيدٍ فِي السَّمَاءِ / لَمْ تَرَ الْعَيْنُ مَثِيْلًا فِي الضِّيَاءِ / هُوَ ذَا نَجْمٍ جَدِيدٍ يُرْتَقَبُ / فِي صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ مَا احْتَجَبُ / وَجَدِيدًا وَقَدِيمًا قَدْ جَمَعَ / كَسْنَاكِ لِعِيُونٍ قَدْ لَمَعُ" (2).

ثالثاً: حصار أدرنة:

كونت دول البلقان (بلغاريا، وصربيا، والجبل الأسود) حلفاً في ما بينها عام 1910م، وقامت بمهاجمة تركيا التي كان قد حدث فيها انقلاباً ضد السلطان عبد الحميد الثاني بقيادة رجال تركيا الفتاة الذين تمكنوا من عزل السلطان وإعلان العمل بالدستور، وقد فوجئ الجيش التركي بخوض هذه الدول الحرب ضده رغم تحفظ الدول الكبرى _آنذاك_ روسيا وبريطانيا على هذه الحرب، وتحذير بلغاريا من المساس بأراضي الدولة التركية، إلا أن القوات البلغارية قامت بالهجوم على الأتراك، وتمكنوا من تحقيق انتصاراً

(33) بدائع العلامة إقبال، مرجع سابق، ص 35.

(♣) الوريث، جمال خضرة الزرع.

(34) بدائع العلامة إقبال، مرجع سابق، ص 177.

كبيراً على الجيش التركي فقدت معه تركيا معظم أراضيها في أوروبا، واستمر الجيش البلغاري في التقدم نحو القسطنطينية، وحاصرت قواته مدينة "أدرنة"⁽¹⁾.

وقد سعت الدولة العثمانية إلى تخفيف الضغط على مدينة أدرنة المحاصرة فشنت هجومها مضاداً على القوات البلغارية، وتمكنت من وقف هجوم الحلفاء على القسطنطينية، وهنا تدخلت بريطانيا، ودعت إلى وقف الحرب، وعقدت معاهدة بين الأتراك ودول البلقان في 30 مايو عام 1913. تم بموجبها التنازل عن جميع الأراضي العثمانية التي تقع غرب خط أينوس- ميدا للاتحاد البلقاني، أعلنت المعاهدة أيضاً قيام دولة ألبانيا المستقلة، وكانت غالب الأراضي التي كانت مخصصة لتشكيل الدولة الألبانية الجديدة يشغلها _آنذاك_ إما اليونان أو صربيا، إلا أن الدولتان قامت بسحب قواتهما على مضض⁽²⁾.

يقول إقبال متأثراً بهذه الأحداث:

"بَيْنَ حَقٍّ أَجَبْتُ حَرْبٌ وَبَاطِلٌ / لَجَأَ الْحَقُّ إِلَى سَيْفٍ يُقَاتِلُ / وَصَلْبِيًّا جَمَعُوهُ بِالْهَلَالِ / ثُمَّ شُكْرِي حَاصِرُوهُ
فِي النَّوَالِ / وَعَتَادُ الْمُسْلِمِينَ قَدْ نَضَبُ / غَابَ نَصْرٌ عَنْ عِيُونٍ وَاحْتَجَبُ / قَائِدُ الْأَتْرَاكِ أَمْرًا أَصْدِرَا / وَرِجَالُ
الْحَرْبِ حَتَّى أَمْرًا / كُلُّ شَيْءٍ كَانَ لَكُنْ لِلْعَرَمِ / حَبَّةَ الْعُصْفُورِ صَقْرٌ قَدْ عَدِمَ / لِلْفَقِيهِ قَدْ نَمَا هَذَا الْخَبِرُ / مِثْلَ
نَارِ الطُّورِ أَضْحَى فِي شَرَرٍ / مَالُ ذِمِّي عَلَيْنَا قَدْ حَرَمُ / هَذِهِ الْفَتَوَى بِهَا كُلُّ عِلْمٍ / لَمْ يَمَسَّ الْجَيْشُ مَالًا
لِأَحَدٍ / غَيْرَ تَسْلِيمٍ بِحُكْمٍ مَا وَجَدُ".

كما تثبت هذه القصيدة _أيضاً_ اهتمام (محمد إقبال) بما يحدث من متغيرات سياسية نتيجة الصراع المرير الذي يخوضه العرب والمسلمون ضد أطماع الغرب المستعمر، وهجمته الشرسة على الشرق مستغلاً ضعف الدولة العثمانية، وتحفزه للانقضاض على جميع ممتلكاتها في الشرق والغرب، مما

(35) هارولد تمبرلي، أ.ج. جرانيت: أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين، ترجمة، محمد علي أبو درة، ولويس اسكندر،

مراجعة، أحمد عزت عبدالكريم، القاهرة، مؤسسو سجل العرب، 1965م، ص 150-152.

(36) Turkish General Staff, Balkan Harbi (1912-1913) 1 Cilt, Harbin Sebepleri, Askeri Hazirliklar ve Osmanli Devletinin Harbi Girişi (Inkinci Baski), (Ankara: Generalkurmay Basimevi, 1993) p.100, as found in Erickson, 2003, p.52.

يعيد للأذهان تاريخ الحروب الصليبية والصراع الدامي بين الإسلام والمسيحية، وهو التوجس الذي انعكس على معنى القصيدة ومغزاها⁽¹⁾.

رابعاً: أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

كان الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم المثل والقُدوة في البذل والعطاء ومواساة الفقراء والمحتاجين واقتدى به أصحابه رضوان الله عليهم، وأخذوا يتنافسون في الإنفاق، ويسارعون إلى بذل أموالهم لله ولرسوله وللمؤمنين خاصة الأغنياء منهم. فقد روى (أسامة بن زيد بن أسلم)، عن أبيه قال: "كان أبو بكر معروفاً بالتجارة، ولقد بُعث النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعنده أربعون ألفاً فكان يعتق منها، ويعول المسلمين حتى قدم المدينة بخمسة آلاف، وكان يفعل فيها كذلك". وروى (أبو هريرة) رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ، مَا نَفَعَنِي مَالٌ أَبِي بَكْرٍ". فبكى أبو بكر وقال: وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله؟".

وأخرج أبو داود عن عمر بن الخطاب قال: "أمرنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَتَصَدَّقَ، ووافق ذلك مالاً عندي، فقلت، اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته، فجئت بنصف مالي، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ما أبقيت لأهلك؟" قلت: مثله، وجاء أبو بكر بكل ما عنده، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يا أبا بكر، ما أبقيت لأهلك؟" قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قال عمر: لا أسبقه إلى شيء أبداً".⁽²⁾

إن حب الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وتسابقهم في البذل والعطاء بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وخاصة صاحب رسول الله ورفيق دربه وهجرته وخليفته من بعده "أبو بكر الصديق" رضي الله عنه، أثر في الشاعر (محمد إقبال) وانعكست هذه المواقف في وجدانه إكباراً وإجلالاً، أخذ يعبر عنها بقوله:

(37) بدائع العلامة إقبال، مرجع سابق، ص 178.

(38) جميلة هادي الرجوي، بحث مقدم في ندوة السنة النبوية، بعنوان: (الأعمال، إدارتها وتمنياتها في السنة النبوية).

"كَانَ فِي أَمْوَالِكُمْ هَذَا الْمَزِيدُ/ فِيمَالٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ جُودُوا/ سَمِعَ الْقَوْلَ فِيهِ النَّوَّ عَمْرٌ/ وَيَمَالٍ جَبِيهُ
كَانَ عَمْرٌ/ وَبِهَذَا قَالَ إِنِّي أَلِيْقُ/ وَمَنْ الصَّدِيقُ إِنِّي أَسْبِقُ/ قَدِمَ الْمَالَ جَزِيلاً لِلرَّسُولِ/ إِنَّمَا الْإِيْثَارُ مَحْمُودُ
الْقَبُولُ/ فَرَسُورُ اللَّهِ قَالَ يَا عَمْرُ/ لَكَ قَلْبٌ هُوَ بِالْإِيْمَانِ قَرٌّ/ هَلْ تَرَكْتَ أَنْتَ شَيْئاً لِلْعِيَالِ/ إِنَّ ذَا الْقُرْبَى لَهُ
حَقٌّ يُنَالُ/ نِصْفُ هَذَا الْمَالِ لَكِنْ حَقَّهُمْ/ نِصْفُهُ الثَّانِي يَنَالُ غَيْرُهُمْ/ جَاءَ فِي النَّوِّ رَفِيْقٌ لِلنَّبُوَّةِ/ وَمِثَالُ
لِلصَّفَاءِ وَالْأَخُوَّةِ/ إِنَّمَا جَاءَ بِكُلِّ مَا لَدِيهِ/ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ هَانَ عَلَيْهِ/ مَا تَبَقَى فِي يَدِيهِ مِنْ دَرَاهِمٍ/ بِمَتَاعٍ
جَادٍ بَلْ حَتَّى السَّوَانِمِ/ إِنَّ ذَا الْقُرْبَى حَقِيْقٌ بِالرَّعَايَةِ/ بَدَأَ الصَّدِيقُ قَوْلَا فِي النِّهَائَةِ/ كُلُّ جِرْمٍ فِي السَّمَاءِ
مِنْكَ اسْتَتَبَ/ وَكَلِّقَ الْكُوْنَ ذِيَاكَ السَّبِيْبُ/ لِلْفَرَاشِ الشَّمْعُ طَيْرٌ لِلشَّجَرِ/ لِرَسُولِ اللَّهِ صَدِيقٌ ظَهَرَ"⁽¹⁾.

خامساً: غزوة اليرموك:

تعتبر معركة اليرموك واحدة من أبرز المعارك التي خاضها المسلمون بعد وفاة الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - وهي معركة خالدة أرّخها المسلمون لحظةً بلحظة، فهي التي أسست لعصر جديد من العزة، والمنعة، والتوسع، وتعتبر معركة اليرموك واحدة من أبرز الانتصارات التي حققها المسلمون بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد وقعت المعركة قرب نهر اليرموك، الذي ينبع من جبال حوران، والذي يجري بدوره قرب الحدود الفاصلة بين فلسطين وسوريا، وكان عدد جيش المسلمين يصل إلى ثلاثين ألف مقاتل أو يقلون قليلاً، وفي المقابل بلغ عدد جيش الروم ما يقارب المئتين وأربعين ألفاً. وكان الخليفة أبو بكر الصديق قد أمر خالد بن الوليد ليقود الجيش، لما عرف عنه من شجاعة وحكمة عسكرية، وعسكرية في إدارة المعارك منذ أن كان في الجاهلية، وقبل أن يسلم ويلقبه الرسول صلى الله عليه وسلم بسيف الله المسلول. وبالفعل حقق الجيش الإسلامي بقيادة خالد بن الوليد انتصاراً كبيراً في على قوات الروم، فقتل وأسر منهم الكثير، وفرّ باقي الجيش منهزماً، وهنا توفي الخليفة أبو بكر، وخلفه الخليفة عمر بن الخطاب الذي قام بعزل خالد من قيادة الجيش وولى بدلاً عنه "أبو عبيدة بن الجراح"، ولم يعزله عمر بن الخطاب بغضاً به، ولكنه ضحى بذلك في سبيل توحيد المسلمين، حيث رأى أن الجند قد تعلقوا

(39) بدائع العلامة إقبال، مرجع سابق، ص 182، 183.

بخالد، واعتمدوا على عبقريته، فعزله ليفهموا أن النصر من عند الله، وأن هذا النصر يأتي بخالد وبدونه، وحتى يتكلموا على الله عز وجل، لا على بشر مهما كان قوياً وذكياً⁽¹⁾.

يقول (محمد إقبال) شعراً مسجلاً هذا الانتصار:

"عَرَبٌ جَالُوا وَصَالُوا بِالْحَسَامِ/ تَبْتَغِي حِنَاءَهَا خَوْدٌ* الشَّامُ/ جَاءَ شَابٌ فِي حِمَاسٍ مُضْطَرِمٍ/ يَسْأَلُ الْقَائِدَ
إِنْ كَانَ عِلْمٌ/ قَالَ تَوَا فَلْتَمَرْنِي بِالْقِتَالِ/ عَيْلٌ صَبْرِي إِنْ صَمْتِي الْيَوْمَ طَالَ/ إِنَّ حُزْنِي مِنْ فِرَاقِ لِلرَّسُولِ/
بِفِرَاقِ عَن حَبِيبٍ مَنْ يَقُولُ/ إِنِّي أَمْضِي إِلَيْهِ لَا مَحَالَةَ/ وَإِلَيْهِ حَامِلٌ أَيَّ رِسَالَةٍ/ فَإِذَا بِالْعَيْنِ مِنْهُ تَدَمَعُ/
عَيْنُهُ كَانَتْ كَسِيفٍ يَلْمَعُ/ أَنْتَ صِنْدِيدٌ وَكَسْتُ بِالنَّزِقِ/ أَنْتَ يَا هَذَا لِنِعَمٍ مِّنْ عَشْقٍ/ وَبِفَضْلِ اللَّهِ تَحْقِيقُ
الْهَدْفِ/ أَنْتَ مِنْ حُبِّ النَّبِيِّ ذُو الشَّرَفِ/ إِنَّ شَرَفْتَ ذَاتَ يَوْمٍ بِالْمَثُولِ/ فَلْتُبْلَغْ يَا بُنْيَ مَا أَقُولُ/ إِنَّمَا اللَّهُ
بِنَصْرِ قَدِّ وَعَدِّ/ وَبِهَذَا النَّصْرِ كُلُّ قَدِّ سَعِدٍ"⁽²⁾.

سادساً: في أرض فلسطين:

تحركت السيارات التي كانت تقل ضيوف المؤتمر الإسلامي المنعقد في القدس عام (1931م)، ودخلت في الفضاء الواسع، وطلعت الشمس وأرسلت خيوطها الذهبية، كأنها جدول نور نبعت من عين شمس، ولا يزال الشروق مصدر سرور وإلهام للشعراء، والتقى جمال المكان بجمال الزمان، فأثر ذلك في الشاعر والفيلسوف الكبير "محمد إقبال"، الذي جاء من أوربا يمثل الهند الإسلامية في المؤتمر الإسلامي.

وقد تهيأ الجو وتوفرت الأسباب لإمتاع الشاعر وإثارة قريحته، فقد غطت الجو سحائب ذات الألوان واكتست جبال فلسطين بطيلسان جميل زاهي اللون، وهب النسيم عليلاً بليلاً، وأصبحت الرمال في صفائها ونعومتها حريراً، وطاب المكان والزمان للشاعر وسمع كأن منادياً من السماء يحثه على أن يلقي عصا التسيار ويؤثره بإقامته.

(40) مقال عبقرية خالد العسكرية/ الشيخ علي طنطاوي/ 2003/01/14/ موقع المقالات/ إسلام ويب/ islamweb.net/،

أيضاً: ابن جرير الطبري، تاريخ الأمم والرسول والملوك، الجزء الثاني، ص 396.

(41) ديوان بال جبريل، بدائع العلامة إقبال ص 196، 197.

حرك هذا المنظر البديع في هذا المكان الرفيع الذي أكرمه الله بجمال الطبيعة والرسالات السماوية الحب الدفين للإسلام للأمة الإسلامية، وسيطر حبه على مشاعره وقال بلسان الشاعر العربي البليغ :

"ولما نزلنا منزلاً ظلُّه الندى / أنيقاً وبُستاناً من النورِ حاليًا / أجدُّ لنا طيبُ المكانِ وحُسنه / منى، فتمنينا، فكنتِ الأمانيًا".

وثارت فيه العواطف والخواطر ورأى أن ركب الحياة بطئ لا يسايره في أفكاره الجديدة، وخواطره الوليدة، ورأى أن العالم عتيق شائب وفكره الإسلامي جديد فتي، ورأى أن العالم قد تجددت فيه أصناماً وأوثاناً، وبنيت هياكل جديدة يعبد فيها صنم القومية والوطنية واللون والجنس والنفس والشهوات، وقد تسربت هذه الوثنية إلى العالم الإسلامي والعربي، وأصبح في حاجة إلى ثورة إبراهيمية جديدة، إلى كاسر أصنام يدخل في هذا الهيكل فيجعل هذه الأصنام جثثاً.

وسرح طرفه في العالم الإسلامي فوجد إفلاساً محزناً في العقل والعاطفة، ورأى العربي قد ضعف في إيمانه وعقيدته وفي لوعته وعاطفته، ورأى العالم العجمي قد فقد العنف والسعة في التفكير، ورأى النظام المادي والحكم الجائر المستبد ينتظر ثائراً جباراً جديداً، يغضب للحق ويثور. ويرى (محمد إقبال) أن السبب في هذا التحول العظيم هو ضعف العالم الإسلامي في العاطفة والحب، الذي هو مصدر الثورات والبطولات، فانطلق يشيد بفضل الحب وتأثيره ويقول:

" لا بد أن يعيش العقل والعلم في حضانة الحب وإشرافه وتوجيهه، ولا بد أن تسند الدين وتغذي عاطفة قوية وحب منبعه القلب المؤمن الحنون، فإذا تجرد الدين عن العاطفة والحب أصبح مجموعة من طقوس وأوضاع وأحكام لا حياة فيها ولا روح، ولا حماسة فيها ولا قوة، هذا الحب الذي صنع المعجزات، هو الذي ظهر في صدق الخليل وصبر الحسين، وهو الذي تجلى في معركة بدر وحنين".

ويعترف أمام الله بأنه لم يكن سعيداً في دراساته العلمية الواسعة، وأنه قد اتضح له أخيراً أن المعلومات لا تعطي الثمرات، وليس كل من درس علم النخيل تمتع بالرطب، ويذكر الصراع بين العقل والعاطفة والمصلحة والإيمان، ذلك الصراع الذي لم يزل ولا يزال قائماً حامياً، ويذكر معركة قامت في فجر التاريخ الإسلامي بين المادة والإيمان، حمل لواء المادة أبو لهب وأمثاله ورفع راية الإيمان فيها محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولكل حلفاء ولكل معسكر.

فليُنظر العالم العربي إلى أي معسكر ينضم إلى معسكر المادة والمعدة أم إلى معسكر الإيمان والإخلاص، وإلى أي راية ينضوي، إلى الراية الجاهلية التي قاتل تحتها أبو جهل وأبو لهب، أم إلى الراية المحمدية التي أُلنف حولها أبو بكر وعمر⁽¹⁾.

الخاتمة:

الحمد لله بدءاً وانتهاءً، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فيطيب لي في نهاية البحث أن أختمه بذكر ما توصلت له من نتائج، وهي على النحو التالي:

من خلال هذا العرض لبعض نصوص (محمد إقبال) المترجمة شعراً ونثراً، تبين لنا القيمة التاريخية التي عكست موسوعية الشاعر والفيلسوف، واهتمامه الكبير بقضايا أمته التي ينتمي إليها وتغنيه بأمجاد العرب والمسلمين والدعوة لإحيائها، وتأكيدده على أن العقل العربي كان الأقدر على فهم الإسلام فهماً صحيحاً، والأجدر على حمل أمانته. وقد عني الشاعر عناية عظيمة بالغوص في بحر القرآن وتدبر معانيه، وهو الأمر الذي انتفع به الشاعر انتفاعاً عظيماً عصمه من التيه الفكري والهيام الأدبي المتمحور حول الذات وحب الملذات، كما هو حال الكثيرين من أدباء وشعراء الأمة. كما حماه هذا التدبر أيضاً من الانجراف مع التيار العقلي الأوربي الذي كان سائداً في عصره، والذي يأخذ المرء بعيداً عن المعاني الروحية والمبادئ الخلقية، ولذا نراه يشد في نقد الحضارة الغربية المادية ويرى في الإسلام وحضارته السعادة الحقيقية.

وقد علم إقبال الجماهير المسلمة الفرق الجلي بين الحضارة الأوربية والأمريكية الخاوية على عروشها من أي معنى من معاني الإيمان والروح، وبين الحضارة المسلمة التي جمعت بين الدين والدولة، وبين الناحية الروحية التي يحتاج إليها الإنسان في كل يوم، وبين الناحية المادية التي تنهض بها الأرض في نطاق قضية الإعمار التي أشار إليها القرآن الكريم، ومن ثم أتى (محمد إقبال) إلى المسلمين، وأعلن أن الحضارة محتاجة إلى إيمان المؤمنين، وصلاة المصلين، وصدق الصادقين.

ورأينا كيف تغنى (محمد إقبال) في كثير من أشعاره بأمجاد العرب وندبها في ذات الوقت، وما تفجعه على المسلمين وقد زار قرطبة، ووقف أمام الجامع ولم يجد المسلمين، ووجد المسجد قد حوّل إلى حانات من الخمر، إلا مثلاً على ذلك، وكذلك تذكره للفردوس المفقود (الأندلس)، ودعاء طارق وما تركه من حنين في قلب الشاعر ورحه لتلك الأمجاد والأيام الخوالي، ودعوته للمسلم أن يصحو من غفوته، ويسرج شعلة الإسلام التي ملأت العالم نوراً وحرارة، وتعد أندلسياته سجلاً تاريخياً حافلاً للأندلس، أمّا

(42) ديوان "بال جبريل"، روائع إقبال، مرجع سابق، ص 84-88.

شعره فإنه يتميز بأنه يوقظ العقول، ويهزُّ النفوس، ويُرَبِّي الآمال في الصدور، ولا عجب فقد سالت في شعره دموعه ودماءه، وفاضت فيه مهجته ودعاؤه.

لذا فإن أدب العلامة (محمد إقبال) رحمه الله يُعتبر من القواعد التي تشكَّلت على أطرها أسس الأدب الإسلامي، واحتوى في مضمونه على العلوم الطبيعية والتجارب الإنسانية الذي انتقل به من الإطار المحلي إلى العالمية، وهي الخاصة التي أثرت في فكره وشعره، وانطلقت به في مدارج أكثر رقى وأوسع انتشاراً، فتسابقت الأقلام ترصد بالدراسة والبحث موروثه الكبير، وتأثيره العظيم في الأجيال جيلاً بعد جيل.

المراجع:

- 1- أبو الحسن الندوي، روائع إقبال، دار الفكر، دمشق، ط1، 1960م.
- 2- تشالرز آر. بيتر، فكرة حقوق الإنسان، ترجمة: شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2015م.
- 3- جميلة هادي الرجوي، بحث مقدم في ندوة السنة النبوية بدبي، بعنوان: (الأعمال، إدارتها وتمنياتها في السنة النبوية).
- 4- حامد طاهر، بعث الروح الإسلامية في أمم الشرق عند محمد إقبال، سلسلة أبحاث جامعية محكمة، المقال منشور بالإنترنت على الرابط التالي:
http://www.alukah.net/literature_language/0/40145/
- 5- حازم محفوظ، حسين مجيب المصري، بدائع العلامة إقبال في شعره الأردني، ترجمة: ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م.
- 6- خليل محمود الصمادي، الشاعر محمد إقبال وصلته بالعرب، موقع الألوكة الأدبية واللغوية على النت رابط: http://www.alukah.net/literature_language/0/828
- 7- رضا العطار، فضل الحضارة الإسلامية على النهضة الأوروبية، مقال منشور على الإنترنت.
- 8- صقلية، موسوعة المعرفة على الإنترنت، على الرابط: www.marefa.org/index.ph
- 9- سيد عبد الماجد الغوري، ديوان "محمد إقبال"، الأعمال الكاملة، ط3، دار ابن كثير، بيروت، 2007م.
- 10- عبد الوهاب عزام، موقع رابطة أدباء الشام.
- 11- عبد العظيم رمضان، تاريخ أوروبا والعالم، جزء (2) الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1997م.

- 12- عبد اللطيف الجوهري، مع إقبال شاعر الوحدة، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، القاهرة، 1986م.
- 13- علي طنطاوي، عبقرية خالد العسكرية، مقال منشور بإسلام ويب، /2003/01/14/ islamweb.net/
- 14- عماد الدين إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، الجزء الثالث عشر، دار ابن الهيثم، القاهرة، 2006م
- 15- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، الجزء (1)، كتاب الإيمان، مؤسسة المختار، القاهرة، 2004م.
- 16- مسجد قرطبة، موسوعة ويكيبيديا على الإنترنت، <https://ar.wikipedia.org/wiki>
- 17- محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، ط5، 2005م.
- 18- محمد عبدالله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، الجزء الأول، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2001م.
- 19- ولي شيرين، تاريخ أوروبا السياسي والثقافي، ترجمة: د. نزار نبيل أبو منشار، وكذلك، جميلة الرجوي، محاضرات في تاريخ أوروبا السياسي، (الإصلاح الديني في أوروبا).
- 20- ول وايرل ديورانت، قصة الحضارة، الجزء (14، 24)، ترجمة: زكي نجيب محفوظ، تقديم: محيي الدين صابر، دار الجيل، بيروت.
- 21- هارولد تمبرلي، أ.ج. جرانيت: أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين، ترجمة، محمد علي أبو درة، ولويس إسكندر، مراجعة، أحمد عزت عبدالكريم، القاهرة، مؤسسو سجل العرب، 1965م.

المراجع الأجنبية:

- (1) Vasiliev, A.A., *Histoire de l'Empire Byzantin*, Paris, 1932, p.82.
- (2) Turkish General Staff, *Balkan Harbi (1912-1913) 1 Cilt, Harbin Sebepleri, Askeri Hazirliklar ve Osmanli Devletinin Harbi Girisi (Inkinci Baski)*, (Ankara: Generalkurmay Basimevi, 1993) p.100, as found in Erickson, 2003.



جامعة الناصر

AL-NASSER UNIVERSITY

مذهب جمهور الفقهاء المنصوص عليه في كتاب المغني لابن قدامة (ت620هـ)

"دراسة تحليلية تطبيقية"

د. مشعل بن حمود بن فالح النفيعي

أستاذ الفقه المساعد - قسم الدراسات الإسلامية كلية الآداب

وكيل عمادة شؤون الطلاب - جامعة بيشة - السعودية

malnefaie@ub.edu.sa

الملخص

3

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه
أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:
فقد قمت في هذه البحث بدراسة مذهب جمهور الفقهاء المنصوص عليه في
كتاب (المغني) للموفق ابن قدامة، دراسة تحليلية لجميع المسائل، مشتملة على
رسوم بيانية؛ تسهياً للمقارنة بين مذهب جمهور الفقهاء وغيره من المذاهب.
وأيضاً: دراسة فقهية تطبيقية على مسألتين من مسائل الجمهور.
وقد جاء البحث مكوناً من: مقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، وخاتمة.
أما المقدمة: فقد اشتملت على بيان أسباب اختيار الموضوع، والدراسات
السابقة، ومنهج البحث، وخطته.
التمهيد: وفيه التعريف بمصطلح مذهب جمهور الفقهاء، وبيان منزلته.
وفي المبحث الأول: وفيه طرق التعبير عن مذهب جمهور الفقهاء.
والمبحث الثاني: وفيه مسائل الجمهور التي جمعت بين مصطلحين.
والمبحث الثالث: وفيه علاقة مصطلح الجمهور بغيره من مصطلحات
الجمهور.
والمبحث الرابع: وفيه مخالفة بعض المذاهب للجمهور.
والمبحث الخامس: وفيه بعض نتائج الدراسة التحليلية.
والمبحث السادس: وفيه مسألتين الدراسة.
الخاتمة: وفيها أهم النتائج وأبرز التوصيات.

**The Jurist Majority Doctrine Stated in Ibn Qudamah's Book *El-Moghni* (620 H):
An Analytical, Applied Study**

Dr. Mishal Ben Hamoud Ben Falih Ennafee'i

Assistant Professor of Jurisprudence and Student Affair Deputy Dean, University of
Bisha, KSA

Abstract:

Praise be to God, and peace be upon our prophet Muhammad and all his followers:

In this research study, I scrutinize the doctrine of major Islamic Scholars insisted on in "AL-MAGHNI" book for his writer "Mowafek Bin Kodama. It's an analytic study of major issues supported by statistics and charts that facilitate the comparison between the doctrine of major Islamic Scholars and other ones. This research includes as well an applied doctrinal study of two controversial issues of the major Islamic Scholars' issues.

Contents:

- * Introduction: Rationale / Previous Studies / Research Methodology and Outline
- * Preface: The definition of the major Islamic Scholars' Doctrine and its status
- * The Six Research Studies:
 - Methods of presenting the major Islamic Scholars' Doctrine
 - Scholars' issues that combine two terminologies
 - The link between Major Scholars' Terminology and other Terminologies
 - The breach of major Islamic Scholars by other doctrines
 - Analytic Results
 - My Research Study
- * Conclusion: Main Results and Recommendations

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد اعتنى أهل العلم قديماً وحديثاً بذكر مذهب الجمهور في المسائل الفقهية، ومنهم: الموفق ابن قدامة في كتابه (المغني)، فكان عمدة في هذا الباب، ومرجعاً لمن بعده.

قال الإمام الذهبي: "قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام- وكان أحد المجتهدين-: ما رأيت في كتب الاسلام في العلم مثل (المحلى) لابن حزم، وكتاب (المغني) للشيخ موفق الدين"⁽¹⁾. ونقل عنه أنه قال: لم تطب نفسي بالفتيا حتى صار عندي نسخة المغني"⁽²⁾.

ورغبة في أفراد مذهب الجمهور المنصوص عليه في بحث مستقل، استعنت بالله في جمع المسائل الفقهية التي نص ابن قدامة على مذهب الجمهور فيها، فقاربت 900 مسألة، وجعلت دراستها في بحث تحت عنوان: "مذهب جمهور الفقهاء المنصوص عليه في كتاب المغني لابن قدامة، دراسة وتحليلاً وتطبيقاً".

أسباب اختيار الموضوع: تعددت الأسباب الداعية لاختيار هذا الموضوع، ومنها:

1- أهمية مذهب جمهور الفقهاء، ويدل عليه قول عبدالرحمن بن أبي الزناد: " أن أباه قال: كان من أدركت من فقهاءنا الذين ينتهي إلي قولهم، فذكر الفقهاء السبعة من التابعين ... وربما اختلفوا في الشيء، فأخذنا بقول أكثرهم وأفضلهم رأياً"⁽³⁾.

2- أن موضوع مذهب جمهور الفقهاء المنصوص عليه عند الأئمة المعترين كابن قدامة- بحسب علمي- لم يفرد بدراسة مستقلة مستفيضة مع أهميته البالغة.

3- جمع مسائل الجمهور المنصوص عليها في بحث مستقل من كتاب معتبر في هذا الشأن، وهو كتاب (المغني) للموفق ابن قدامة. تحقيق الدكتور عبدالله التركي، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية.

4- تنوع عبارات نقل مذهب الجمهور عند الموفق ابن قدامة، يثير الاهتمام بها والتميز بينها ودراستها

(1) انظر: سير أعلام النبلاء 18/193.

(2) انظر: المقصد الارشد 2/18.

(3) انظر: السنن الكبرى للبيهقي 3/186.

دراسة تحليلية.

5- كثرة المسائل الفقهية التي نص ابن قدامة على مذهب جمهور الفقهاء فيها، حيث قاربت على 900 مسألة.

الدراسات السابقة: وفتت على دراستين تتعلق بهذا الموضوع:

الأولى: موسوعة مسائل الجمهور في الفقه الإسلامي. تأليف الدكتور: محمد نعيم ساعي. نشر: دار السلام- الطبعة الثالثة 1431هـ، وتختلف عن هذا البحث في أنه جمع فيه مسائل الجمهور من 18 كتاباً، فبلغت 1800 مسألة، ولم يبين المنصوص عليه منها أنه مذهب الجمهور، فحين أن هذا البحث يتعلق بمسائل الجمهور المنصوص عليه، وبالغلة 900 مسألة تقريباً.

الثانية: مذهب جمهور الفقهاء للمؤلف: صبري الأشوح. نشر: دار النيل- الطبعة الأولى 1426هـ. ويختلف عن هذا البحث في أنه اتخذ عينة بلغت 300 مسألة تقريباً؛ ليبين الارتباط بين مذهب الجمهور والمذاهب الأخرى سواء بالتوافق أو بالتنافر. بينما هذا البحث حصر جميع المسائل الفقهية التي نص ابن قدامة على مذهب الجمهور فيها، والتي سيتناولها البحث بالدراسة التحليلية.

منهج البحث: سأسير في هذا البحث على منهج، أهم ملامحه ما يلي:

1. جمع المادة العلمية المتعلقة بالموضوع من كتاب (المغني) للموفق ابن قدامة.
2. استخدام نظام XL الحاسوبي لاستخدامه في عملية الفرز والرسوم البيانية.
3. الإشارة إلى مكان المسألة في كتاب المغني بالجزء والصفحة باستخدام الرمز (ج ص).
4. نقل رأي كل مذهب من كتبه المعتمدة وخاصة أقوال الأئمة الأربعة، مستعرضاً آراءهم وأدلتهم وتعليقاتهم ومناقشتها، مرجحاً ما قوي دليله وحجته قدر المستطاع.
5. عزو الآيات القرآنية الواردة إلى سورها؛ بذكر اسم السورة ورقم الآية.
6. تخريج الأحاديث والآثار الواردة في البحث.
7. بيان الألفاظ الغريبة من كتب اللغة والمعاجم.

8. عزو الأقوال إلى أصحابها من مصادرها المعتمدة، وتوثيق الاقتباسات والنقول في الحاشية بذكر اسم الكتاب ومؤلفه والجزء والصفحة .
9. فهرست المصادر، والمراجع، والموضوعات.
- خطة البحث:** قنضت طبيعة هذا البحث أن ينقسم إلى مقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، وخاتمة.
- المقدمة:** وفيها سبب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.
- التمهيد:** وفيه مطلبين:
- المطلب الأول: التعريف بمصطلح مذهب جمهور الفقهاء.
- المطلب الثاني: منزلة مذهب جمهور الفقهاء.
- المبحث الأول: طرق التعبير عن مذهب جمهور الفقهاء.
- المبحث الثاني: مسائل الجمهور التي جمعت بين مصطلحين.
- المبحث الثالث: علاقة مصطلح الجمهور بطرق التعبير الأخرى عن مذهب الجمهور.
- المبحث الرابع: مخالفة بعض المذاهب للجمهور، وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: مخالفة مذهب واحد للجمهور، وفيه سبعة فروع:
- الفرع الأول: مخالفة بعض الصحابة ﷺ للجمهور.
- الفرع الثاني: مخالفة بعض التابعين للجمهور.
- الفرع الثالث: مخالفة بعض المذاهب المندثرة للجمهور.
- الفرع الرابع: مخالفة الحنفية للجمهور.
- الفرع الخامس: مخالفة المالكية للجمهور.
- الفرع السادس: مخالفة الشافعية للجمهور.
- الفرع السابع: مخالفة الحنابلة للجمهور.
- المطلب الثاني: مخالفة مذهبين للجمهور:
- المطلب الثالث: مخالفة ثلاثة مذاهب للجمهور.
- المبحث الخامس: بعض نتائج الدراسة التحليلية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مسائل الجمهور التي لا خلاف فيها.

المطلب الثاني: المسائل التي شذت عن مذهب الجمهور.

المطلب الثالث: مسائل الترجيح المخالف للجمهور.

المبحث السادس: مسائل الدراسة، وفيه مطلبين:

المطلب الأول: مسألة أكثر النفاس.

المطلب الثاني: مسألة قول المنفرد: "ربنا ولك الحمد".

الخاتمة: وفيها أهم النتائج وأبرز التوصيات.

المطلب الأول

تعريف مذهب جمهور الفقهاء

مركب وصفي مكون من ثلاث كلمات، تتوقف معرفته على معرفة مفرداته.

قال الموفق ابن قدامة: "وينبغي أن يعرف البسيط قبل مركبه، فإن من لا يعرف المفرد، كيف

يعرف المركب"⁽¹⁾.

أولاً: تعريف مذهب جمهور الفقهاء باعتباره مركباً وصفاً:

أ- المذهب لغة: المعتقد الذي يذهب إليه. وذهب فلان لذهبه، أي لمذهبه الذي يذهب فيه.

والمذهب: الطريقة، يقال: ذهب فلان مذهباً حسناً، أي، طريقة حسنة⁽²⁾.

واصطلاحاً: اسم للمسائل التي يقول بها المجتهد، والتي يستخرجها أتباعه من قواعده⁽³⁾.

ب- الجمهور لغة: الرمل الكثير المترام الواسع. والجمهور: الأرض المشرفة على ما حولها.

وجمهور كل شيء: معظمه. وجمهور الناس: جلهم. وجماهير القوم: أشرفهم⁽⁴⁾.

واصطلاحاً: يطلق ويراد به الأكثر، ومن ذلك قيل للخلق العظيم: جمهور؛ لكثرتهم⁽⁵⁾.

ج- والفقهاء لغة: العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين؛ لسيادته وشرفه وفضله على

(1) روضة الناظر 57/1.

(2) انظر: لسان العرب، تاج العروس، كلاهما مادة (ذهب).

(3) انظر: الاختلاف الفقهي في المذهب المالكي، للخلفي، ص 43.

(4) انظر: الصحاح للجوهري، لسان العرب، مادة (جمهور)، المعجم الوسيط 137/1.

(5) انظر: المصباح المنير 174/2، المعجم الوسيط 37/1.

سائر أنواع العلم. والفقه- في الأصل-: الفهم. يقال: أُوتِيَ فلان فقهاً في الدين، أي: فهماً فيه⁽¹⁾.

وإصطلاحاً: العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية⁽²⁾.

ب-: تعريف مذهب جمهور الفقهاء باعتباره علماً ولقباً:

لم أجد بالتتابع عالماً استخدم مصطلح الجمهور، وفسر مراده بهذا المصطلح سوى الإمام النووي- رحمه الله- حيث قال: "وحيث أقول الذي عليه الجمهور كذا، أو الذي عليه المعظم، أو قال الجمهور، أو المعظم، أو الاكثرون كذا، ثم أنقل عن جماعة خلاف ذلك، فهو كما أذكره إن شاء الله تعالى. ولا يهولنك كثرة من أذكره في بعض المواضع على خلاف الجمهور، أو خلاف المشهور، أو الاكثرين ونحو ذلك، فإنني إنما أترك تسمية الاكثرين؛ لعظم كثرتهم، كراهة لزيادة التطويل"⁽³⁾ ويمكن من خلاله أن نستنبط تعريفاً لمذهب جمهور الفقهاء، بأنه: اتفاق أكثر الفقهاء على حكم مسألة من المسائل الفقهية. وخرج بقولنا اتفاق أكثر الفقهاء الإجماع؛ لأنه اتفاق جميع الفقهاء على حكم الحادثة الشرعية⁽⁴⁾.

المطلب الثاني

منزلة مذهب جمهور الفقهاء

يعتبر قول الجمهور أحد المرجحات لرواية على رواية، أو قول على قول، أو استبعاد وجه في المذهب، أو الحكم بالشذوذ على القول المخالف. وبيان ذلك في المسائل التالية التي ذكرها الموفق ابن قدامة بقوله: 1- "وأما تقديم الصوم على إحرام العمرة فغير جائز، ولا نعلم قائلاً بجوازه إلا رواية حكاها بعض أصحابنا عن أحمد، وليس بشيء؛ لأنه لا يقدم الصوم على سببه ووجوبه، ويخالف قول أهل العلم، وأحمد ينزه عن هذا"⁽⁵⁾.

2- "وإذا علق الطلاق بشرطين لم يقع قبل وجودهما جميعاً في قول عامة أهل العلم. وخرج القاضي وجهاً في وقوعه بوجود أحدهما؛ بناء على إحدى الروايتين فيمن حلف أن لا يفعل شيئاً ففعل بعضه. وهذا بعيد جداً يخالف الأصول ومقتضى اللغة والعرف وعامة أهل العلم"⁽⁶⁾.

(1) انظر: الصحاح للجوهري، لسان العرب، مادة (فقه)، المصباح المنير 479/2.

(2) الإبهاج في شرح المنهاج للسبكي 28/1. وانظر: شرح مختصر الروضة 133/1.

(3) انظر: المجموع شرح المذهب 5/1.

(4) انظر: الورقات (ص: 24).

(5) انظر: المغني 362/5.

(6) انظر: المغني 450/10.

3- "وجمهور أهل العلم على أنها لا تحل للأول حتى يطأها الزوج الثاني، وطأً يوجد فيه التقاء الختانين إلا أن سعيد بن المسيب من بينهم قال: إذا تزوجها تزويجاً صحيحاً لا يريد به إحلالاً، فلا بأس أن يتزوجها الأول...، ومع تصريح النبي ﷺ ببيان المراد من كتاب الله تعالى، وأنها لا تحل للأول حتى يذوق الثاني عسيلتها وتذوق عسيلته، لا يعرج على شيء سواه، ولا يسوغ لأحد المصير إلى غيره مع ما عليه جملة أهل العلم"⁽¹⁾.

4- "وإن كان الحمل اثنين أو أكثر، لم تنقض عدتها إلا بوضع الآخر؛ لأن الحمل هو الجميع. هذا قول جماعة أهل العلم إلا أبا قلابة وعكرمة فإنهما قالوا: تنقض عدتها بوضع الأول، ولا تتزوج حتى تضع الآخر...، وهذا قول شاذ يخالف ظاهر الكتاب وقول أهل العلم والمغني"⁽²⁾.

5- "فأما الأضراس والأنياب، فأكثر أهل العلم على أنها مثل الأسنان...، فكان ما ذكرناه مع موافقة الأخبار، وقول أكثر أهل العلم أولى"⁽³⁾.

6- "وأكثر أهل العلم على أن الموضحة في الرأس والوجه سواء...، وقد روي عن أحمد رحمه الله أنه قال: موضحة الوجه أحرى أن يزداد في دينها. وليس معنى هذا أنه يجب فيها أكثر والله أعلم، إنما معناه أنها أولى بإيجاب الدية. فإنه إذا وجب في موضحة الرأس مع قلة شينها واستتارها بالشعر وغطاء الرأس خمس من الإبل، فلأن يجب ذلك في الوجه الظاهر الذي هو مجمع المحاسن وعنوان الجمال أولى. وحمل كلام أحمد على هذا أولى من حمله على ما يخالف الخبر والأثر وقول أكثر أهل العلم"⁽⁴⁾.

7- "واختلفت الرواية عن أحمد في جاحد العارية، فعنه: عليه القطع...، وعنه: لا قطع عليه، وهو قول الخرقى وأبي إسحاق بن شاقلا وأبي الخطاب وسائر الفقهاء، وهو الصحيح إن شاء الله تعالى...، وفيما ذكرنا جمع بين الأحاديث، وموافقة لظاهر الأحاديث والقياس، وفقهاء الأمصار فيكون أولى"⁽⁵⁾.

المبحث الأول

طرق التعبير عن مذهب جمهور الفقهاء

تنوعت عبارات ابن قدامة في التعبير عن قول الجمهور في المسائل الفقهية الواردة في كتابه "المغني". وقد قمت بتقسيمها إلى ثمان مجموعات:

(1) انظر: المغني 548/10.

(2) انظر: المغني 229/11.

(3) انظر: المغني 131-132/12.

(4) انظر: المغني 159-160/12.

(5) انظر: المغني 416-417/12.

المجموعة الأولى: تضمنت لفظ " أكثر "، ويمثلها الجدول التالي:

المصطلح	الأكثرين	أكثر العلماء	أكثرهم	أكثر الفقهاء	أكثر أهل العلم	المجموع
عدد المرات	1	7	15	57	375	455

المجموعة الثانية: احتوت على عبارات يجمعها لفظ "العموم"، ويبينها الجدول التالي:

المصطلح	عامة المفتين	العامة بخلافه	عامتهم إلا	عامة العلماء	عوام أهل العلم	عامة أهل العلم	المجموع
عدد المرات	1	2	3	7	8	9	117
							182

المجموعة الثالثة: نصت على مصطلح الجمهور، كما في الجدول التالي:

المصطلح	جمهور أهل الفقه	جمهور أهل العلم	جمهور الفقهاء	جمهور العلماء	الجمهور	المجموع
عدد المرات	1	5	16	27	56	105

المجموعة الرابعة: اشتملت على الاستثناء من نفي الخلاف، والجدول التالي يبين ذلك:

المصطلح	لا نعلم اليوم فيه خلافا	أهل العلم على خلافه	لا نعلم فيه مخالفا إلا	لا نعلم أحدا خالف إلا	لا نعلم فيه خلافا إلا	المجموع
عدد المرات	3	9	19	19	53	103

المجموعة الخامسة: الاستثناء من الإجماع، كما هو مبين في الجدول التالي:

المصطلح	أجمع من نحفظ عنه	كافة العلماء إلا	جميع الفقهاء إلا	إجماع وحكي	باتفاق إلا	المجموع

					من أهل العلم إلا	
عدد المرات	16	4	15	19	5	59

المجموعة السادسة: تميزت بمصطلح "سائر"، وموضح في الجدول التالي:

المصطلح	سائر من بلغنا	سائر فقهاء الأمصار	سائر من ذكرنا	سائر من علمنا	سائر العلماء	سائر الفقهاء	سائر أهل العلم	المجموع
عدد المرات	1	1	1	5	8	19	36	

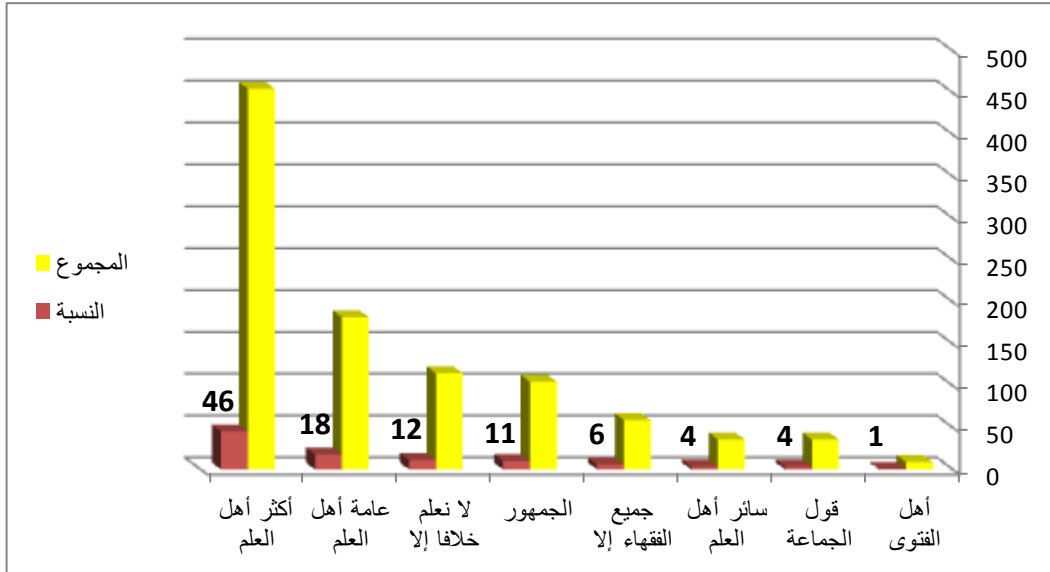
المجموعة السابعة: الاستثناء من قول "الجماعة"، كما هو مبين:

المصطلح	جماعة العلماء إلا	جماعة الفقهاء إلا	جماعة أهل العلم إلا	الجماعة إلا	المجموع
عدد المرات	3	3	5	25	36

المجموعة الثامنة: مخالفة "أهل الفتوى"، كما هو الحال في الجدول التالي:

المصطلح	أهل الفتوى على خلافه	أئمة الفتوى على خلافه	أهل الفتوى على خلافه	المجموع
عدد المرات	2	3	4	9

والرسم البياني التالي يبين النسبة بين هذه المصطلحات، فأعلى هذه المصطلحات نسبة مصطلح "أكثر أهل العلم" وأقلهم "أهل الفتوى":



المبحث الثاني

مسائل الجمهور التي جمعت بين مصطلحين

جمع الشيخ موفق في كثير من المسائل بين مصطلحين للجمهور، ووجدتها سبعة أنواع:

أولاً: مصطلح "لا أعلم خلافاً إلا" وما يماثله مع غيره: ويبينه الجدول التالي:

المجموع	المسائل (ج ص)				المصطلح 2	المصطلح 1	م
11	(283 /4)	(443 /2)	(331 /2)	(95 /2)	عامة أهل العلم	لا نعلم خلافاً إلا	1
	(409 /11)	(406 /9)	(249 /6)	(400 /5)			
		(347 /12)	(309 /12)	(148 /12)			
11	(247 /5)	(161 /4)	(69 /4)	(467 /3)	أكثر أهل العلم	لا نعلم خلافاً إلا	2
	(168 /12)	(138 /11)	(510 /8)	(291 /6)			
		(623 /13)	(293 /13)	(287 /12)			
10	(213 /3)	(125 /3)	(72 /2)	(25 /1)	الجمهور	لا نعلم خلافاً إلا	3
	(69 /6)	(354 /5)	(247 /5)	(73 /5)			
			(315 /12)	(230 /11)			

4	(599 /14)	(138 /11)	(107 /11)	(177 /9)	قول الجماعة		4	
2			(161 /4)	(329 /1)	سائر أهل العلم		5	
2			(138 /13)	(138 /13)	لا نعلم اليوم خلافاً		6	
2			(540 /13)	(291 /9)	أكثرهم		7	
2			(323 /13)	(471 /9)	إجماع وحكي		8	
1				(60 /1)	عامة الفقهاء		9	
1				(282 /13)	عوام أهل العلم		10	
1				(323 /13)	العامة بخلافه		11	
1				(268 /10)	جميع الفقهاء إلا		12	
3		(485 /13)	(376 /2)	(359 /1)	عامة أهل العلم		لا نعلم خلافاً	1
3		(449 /13)	(258 /3)	(92 /3)	أكثر أهل العلم			2
2			(467 /13)	(265 /1)	عامة الفقهاء			3
1				(401 /12)	الجمهور	4		
1				(438 /12)	أكثر الفقهاء	5		
1				(555 /9)	عامة العلماء	6		
1				(121 /10)	عامة أهل العلم	لا نعلم اليوم خلافاً	1	
1				(138 /13)	لا نعلم خلافاً إلا		2	
1				(254 /1)	أكثر أهل العلم		3	
1				(254 /1)	عامة الفقهاء		4	
2			(116 /13)	(484 /6)	أكثر أهل العلم	أهل العلم بخلافه	1	
1				(116 /13)	أجمع من نحفظ		2	
1				(323 /13)	لا نعلم خلافاً إلا	العامة بخلافه	1	
1				(323 /13)	إجماع وحكي		2	

ثانياً: مصطلح "عامة أهل العلم" مع غيره:

يبين الجدول التالي المسائل التي جمعت مصطلح "عامة أهل العلم" وما يماثله مع غيره من مصطلحات

الجمهور عدا مصطلح "لا أعلم خلافاً إلا" فقد سبق:

م	المصطلح 1	المصطلح 2	المسائل (ج ص)		المجموع
1	عامة أهل العلم	الجمهور	(246 /1)	(9 /9)	3
2		أجمع من نحفظ	(355 /8)	(509 /10)	3
3		أكثر أهل العلم	(75 /5)	(345 /12)	2
4		سائر أهل العلم	(555 /10)	(134 /13)	2
5		عامة الفقهاء	(9 /9)		1
6		قول الجماعة	(500 /11)		1
7		إجماع وحكي	(350 /8)		1
1	عامة الفقهاء	الجمهور	(9 /9)	(154 /9)	3
2		أكثر أهل العلم	(254 /1)		1
3		قول الجماعة	(341 /5)		1
4		عليه العمل	(154 /9)		1
1	عوام أهل العلم	أكثر أهل العلم	(170 /2)	(85 /13)	2
2		سائر أهل العلم	(336 /3)		1
1	عامة العلماء	سائر أهل العلم	(12 /9)	(547 /9)	2
2		الجمهور	(227 /1)		1
1	العامة بخلافه	أكثر أهل العلم	(406 /4)		1
2		إجماع وحكي	(323 /13)		1
1	عامتهم إلا	سائر أهل العلم	(8 /9)		1
1	عامتهم	أجمع من نحفظ	(463 /12)		1

ثالثاً: مصطلح "أكثر أهل العلم" مع غيره:

يبين الجدول التالي المسائل التي جمعت مصطلح "أكثر أهل العلم" وما يماثله مع غيره، عدا مصطلح "لا أعلم خلافاً إلا"، ومصطلح "عامة أهل العلم" فقد سبقا:

م	المصطلح 1	المصطلح 2	المسائل (ج ص)		المجموع
---	-----------	-----------	---------------	--	---------

ع									
7	/11 (444)	/11 (138)	(552 /9)	(113 /3)	(206 /1)	قول الجماعة	أكثر أهل العلم	1	
				/13 (223)	/12 (426)				
5	(552 /9)	(249 /9)	(247 /5)	(282 /1)	(23 /1)	الجمهور			2
5	/11 (195)	(543 /9)	(185 /8)	(161 /4)	(314 /3)	سائر أهل العلم			3
3			/13 (116)	/12 (272)	(237 /4)	أجمع من نحفظ			4
1					(420 /2)	أكثر الفقهاء			5
1					(141 /2)	عليه العمل			6
1					(58 /6)	كافة العلماء إلا			7
1					/13 (451)	إجماع وحكي			8
1					/12 (239)	الجمهور		أكثر الفقهاء	1
1					(288 /8)	أهل الفتوى	أكثر العلماء	1	
2				(273 /9)	(284 /4)	أجمع من نحفظ	أكثرهم	1	

رابعاً: مصطلح "الجمهور" مع غيره:

يبين الجدول التالي المسائل التي جمعت مصطلح "الجمهور" مع غيره عدا مصطلح "لا أعلم خلافاً إلا"، ومصطلح "عامّة أهل العلم"، ومصطلح "أكثر أهل العلم" فقد سبقوا:

م	المصطلح 1	المصطلح 2	المسائل (ج ص)			المجموع
1	الجمهور	قول الجماعة	(52 /6)	(220 /9)	(552 /9)	4
2		أهل الفتوى	(75 /4)	(449 /12)		2
3		سائر أهل العلم	(304 /9)			1
4		عليه العمل	(154 /9)			1

خامساً: مصطلح "الجماعة" مع غيره:

يبين الجدول التالي المسائل التي جمعت مصطلح "الجماعة" مع غيره من المصطلحات عدا ما سبق من المصطلحات: "لا أعلم خلافاً إلا"، "عامّة أهل العلم"، "أكثر أهل العلم"، "الجمهور".

م	المصطلح 1	المصطلح 2	المسائل (ج ص)			المجموع
1	قول الجماعة	إجماع وحكي	(11 /9)	(404 /10)	(227 /11)	3
2		سائر أهل العلم	(28 /9)			1

سادساً: مصطلح "سائر أهل العلم" مع غيره:

يبين الجدول التالي المسائل التي جمعت مصطلح "سائر أهل العلم" مع غيره من مصطلحات الجمهور، عدا ما سبق من المصطلحات: "لا أعلم خلافاً إلا"، "عامّة أهل العلم"، "أكثر أهل العلم"، "الجمهور"، "الجماعة"، وهي مسألة واحدة:

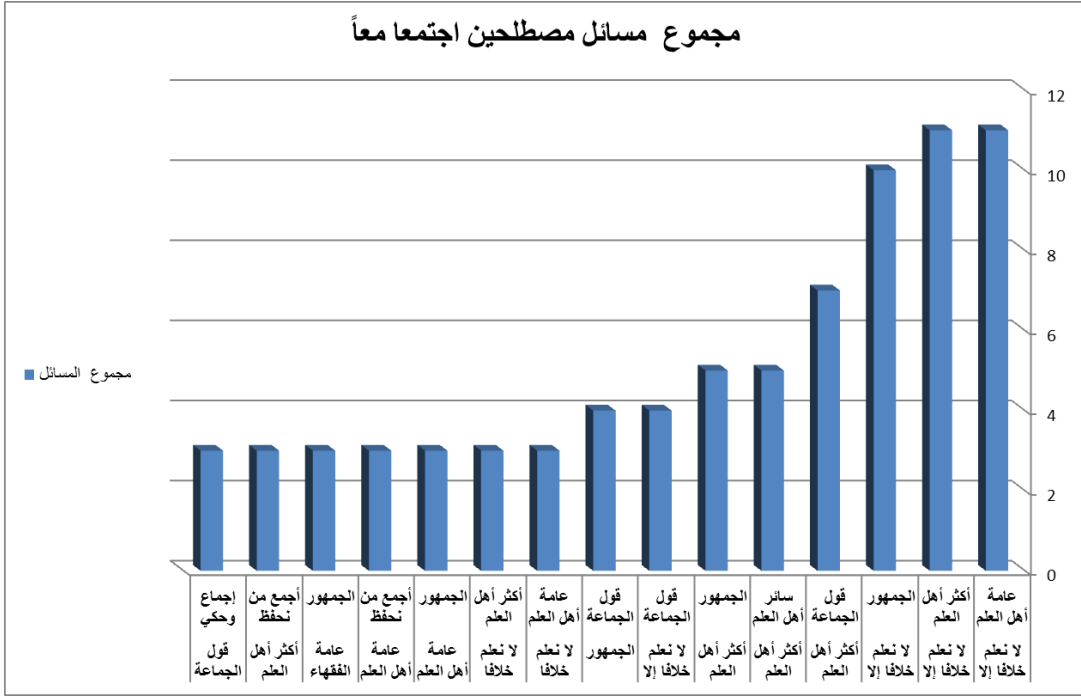
م	المصطلح 1	المصطلح 2	المسألة
1	سائر أهل العلم	أجمع من نحفظ	(469 /10)

سابعاً: مصطلح "جميع الفقهاء إلا" مع غيره:

يبين الجدول التالي المسائل التي جمعت مصطلح "جميع الفقهاء إلا" مع غيره من مصطلحات الجمهور، عدا ما سبق من المصطلحات: "لا أعلم خلافاً إلا"، "عامّة أهل العلم"، "أكثر أهل العلم"، "الجمهور"، "الجماعة"، "سائر أهل العلم"، وهي مسألة واحدة:

م	المصطلح 1	المصطلح 2	المسألة (ج ص)
1	جميع الفقهاء إلا	إجماع وحكي	(436 /9)

والرسم البياني التالي يبين أن أكثر مصطلحين اجتماعاً في مسألة واحدة كالتالي:



المبحث الثالث

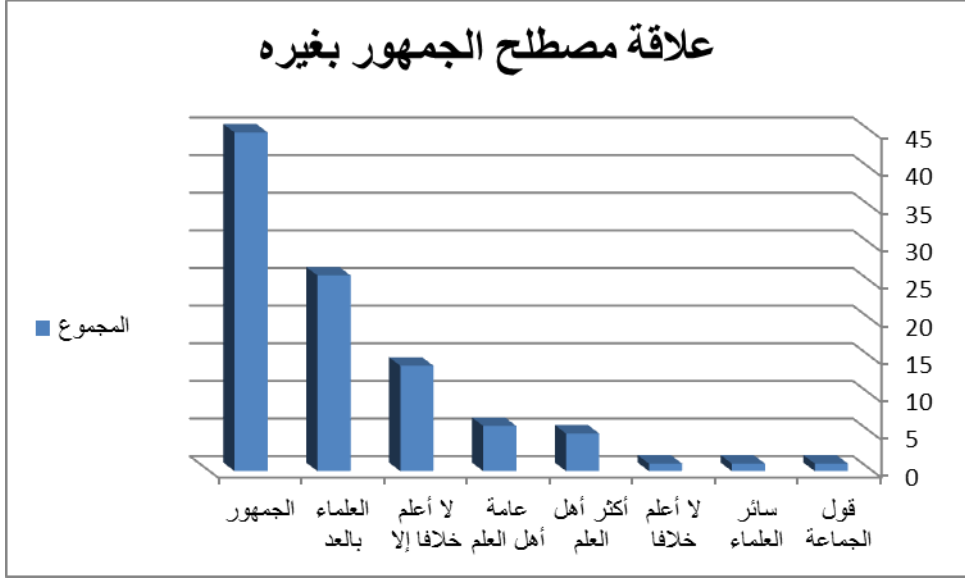
علاقة مصطلح الجمهور بغيره

أطلق ابن قدامة مصطلح "الجمهور" على عدد من العبارات التي نقل بها مذهب الجمهور، وأحياناً يذكر عدداً من العلماء ويصفهم بالجمهور، وكثيراً ما يذكر المصطلح مطلقاً دون أن يجمع بينه وبين غيره. والجدول التالي يبين ذلك:

المصطلح	وصفه بالجمهور (ج ص)	المجموع
قول الجماعة	(6/52)	1
سائر العلماء	(9/304)	1
لا أعلم خلافاً	(12/401)	1

5		(12/449)	(553 /9)	(250 /9)	(291 /1)	(23 /1)	أكثر أهل العلم
6	(226 /9)	(154 /9)	(102 /9)	(9 /9)	(227 /1)	(246 /1)	عامّة أهل العلم
14	(247 /5)	(73 /5)	(213 /3)	(125 /3)	(73 /2)	(25 /1)	لا أعلم خلافاً إلا
	/10 548	(15 /9)	(384 /7)	(221 /6)	(69 /6)	(354 /5)	
					(12/316)	(11/231)	
26	(333 /6)	(67 /6)	(126 /5)	(4/380)	(75 /4)	(334 /1)	العلماء بالعد
	(30 /9)	(475 /8)	(459 /8)	(444 /8)	(418 /8)	(396 /8)	
	(11/165)	(238 /9)	(234 /9)	(229 /9)	(220 /9)	(220 /9)	
	(37 /14)	(12/322)	(12/247)	(12/239)	(11/293)	(11/242)	
					(408 /14)	(362 /14)	
45	(378 /4)	(32 /4)	(31 /4)	(296 /3)	(392 /2)	(246 /1)	الجمهور
	(440 /8)	(396 /8)	(390 /7)	(333 /6)	(132 /6)	(351 /5)	
	(102 /9)	(19 /9)	(564 /8)	(498 /8)	(474 /8)	(449 /8)	
	(120 /9)	(119 /9)	(115 /9)	(115 /9)	(110 /9)	(109 /9)	
	(191 /9)	(191 /9)	(189 /9)	(161 /9)	(123 /9)	(122 /9)	
	(223 /9)	(217 /9)	(216 /9)	(204 /9)	(203 /9)	(196 /9)	
	(11/169)	(11/72)	(319 /9)	(255 /9)	(239 /9)	(236 /9)	
				(125 /14)	(55 /13)	(12/54)	

والرسم البياني التالي يزيد الأمر وضوحاً، وأنه استعمل مصطلح "الجمهور" مفرداً دون أن يقرن بينه وبين غيره أكثر، ويليه في المرتبة العلماء بالعدّ، ثم مصطلح "لا أعلم خلافاً إلا"، ومصطلح "عامّة أهل العلم"، وهكذا...



المبحث الرابع

مخالفة بعض المذاهب للجمهور

خالفت بعض المذاهب مذهب الجمهور، ما بين مخالفاً واحداً واثنين وثلاثة، وسأقتصر عليها؛ لعدم وجود مسألة في المغني منصوص فيها على مذهب الجمهور، وخالفها أهل المذاهب الأربعة حسب علمي.

المطلب الأول

مخالفة مذهب واحد للجمهور

وسأذكرها مجتمعة ثم مفصلة:

1. مخالفة بعض الصحابة ﷺ للجمهور.
2. مخالفة بعض التابعين للجمهور.
3. مخالفة بعض المذاهب المندثرة للجمهور.
4. مخالفة الحنفية للجمهور.
5. مخالفة المالكية للجمهور.
6. مخالفة الشافعية للجمهور.

7. مخالفة الحنابلة للجمهور.

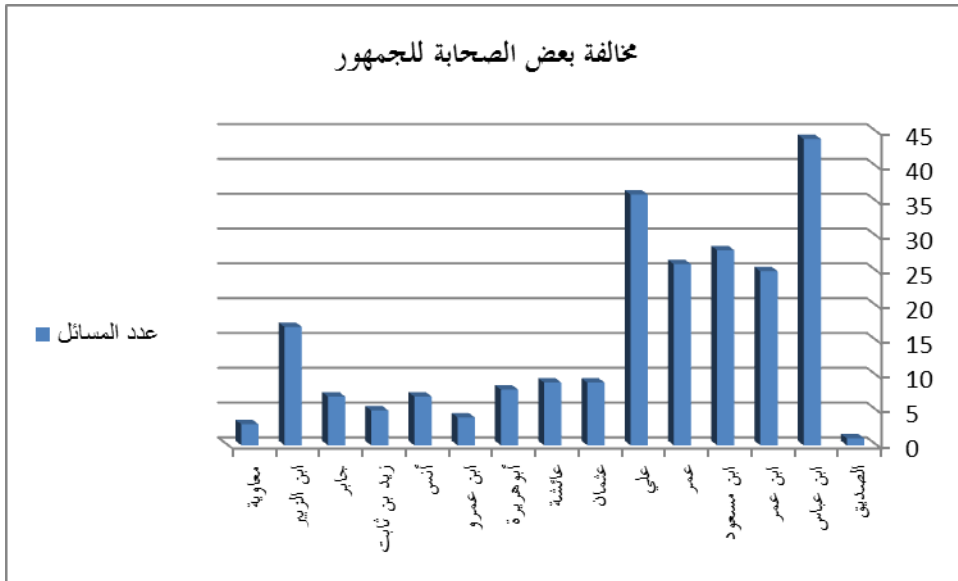
الفرع الأول: مخالفة بعض الصحابة ﷺ للجمهور:

يبين الجدول التالي المسائل التي خالف فيها بعض الصحابة ﷺ مذهب الجمهور:

الصحابي	العدد
الصادق	1
ابن عباس	44
ابن عمر	25
ابن مسعود	28
عمر	26
علي	36
عثمان	9
عائشة	9
أبو هريرة	8
ابن عمرو	4
أنس	7
زيد بن ثابت	5
جابر	7
ابن الزبير	17
معاوية	3
المجموع	229

والرسم البياني التالي يبين تفاوت هذه المخالفة، فأقلهم مخالفة الصادق وأكثرهم ابن عباس رضوان

عليهم أجمعين. وانظر: الملحق (1)؛ للوقوف على هذه المسائل بالجزء والصفحة.



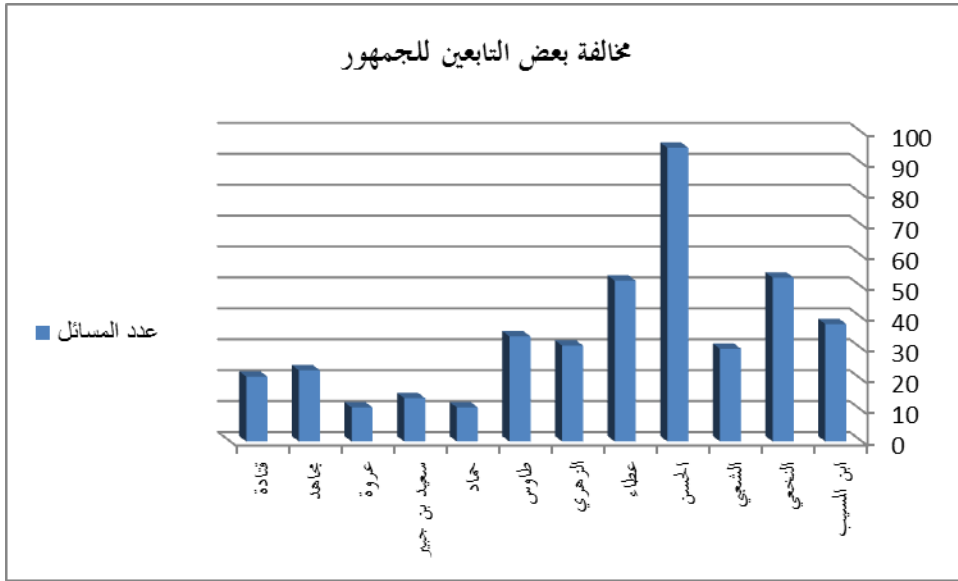
الفرع الثاني: مخالفة بعض التابعين للجمهور:

يبين الجدول التالي المسائل التي خالف فيها بعض التابعين مذهب الجمهور:

التابعي	عدد
ابن المسيب	38
النخعي	53
الشعبي	30
البصري	95
الحسن	52
عطاء	31
الزهري	34
طاوس	11
حماد	14
سعيد بن جبير	11
عروة	23
مجاهد	21
قتادة	413

والرسم البياني التالي يبين تفاوت هذه المخالفة، فأقلهم مخالفة حماد وعروة، وأكثرهم الحسن البصري رحمهم الله أجمعين.

وانظر: الملحق (2)؛ للوقوف على هذه المسائل بالجزء والصفحة.

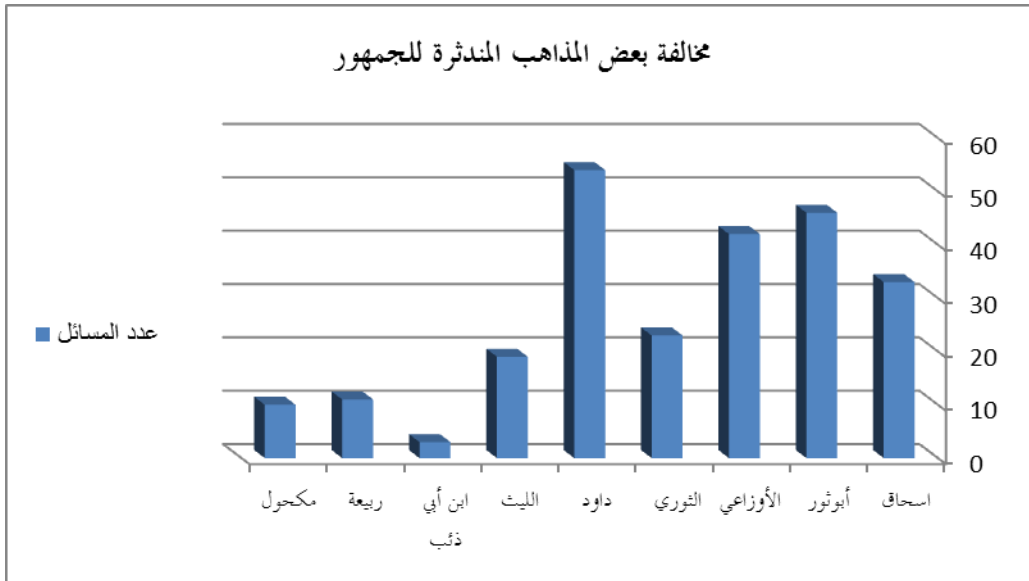


الفرع الثالث: مخالفة بعض المذاهب المندثرة للجمهور:

يبين الجدول التالي المسائل التي خالفت فيها بعض المذاهب المندثرة مذهب الجمهور:

المذهب المنذر	اسحاق	أبو ثور	الأوزاعي	الثوري	داود	الليث	ابن أبي ذئب	ربيع	مكحول	المجموع
عدد المسائل	33	46	42	23	54	19	3	11	10	241

والرسم البياني التالي يبين تفاوت هذه المخالفة، فأقلهم مخالفة ابن أبي ذئب، وأكثرهم داود الظاهري رحمهم الله أجمعين. وانظر: الملحق (3)؛ للوقوف على هذه المسائل بالجزء والصفحة.



الفرع الرابع: مخالفة الحنفية للجمهور:

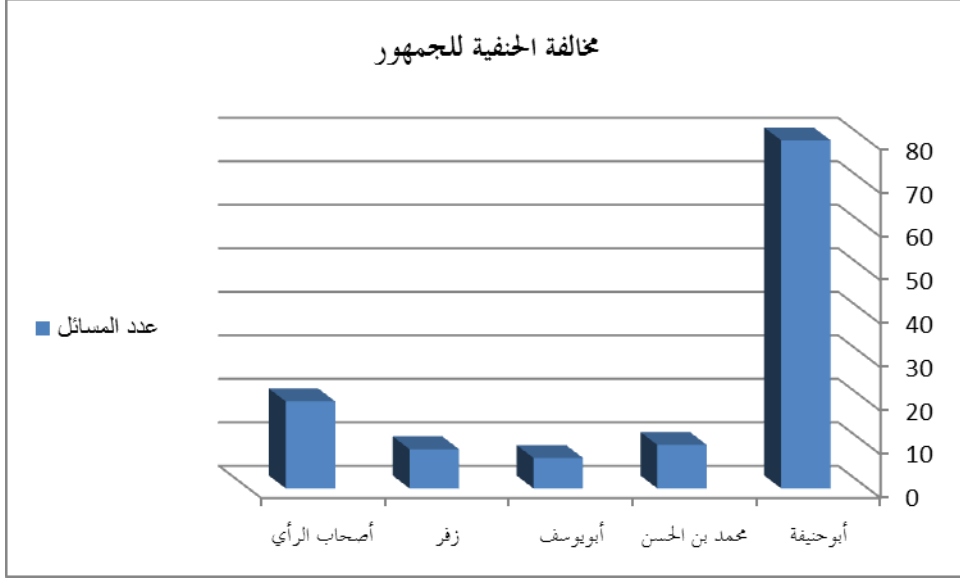
يبين الجدول التالي المسائل التي خالف فيها الحنفية مذهب الجمهور:

الحنفية	أبو حنيفة	محمد بن الحسن	أبي يوسف	زفر	أصحاب الرأي	المجموع
عدد المسائل	80	10	7	9	20	126

والرسم البياني التالي يبين تفاوت هذه المخالفة، فأقلهم مخالفة القاضي أبي يوسف، وأكثرهم الإمام

أبي حنيفة رحمهم الله أجمعين.

وانظر: الملحق (4)؛ للوقوف على هذه المسائل بالجزء والصفحة.



الفرع الخامس: مخالفة المالكية للجمهور:

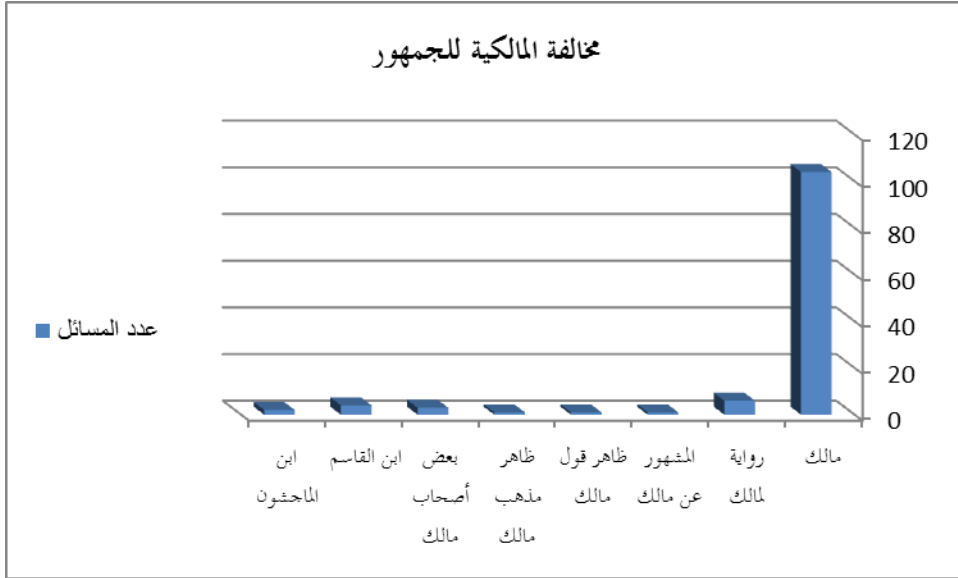
يبين الجدول التالي المسائل التي خالف فيها المالكية مذهب الجمهور:

المالكية	مالك	رواية لمالك	مالك المشهور عن	مالك ظاهر قول	مالك ظاهر مذهب	أصحاب مالك بعض	ابن القاسم	ابن الماجشون	المجموع
عدد المسائل	104	6	1	1	1	3	4	2	122

والرسم البياني التالي يبين تفاوت هذه المخالفة، فأقلهم مخالفة المشهور عن مالك، وأكثرهم الإمام

مالك رحمهم الله أجمعين.

وانظر: الملحق (5)؛ للوقوف على هذه المسائل بالجزء والصفحة.



الفرع السادس: مخالفة الشافعية للجمهور:

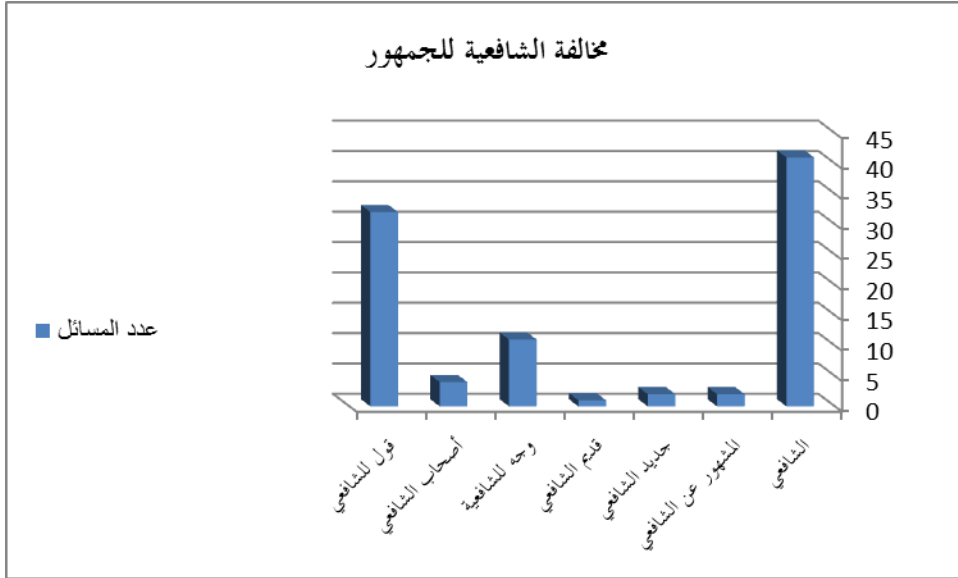
يبين الجدول التالي المسائل التي خالف فيها الشافعية مذهب الجمهور:

المجموع	قول الشافعي	أصحاب الشافعي	وجه الشافعية	قديم الشافعي	جديد الشافعي	المشهور عن الشافعي	الشافعي	الشافعية
93	32	4	11	1	2	2	41	عدد المسائل

والرسم البياني التالي يبين تفاوت هذه المخالفة، فأقلهم مخالفة قول الشافعي القديم، وأكثرهم الإمام

الشافعي رحمهم الله أجمعين.

وانظر: الملحق (6)؛ للوقوف على هذه المسائل بالجزء والصفحة.



الفرع السابع: مخالفة الحنابلة للجمهور:

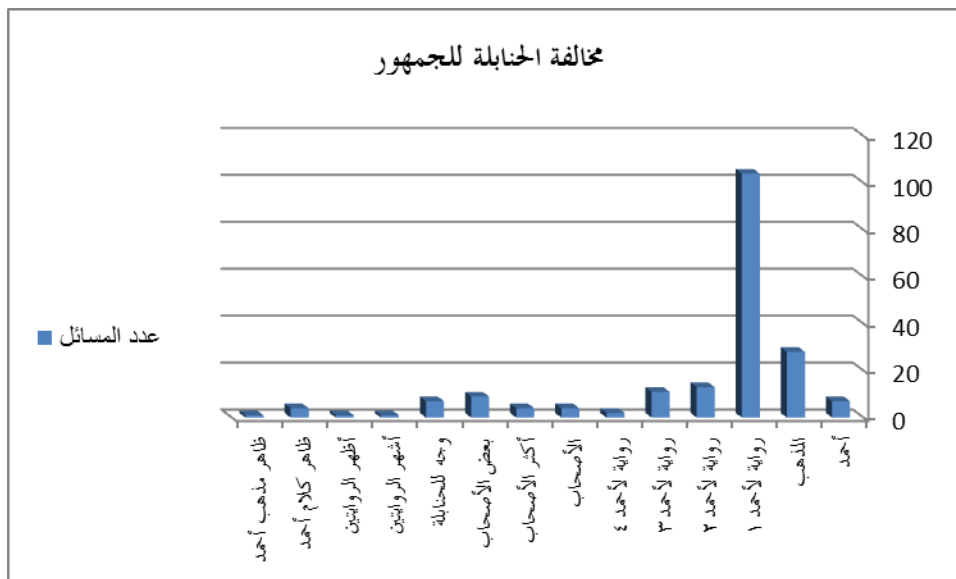
يبين الجدول التالي المسائل التي خالف فيها الحنابلة مذهب الجمهور:

المجموع	صاهر مذهب	أحمد	أحمد	الروائين	الروائين	وجه الحنابلة	بعض الأصحاب	أكثر الأصحاب	الأصحاب	رواية لأحمد	رواية لأحمد	رواية لأحمد	رواية لأحمد	المذهب	أحمد	الحنابلة
196	1	4	1	1	7	9	4	4	2	11	13	104	28	7	عدد المسائل	

والرسم البياني التالي يبين تفاوت هذه المخالفة، فأقلهم مخالفة أشهر الروائين لأحمد، وأكثرهم

الرواية الأولى للإمام أحمد رحمهم الله أجمعين.

وانظر: الملحق (7)؛ للوقوف على هذه المسائل بالجزء والصفحة.



المطلب الثاني

مخالفة مذهبي للجمهور

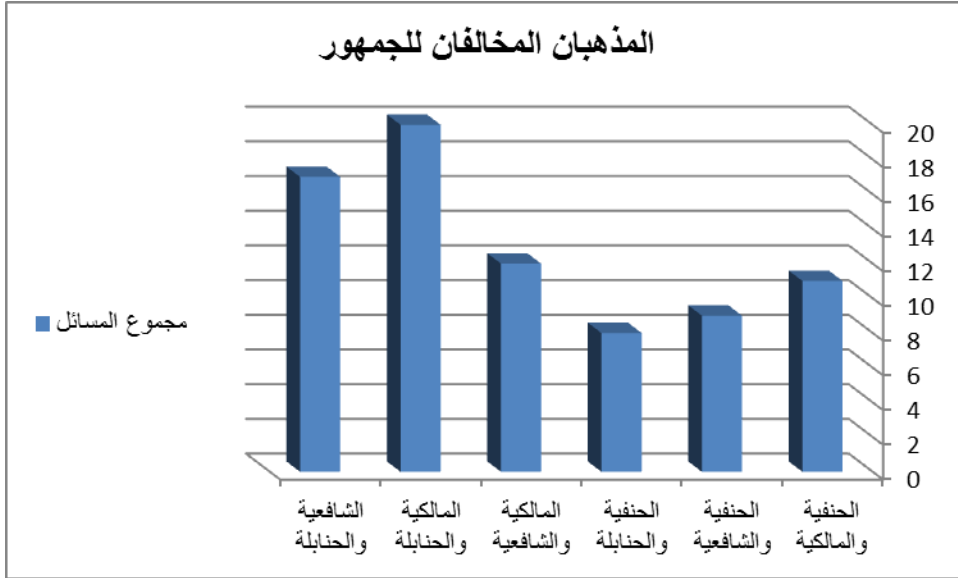
سأطرق لاتفاق مذهبي من المذاهب الأربعة في مخالفة الجمهور في كل مسألة من المسائل، والتي

يمثلها الجدول التالي؛ للوقوف عليها بالجزء والصفحة:

المجموع	المسائل (ج ص)						المذهبان
ع							
11	ج5ص 455	ج3ص444	ج3ص321	ج3ص50	ج2ص186	ج1ص215	الحنفية والمالكية
		ج13ص 360	ج3ص142	ج12ص322	ج12ص162	ج6ص12	
9	ج8ص 550	ج7ص555	ج3ص418	ج3ص316	ج3ص50	ج2ص126	الحنفية والشافعية
				ج14ص 392	ج13ص 481	ج10ص49	
8	ج5ص	ج9ص532	ج13ص	ج2ص186	ج9ص436	ج11ص	الحنفية والحنابلة

	427		489			562	
					ج3ص 167	ج13ص 489	
12	ج4ص 181	ج3ص50	ج2ص585	ج2ص220	ج1ص449	ج1ص427	المالكية والشافعية
	ج14ص 222	ج1ص 581	ج9ص529	ج9ص247	ج9ص120	ج9ص115	
20	ج6ص 305	ج6ص60	ج4ص380	ج2ص186	ج9ص223	ج3ص507	المالكية والحنابلة
	ج9ص 217	ج13ص 300	ج3ص 223	ج13ص 508	ج12ص 501	ج1ص 502	
	ج10ص 573	ج12ص 130	ج9ص223	ج1ص427	ج12ص 159	ج10ص 121	
					ج5ص332	ج13ص 300	
17	ج3ص 194	ج2ص323	ج2ص229	ج2ص212	ج1ص416	ج1ص178	الشافعية والحنابلة
	ج13ص 448	ج12ص 367	ج12ص 266	ج12ص 156	ج9ص284	ج4ص284	
		ج12ص 226	ج2ص518	ج14ص 425	ج14ص9	ج13ص 451	

ويبين الرسم البياني التالي أن أقل مذهبين اجتماعاً في مسألة واحدة على مخالفة الجمهور هما:
الحنفية والحنابلة، والأكثر مخالفة المالكية والحنابلة.



المطلب الثالث

مخالفة ثلاثة مذاهب للجمهور

وجدت بالتتابع اتفاق ثلاثة مذاهب من المذاهب الأربعة على مخالفة الجمهور في مسألتين، وبيئها

الجدول التالي:

المذاهب الثلاثة	الحنفية والمالكية والحنابلة	المالكية والشافعية والحنابلة
المسألتان	ج2ص186	ج1ص427

وهاتان المسألتان سأتناولها بالدراسة المقارنة.

المبحث الخامس

بعض نتائج الدراسة التحليلية

ظهر لي من خلال تتبع مسائل الجمهور أن الموفق ابن قدامة نص على مذهب الجمهور في عدد من المسائل إلا أنه لم يذكر مخالفاً لهم. كما أنه في عدد من المسائل وصف المخالف بالشذوذ. ورجح في عدد آخر من المسائل مذاهب تخالف الجمهور. وهذا وقت بيانها:

المطلب الأول

مسائل الجمهور التي لا خلاف فيها

نفى ابن قدامة الخلاف عن عدد من مسائل الجمهور، ويبينها الجدول التالي:

م	المصطلح 1	المصطلح 2	المسائل (ج ص)		المجموع	
1	لا نعلم خلافاً	أكثر أهل العلم	(92 /3)	(258 /3)	6	
			(174 /12)	(449 /13)		
2		عامة أهل العلم	(359 /1)	(376 /2)	(485 /13)	3
3		عامة الفقهاء	(265 /1)	(467 /13)	2	
4		الجمهور	(401 /12)	1	1	
5		أكثر الفقهاء	(438 /12)	1	1	
6		عامة العلماء	(555 /9)	1	1	
7		العلماء بالعد	(166 /4)	1	1	
8		عامة أهل العلم	(121 /10)	1	1	
9		لا نعلم اليوم خلافاً	لا نعلم خلافاً إلا	(138 /13)	1	1
10		أكثر أهل العلم	(254 /1)	1	1	

ومجموع هذا المسائل 18 مسألة موقفة بالجزء والصفحة، كما هو واضح من الجدول.

المطلب الثاني

المسائل التي شذت عن مذهب الجمهور

يبين الجدول التالي المصطلح المعبر عن قول الجمهور، والمسائل التي شذت عنه:

م	المصطلح	مسائل الشذوذ (ج ص)					المجموع
1	الجمهور	(73 /2)	(75 /4)	(354 /5)	(221 /6)	(390 /8)	
		(564 /8)	(219 /9)	(220 /9)	(234 /9)	(249 /9)	
		(552 /9)	(242 /11)	(125 /14)			
2	لا نعلم خلافاً إلا	(418 /3)	(353 /5)	(27 /9)	(406 /9)	(284 /11)	
		(362 /12)	(282 /13)				
3	أكثر أهل العلم	(228 /2)	(58 /6)	(249 /9)	(552 /9)	(316 /12)	
		(426 /12)	(350 /14)				
4	عامّة أهل العلم	(350 /8)	(408 /9)	(244 /14)			
5	قول الجماعة	(11 /9)	(28 /9)	(229 /11)	(440 /12)		
6	إجماع وحكي	(54 /9)	(57 /9)	(150 /9)	(56 /12)		
7	عامّة الفقهاء	(10 /10)					
8	عوام أهل العلم	(325 /4)					
9	سائر أهل العلم	(184 /9)					
10	جميع الفقهاء إلا	(590 /6)					

ومجموع هذا المسائل 37 مسألة، موقّعة بالجزء والصفحة، كما هو واضح من الجدول.

المطلب الثالث

مسائل الترجيح المخالف للجمهور

رجح الموفق ابن قدامة في كثير من المسائل مذهباً يخالف مذهب الجمهور. وهذا الترجيح لا يخلو

من حالتين:

الأولى: يستخدم عبارة غير صريحة للترجيح، وهي قوله: "ولنا"، وهو الغالب، وذلك بعد ذكر قول

الجمهور ودليله، ثم يستدل للمذهب المخالف، والرد على دليل الجمهور.
الحالة الثانية: يقوم باستخدام عبارة صريحة للترجيح، كقوله: "وهو أولى".
والجدول التالي يبين هذه المسائل، موقفة بالجزء والصفحة:

المجموع	المسائل						المذهب المرجح	عبارة الترجيح
34	ج3ص 239	ج3ص50	ج2ص 289	ج2ص 180	ج2ص94	ج1ص 351	الحنابلة	ولنا
	ج4ص 284	ج4ص 131	ج4ص 110	ج3ص 514	ج3ص 507	ج3ص 242		
	ج7ص 376	ج7ص 159	ج7ص97	ج5ص 252	ج4ص 399	ج4ص 330		
	ج9ص 223	ج9ص 160	ج8ص 370	ج8ص 301	ج8ص26	ج7ص 542		
	ج12ص 512	ج12ص 438	ج12ص 286	ج11ص 562	ج10ص 320	ج9ص 246		
			ج14ص 85	ج13ص 508	ج13ص 333	ج13ص 330		
1						ج1ص 202	الاصحاب	الاجماع السكوتي
1						ج2ص 212	الرواية 2 لأحمد	يتعين العمل به
2						ج3ص 310	داود والشافعي	الحجة معهم
						ج10ص 271	احمد	
2						ج11ص 61	الرواية 1 لأحمد	اولى

						ج13ص 538	ابوبكر بن جعفر	
1						ج14ص 598	عمر	ينبغي

ومجموع هذا المسائل 41 مسألة، كما هو واضح من الجدول.

المبحث السادس

مسائل الدراسة

وتتعلق باتفاق ثلاثة مذاهب من المذاهب الأربعة على مخالفة الجمهور، وقد وجدت ذلك في مسألتين.

المطلب الأول

مسألة أكثر النفاس

نص المسألة: "وأكثر النفاس أربعون يوماً".

قال الموفق: "هذا قول أكثر أهل العلم ...، وقال مالك و الشافعي: أكثره ستون يوماً، وحكى ابن عقيل عن أحمد رواية مثل قولهما"⁽¹⁾.

الأقوال في المسألة: اختلف العلماء في أكثر مدة النفاس على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أكثر النفاس أربعون يوماً، في قول أكثر الفقهاء. حكاه ابن عبد البر⁽²⁾، والموفق ابن قدامة⁽³⁾، وقبلهما الترمذي⁽⁴⁾، والخطابي. قال الخطابي: "قال أبو عبيد: على هذا جماعة الناس"⁽⁵⁾. وحكاه وحكاه الإمام أحمد عن أهل الحديث⁽⁶⁾. وبه قال: الحنفية⁽⁷⁾، والحنابلة في رواية عليها جمهورهم⁽⁸⁾.

واستدلوا بأدلة، منها:

الدليل الأول: عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: ((كانت النفاس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، تقعد بعد نفاسها أربعين

(1) انظر: المغني 427/1

(2) الاستذكار 629/1.

(3) المغني 427/1.

(4) سنن الترمذي 256/1.

(5) معالم السنن 95/1.

(6) مسائل الإمام أحمد رواية ابنه أبي الفضل صالح 235/1.

(7) المبسوط للسرخسي 138/3، البحر الرائق 231/1.

(8) مسائل الإمام أحمد رواية ابنه أبي الفضل صالح 235/1، الكافي لابن قدامة 144/1.

ليلة أو أربعين يوماً ، وكنا نَطَلِّي وجوهنا بالورس⁽¹⁾ من الكَفِّ⁽²⁾))⁽³⁾ وجه الدلالة: أن أكثر النفاس في الحديث، مقدر بالأربعين⁽⁴⁾ ويناقش من أوجه⁽⁵⁾:

أحدها: أنه محمول علي الغالب.

والثاني: حمله علي نسوة مخصوصات، ففي رواية: ((كانت المرأة من نساء النبي ﷺ تقعد في النفاس أربعين ليلة))⁽⁶⁾.

الثالث: أنه لا دلالة فيه لنفي الزيادة، وإنما فيه إثبات الأربعين.

الدليل الثاني: أنه قول جماعة من الصحابة، منهم: عمر، وابن عباس، وأنس، وعثمان بن أبي العاص، وعائذ بن عمرو، وأم سلمة رضي الله عنها⁽⁷⁾. وحكاها عنهم الإمام أحمد⁽⁸⁾ وابن المنذر⁽⁹⁾. ولم يُعرف لهم مخالفاً في عصرهم، فكان إجماعاً⁽¹⁰⁾. وقد حكاها الترمذي إجماعاً⁽¹¹⁾.

(1) الورس: نبت أصفر، كالسمسم، يزرع باليمن، ويصنع به. انظر: معجم النباتات والزراعة 412/1.

(2) الكلف: لون بين السواد والحمرة. وهي: حُمْرَةٌ كدِرَّةٌ تَعْلُو الوجه.

(انظر: الصحاح للجوهري 109/4، مادة "كلف").

ويُعرف علمياً، بأنه: زيادة في التصبغ البشري أو الأدمي، الذي يحدث بشكل نموذجي عند المرأة خلال الحمل، ويصيب الوجنتين والجبهة والذقن.

(انظر: الوجيز في علم الأمراض الجلدية ص172").

(3) أخرجه أبو داود في سننه 83/1: كتاب الطهارة، باب ما جاء في وقت النفساء، برقم (311). والترمذي في سننه 256/1: كتاب الطهارة، باب ما جاء في كم تمكث النفساء، برقم (139)، وقال: "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي سهل عن مُسَّة الأزدية عن أم سلمة. واسم أبي سهل كثير بن زياد. قال محمد بن إسماعيل: علي بن عبد الأعلى ثقة. وأبو سهل ثقة، ولم يعرف محمد هذا الحديث إلا من حديث أبي سهل".

وأخرجه ابن ماجه في سننه 213/1: كتاب الطهارة، باب النفساء كم تجلس، برقم (648). والإمام أحمد، في: المسند 186/44، برقم (26561). والذارقطني في سننه 412/1، برقم (682)، والحاكم في المستدرک 175/1، برقم (622)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

ووافقه الذهبي. والبيهقي في الكبرى 341/1، برقم (1669). قال النووي في المجموع 525/2، والخلاصة 240/1: "حديث حسن". ثم قال: "وذهب بعض أصحابنا إلى تضعيف الحديث، وهو مردود؛ بل الحديث جيد، وإنما ذكرت هذا لنلا يفتخر به". وقال ابن حجر في التلخيص الحبير 440/1: "وأغرب ابن حبان فضعه بكثير بن زياد، فلم يصب". وقال الشيخ الألباني في صحيح أبي داود 118/2: حديث مُسَّة عن أم سلمة:

"إسناده حسن صحيح". وانظر: البدر المنير لابن الملقن 142-137/3.

(4) المبسوط للسرخسي 138/3، المغني 427/1.

(5) المجموع شرح المهذب 525/2. وانظر: الشرح الممتع علي زاد المستقنع 510/1.

(6) أخرجه أبو داود، في: سننه 83/1: كتاب الحيض، باب ماجاء في وقت النفساء، برقم (312). والحاكم، في: المستدرک 282/1، برقم (622).

(7) وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي. والبيهقي، في: الكبرى 341/1، برقم (1504). وحسنه الشيخ

الألباني، في: الإرواء 222/1، برقم (201).

(8) رواه البيهقي في الكبرى 341/1، برقم (1669، 1672، 1674). عن: أم سلمة وابن عباس وعثمان بن أبي العاص. وابن أبي شيبة في مصنفه 367/4-368، برقم (17738، 17739، 17740، 17743، 17744). عن: عائذ بن عمرو، وعثمان بن أبي العاص، وعمر، وابن عباس، وأم سلمة. وعبد الرزاق في مصنفه 312-313، برقم (1196-1198، 1201). عن: ابن عباس، عمر، أنس، عثمان بن أبي العاص.

(9) مسائل الإمام أحمد رواية ابنه أبي الفضل صالح 235/1.

(10) الأوسط لابن المنذر 248/2.

(11) البحر الرائق 231/1، المغني 428/1.

(12) سنن الترمذي 256/1.

ويناقش بأنه: ليس الاتفاق- على أن الأربعة نفاس- دليلاً على أن الأربعة أكثر النفاس، بل أوسط النفاس؛ لأن غالب عادة النساء جارية به، كالسبع في الحيض⁽¹⁾.

القول الثاني: أكثر النفاس ستون يوماً. وبه قال: المالكية في المشهور⁽²⁾، والشافعية⁽³⁾، والحنابلة في رواية حكاها ابن عقيل فمن بعده⁽⁴⁾.

واستدلوا بأدلة، منها:

الدليل الأول: الاعتماد في هذا الباب على الوجود، وقد ثبت الوجود في الستين⁽⁵⁾. ومن ذلك: ما روي عن الأوزاعي، قال: ((عندنا امرأة ترى النفاس شهرين))⁽⁶⁾ ويناقش من وجوه⁽⁷⁾:

أحدها: أن ما زاد على الأربعة استحاضة. وليس في إسقاط الصوم والصلاة عن المرأة وتحريم وطئها على الزوج، دليل شرعي من كتاب أو سنة أو قياس، إلا حكاية الأوزاعي عن امرأة مجهولة.

الثاني: قول الصحابي عندكم ليس بحجة، فكيف يكون قول الأوزاعي واعتقاده، أن ذلك كله نفاس حجة! الثالث: أن الأوزاعي نفسه لم يقل به، بل مذهبه أن أجل النفاس من الغلام ثلاثون ليلة ومن الجارية أربعون ليلة.

قلت: بل ذكره عن أهل دمشق⁽⁸⁾، وقال: "هما سواء"⁽⁹⁾. ومذهبه: أنها تجلس كامراً من نساءها⁽¹⁰⁾. وعنه: أكثره أربعون يوماً⁽¹¹⁾.

الدليل الثاني: ما روي عن الشعبي، قال: ((تربص شهرين، ثم هي بمنزلة المستحاضة))⁽¹²⁾.

(1) الحاوي في فقه الشافعي 437/1

(2) المدونة 153/1، الكافي في فقه أهل المدينة 186/1، شرح الخرشي 210/1.

(3) مختصر المزني 11/1.

(4) الإنصاف 273/1.

(5) المنتقى شرح الموطأ 459/1، الحاوي في فقه الشافعي 437/1، المجموع شرح المذهب 525/2، المغني 427/1.

(6) لم أستطع الوقوف عليه إلا في كتب الفقه: كالمذهب 45/1 لأبي إسحاق الشيرازي. وشرحه المجموع 522/2 للنوي. والمغني 427/1 لابن قدامة. وتبيين الحقائق 68/1 للزيلعي.

(7) تبيين الحقائق 68/1، بتصريف. وانظر: المغني 328/1.

(8) الأوسط لابن المنذر 251/2.

(9) أخرجه الدارمي، في: سننه 80/1: كتاب الوضوء، باب في المرأة الحائض تصلي في ثوبها إذا طهرت، برقم (1000).

(10) الأوسط لابن المنذر 251/2. الاستنكار لابن عبد البر 629/1.

(11) التمهيد لابن عبد البر 74/16، فتح الباري لابن رجب 547/1.

(12) أخرجه، في: الترمذي سننه 259/1. والدارمي، في: سننه 80/1. والبيهقي في الكبرى 342/1، برقم (1677). وابن أبي شيبة في مصنفه 367/4، برقم (17741). عبد الرزاق في مصنفه 312/1، برقم (1199).

ويناقش بأن: قول الشعبي ليس بحجة⁽¹⁾.

الدليل الثالث: أن أكثر الدم يزيد على عادته في الغالب، كالحيض غالبه السبع، وأكثره يزيد على السبع، فلما كان غالب النفاس أربعين، وجب أن يزيد أكثره على الأربعين⁽²⁾.

ويمكن أن يناقش بأنه: قد لا يبلغ الستين، كما حكاه الترمذي عن الحسن البصري: أن أكثره خمسون يوماً⁽³⁾. وربما زاد عنها، كالذي حكاه الليث عن بعض العلماء: أن أكثره سبعون يوماً⁽⁴⁾.

القول الثالث: لا حد لأكثر النفاس، وإنما يرجع إلى عادات النساء، وحكي عن: قتادة والأوزاعي⁽⁵⁾، وهو رواية ابن القاسم عن مالك. قال: "كان مالك يقول في النفاس: أقصى ما يمسكها الدم ستون يوماً، ثم رجع عن ذلك آخر ما لقيناه، فقال: أرى أن يُسأل عن ذلك النساء وأهل المعرفة، فتجلس بعد ذلك"⁽⁶⁾. وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية⁽⁷⁾.

واستدلوا بأنه: لو كان له حد عند الله ورسوله، لبينه الرسول ﷺ. فلما لم يحدّد له على أنه رد ذلك إلى ما يعرفه النساء. لكن إن اتصل، فهو دم فساد. وحينئذ فالحد أربعون؛ فإنه منتهى الغالب، جاءت به الآثار⁽⁸⁾.

ويمكن أن يناقش بأنه: مسلم في أقل النفاس، دون أكثره؛ لورود الأثر بذلك، وحمله على الغالب خلاف ظاهر الحديث.

الترجيح: تبين من خلال استعراض الأدلة ومناقشتها، أن الراجح - إن شاء الله تعالى - أن أكثر النفاس أربعون يوماً؛ للأسباب التالية:

الأول: ثبوت الأثر بذلك عن أم سلمة ؓ⁽⁹⁾، وفي رواية: ((أنها سألت النبي ﷺ كم تجلس المرأة

(1) بدائع الصنائع 41/1.

(2) الحاوي في فقه الشافعي 437/1، المجموع شرح المهذب 525/2.

(3) سنن الترمذي 256/1.

(4) التمهيد لابن عبد البر 74/16، المجموع شرح المهذب 524/2، فتح الباري لابن رجب 547/1.

(5) الأوسط لابن المنذر 251/2، الاستذكار لابن عبد البر 629/1، شرح السنة للبلغوي 137/2.

(6) المدونة 153/1. المنتقى شرح الموطأ 459/1.

(7) الاختيارات الفقهية (ص46).

(8) مجموع الفتاوى 239/19 - 241، شرح العمدة 517/1.

(9) سبق تخريجه، في: ص30.

إذا ولدت؟ قال: تجلس أربعين يوماً، إلا أن ترى الطهر قبل ذلك⁽¹⁾. قال ابن تيمية: "وهذا يدل على أنها إذا لم تر الطهر، تقعد الأربعين دون ما بعده، من غير التفات إلى عادة أو تمييز"⁽²⁾.
وأما حملها على الغالب، فبعيد؛ لأن الذي تكلم به أفصح الخلق، ولم يستثن إلا الطهر قبل تمام الأربعين. ومن المعلوم أن الاستثناء معيار العموم⁽³⁾.

الثاني: أنه إجماع الصحابة رضي الله عنهم، كما حكاه الترمذي⁽⁴⁾. وفي (النوادر): "أجمع الصحابة رضي الله عنهم أن أكثر مدة النفاس أربعون يوماً، وإنما جاء الاختلاف بعدهم"⁽⁵⁾.

قال ابن عبد البر: "ليس في مسألة أكثر النفاس موضع للإتباع والتقليد إلا من قال بالأربعين؛ فإنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا مخالف لهم منهم. وسائر الأقوال جاءت عن غيرهم. ولا يجوز عندنا الخلاف عليهم بغيرهم؛ لأن إجماع الصحابة حجة على من بعدهم، والنفاس تسكن إليهم. فأين المهرّب عنهم دون سنة ولا أصل"⁽⁶⁾.

وقال الشوكاني: "والأدلة الدالة على أن أكثر النفاس أربعون يوماً، متعاضدة، بالغة إلى حد الصلاحية والاعتبار، فالمصير إليها متعين"⁽⁷⁾.

الثالث: أنه أمكن - مخبرياً - تمييز دم الحيض من دم النفاس والاستحاضة. وأكثر ما وجد من دم النفاس أربعون.

قال الدكتور البار في كتابه (دورة الأرحام): "أما أكثره، ففي المتوسط: تنتهي الإفرازات المشوبة بحمرة، وتصبح بيضاء في خلال أسبوعين إلى ثلاث على الأكثر. ولكن هناك حالات - وتعد أيضاً طبيعية - تستمر فيها تلك الإفرازات، وربما لعدة أسابيع وإلى أربعين يوماً"⁽⁸⁾.

(1) رواه الدارقطني، في: سننه 414/1، برقم (866). والبيهقي في الكبرى 343/1، برقم 1682. وقال: "فيه العرزمي محمد بن عبيد الله، وهو وهو ضعيف". قال الشيخ أحمد شاكر في شرحه على الترمذي 257/1: "إسناده ضعيف؛ لضعف محمد بن عبيد الله العرزمي".

(2) شرح العمدة لابن تيمية 518/1.

(3) الإبهاج في شرح المنهاج للسبكي 108/2، شرح الكوكب المنير 153/3.

(4) سبق، في: ص 31.

(5) نوادر الفقهاء (ص 30).

(6) الاستذكار لابن عبد البر 355/1.

(7) نيل الأوطار 332/1.

(8) دورة الأرحام للدكتور البار (ص 74).

سبب الخلاف: اختلف أهل العلم في أكثر مدة النفاس؛ لعسر الوقوف على أكثر مدته بالتجربة؛ لاختلاف أحوال النساء في ذلك⁽¹⁾.

المطلب الثاني

مسألة قول المنفرد: "ربنا ولك الحمد"

نص المسألة: "ثم يقول: ربنا ولك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد"⁽²⁾. قال الموفق: "يشرع قول ربنا ولك الحمد في حق كل مصل في المشهور عن أحمد، وهذا قول أكثر أهل... وعن أحمد رواية أخرى: لا يقوله المنفرد...، وقال مالك وأبو حنيفة: لا يشرع قول هذا في حق الإمام ولا المنفرد"⁽³⁾ قلت: اتفق الحنفية والمالكية على عدم مشروعية التحميد للإمام⁽⁴⁾ دون المنفرد. قال ابن نجيم: "وأما المنفرد ففيه ثلاثة أقوال: الأول: أنه يأتي بالتسميع لا غير...، الثاني: أنه يأتي بالتحميد لا غير...، الثالث: الجمع بينهما"⁽⁵⁾ وقال ابن عبد البر: "ولا أعلم خلافاً أنه المنفرد يقول: سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد أو ولك الحمد، وإنما اختلفوا في الإمام والمأموم"⁽⁶⁾. ونحوه قال ابن رشد: "ولا خلاف في المنفرد أنه يقولهما جميعاً"⁽⁷⁾ قلت: بل ثبت الخلاف عن الحنفية والحنابلة في المنفرد. الأقوال في المسألة: تبين من خلال ما سبق أن أهل العلم اختلفوا في هذه المسألة على قولين: القول الأول: يشرع لكل مصل - إماماً أو مأموماً أو منفرداً - قول: ربنا ولك الحمد. وهو قول أكثر أهل العلم⁽⁸⁾. واستدلوا بأدلة منها: الدليل الأول: أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "سمع الله لمن حمده حين يرفع صلبه من الركوع، ثم يقول وهو قائم ربنا ولك الحمد"))⁽⁹⁾.

(1) بداية المجتهد 52/1.

(2) انظر: المغني: 186/2.

(3) انظر المغني: 186/2.

(4) انظر: المبسوط للسرخسي 35/1، المدونة 167/1.

(5) انظر: البحر الرائق 262/3.

(6) انظر: الاستذكار 178/2.

(7) انظر: بداية المجتهد 160/1.

(8) انظر: تبين الحقائق 68/2، الذخيرة 217/2، المجموع شرح المهذب 419/3، المغني: 186/2.

(9) أخرجه البخاري في صحيحه 259/3: كتاب، باب التكبير إذا قام من السجود، برقم 747. ومسلم في صحيحه 344/2: كتاب: الصلاة،

باب: إثبات التكبير في كل خفض ورفع في الصلاة، برقم 591.

الدليل الثاني: عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع قال ربنا لك الحمد ملء السموات والأرض وملء ما شئت من شيء بعد))⁽¹⁾ وجه الدلالة منهما: التصريح بهذا الذكر، ولم تفرق الرواية بين كونه إماماً ومنفرداً⁽²⁾ ونوقش بأنه: محمول على صلاته صلى الله عليه وسلم منفرداً، أو على صلاة الناقل⁽³⁾.

الدليل الثالث: أنه حال من أحوال الصلاة، فيشرع فيه ذكر كالركوع والسجود⁽⁴⁾.

القول الثاني: لا يشرع للمنفرد قول: "ربنا ولك الحمد". وهو قول للحنفية⁽⁵⁾، ورواية عند الحنابلة⁽⁶⁾. واستدلوا بأدلة منها:

الدليل الأول: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا: اللهم ربنا ولك الحمد؛ فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له))⁽⁷⁾ وجه الدلالة: أنه قسم هذين الذكرين بين الإمام والمقتدي، ومطلق القسمة يقتضي أن لا يشارك كل واحد منهما صاحبه في قسمه⁽⁸⁾. ونوقش بأنه: خص هذا بالذكر؛ لأنهم كانوا يسمعون جهر النبي صلى الله عليه وسلم بسمع الله لمن حمده، ولا يسمعون قوله ربنا لك الحمد لأنه يأتي به سرّاً⁽⁹⁾.

الدليل الثاني: أن الخبر لم يرد في حقه فلم يشرع له، كقول سمع الله لمن حمده في حق المأموم⁽¹⁰⁾.

الترجيح: تبين من خلال استعراض الأدلة ومناقشتها أن الراجح إن شاء الله هو أن التحميد مشروع لكل مصل لوجوه منها:

1- أنه إذا ثبت عنه صلى الله عليه وسلم الجمع بين الذكرين، وهو مسلم عند الفريقين، فقد قال- أيضاً- صلى الله عليه وسلم: ((صلوا كما

(1) أخرجه مسلم في صحيحه 19/3: كتاب، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، برقم 736.

(2) انظر: المغني 387/2.

(3) انظر: البحر الرائق 262/3.

(4) انظر: المجموع شرح المذهب 420/3، المغني 387/2.

(5) انظر: تبيين الحقائق 69/2، مجمع الأنهر 288/1.

(6) انظر: المغني 386/2، الإنصاف 48/2.

(7) أخرجه البخاري في صحيحه 274/3: كتاب، باب فضل اللهم ربنا لك الحمد، برقم 754، ومسلم في صحيحه 19/3: كتاب، باب التسميع والتحميد والتأمين، برقم 617.

(8) انظر: المبسوط للسرخسي 36/1، البحر الرائق 262/3. وانظر: الاستنكار 413/1، المنقذ شرح الموطأ 204/1.

(9) انظر: المجموع شرح المذهب 420/3.

(10) انظر: المغني 386/2.

رأيتموني أصلي⁽¹⁾). وهذا يقتضي التأسي به إماماً ومنفرداً.

2- وأن ما شرع في حق الإمام، شرع في حق المنفرد، كسائر الأذكار⁽²⁾.

3- أن المنفرد إمام نفسه فيأتي بالتسميع، ثم بالتحميد لعدم من يمثل به خلفه⁽³⁾.

الخاتمة : الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على رسولنا المصطفى، ونبينا المجتبي، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد من الله ﷻ عليّ بتمام هذا البحث، وخلصتُ فيه إلى نتائج جمّة، أهمها ما يلي:

- 1- وضع تعريف لمذهب جمهور الفقهاء، وهو اتفاق أكثر الفقهاء على حكم مسألة من المسائل الفقهية.
 - 2- بيان منزلة مذهب جمهور الفقهاء عند الشيخ الموفق ابن قدامة من خلال استعراض عدد من المسائل، كترجيح رواية في المذهب لموافقتها قول الجمهور.
 - 3- أكثر المصطلحات التي استخدمها ابن قدامة في نقل مذهب الجمهور هو مصطلح "أكثر أهل العلم"، وأقلهم مصطلح "أهل الفتوى على خلفه".
 - 4- أكثر مصطلحين جمع بينهما ابن قدامة في مسألة واحدة هو مصطلح: "لا أعلم خلافاً إلا"، مع مصطلح "عامّة أهل العلم"، ومع مصطلح "أكثر أهل العلم"، ويليهما مصطلح "الجمهور".
 - 5- أكثر المصطلحات التي وصفها ابن قدامة بأنها قول الجمهور على التوالي مصطلح: "لا أعلم خلافاً إلا"، "عامّة أهل العلم"، "أكثر أهل العلم".
 - 6- أكثر المذاهب مخالفة للجمهور من الصحابة: ابن عباس رضي الله عنهما، ومن التابعين: الحسن البصري، ومن المذاهب المندثرة: داود الظاهري، ومن المذاهب الأربعة حسب مجموع المسائل على الترتيب: الحنابلة، الحنفية، المالكية، الشافعية.
 - 7- بلغ مجموع مسائل الجمهور 882 مسألة. (انظر: الملحق 8).
- وأخراً: وقبل طي صفحات هذا البحث، أودُّ أن أتقدم ببعض التوصيات والمقترحات، النابعة من طبيعة هذا البحث ومعاشيته، وهي:

1- دعوة الزملاء الباحثين إلى دراسة المسائل التي نص ابن قدامة على قول الجمهور فيها وتقديم

دراسات فيها، فهي جديرة بذلك ومنها:

(1) أخرجه البخاري في صحيحه 7/3: كتاب، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة، برقم 595.

(2) انظر: البيان في مذهب الإمام الشافعي 2/213، المغني 2/387.

(3) انظر: تبیین الحقائق 2/69، الذخيرة 2/218.

1. المسائل التي لم يذكر فيها مخالفاً للجمهور.
 2. المسائل التي رجع فيها القول المخالف للجمهور.
 3. المسائل التي حكم فيها على القول المخالف للجمهور بالشذوذ.
- 2- الاهتمام بالمسائل التي خالف فيها كل مذاهب من المذاهب الأربعة للجمهور، وعمل مقارنة بينها من حيث المتابعة لهم في هذه المخالفة، سواء كان ذلك من الصحابة أو التابعين أو أحد المذاهب المندثرة.
- 3- عمل دراسة مقارنة بين الصحابي والتابعي في المسائل التي خالفها فيها الجمهور، كابن عباس وعطاء، وعمر وابن المسيب، بحيث تتعلق هذه الدراسة بالمسائل التي اختلفا فيها على مخالفة الجمهور أو اتفاقا فيها على المخالفة.
- 4- ضرورة تبني مشروع يكون البادرة الأولى لإخراج مذهب جمهور الفقهاء تأصيلاً وموازنة، ويكون ذلك من خلال كتاب المغني، والذي نص على مذهب الجمهور في 900 مسألة تقريباً، تقسم على تسعة طلاب في مرحلة الدكتوراه.
- وختاماً: أسأل الله الكريم رب العرش العظيم، أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، متقبلاً نافعاً، حجة شاهدة، وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وبيارك لنا في العلم والعمل والعمر، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الملاحق: ملحق (1): مخالفة بعض الصحابة للجمهور

المجموع	المسائل							الصد حابي
1							ج12ص 269	الصد يق
26	ج9ص8	ج9ص 154	ج5ص 341	ج5ص 292	ج3ص 338	ج3ص 242	ج1ص 334	عمر
	ج9ص254	ج9ص	ج9ص	ج9ص	ج9ص	ج9ص	ج9ص	

		253	249	231	216	216	160	
	ج12ص 176	ج12ص 149	ج12ص 130	ج10ص 573	ج9ص 532	ج9ص 516	ج9ص 255	
			ج14ص 598	ج14ص 467	ج13ص 373	ج13ص 333	ج13ص 220	
9	ج11ص61	ج9ص 437	ج9ص 160	ج9ص48	ج3ص 276	ج3ص 242	ج2ص 358	عثما
						ج12ص 176	ج11ص 195	ن
36	ج3ص242	ج3ص 268	ج2ص78	ج1ص 449	ج1ص 278	ج1ص 184	ج1ص56	علي
	ج9ص110	ج9ص68	ج9ص23	ج8ص 244	ج8ص 185	ج7ص 162	ج4ص 325	
	ج9ص244	ج9ص 226	ج9ص 217	ج9ص 216	ج9ص 216	ج9ص 185	ج9ص 151	
	ج11ص 500	ج11ص 227	ج10ص 269	ج9ص 565	ج9ص 516	ج9ص 515	ج9ص 249	
	ج14ص 467	ج14ص 467	ج13ص 381	ج13ص 340	ج13ص 220	ج12ص 441	ج12ص 176	
							ج14ص 585	
9	ج12ص 336	ج11ص 319	ج9ص 564	ج5ص65	ج4ص 444	ج2ص18	ج1ص 449	عائ
						ج13ص 317	ج12ص 426	شة
28	ج4ص75	ج4ص 448	ج4ص 325	ج3ص 239	ج3ص 113	ج1ص 339	ج1ص 334	ابن
	ج9ص16	ج9ص15	ج9ص12	ج9ص8	ج8ص	ج8ص	ج6ص	مسع

					244	185	107	ود
	ج9ص161	ج9ص160	ج9ص123	ج9ص119	ج9ص68	ج9ص58	ج9ص30	
	ج14ص467	ج14ص413	ج14ص9	ج9ص564	ج9ص226	ج9ص216	ج9ص175	
44	ج2ص464	ج2ص206	ج2ص45	ج1ص449	ج1ص256	ج1ص192	ج1ص184	ابن عبا س
	ج6ص52	ج4ص399	ج4ص75	ج3ص450	ج3ص315	ج3ص242	ج3ص27	
	ج9ص11	ج9ص9	ج9ص8	ج8ص185	ج7ص555	ج6ص158	ج6ص107	
	ج9ص226	ج9ص57	ج9ص54	ج9ص28	ج9ص27	ج9ص26	ج9ص18	
	ج11ص139	ج11ص61	ج10ص271	ج10ص46	ج9ص249	ج9ص230	ج9ص23	
	ج13ص317	ج12ص449	ج12ص331	ج11ص475	ج11ص443	ج11ص227	ج11ص195	
						ج14ص585	ج13ص333	
8	ج4ص406	ج3ص224	ج1ص278	ج1ص256	ج1ص254	ج1ص192	ج1ص70	أبو هرير ة
							ج10ص199	
7	ج5ص227	ج5ص57	ج3ص27	ج1ص449	ج1ص254	ج1ص184	ج1ص178	أنس
25	ج1ص449	ج1ص449	ج1ص256	ج1ص254	ج1ص105	ج1ص70	ج1ص15	ابن عمر
	ج4ص105	ج3ص242	ج3ص239	ج2ص481	ج2ص442	ج2ص206	ج2ص78	

	ج4ص 426	ج5ص 125	ج5ص 141	ج5ص 341	ج6ص 158	ج9ص 532	ج10ص 226	
	ج11ص 195	ج11ص 274	ج12ص 336	ج13ص 381				
5	ج1ص 254	ج2ص18 18	ج5ص 341	ج12ص 122	ج12ص 176			زيد بن ثابت
7	ج2ص 479	ج3ص 239	ج3ص 315	ج5ص 227	ج9ص 219	ج9ص 565	ج10ص46 46	جابر
17	ج1ص 207	ج1ص 449	ج2ص 140	ج2ص 206	ج2ص 442	ج2ص 462	ج3ص242 242	ابن الزبير ر
	ج3ص 267	ج3ص 276	ج3ص 338	ج4ص 426	ج4ص 436	ج4ص 444	ج6ص52 52	
	ج5ص 227	ج11ص 539	ج14ص 585					
4	ج1ص15 15	ج1ص 298	ج9ص 532	ج11ص 110				ابن عمر و

ملحق (2): مخالفة بعض التابعين للجمهور

المجموع	المسائل						التابعي
35	ج1ص15 15	ج1ص207 207	ج1ص234 234	ج1ص278 278	ج1ص449 449	ج2ص358 358	ابن المسيب
	ج3ص50 50	ج3ص239 239	ج3ص242 242	ج3ص340 340	ج3ص467 467	ج4ص31 31	
	ج4ص366 366	ج8ص395 395	ج9ص124 124	ج9ص150 150	ج9ص151 151	ج9ص191 191	
	ج9ص231 231	ج9ص249 249	ج9ص254 254	ج10ص269 269	ج10ص278 278	ج10ص548 548	
	ج10ص573 573	ج11ص278 278	ج12ص122 122	ج12ص130 130	ج12ص147 147	ج12ص159 159	
	ج12ص385 385	ج13ص295 295	ج13ص300 300	ج13ص373 373	ج14ص248 248		
53	ج1ص256 256	ج1ص282 282	ج1ص292 292	ج1ص421 421	ج1ص449 449	ج2ص78 78	النخعي

	ج3ص418	ج3ص242	ج3ص216	ج3ص194	ج2ص464	ج2ص249	
	ج4ص39	ج4ص372	ج4ص366	ج4ص131	ج4ص46	ج3ص444	
	ج7ص461	ج7ص314	ج5ص412	ج5ص175	ج5ص109	ج4ص391	
	ج9ص123	ج9ص30	ج8ص350	ج8ص313	ج7ص555	ج7ص470	
	ج9ص406	ج9ص255	ج9ص254	ج9ص246	ج9ص196	ج9ص191	
	ج11ص474	ج11ص466	ج11ص107	ج11ص38	ج10ص530	ج10ص10	
	ج13ص451	ج13ص269	ج13ص131	ج13ص93	ج12ص426	ج2اض55	
		ج14ص467	ج14ص413	ج14ص281	ج14ص130	ج13ص527	
29	ج3ص194	ج2ص45	ج2ص385	ج2ص358	ج1ص421	ج1ص184	الشعبي
	ج4ص372	ج4ص283	ج4ص173	ج3ص355	ج3ص267	ج3ص242	
	ج9ص196	ج8ص288	ج8ص123	ج7ص526	ج7ص333	ج5ص109	
	ج12اض55	ج12ص64	ج11ص466	ج11ص227	ج11ص139	ج9ص70	
		ج14ص281	ج14ص130	ج13ص527	ج13ص319	ج13ص223	
95	ج1ص262	ج1ص254	ج1ص207	ج1ص181	ج1ص70	ج1ص56	الحسن
	ج2ص45	ج1ص351	ج1ص339	ج1ص335	ج1ص300	ج1ص292	
	ج3ص41	ج2ص481	ج2ص420	ج2ص331	ج2ص140	ج2ص78	
	ج3ص463	ج3ص355	ج3ص315	ج3ص292	ج3ص171	ج3ص127	
	ج4ص330	ج4ص283	ج4ص131	ج4ص46	ج3ص476	ج3ص467	
	ج5ص227	ج5ص222	ج5ص126	ج5ص75	ج4ص391	ج4ص389	
	ج5ص353	ج5ص303	ج5ص273	ج5ص252	ج5ص247	ج5ص246	
	ج7ص480	ج7ص162	ج7ص60	ج6ص607	ج5ص395	ج5ص354	
	ج8ص449	ج8ص413	ج8ص395	ج8ص313	ج8ص288	ج7ص569	
	ج9ص160	ج9ص151	ج9ص123	ج9ص123	ج9ص110	ج9ص30	
	ج9ص532	ج9ص406	ج9ص306	ج9ص223	ج9ص197	ج9ص191	
	ج10ص530	ج10ص59	ج9ص575	ج9ص565	ج9ص552	ج9ص543	
	ج11ص420	ج11ص284	ج11ص231	ج11ص227	ج11ص164	ج11ص38	

	ج12ص287	ج2ص266	ج2ص224	ج2ص162	ج1ص581	ج1ص500	
	ج13ص282	ج3ص269	ج3ص93	ج3ص38	ج2ص426	ج2ص334	
		ج4ص488	ج4ص9	ج3ص457	ج3ص398	ج3ص393	
المجموع	المسائل						التابعي
52	ج1ص339	ج1ص335	ج1ص246	ج1ص207	ج1ص198	ج1ص149	عطاء
	ج2ص442	ج2ص331	ج2ص18	ج2ص149	ج2ص73	ج1ص449	
	ج4ص212	ج4ص69	ج3ص239	ج3ص213	ج3ص183	ج3ص113	
	ج5ص380	ج5ص178	ج4ص444	ج4ص387	ج4ص304	ج4ص289	
	ج9ص30	ج8ص552	ج8ص413	ج8ص288	ج6ص158	ج5ص400	
	ج10ص269	ج10ص46	ج9ص306	ج9ص28	ج9ص219	ج9ص151	
	ج11ص475	ج11ص319	ج11ص289	ج11ص278	ج11ص107	ج10ص334	
	ج13ص319	ج12ص440	ج12ص363	ج12ص161	ج12ص130	ج11ص500	
			ج14ص442	ج14ص125	ج13ص527	ج13ص448	
30	ج3ص216	ج1ص368	ج1ص278	ج1ص254	ج1ص246	ج1ص25	الزهري
	ج9ص151	ج8ص390	ج7ص162	ج4ص289	ج4ص212	ج4ص31	
	ج10ص355	ج10ص278	ج10ص269	ج9ص437	ج9ص228	ج9ص191	
	ج11ص581	ج11ص486	ج11ص111	ج11ص110	ج10ص530	ج10ص378	
	ج14ص488	ج14ص429	ج13ص448	ج13ص319	ج13ص117	ج12ص122	
33	ج2ص442	ج2ص149	ج2ص18	ج1ص300	ج1ص198	ج1ص70	طاوس
	ج4ص391	ج4ص212	ج3ص315	ج3ص183	ج2ص464	ج2ص462	
	ج7ص569	ج6ص333	ج6ص274	ج5ص353	ج5ص350	ج4ص398	
	ج9ص543	ج9ص437	ج9ص253	ج9ص123	ج8ص395	ج8ص390	
	ج12ص266	ج12ص64	ج10ص334	ج10ص269	ج10ص46	ج9ص553	
				ج14ص362	ج13ص319	ج12ص331	
11	ج9ص538	ج9ص532	ج6ص333	ج6ص35	ج2ص182	ج1ص227	حماد

		ج14ص362	ج14ص125	ج13ص527	ج12ص363	ج11ص227	
14		ج4ص372	ج3ص194	ج2ص464	ج2ص170	ج2ص149	سعيد بن جبير
		ج11ص110	ج11ص61	ج10ص334	ج6ص54	ج5ص73	
					ج14ص413	ج13ص319	
11		ج4ص391	ج4ص389	ج3ص340	ج2ص78	ج1ص181	عروة
			ج2ص64	ج9ص219	ج9ص123	ج8ص270	
23		ج3ص183	ج3ص112	ج2ص442	ج2ص149	ج2ص18	مجاهد
		ج5ص62	ج4ص389	ج4ص161	ج3ص315	ج3ص292	
		ج9ص151	ج9ص57	ج7ص555	ج6ص444	ج5ص395	
			ج14ص413	ج12ص149	ج12ص64	ج9ص532	
21		ج6ص470	ج6ص58	ج4ص444	ج4ص398	ج4ص378	قتادة
		ج9ص225	ج9ص191	ج9ص161	ج9ص160	ج8ص390	
		ج11ص581	ج11ص110	ج11ص72	ج10ص382	ج10ص378	
				ج13ص398	ج12ص146	ج12ص28	

ملحق (3): مخالفة بعض المذاهب المندثرة للجمهور

المجموع	المسائل							المذهب
33	ج2ص385	ج2ص229	ج2ص180	ج1ص256	ج1ص202	ج1ص149	ج1ص133	اسحاق
	ج4ص7	ج4ص389	ج3ص355	ج3ص315	ج2ص68	ج2ص462	ج2ص442	
	ج9ص223	ج9ص160	ج9ص123	ج8ص449	ج8ص358	ج8ص270	ج4ص64	
	ج12ص438	ج12ص417	ج12ص33	ج11ص227	ج11ص195	ج9ص255	ج9ص254	
			ج14ص442	ج14ص85	ج13ص474	ج13ص373	ج13ص289	

46	ج4ص 398	ج4ص72 72	ج4ص69 69	ج3ص33 33	ج2ص 392	ج1ص 351	ج1ص 149	أبو ثور
	ج8ص 444	ج8ص 244	ج8ص 240	ج8ص28 28	ج7ص 384	ج4ص 419	ج4ص 399	
	ج9ص23 23	ج9ص 225	ج9ص 175	ج9ص 151	ج9ص30 30	ج9ص12 12	ج8ص 449	
	ج10ص 309	ج10ص 278	ج10ص 88	ج9ص 547	ج9ص 437	ج9ص 291	ج9ص 231	
	ج12ص 345	ج12ص 331	ج12ص 315	ج12ص 314	ج12ص 226	ج11ص 66	ج12ص 30	
	ج13ص 519	ج13ص 203	ج13ص 93	ج12ص 459	ج12ص 441	ج12ص 437	ج12ص 363	
				ج14ص 371	ج14ص 272	ج14ص 244	ج14ص 125	
42	ج2ص73 73	ج1ص 351	ج1ص 345	ج1ص 334	ج1ص 329	ج1ص 192	ج1ص 181	الأوزاعي
	ج4ص64 64	ج3ص 397	ج3ص 355	ج3ص 242	ج2ص 437	ج2ص 147	ج2ص94 94	
	ج8ص 229	ج7ص 471	ج4ص 414	ج4ص 372	ج4ص 237	ج4ص88 88	ج4ص75 75	
	ج11ص 581	ج11ص 111	ج10ص 48	ج9ص 246	ج9ص 231	ج9ص 191	ج9ص 151	
	ج13ص 93	ج12ص 322	ج12ص 315	ج12ص 314	ج12ص 226	ج12ص 161	ج12ص 33	
	ج14ص 429	ج14ص 248	ج14ص 130	ج13ص 527	ج13ص 360	ج13ص 322	ج13ص 289	
23	ج3ص 444	ج3ص 410	ج3ص 340	ج2ص 265	ج2ص78 78	ج1ص 351	ج1ص 345	الثوري

	ج8ص 449	ج5ص 330	ج5ص 222	ج4ص 304	ج4ص 237	ج4ص 192	ج3ص 485	
	ج12ص 341	ج12ص 162	ج9ص 231	ج9ص 196	ج9ص 132	ج9ص 102	ج9ص98	
						ج13ص 489	ج13ص 360	
54	ج2ص 284	ج2ص 180	ج1ص 271	ج1ص 213	ج1ص 202	ج1ص 172	ج1ص 133	داود
	ج5ص 412	ج5ص 350	ج5ص 252	ج4ص 406	ج4ص 281	ج4ص 248	ج3ص 310	
	ج8ص 426	ج8ص 396	ج8ص 390	ج8ص 313	ج8ص60	ج6ص 259	ج6ص 221	
	ج9ص 177	ج9ص 175	ج9ص 151	ج9ص55	ج9ص28	ج8ص 498	ج8ص 473	
	ج9ص 516	ج9ص 466	ج9ص 437	ج9ص 340	ج9ص 228	ج9ص 226	ج9ص 217	
	ج11ص 319	ج11ص 274	ج11ص 206	ج10ص 509	ج10ص 271	ج10ص 253	ج10ص 39	
	ج12ص 459	ج12ص 440	ج12ص 426	ج12ص 385	ج12ص 331	ج11ص 569	ج11ص 474	
			ج14ص 585	ج14ص 442	ج13ص 393	ج13ص 306	ج12ص 466	
19	ج8ص 337	ج4ص 399	ج3ص 340	ج3ص 338	ج1ص 291	ج1ص 260	ج1ص 246	الليث
	ج12ص 207	ج12ص 161	ج11ص 581	ج11ص 319	ج11ص 274	ج9ص 255	ج9ص 184	
			ج14ص 187	ج13ص 360	ج13ص 322	ج13ص 291	ج12ص 314	

3					ج9ص 151	ج5ص 191	ج2ص 284	ابن أبي ذئب
11	ج9ص 191	ج9ص 184	ج8ص 549	ج4ص 289	ج1ص 291	ج1ص 260	ج1ص 230	ربيعة
				ج13ص 360	ج13ص 291	ج12ص 440	ج9ص 437	
10	ج9ص 225	ج9ص 161	ج9ص 160	ج9ص 151	ج3ص 292	ج3ص 183	ج2ص 439	مكحول
					ج12ص 166	ج12ص 165	ج9ص 532	

ملحق (4): مخالفة الحنفية للجمهور

المجموع	المسائل					الحنفية
80	ج1ص419	ج1ص296	ج1ص215	ج1ص206	ج1ص70	أبو حنيفة
	ج2ص454	ج2ص265	ج2ص186	ج2ص126	ج2ص6	
	ج3ص340	ج3ص336	ج3ص321	ج3ص316	ج2ص537	
	ج4ص72	ج4ص66	ج4ص33	ج3ص444	ج3ص383	
	ج5ص306	ج5ص226	ج4ص360	ج4ص349	ج4ص161	
	ج5ص437	ج5ص412	ج5ص401	ج5ص368	ج5ص320	
	ج6ص216	ج6ص67	ج6ص119	ج6ص12	ج5ص455	
	ج7ص25	ج6ص595	ج6ص358	ج6ص320	ج6ص312	
	ج8ص475	ج8ص185	ج7ص555	ج7ص172	ج7ص74	
	ج9ص232	ج9ص120	ج9ص119	ج9ص115	ج8ص550	
	ج11ص110	ج10ص49	ج8ص444	ج9ص532	ج9ص304	
	ج12ص322	ج12ص168	ج12ص79	ج11ص319	ج11ص171	
	ج13ص75	ج12ص501	ج12ص486	ج12ص378	ج12ص341	
ج13ص264	ج13ص167	ج13ص142	ج13ص116	ج13ص85		

	ج4ص134	ج4ص37	ج3ص460	ج3ص360	ج3ص340	
	ج4ص392	ج4ص362	ج4ص348	ج4ص261	ج4ص174	
10	ج8ص439	ج6ص216	ج4ص283	ج3ص355	ج3ص340	محمد بن الحسن
	ج2ص322	ج1ص562	ج10ص124	ج9ص236	ج9ص188	
7	ج9ص246	ج8ص475	ج8ص313	ج3ص340	ج3ص296	أبو يوسف
				ج3ص75	ج2ص422	
9	ج8ص475	ج8ص426	ج7ص60	ج5ص320	ج1ص172	زفر
		ج1ص319	ج10ص46	ج9ص411	ج9ص196	
20	ج4ص173	ج3ص418	ج3ص397	ج3ص127	ج3ص50	أصحاب الرأي
	ج9ص436	ج9ص367	ج8ص468	ج5ص427	ج4ص304	
	ج2ص334	ج2ص162	ج2ص55	ج1ص466	ج1ص187	
	ج4ص130	ج3ص489	ج3ص481	ج3ص393	ج2ص403	

ملحق (5): مخالفة المالكية للجمهور

المجموع	المسائل						المالكية
ع							
104	ج1ص449	ج1ص427	ج1ص262	ج1ص260	ج1ص215	ج1ص192	مالك
	ج2ص220	ج2ص208	ج2ص186	ج2ص147	ج2ص141	ج2ص45	
	ج3ص444	ج3ص321	ج3ص50	ج3ص26	ج2ص585	ج2ص479	
	ج4ص248	ج4ص181	ج4ص32	ج4ص12	ج3ص507	ج3ص463	
	ج5ص247	ج5ص216	ج5ص195	ج5ص126	ج5ص8	ج4ص259	
	ج6ص60	ج6ص12	ج5ص455	ج5ص332	ج5ص272	ج5ص267	
	ج6ص415	ج6ص334	ج6ص332	ج6ص305	ج6ص174	ج6ص69	
	ج8ص313	ج8ص244	ج8ص240	ج8ص229	ج8ص84	ج7ص570	
	ج9ص120	ج9ص115	ج8ص549	ج8ص431	ج8ص426	ج8ص339	
	ج9ص247	ج9ص223	ج9ص217	ج9ص204	ج9ص196	ج9ص191	
	ج10ص	ج10ص	ج9ص529	ج9ص437	ج9ص319	ج9ص273	

	121	116					
	ج11ص 390	ج11ص 224	ج10ص 573	ج10ص 252	ج10ص 226	ج10ص 199	
	ج12ص 159	ج12ص 130	ج12ص28 502	ج11ص 502	ج11ص 463	ج11ص 445	
	ج12ص 320	ج12ص 247	ج12ص 224	ج12ص 207	ج12ص 179	ج12ص 162	
	ج13ص 223	ج13ص 142	ج13ص56 42	ج13ص42 501	ج12ص 501	ج12ص 322	
	ج13ص 360	ج13ص 322	ج13ص 306	ج13ص 300	ج13ص 293	ج13ص 291	
	ج14ص 400	ج14ص 222	ج14ص 187	ج14ص 185	ج13ص 447	ج13ص 373	
					ج14ص 584	ج14ص 467	
6	ج14ص 362	ج11ص 581	ج11ص 319	ج10ص 378	ج7ص444	ج4ص380	رواية لمالك
1						ج11ص 581	المشهور عن مالك
1						ج13ص 508	ظاهر قول مالك
1						ج2ص140	ظاهر مذهب مالك
3				ج13ص 319	ج11ص 264	ج1ص172	بعض أصحاب مالك
4			ج14ص9	ج12ص 407	ج10ص 573	ج6ص132	ابن القاسم
2					ج5ص351	ج5ص222	ابن الماجشون

ملحق (6): مخالفة الشافعية للجمهور

المجموع	المسائل					الشافعية
41	ج2ص126	ج2ص41	ج2ص18	ج1ص427	ج1ص178	الشافعي
	ج2ص492	ج2ص229	ج2ص220	ج2ص149	ج2ص143	
	ج3ص374	ج3ص316	ج3ص176	ج2ص585	ج2ص518	
	ج6ص68	ج4ص237	ج4ص181	ج3ص50	ج3ص418	
	ج8ص254	ج7ص555	ج7ص314	ج6ص607	ج6ص260	
	ج9ص247	ج9ص203	ج9ص115	ج9ص115	ج8ص550	
	ج11ص190	ج11ص152	ج10ص576	ج10ص171	ج9ص284	
	ج13ص623	ج13ص481	ج13ص448	ج13ص55	ج11ص563	
					ج14ص222	
2			ج9ص529	ج9ص177	المشهور عن الشافعي	
2			ج14ص248	ج10ص86	قول الشافعي الجديد	
1				ج5ص191	قول الشافعي القديم	
11	ج4ص422	ج4ص284	ج1ص291	ج1ص95	ج1ص20	وجه للشافعية
	ج12ص271	ج11ص581	ج9ص408	ج9ص120	ج8ص550	
					ج13ص538	
4		ج14ص96	ج14ص9	ج11ص169	ج2ص323	أصحاب الشافعي
32	ج2ص212	ج1ص449	ج1ص416	ج1ص105	ج1ص60	قول للشافعي
	ج4ص372	ج4ص166	ج3ص310	ج3ص194	ج3ص125	
	ج8ص10	ج7ص98	ج7ص96	ج5ص430	ج4ص398	
	ج10ص49	ج9ص425	ج8ص558	ج8ص492	ج8ص396	
	ج12ص266	ج12ص226	ج12ص156	ج11ص264	ج11ص38	
	ج13ص451	ج13ص264	ج12ص519	ج12ص367	ج12ص272	
				ج14ص425	ج14ص392	

ملحق (7): مخالفة الحنابلة للجمهور

المجموع	المسائل							الحنابلة
7	ج14ص9	ج13ص605	ج11ص562	ج8ص24	ج3ص514	ج3ص507	ج1ص351	أحمد
28	ج7ص97	ج7ص40	ج4ص399	ج4ص131	ج4ص110	ج3ص239	ج2ص289	المذهب
	ج9ص437	ج9ص246	ج9ص223	ج8ص301	ج8ص26	ج7ص376	ج7ص159	
	ج13ص89	ج12ص512	ج12ص438	ج12ص286	ج12ص112	ج12ص54	ج9ص538	
	ج14ص85	ج13ص506	ج13ص474	ج13ص333	ج13ص330	ج13ص307	ج13ص269	
104	ج2ص81	ج2ص68	ج1ص427	ج1ص416	ج1ص232	ج1ص213	ج1ص178	رواية لأحمد 1
	ج2ص385	ج2ص323	ج2ص284	ج2ص243	ج2ص212	ج2ص186	ج2ص94	
	ج3ص242	ج3ص224	ج3ص194	ج3ص143	ج2ص518	ج2ص462	ج2ص385	
	ج4ص99	ج4ص64	ج4ص63	ج4ص39	ج4ص35	ج3ص410	ج3ص355	
	ج5ص362	ج5ص174	ج4ص387	ج4ص380	ج4ص330	ج4ص316	ج4ص132	
	ج6ص153	ج6ص60	ج6ص59	ج6ص35	ج6ص33	ج5ص388	ج5ص383	
	ج8ص370	ج8ص337	ج8ص270	ج7ص331	ج7ص75	ج6ص312	ج6ص305	
	ج9ص254	ج9ص249	ج9ص239	ج9ص231	ج9ص223	ج9ص217	ج9ص160	
	ج9ص436	ج9ص404	ج9ص388	ج9ص367	ج9ص340	ج9ص284	ج9ص257	
	ج10ص352	ج10ص239	ج10ص177	ج10ص121	ج9ص532	ج9ص532	ج9ص517	
	ج11ص502	ج11ص500	ج11ص489	ج11ص420	ج11ص66	ج11ص61	ج11ص59	
	ج12ص226	ج12ص176	ج12ص159	ج12ص156	ج12ص130	ج12ص122	ج12ص47	
	ج13ص223	ج13ص220	ج12ص501	ج12ص417	ج12ص367	ج12ص363	ج12ص266	
	ج13ص508	ج13ص489	ج13ص485	ج13ص472	ج13ص451	ج13ص448	ج13ص300	
	ج14ص606	ج14ص464	ج14ص442	ج14ص425	ج14ص205	ج14ص182		
13	ج9ص442	ج9ص437	ج9ص197	ج8ص370	ج5ص427	ج3ص338	ج3ص248	رواية
		ج13ص167	ج13ص109	ج12ص146	ج11ص475	ج11ص61	ج10ص573	لأحمد 2
11	ج9ص442	ج9ص437	ج9ص197	ج8ص370	ج7ص331	ج3ص338	ج3ص248	رواية
				ج13ص489	ج13ص333	ج13ص300	ج13ص167	لأحمد 3

2						ج9ص197	ج3ص338	رواية لأحمد 4
4				ج13ص472	ج11ص169	ج2ص472	ج1ص202	الأصحاب
4				ج10ص522	ج8ص303	ج4ص306	ج1ص256	أكثر الأصحاب
9	ج6ص71	ج4ص413	ج3ص267	ج3ص204	ج3ص33	ج1ص350	ج1ص300	بعض الأصحاب
						ج10ص518	ج8ص396	
7	ج12ص336	ج10ص469	ج10ص450	ج10ص157	ج9ص377	ج8ص418	ج2ص437	وجه للحنابلة
1							ج1ص56	أشهر الروايتين
1							ج12ص33	أظهر الروايتين
4				ج13ص540	ج10ص271	ج7ص542	ج7ص152	ظاهر كلام أحمد
1							ج10ص320	ظاهر مذهب أحمد
1							ج2ص229	صحيح المذهب

ملحق (8): جميع مسائل مذهب جمهور الفقهاء

ج1ص133	ج1ص105	ج1ص95	ج1ص70	ج1ص60	ج1ص56	ج1ص25	ج1ص23	ج1ص20	ج1ص15
ج1ص202	ج1ص202	ج1ص198	ج1ص192	ج1ص184	ج1ص181	ج1ص178	ج1ص172	ج1ص164	ج1ص149

ج 1ص 234	ج 1ص 232	ج 1ص 230	ج 1ص 227	ج 1ص 220	ج 1ص 215	ج 1ص 213	ج 1ص 212	ج 1ص 207	ج 1ص 206
ج 1ص 278	ج 1ص 271	ج 1ص 267	ج 1ص 266	ج 1ص 262	ج 1ص 260	ج 1ص 256	ج 1ص 254	ج 1ص 246	ج 1ص 246
ج 1ص 335	ج 1ص 334	ج 1ص 334	ج 1ص 329	ج 1ص 300	ج 1ص 298	ج 1ص 296	ج 1ص 292	ج 1ص 291	ج 1ص 282
ج 1ص 427	ج 1ص 421	ج 1ص 419	ج 1ص 416	ج 1ص 368	ج 1ص 359	ج 1ص 351	ج 1ص 350	ج 1ص 345	ج 1ص 339
ج 2ص 94	ج 2ص 81	ج 2ص 78	ج 2ص 73	ج 2ص 68	ج 2ص 45	ج 2ص 41	ج 2ص 18	ج 2ص 6	ج 1ص 449
ج 2ص 180	ج 2ص 170	ج 2ص 149	ج 2ص 147	ج 2ص 145	ج 2ص 143	ج 2ص 141	ج 2ص 140	ج 2ص 126	ج 2ص 95
ج 2ص 265	ج 2ص 249	ج 2ص 243	ج 2ص 229	ج 2ص 220	ج 2ص 212	ج 2ص 208	ج 2ص 206	ج 2ص 186	ج 2ص 182
ج 2ص 418	ج 2ص 392	ج 2ص 385	ج 2ص 376	ج 2ص 358	ج 2ص 246	ج 2ص 331	ج 2ص 323	ج 2ص 289	ج 2ص 284
ج 2ص 472	ج 2ص 464	ج 2ص 462	ج 2ص 454	ج 2ص 451	ج 2ص 443	ج 2ص 442	ج 2ص 439	ج 2ص 437	ج 2ص 420
ج 3ص 33	ج 3ص 27	ج 3ص 26	ج 2ص 585	ج 2ص 537	ج 2ص 518	ج 2ص 501	ج 2ص 492	ج 2ص 481	ج 2ص 479
ج 3ص 171	ج 3ص 143	ج 3ص 127	ج 3ص 125	ج 3ص 113	ج 3ص 112	ج 3ص 92	ج 3ص 81	ج 3ص 50	ج 3ص 41
ج 3ص 239	ج 3ص 224	ج 3ص 222	ج 3ص 216	ج 3ص 213	ج 3ص 206	ج 3ص 204	ج 3ص 194	ج 3ص 183	ج 3ص 176
ج 3ص 314	ج 3ص 310	ج 3ص 296	ج 3ص 292	ج 3ص 276	ج 3ص 268	ج 3ص 267	ج 3ص 258	ج 3ص 248	ج 3ص 242

ج3ص 383	ج3ص 374	ج3ص 355	ج3ص 340	ج3ص 338	ج3ص 337	ج3ص 336	ج3ص 321	ج3ص 316	ج3ص 315
ج3ص 484	ج3ص 476	ج3ص 467	ج3ص 463	ج3ص 460	ج3ص 450	ج3ص 444	ج3ص 418	ج3ص 410	ج3ص 397
ج4ص 35	ج4ص 33	ج4ص 32	ج4ص 31	ج4ص 12	ج4ص7 7	ج3ص 514	ج3ص 509	ج3ص 507	ج3ص 485
ج4ص 99	ج4ص 88	ج4ص 75	ج4ص 72	ج4ص 69	ج4ص 66	ج4ص 64	ج4ص 64	ج4ص 46	ج4ص 39
ج4ص 212	ج4ص 192	ج4ص 181	ج4ص 173	ج4ص 166	ج4ص 161	ج4ص 132	ج4ص 131	ج4ص 110	ج4ص 105
ج4ص 304	ج4ص 289	ج4ص 284	ج4ص 283	ج4ص 283	ج4ص 281	ج4ص 259	ج4ص 248	ج4ص 245	ج4ص 237
ج4ص 372	ج4ص 366	ج4ص 360	ج4ص 350	ج4ص 349	ج4ص 345	ج4ص 330	ج4ص 325	ج4ص 316	ج4ص 306
ج4ص 406	ج4ص 399	ج4ص 398	ج4ص 398	ج4ص 391	ج4ص 389	ج4ص 387	ج4ص 380	ج4ص 378	ج4ص 372
ج4ص 448	ج4ص 444	ج4ص 436	ج4ص 434	ج4ص 426	ج4ص 422	ج4ص 422	ج4ص 419	ج4ص 414	ج4ص 413
ج5ص 125	ج5ص 109	ج5ص 75	ج5ص 75	ج5ص 73	ج5ص 65	ج5ص 62	ج5ص 57	ج5ص 27	ج5ص8 8
ج5ص 216	ج5ص 195	ج5ص 191	ج5ص 178	ج5ص 175	ج5ص 174	ج5ص 154	ج5ص 148	ج5ص 141	ج5ص 126
ج5ص 273	ج5ص 272	ج5ص 267	ج5ص 252	ج5ص 247	ج5ص 247	ج5ص 246	ج5ص 227	ج5ص 226	ج5ص 222
ج5ص 351	ج5ص 350	ج5ص 341	ج5ص 332	ج5ص 330	ج5ص 320	ج5ص 306	ج5ص 303	ج5ص 300	ج5ص 292

ج ٥ص 400	ج ٥ص 397	ج ٥ص 395	ج ٥ص 388	ج ٥ص 383	ج ٥ص 380	ج ٥ص 368	ج ٥ص 362	ج ٥ص 354	ج ٥ص 353
ج ٦ص 35	ج ٦ص 33	ج ٦ص 12	ج ٥ص 455	ج ٥ص 437	ج ٥ص 430	ج ٥ص 427	ج ٥ص 412	ج ٥ص 412	ج ٥ص 401
ج ٦ص 71	ج ٦ص 69	ج ٦ص 68	ج ٦ص 67	ج ٦ص 60	ج ٦ص 59	ج ٦ص 58	ج ٦ص 58	ج ٦ص 54	ج ٦ص 52
ج ٦ص 216	ج ٦ص 188	ج ٦ص 174	ج ٦ص 168	ج ٦ص 158	ج ٦ص 153	ج ٦ص 132	ج ٦ص 119	ج ٦ص 107	ج ٦ص 91
ج ٦ص 312	ج ٦ص 305	ج ٦ص 296	ج ٦ص 291	ج ٦ص 274	ج ٦ص 260	ج ٦ص 259	ج ٦ص 249	ج ٦ص 225	ج ٦ص 221
ج ٦ص 484	ج ٦ص 470	ج ٦ص 444	ج ٦ص 415	ج ٦ص 358	ج ٦ص 334	ج ٦ص 333	ج ٦ص 332	ج ٦ص 320	ج ٦ص 312
ج ٦ص 589	ج ٦ص 595	ج ٦ص 607	ج ٦ص 612	ج ٦ص 25	ج ٦ص 31	ج ٦ص 40	ج ٦ص 60	ج ٦ص 74	ج ٦ص 75
ج ٧ص 96	ج ٧ص 97	ج ٧ص 98	ج ٧ص 152	ج ٧ص 157	ج ٧ص 159	ج ٧ص 162	ج ٧ص 172	ج ٧ص 182	ج ٧ص 314
ج ٧ص 331	ج ٧ص 333	ج ٧ص 340	ج ٧ص 361	ج ٧ص 376	ج ٧ص 384	ج ٧ص 436	ج ٧ص 444	ج ٧ص 461	ج ٧ص 470
ج ٧ص 471	ج ٧ص 480	ج ٧ص 526	ج ٧ص 542	ج ٧ص 555	ج ٧ص 569	ج ٧ص 570	ج ٨ص 6	ج ٨ص 7	ج ٨ص 10
ج ٨ص 24	ج ٨ص 26	ج ٨ص 28	ج ٨ص 39	ج ٨ص 60	ج ٨ص 84	ج ٨ص 123	ج ٨ص 145	ج ٨ص 185	ج ٨ص 185
ج ٨ص 229	ج ٨ص 240	ج ٨ص 244	ج ٨ص 254	ج ٨ص 270	ج ٨ص 282	ج ٨ص 288	ج ٨ص 301	ج ٨ص 303	ج ٨ص 313
ج ٨ص 331	ج ٨ص 337	ج ٨ص 339	ج ٨ص 350	ج ٨ص 355	ج ٨ص 358	ج ٨ص 370	ج ٨ص 390	ج ٨ص 394	ج ٨ص 395

ج 8ص 468	ج 8ص 459	ج 8ص 449	ج 8ص 444	ج 8ص 439	ج 8ص 431	ج 8ص 426	ج 8ص 418	ج 8ص 413	ج 8ص 396
ج 8ص 563	ج 8ص 558	ج 8ص 552	ج 8ص 550	ج 8ص 549	ج 8ص 510	ج 8ص 498	ج 8ص 492	ج 8ص 475	ج 8ص 473
ج 9ص 26	ج 9ص 23	ج 9ص 18	ج 9ص 16	ج 9ص 15	ج 9ص 12	ج 9ص 11	ج 9ص 9	ج 8ص 8	ج 8ص 8
ج 9ص 68	ج 9ص 59	ج 9ص 58	ج 9ص 57	ج 9ص 55	ج 9ص 54	ج 9ص 48	ج 9ص 30	ج 9ص 28	ج 9ص 27
ج 9ص 115	ج 9ص 115	ج 9ص 115	ج 9ص 110	ج 9ص 109	ج 9ص 102	ج 9ص 102	ج 9ص 98	ج 9ص 93	ج 9ص 70
ج 9ص 132	ج 9ص 124	ج 9ص 123	ج 9ص 123	ج 9ص 122	ج 9ص 120	ج 9ص 120	ج 9ص 119	ج 9ص 119	ج 9ص 119
ج 9ص 185	ج 9ص 184	ج 9ص 177	ج 9ص 177	ج 9ص 175	ج 9ص 161	ج 9ص 160	ج 9ص 154	ج 9ص 151	ج 9ص 150
ج 9ص 216	ج 9ص 204	ج 9ص 203	ج 9ص 197	ج 9ص 196	ج 9ص 196	ج 9ص 532	ج 9ص 191	ج 9ص 188	ج 9ص 187
ج 9ص 231	ج 9ص 230	ج 9ص 228	ج 9ص 226	ج 9ص 225	ج 9ص 223	ج 9ص 220	ج 9ص 219	ج 9ص 218	ج 9ص 217
ج 9ص 253	ج 9ص 249	ج 9ص 247	ج 9ص 246	ج 9ص 244	ج 9ص 239	ج 9ص 238	ج 9ص 236	ج 9ص 234	ج 9ص 232
ج 9ص 319	ج 9ص 306	ج 9ص 304	ج 9ص 291	ج 9ص 285	ج 9ص 284	ج 9ص 273	ج 9ص 257	ج 9ص 255	ج 9ص 254
ج 9ص 408	ج 9ص 406	ج 9ص 404	ج 9ص 388	ج 9ص 377	ج 9ص 367	ج 9ص 367	ج 9ص 367	ج 9ص 353	ج 9ص 340
ج 9ص 516	ج 9ص 515	ج 9ص 471	ج 9ص 466	ج 9ص 442	ج 9ص 437	ج 9ص 437	ج 9ص 436	ج 9ص 425	ج 9ص 411

ج9ص 552	ج9ص 547	ج9ص 543	ج9ص 543	ج9ص 538	ج9ص 532	ج9ص 529	ج9ص 524	ج9ص 517	ج9ص 517
ج10ص 48	ج10ص 46	ج10ص 39	ج10ص 10	ج9ص 576	ج9ص 575	ج9ص 565	ج9ص 564	ج9ص 555	ج9ص 553
ج10ص 124	ج10ص 124	ج10ص 121	ج10ص 117	ج10ص 116	ج10ص 88	ج10ص 86	ج10ص 83	ج10ص 59	ج10ص 49
ج10ص 239	ج10ص 226	ج10ص 199	ج10ص 193	ج10ص 177	ج10ص 171	ج10ص 157	ج10ص 137	ج10ص 124	ج10ص 124
ج10ص 320	ج10ص 319	ج10ص 309	ج10ص 294	ج10ص 278	ج10ص 271	ج10ص 269	ج10ص 268	ج10ص 253	ج10ص 252
ج10ص 411	ج10ص 411	ج10ص 404	ج10ص 382	ج10ص 378	ج10ص 355	ج10ص 352	ج10ص 350	ج10ص 334	ج10ص 327
ج10ص 549	ج10ص 548	ج10ص 548	ج10ص 530	ج10ص 522	ج10ص 518	ج10ص 509	ج10ص 469	ج10ص 450	ج10ص 430
ج11ص 72	ج11ص 66	ج11ص 61	ج11ص 61	ج11ص 60	ج11ص 59	ج11ص 38	ج10ص 576	ج10ص 573	ج10ص 555
ج11ص 169	ج11ص 164	ج11ص 156	ج11ص 152	ج11ص 139	ج11ص 138	ج11ص 111	ج11ص 110	ج11ص 107	ج11ص 83
ج11ص 224	ج11ص 224	ج11ص 220	ج11ص 206	ج11ص 195	ج11ص 190	ج11ص 187	ج11ص 179	ج11ص 171	ج11ص 169
ج11ص 286	ج11ص 284	ج11ص 278	ج11ص 274	ج11ص 264	ج11ص 242	ج11ص 231	ج11ص 229	ج11ص 227	ج11ص 227
ج11ص 443	ج11ص 420	ج11ص 409	ج11ص 390	ج11ص 360	ج11ص 323	ج11ص 323	ج11ص 319	ج11ص 293	ج11ص 289
ج11ص 532	ج11ص 502	ج11ص 500	ج11ص 489	ج11ص 486	ج11ص 475	ج11ص 474	ج11ص 466	ج11ص 463	ج11ص 445

ج1اص 539	ج1اص 551	ج1اص 557	ج1اص 562	ج1اص 563	ج1اص 569	ج1اص 581	ج2اص 28	ج2اص 30	ج2اص 33
ج2اص 47	ج2اص 54	ج2اض 55	ج2اص 56	ج2اص 60	ج2اص 61	ج2اص 64	ج2اص 74	ج2اص 79	ج2اص 81
ج2اص 81	ج2اص 112	ج2اص 122	ج2اص 130	ج2اص 146	ج2اص 147	ج2اص 149	ج2اص 151	ج2اص 156	ج2اص 159
ج2اص 161	ج2اص 162	ج2اص 165	ج2اص 166	ج2اص 168	ج2اص 174	ج2اص 176	ج2اص 179	ج2اص 207	ج2اص 224
ج2اص 226	ج2اص 239	ج2اص 247	ج2اص 266	ج2اص 269	ج2اص 271	ج2اص 272	ج2اص 286	ج2اص 287	ج2اص 309
ج2اص 314	ج2اص 315	ج2اص 316	ج2اص 320	ج2اص 322	ج2اص 331	ج2اص 334	ج2اص 334	ج2اص 336	ج2اص 341
ج2اص 343	ج2اص 345	ج2اص 345	ج2اص 347	ج2اص 363	ج2اص 363	ج2اص 367	ج2اص 369	ج2اص 378	ج2اص 385
ج2اص 387	ج2اص 401	ج2اص 403	ج2اص 407	ج2اص 416	ج2اص 417	ج2اص 422	ج2اص 426	ج2اص 437	ج2اص 438
ج2اص 440	ج2اص 441	ج2اص 449	ج2اص 459	ج2اص 459	ج2اص 466	ج2اص 466	ج2اص 486	ج2اص 501	ج2اص 501
ج2اص 501	ج2اص 512	ج2اص 514	ج2اص 519	ج3اص 25	ج3اص 38	ج3اص 42	ج3اص 55	ج3اص 56	ج3اص 75
ج3اص 85	ج3اص 89	ج3اص 93	ج3اص 109	ج3اص 116	ج3اص 117	ج3اص 131	ج3اص 134	ج3اص 138	ج3اص 142
ج3اص 149	ج3اص 167	ج3اص 203	ج3اص 220	ج3اص 223	ج3اص 264	ج3اص 264	ج3اص 265	ج3اص 269	ج3اص 282
ج3اص 289	ج3اص 291	ج3اص 293	ج3اص 295	ج3اص 300	ج3اص 306	ج3اص 307	ج3اص 317	ج3اص 319	ج3اص 319

ج13اص 393	ج13اص 381	ج13اص 373	ج13اص 360	ج13اص 347	ج13اص 340	ج13اص 333	ج13اص 330	ج13اص 324	ج13اص 322
ج13اص 474	ج13اص 472	ج13اص 467	ج13اص 460	ج13اص 457	ج13اص 451	ج13اص 449	ج13اص 448	ج13اص 447	ج13اص 398
ج13اص 601	ج13اص 540	ج13اص 538	ج13اص 527	ج13اص 519	ج13اص 508	ج13اص 506	ج13اص 489	ج13اص 485	ج13اص 481
ج14اص 96	ج14اص 85	ج14اص 47	ج14اص 37	ج14اص 9	ج13اص 638	ج13اص 623	ج13اص 622	ج13اص 606	ج13اص 605
ج14اص 222	ج14اص 214	ج14اص 205	ج14اص 187	ج14اص 185	ج14اص 182	ج14اص 174	ج14اص 134	ج14اص 130	ج14اص 125
ج14اص 350	ج14اص 349	ج14اص 348	ج14اص 288	ج14اص 281	ج14اص 272	ج14اص 261	ج14اص 248	ج14اص 248	ج14اص 244
ج14اص 442	ج14اص 429	ج14اص 425	ج14اص 413	ج14اص 408	ج14اص 400	ج14اص 400	ج14اص 392	ج14اص 371	ج14اص 362
ج14اص 598	ج14اص 585	ج14اص 584	ج14اص 571	ج14اص 565	ج14اص 488	ج14اص 487	ج14اص 471	ج14اص 467	ج14اص 464
مجموع المسائل = 882 مسألة								ج14اص 606	ج14اص 599

فهرس المراجع:

1. الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي. تأليف: نقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت 756هـ). تحقيق: جماعة من العلماء. نشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ط1- 1404هـ.
2. الأخبار العلمية من الاختيارات الفقهية. تأليف: علاء الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عباس البلعي (ت 802هـ). تحقيق: محمد بن أحمد حسن الخليل. نشر: دار العاصمة- الرياض.
3. الاختلاف الفقهي في المذهب المالكي، مصطلحاته وأسبابه. تأليف: عبدالعزيز الخلفي. الطبعة الأولى- 1414هـ.

4. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. تأليف: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت 1420هـ). إشراف: زهير الشاويش. نشر: المكتب الإسلامي- بيروت.
5. الاستذكار. تأليف: الحافظ أبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبد البر النمري (ت 463هـ). تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض. نشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ط1- 1421هـ.
6. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل. تأليف: علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرادوي (ت 885هـ). نشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1- 1419هـ.
7. الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف. تأليف: أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت 318هـ). تحقيق: أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف. نشر: دار طيبة- الرياض، ط1- 1405هـ.
8. البحر الرائق شرح كنز الدقائق. تأليف: زين الدين ابن نجيم الحنفي (ت 970هـ). نشر: دار المعرفة- بيروت.
9. بداية المجتهد ونهاية المقتصد. تأليف: أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي، الشهير بابن رشد الحفيد (ت 595هـ). نشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده- مصر، ط4- 1395هـ.
10. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع. تأليف: علاء الدين الكاساني (ت 587هـ). نشر: دار الكتاب العربي- بيروت، 1982م.
11. البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير. تأليف: أبي حفص عمر بن علي بن أحمد ابن الملقن (ت 804هـ). تحقيق: مصطفى أبو الغيط، عبدالله بن سليمان، ياسر بن كمال. نشر: دار الهجرة- الرياض، ط1- 1425هـ.
12. البيان في مذهب الإمام الشافعي. تأليف: أبي الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني (ت 558هـ). اعتناء: قاسم محمد النوري. نشر: دار المنهاج- بيروت، ط1- 1421هـ.
13. تاج العروس من جواهر القاموس. تأليف: أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت 1206هـ). تحقيق: مجموعة من المحققين. نشر: دار الهداية.
14. تبیین الحقائق شرح كنز الدقائق. تأليف: فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي (ت 743هـ). نشر: دار الكتاب الإسلامي- القاهرة، 1313هـ.

15. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير. تأليف: الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ). نشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ط1- 1419هـ.
16. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. تأليف: أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت 463هـ). تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري. نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب، ط2- 1402هـ.
17. الحاوي في فقه الشافعي. تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت 450هـ). نشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ط1- 1414هـ.
18. خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام. تأليف: محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (ت 676هـ). تحقيق: حسين إسماعيل الجمل. نشر: مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1- 1418هـ.
19. دورة الأرحام. تأليف: د. محمد علي البار. نشر: الدار السعودية- جدة. ط3- 1430هـ.
20. الذخيرة. تأليف: الإمام شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (ت 684هـ). تحقيق: محمد حجي. نشر: دار الغرب- بيروت، 1994م.
21. روضة الناظر وجنة المناظر. تأليف: الموفق أبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة (ت 620هـ). تحقيق: أ.د. شعبان محمد إسماعيل. نشر: المكتبة المكية- مكة المكرمة، المكتبة التدمرية- الرياض، مؤسسة الريان- بيروت، ط1- 1419هـ.
22. سنن ابن ماجه. تأليف: أبي عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. نشر: دار الفكر- بيروت.
23. سنن أبي داود. تأليف: أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 275هـ). تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. نشر: المكتبة العصرية- بيروت.
24. سنن الترمذي (الجامع الصحيح). تأليف: أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت 279هـ). تحقيق: أحمد محمد شاکر وآخرون. نشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت.
25. سنن الترمذي (الجامع الصحيح). تأليف: أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت 279هـ). تحقيق وشرح: الشيخ أحمد محمد شاکر. نشر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر، ط2- 1397هـ.
26. سنن الدارقطني. تأليف: الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت 385هـ). تحقيق: شعيب

- الأرنؤوط وآخرون. نشر: مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1- 1424هـ.
27. سنن الدارمي. تأليف: الإمام الحافظ أبي محمد عبدالله عبدالرحمن الدارمي (ت 255هـ). تحقيق: د. محمود أحمد عبدالمحسن. نشر: دار المعرفة- بيروت. الطبعة الأولى 1421هـ.
28. السنن الكبرى. تأليف: أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت 458هـ)، وفي ذيله الجوهر النقي. تأليف: علاء الدين علي بن عثمان المارديني، الشهير بابن التركماني (ت 750هـ). نشر: مجلس دائرة المعارف النظامية- الهند/ حيدر آباد، ط1- 1344هـ.
29. سير أعلام النبلاء. تأليف: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط. نشر: مؤسسة الرسالة- بيروت، ط9- 1413هـ.
30. شرح الخرشي على مختصر سيدي خليل. تأليف: محمد بن عبدالله الخرشي (ت 1101هـ). نشر: دار الفكر- بيروت.
31. شرح السنة. تأليف: الإمام الحسين بن مسعود البغوي (ت 516هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش. نشر: المكتب الإسلامي (دمشق، بيروت)- ط2- 1403هـ.
32. شرح العمدة في الفقه. تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية (ت 728هـ). تحقيق: د. سعود صالح العطيشان. نشر: مكتبة العبيكان- الرياض، ط1- 1413هـ.
33. شرح الكوكب المنير. تأليف: تقي الدين أبي البقاء محمد بن أحمد، المعروف بابن النجار (ت 972هـ). تحقيق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد. نشر: مكتبة العبيكان، ط2- 1418هـ.
34. الشرح الممتع على زاد المستقنع. تأليف: الشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت 1421هـ). نشر: دار ابن الجوزي- الدمام، ط1- 1422هـ.
35. شرح الورقات في أصول الفقه. تأليف: د. عبدالله صالح الفوزان. نشر: مكتبة الإرشاد. الطبعة الثالثة- 1417هـ.
36. شرح مختصر الروضة. تأليف: سليمان بن عبد القوي الطوفي، (ت 716هـ). تحقيق: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي. نشر: مؤسسة الرسالة، ط1- 1407هـ.
37. الصحاح. تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 400هـ). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. نشر: دار العلم للملايين- بيروت، ط4- 1990م.
38. صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه). تأليف: أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ). تحقيق: محمد زهير الناصر. نشر: دار طوق

- النجاة، ط1- 1422هـ.
39. صحيح سنن أبي داود. تأليف: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت 1420هـ). نشر: مؤسسة غراس - الكويت، ط1- 1423هـ.
40. صحيح مسلم. تأليف: الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. نشر: دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركاه.
41. فتح الباري شرح صحيح البخاري. تأليف: أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (ت 795هـ). تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد. نشر: دار ابن الجوزي- الدمام، ط2- 1422هـ.
42. فتح الباري شرح صحيح البخاري. تأليف: الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ). نشر: دار المعرفة- بيروت، 1379هـ.
43. الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل. تأليف: الموفق أبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة (ت 620هـ). تحقيق وتعليق: محمد حسن إسماعيل، أحمد محروس جعفر. نشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ط1- 1421هـ.
44. الكافي في فقه أهل المدينة المالكي. تأليف: أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت 463هـ). تحقيق: محمد محمد أحمد ولد ماديك الموريتاني. نشر: مكتبة الرياض الحديثة- الرياض، ط2- 1400هـ.
45. لسان العرب. تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت 711هـ). نشر: دار صادر- بيروت، ط3- 1414هـ.
46. المبسوط. تأليف: شمس الدين أبي بكر محمد بن أبي سهل السرخسي (ت 490هـ). دراسة وتحقيق: خليل محي الدين الميس. نشر: دار الفكر- بيروت، ط1- 1421هـ.
47. مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر. تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن سليمان الكلبولي المدعو بشيخي زاده (ت 1078هـ) تحقيق: خليل عمران المنصور. نشر: دار الكتب العلمية- بيروت، 1419هـ.
48. المجموع شرح المهذب. تأليف: أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت 676هـ). تحقيق وتعليق وإكمال: محمد نجيب المطيعي. نشر: مكتبة الإرشاد- جدة.
49. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ت 728هـ). جمع وترتيب: الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1425هـ.

50. مختصر المزني في فروع الشافعية. تأليف: الإمام أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني (ت 264هـ). تحقيق: محمد عبد القادر شاهين. نشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ط1-1419هـ.
51. المدونة الكبرى، رواية سحنون بن سعيد التتوخي (ت 240هـ)، عن عبدالرحمن بن القاسم (ت 191هـ)، عن الإمام مالك (ت 179هـ). نشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ط1-1415هـ.
52. مسائل الإمام أحمد بن حنبل، رواية ابنه أبي الفضل صالح (ت 266هـ). نشر: دار الكتب العلمية- الهند، 1408هـ.
53. المستدرک على الصحيحين. تأليف: أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (ت 405هـ). تحقيق: مصطفى بن عبد القادر عطا. نشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ط1-1411هـ.
54. مسند الإمام أحمد بن حنبل. تأليف: أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت 241هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون. نشر: مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1-1421هـ.
55. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي. تأليف: أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (ت 770هـ). نشر: المكتبة العلمية- بيروت.
56. مصنف ابن أبي شيبة. تأليف: أبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (ت 235هـ). تحقيق: محمد عوامة. نشر: دار قرطبة- بيروت، ط1-1427هـ.
57. مصنف عبد الرزاق. تأليف: أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت 211هـ). تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. نشر: المكتبة الإسلامي- بيروت، ط2-1403هـ.
58. معالم السنن (شرح سنن الإمام أبي داود). تأليف: الإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي (ت 388هـ). طبع وتصحيح: محمد راغب الطباخ- حلب، ط1-1351هـ.
59. معجم النباتات والزراعة. تأليف: الشيخ محمد بن حسن آل ياسين. نشر: دار ومكتبة الهلال- بيروت، ط2-2000م.
60. المعجم الوسيط. تأليف: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار. تحقيق: مجمع اللغة العربية. نشر: دار الدعوة- تركيا، 1410هـ.
61. المغني. تأليف: الموفق أبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة (ت 620هـ). تحقيق: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، د. عبد الفتاح محمد الحلو. نشر: دار عالم الكتب- الرياض، ط3-1417هـ.

62. المقصد الأرشدي في ذكر أصحاب الإمام أحمد. تأليف: الإمام برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن مفلح (ت 884هـ). تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. نشر: مكتبة الرشد-الرياض، 1410هـ.
63. المنتقى شرح موطأ مالك. تأليف: سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجي ت 495هـ). تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا. نشر: دار الكتب العلمية-بيروت، ط1-1420هـ.
64. المذهب في فقه الإمام الشافعي. تأليف: أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت 476هـ). نشر: دار الفكر-بيروت.
65. نواذر الفقهاء. تأليف: الإمام محمد بن الحسن التميمي الجوهري (ت 350هـ). تحقيق: د. محمد فضل عبد العزيز المراد. نشر: دار القلم-دمشق، الدار الشامية-بيروت، ط1-1414هـ.
66. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار. تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت 1259هـ). نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده-مصر، الطبعة الأخيرة.
67. الوجيز في علم الأمراض الوراثية-نصوص وأطلس ملون-ترجمة: صالح داود وآخرون. نشر: دار ابن النفيس-دمشق. ط1.

تتوين التّكبير إشكاليّة المصطلح والاستعمال - دراسة لغويّة

د. يحيى إبراهيم قاسم - باحث أول - yahyaeb@gmail.com

أستاذ البلاغة والنقد المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها - جامعة الخديّدة.

د. محمّد عليّ مهدي - باحث ثاني - Almadwani@gmail.com

أستاذ اللغويّات المُشارك بقسم اللغة العربية وآدابها - جامعة الخديّدة.

الملخص

4

يَنظُمُ البَحْثُ في مَبَحَثَيْنِ وَنَمَهَيْدٍ، أَمَّا التَّمَهِيدُ، فَتَحَدَّثَ عَن مَفْهُومِ التَّنْوِينِ، وَأَقْسَامِهِ وَوَضِيفَتِهِ النَّحْوِيَّةِ وَالدَّلَالِيَّةِ، وَكَانَ الْمَبَحَثُ الْأَوَّلُ عَن تَنْوِينِ التَّكْبِيرِ فِي أَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ وَأَسْمَاءِ الْأَصْوَاتِ، وَأَشَارَ إِلَى تَعَدُّدِ تَفْسِيرِ اللَّغْوِيِّينَ وَالنَّحَاةِ هَذَا التَّنْوِينِ بَيْنَ التَّفْسِيرِ الصَّوْتِيِّ؛ فِي كَوْنِ التَّنْوِينِ عِنْدَ الْوَصْلِ، وَعَدَمِ التَّنْوِينِ يَكُونُ عِنْدَ الْوَقْفِ. وَبَيَّنَ التَّفْسِيرِ الْوَضِيفِي؛ فِي أَنَّ لِلتَّنْوِينِ وَضِيفَةً مَعْنَوِيَّةً؛ حِينَ يَدُلُّ عَلَى غَيْرِ مُعَيَّنٍ بِخِلَافِ غَيْرِ الْمُنَوَّنِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى مُعَيَّنٍ، وَقَدْ تَتَبَعَ الْبَاحِثَانِ اسْتِعْمَالَ بَعْضِ أَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فِي الْحَدِيثِ وَالشَّعْرِ وَالنَّثْرِ، فَلَمْ تَكْشِفْ عَن دَلَالَةِ الْمُنَوَّنِ مِنْهَا وَغَيْرِ الْمُنَوَّنِ.

أَمَّا الْمَبَحَثُ الثَّانِي، فَتَنَاوَلَ تَنْوِينِ التَّكْبِيرِ فِي الْأَعْلَامِ الْمَحْتُمَةِ بِـ "وَيْهِ"، وَرَأَى أَنَّ ذَلِكَ التَّنْوِينِ لَا دَلَالَةَ فِيهِ عَلَى تَكْبِيرِ الْمُنَوَّنِ، لِحَاجَةِ مِثَالِهِمُ الْمَصْنُوعِ إِلَى الْاسْتِعَانَةِ بِذِكْرِ لَفْظٍ آخَرَ "لِيَدُلَّ عَلَى اشْتِرَاكِ الْأَسْمَانِ". فَضَلَّ عَن أَنَّ تِلْكَ الْأَعْلَامَ سَقَطَتْ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ مِنْ نِظَامِ لُغَوِيٍّ آخَرَ، لَا تَتَّفِقُ مَعَ نِظَامِ الْعَرَبِيَّةِ وَقَوَانِينِهَا الصَّوْتِيَّةِ. فَلَا فَائِدَةَ مِنَ الْقَوْلِ بِتَرْكِيبِهَا وَبِنَائِهَا عَلَى الْكُسْرِ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تُعَامَلَ بِوَصْفِهَا لَفْظًا مُفْرَدًا تَامًا مُسْتَقِلًّا مَمْنُوعًا مِنَ الصَّرْفِ لَا مَبْنِيًّا يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ حُكْمُ الْأَعْلَامِ الْأَعْجَمِيَّةِ.

Indefinite *Tanween*: The Term and Application Problematic (A Linguistic Study)

Dr. Yahya Ibraheem Qasim

1st author (Assistant Professor of Rehtorics and Criticism at Arabic Language & Literature Department, University of Hodeidah.Dr. Mohammed Ali Mahdi 2nd**The *Tanween* of the Indefiniteness: The problem of the Term and Usage**

The research is organized into two sections along with a preface. The preface discusses the concept of *Tanween*, its types and its grammatical/syntactic and semantic functions. The first topic discusses the *Tanween* of the indefiniteness of the names of the verbs and the names of the Sounds. It also points out that there is a lot of linguistic interpretation of this *tanween* between the interpretation of the sounds (i.e., The *tawneen* is at the point of contact, and there is no *tanween* at the end) and the functional interpretation (i.e., it has a moral function; it indicates a non-specific other than the non-monawan (without *tanween*) sound which indicates a certain and specific. The two researchers have followed the use of some names of verbs in the speech of Arabs in their conversations, poetry and prose.

The second topic deals with the *tanween* of the proper nouns that end with "woe". This paper finds out that this *tanween* does not indicate the indefiniteness of the noun with *tanween* because of the need of their example to "other" word to indicate the connectedness of the two nouns, though those proper nouns fell into Arabic from another linguistic system that is not consistent with the Arabic system and its sound system. There is no point in saying that it was built and constructed on 'Alkasr'. Rather, it should be treated as an entirely separate and independent term that is prohibited from the construction that applies the rules of the non-arabic proper nouns.

مقدمة.

فَهَذَا بَحْثٌ يَدْرُسُ مُصْطَلَحًا نَحْوِيًّا، هُوَ تَنْوِينُ التَّنْكِيرِ، فِي أَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ وَأَسْمَاءِ الْأَصْوَاتِ، وَفِي الْأَعْلَامِ الْمَخْتُومَةِ بِـ "وَيْهِ"، وَقَدْ تَتَّبَعَ الْبَحْثُ أَقْوَالَ اللُّغَوِيِّينَ وَالنُّحَاةِ وَتَفْسِيرَهُمْ وَجُودَهُ فِي تِلْكَ الْأَسْمَاءِ، وَاسْتِعْمَالَ الْعَرَبِ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ لِمَعْرِفَةِ إِنْ كَانَ نَمَّةً دَلَالَةً عَلَى التَّنْكِيرِ فِي الْمُنَوَّنِ مِنْهَا، وَالتَّعْرِيفِ فِيمَا لَمْ يَنْوَنَ. وَتَنْوِينُ التَّنْكِيرِ هُوَ التَّنْوِينُ الْلاحِقُ أَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ، وَأَسْمَاءِ الْأَصْوَاتِ، وَالْأَعْلَامِ الْمَخْتُومَةِ بِـ(وَيْهِ)، وَهُوَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ التَّنْوِينِ الَّتِي هِيَ عِنْدَ النُّحَاةِ عَلَامَةٌ مِنَ الْعَلَامَاتِ الْمُخْتَصَّةِ بِالذُّخُولِ عَلَى الْأَسْمَاءِ؛ وَهِيَ إِلَى جَانِبِ هَذَا التَّنْوِينِ: (تَنْوِينُ التَّنْكِيرِ، وَتَنْوِينُ الْمُقَابَلَةِ، وَتَنْوِينُ الْعَوْضِ)، وَبِهَا تَتَمَيَّزُ الْأَسْمَاءُ عَنِ الْأَفْعَالِ وَالْحُرُوفِ.

❖ أَمِيَّةُ الْبَحْثِ.

تَأْتِي أَمِيَّةُ هَذَا الْبَحْثِ مِنْ كَوْنِهِ يَتَنَاوَلُ ظَاهِرَةً لُغَوِيَّةً، وَمُصْطَلَحًا يَبْرَدِّدُ فِي أَقْوَالِ اللُّغَوِيِّينَ وَالنُّحَاةِ دُونَ سَدِّدٍ مِنْ نُصُوصِ اللُّغَةِ تُؤَيِّدُ مَا يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ؛ مِنْ أَنَّ التَّنْوِينِ فِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ يَدُلُّ عَلَى التَّنْكِيرِ، وَعَدَمَ التَّنْوِينِ دَلِيلٌ عَلَى التَّعْرِيفِ.

❖ أَهْدَافُ الْبَحْثِ.

يَسْعَى هَذَا الْبَحْثُ إِلَى تَحْقِيقِ الْأَهْدَافِ الْآتِيَةِ:

1- دِرَاسَةُ دَلَالَةِ التَّنْوِينِ فِي أَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ وَأَسْمَاءِ الْأَصْوَاتِ، وَفِي الْأَعْلَامِ الْمَخْتُومَةِ بِـ "وَيْهِ"، عِنْدَ اللُّغَوِيِّينَ وَالنُّحَاةِ، وَمُنَاقَشَةَ آرَائِهِمْ مِنَ النَّاحِيَةِ النَّظْرِيَّةِ فِي تَعَدُّدِ تَفْسِيرِهِمْ هَذَا التَّنْوِينِ بَيْنَ التَّفْسِيرِ الصَّوْتِيِّ؛ فِي كَوْنِ التَّنْوِينِ عِنْدَ الْوَصْلِ، وَعَدَمَ التَّنْوِينِ يَكُونُ عِنْدَ الْوَقْفِ، وَبَيْنَ التَّفْسِيرِ الْوِظَافِيِّ؛ فِي أَنَّ لِلتَّنْوِينِ وَظِيفَةً مَعْنَوِيَّةً؛ حِينَ يَدُلُّ عَلَى غَيْرِ مُعَيَّنٍ بِخِلَافِ غَيْرِ الْمُنَوَّنِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى مُعَيَّنٍ.

2- مَعْرِفَةَ اسْتِعْمَالِ الْعَرَبِ أَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ وَأَسْمَاءِ الْأَصْوَاتِ، وَالْأَعْلَامِ الْمَخْتُومَةِ بِـ "وَيْهِ"، وَتَتَّبَعُهَا فِي سِيَاقَاتِهَا.

❖ دَوَافِعُ اخْتِيَارِ الْمَوْضُوعِ.

كَانَ الدَّافِعُ وَرَاءَ هَذَا البَحْثِ عَدَمَ الاطمِئنانِ إِلَى ما يُذْكَرُهُ النُّحاةُ مِثْلاً لِتَنْوِينِ التَّنْكِيرِ، كما في قولهم: "مَرَرْتُ بِسَيِّبِيهِ وَسَيِّبِيهِ آخِرٌ"، وَهُوَ عِلْمٌ أَعْجَمِيٌّ، وَلَيْسَ بَعْرَبِيٌّ، فَكَانَ فِيهِ إِشَادَةٌ بِاسْمِ إِمَامِ النُّحاةِ، وَكَذَلِكَ لِقَوْلِهِمْ بِاخْتِلافِ دَلالةِ اسْمِ الفِعْلِ المُنَوَّنِ عَنِ غَيْرِ المُنَوَّنِ.

❖ مَنهجُ البَحْثِ.

اتَّخَذَ الباحِثانِ مِنَ المَنهجِ الوَصْفِيِّ التَّحليلِيِّ أداةً لِلبَحْثِ وَالدَّراسةِ، مِنْ خِلالِ اسْتِقاءِ كَلامِ اللُّغويِّينَ وَالنُّحاةِ، وَمِنْ ثَمَّ تَصنيفُها وَتَحليلُها وَمناقِشَتُها.

❖ الدَّراساتُ السَّابِقَةُ.

اهْتَمَّ بَعْضُ الباحِثِينَ بِدَراسةِ ظاهِرَةِ التَّنوِينِ فِي العَرَبِيَّةِ ككِتابِ ظاهِرَةِ التَّنوِينِ فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، لِلدكتور عوض المرسي جهاوي، عن مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار رفاعي بالرياض. ورؤية جديدة في تفسير التتوين في العربية، لسمير شريف ستينية، مجلة جامعة الملك سعود، م5، 1413هـ-1993م. وقد أفاد البَحْثُ مِنَ الدَّراساتِ المَذْكُورَتِينَ. إِلاَّ أَنَّ مَوْضُوعَ هَذَا البَحْثِ خَاصٌّ بِتَنْوِينِ التَّنْكِيرِ فِي أَسْماءِ الأَفْعالِ وَأَسْماءِ الأَصْواتِ والأَعلامِ المَخْتُومَةِ بِـ" وَيَّه"، وَمناقِشَةَ أَقْوالِ اللُّغويِّينَ وَالنُّحاةِ فِي دَلالةِ المُنَوَّنِ مِنْ تِلْكَ الأَسْماءِ وَغَيْرِ المُنَوَّنِ مِنْها، وَمَعْرِفَةَ اسْتِعمالِ العَرَبِ تِلْكَ الأَسْماءِ، وَتَتَبُّعَها فِي سِياقاتِها.

❖ خِطَّةُ البَحْثِ:

تَوَرَّعَتْ دِراسةُ تَنْوِينِ التَّنْكِيرِ عَلَى تَمْهيدٍ وَمَبْحَثِينَ:

التَّمهيدُ: تَحَدَّثَ فِيهِ البَحْثُ عَنِ مَفْهُومِ التَّنوِينِ وَوِظيفَتِهِ النُّحويَّةِ وَالدَّلاليَّةِ.

المَبْحَثُ الأَوَّلُ: تَنْوِينِ التَّنْكِيرِ فِي أَسْماءِ الأَفْعالِ.

المَبْحَثُ الثَّانِي: فِي لَفْظِ (سَيِّبِيهِ) وَأَشْباهِهِ.

❖ التَّمهيدُ.

التتوين: لغةً، مصدرٌ "تَوَّنَ" الاسمُ تتوينًا، إذا أُدْخِلَ عَلَيْهِ نُونًا سَاكِنَةً، وَفِي اصطلاح النحاة: هُوَ نُونٌ سَاكِنَةٌ زَائِدَةٌ تَلْحَقُ أَوَّخِرَ الْأَسْمَاءِ نَظْمًا لَا كِتَابَةً⁽¹⁾. وللتتوين وظائف نحوية ودلالية؛ أمَّا الوظيفة النحوية، فَهِيَ تَمْيِيزُ الْأِسْمِ مِنَ الْفِعْلِ وَالْحَرْفِ؛ فَالْأَسْمَاءُ تُنَوَّنُ، وَالْأَفْعَالُ وَالْحُرُوفُ لَا تُنَوَّنُ؛ قَالَ ابْنُ مَالِكٍ⁽²⁾:

بِالْجَرِّ وَالتَّوْنِينِ وَالنَّدَاءِ وَأَلْ* * * وَمُسْنَدٍ لِلْأِسْمِ تَمْيِيزٌ حَصَلَ

أَمَّا الْوِظِيْفَةُ الدَّلَالِيَّةُ، فَهِيَ أَنَّهُ دَلِيلُ التَّنْكِيرِ؛ لِأَنَّ «التَّوْنِينَ فِي الْأَصْلِ يَدُلُّ عَلَى التَّنْكِيرِ⁽³⁾»، أَوْ هُوَ عِلْمُ التَّنْكِيرِ⁽⁴⁾، وَهُوَ يَعْنِي الْعُمُومَ وَاسْتِغْرَاقَ أَفْرَادِ الْجِنْسِ؛ كَرَجُلٍ الَّتِي يَصِحُّ أَنْ تُتَلَقَّ عَلَى أَيِّ فَرْدٍ مِنْ جِنْسِ الرِّجَالِ، فَإِذَا عُرِفَ تَحَدَّدَتْ دَلَالَتُهُ بِفَرْدٍ مُعَيَّنٍ، وَيَتَرْتَبُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ أَحْكَامٌ تَتَعَلَّقُ بِنِيبَاءِ الْجُمْلَةِ، فَالْمَعْرِفَةُ يُبْتَدَأُ بِهَا الْجُمْلَةُ، بِخِلَافِ النِّكْرَةِ الَّتِي لَمْ يُجْزِ النَّحَاةُ الْإِبْتِدَاءَ بِهَا، لِذِلَالَتِهَا عَلَى الْعُمُومِ، أَوْ لِعِدَمِ الْفَائِدَةِ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ بِهَا، فَإِذَا تَخَصَّصَتْ جَاَزَ الْإِبْتِدَاءُ بِهَا؛ «وَإِنَّمَا امْتَنَعَ الْإِبْتِدَاءُ بِالنِّكْرَةِ الْمَفْرَدَةِ الْمَحْضَةِ؛ لِأَنَّهُ لَا فَائِدَةَ فِيهِ، وَمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ، فَلَا مَعْنَى لِلتَّكْلُمِ بِهِ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ قُلْتَ: رَجُلٌ قَائِمٌ أَوْ رَجُلٌ عَالِمٌ، لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْكَلَامِ فَائِدَةٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يُسْتَنْكَرُ أَنْ يَكُونَ فِي النَّاسِ رَجُلٌ قَائِمًا أَوْ عَالِمًا، فَإِذَا قُلْتَ: رَجُلٌ مِنْ بَنِي فُلَانٍ أَوْ رَجُلٌ مِنْ إِخْوَانِكَ أَوْ وَصَفْتَهُ بِأَيِّ صِفَةٍ كَانَتْ تَقْرُبُهُ مِنْ مَعْرِفَتِكَ، حَسَنَ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْفَائِدَةِ⁽⁵⁾». وَقَالَ السُّهَيْلِيُّ: «وَحَقُّ الْمُبْتَدَأِ أَنْ يَكُونَ مَعْرِفَةً أَوْ مَخْصُوصًا، وَإِلَّا فَلَا فَائِدَةَ فِي الْإِخْبَارِ عَنْهُ⁽⁶⁾».

لَكِنَّ قَوْلَ النَّحَاةِ أَنَّ التَّوْنِينَ عِلَامَةُ التَّنْكِيرِ، أَمْرٌ مُشْكَلٌ؛ لِوُجُودِ مَعَارِفٍ مُتَوَلِّةٍ؛ نَحْو: مُحَمَّدٍ، وَزَيْدٍ، وَعَمْرٍو...إلخ. وَقَدْ أَشَارَ ابْنُ جَنِّي إِلَى ذَلِكَ، بَعْدَ ذِكْرِهِ دِلَالَةَ التَّوْنِينِ عَلَى التَّنْكِيرِ، فَقَالَ: «فَإِنَّ التَّوْنِينَ دَلِيلُ التَّنْكِيرِ، وَالْإِضَافَةُ مَوْضُوعَةٌ لِلتَّخْصِيسِ... فَإِنَّ قُلْتَ: فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَمَا بِالْهَمْ نَوَّنُوا الْأَعْلَامَ

(1) انظر: الحدود في علم النحو، أحمد بن محمد بن محمد البجائي الأندلسي، شهاب الدين الأندلسي، ت: نجاة حسن عبد الله نولي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 112 - السنة 33 - 1421هـ/2001م: 448، وشرح كتاب الحدود في النحو، عبد الله بن أحمد الفاكهي، ت: د. المتولي رمضان أحمد الدميري، ط2/1414هـ-

1993م، مكتبة وهبة، القاهرة: 281، وجامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد سليم الغلايين، المكتبة العصرية، لبنان، ط28/1414هـ-1993م: 10

(2) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، ط20/1400هـ-1980م: 1/16

(3) الباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، ت: د. عبد الإله النبهان، دار الفكر - دمشق، ط1/1416هـ-1995م: 1/1

387، وانظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية - لبنان، ط1/1424هـ-2003م: 2/

402

(4) انظر: الخصائص، ابن جني، ت: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4: 4/3

(5) الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط1/1985م، بيروت: 59/1

(6) نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/1412هـ-1992م: 315

كزيد وبكر؟ قيل: جاز لك؛ لأنها ضارعت بألفاظها النكرات؛ إذ كان تعرفها معنويًا لا لفظيًا؛ لأنه لا لام تعريف فيها ولا إضافة⁽¹⁾» ولعلّ تتوين تلك الأعلام من المتحجرات الباقية من أثر استعمال قديم نسي ذلك الاستعمال، وبقيت منه بعض آثاره، «وحقيقة الأمر أن التتوين، وإن كان علامة التنكير في كل ما بقي من مستندات اللغة العربية، فربما كان في الأصل علامة للتعريف، فقد ذكرنا أن أصل التتوين هو التميم، وأنا نرى للتميم آثارًا من معنى التعريف في الأكاديمية العتيقة.

فإن قال قائل: فكيف يمكن أن يصير ما كان يُشير إلى شيء واحد في الأول مُشيرًا إلى ضده فيما بعد؟ قلنا: إن مثل ذلك ليس بمحال في حياة اللسان، وقد نشاهد في تاريخ اللغة الآرامية طبق ما فرضناه، من تبادل التعريف والتنكير... أنه من الممكن أن يكون التتوين قد كان في الأصل أداة للتعريف، ثم ضعف معناه المعروف، فقام مقامه الألف واللام، فصار علامة للتنكير، فإذا كان الأمر كذلك، فهنا سبب وجود التتوين في كثير من الأعلام القديمة؛ نحو عمرو وزيد، ونفهم، أيضًا، سبب انعدامه في بعضها، نحو عمر وطلحة وهند، فإن العلم معرف في نفسه لا يحتاج إلى علامة للتعريف، وإن أمكن أن تلحق به؛ فنرى أكثر الأعلام بغير علامة تعريف في الفرنسية والإنكليزية والألمانية وغيرها، وهي موجودة في القليل منها؛ نحو: lehavre، بخلاف Paris. ولو كان التتوين علامة للتنكير في الأصل لكان الحاقه ببعض الأعلام صعب الفهم جدًا⁽²⁾.

والتتوين أربعة أنواع: تتوين التمكن أو تتوين الصرف، وهو تتوين يلحق آخر الأسماء المغربية المنصرفة ليدل على خفتها وتمكنها في الاسمية؛ وأنها لم تشبه الحرف فتنبى، ولا الفعل، فتمنع من الصرف، إلا أن بعض الباحثين يرى أن التتوين مصاحب للتركيب ومن مقتضياته؛ لا دليل على تمكن الاسم في الاسمية؛ يقول: «إن الأسماء تكتسب اسميتها من مرجعيتها (semantic referent). فالاسم ما دل على معنى في نفسه دلالة مجردة من الاقتران، ومعرفة عن الزمن في أصل الوضع، وهذا هو شأن الاسم، ولذلك، فإنه يكتسب تمكنه من اسميته من دلالاته على مرجعه لا من تتوين يلتبس به... وإن

(1) الخصائص، مرجع سابق: 3/ 243

(2) التطور النحوي للغة العربية، محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية عام 1929م، المستشرق الألماني، برجستراسر (G. Bergstrayer) أخرجه وصححه وعلق

عليه الدكتور / رمضان عبد التواب، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ط4 / 1423هـ - 2003م: 118-120

فالتنوين من مقتضيات التركيب وليس جزءاً من بنية الكلمة، ولما لم يكن شأنه أن يكون جزءاً من بنية الكلمة، لا يصح في نظري أن يجعل دليلاً على تمكّن الاسم من اسميّته⁽¹⁾. وتنوين العوض، وتنوين المقابلة، وتنوين التنكير، وهذا الأخير هو موضوع هذا البحث.

ويكون تنوين التنكير في ثلاثة مواطن؛ في أسماء الأفعال وفي أسماء الأصوات، وفي الأعلام المحتومة بـ "ويه" كسيبويه وعمرويه وخالويه ونفطويه ومسكويه.

والحقيقة أن تنوين التنكير مصطلح مرتبك مرتبك، وذلك أن اللغويين قد حصل لديهم وهم في أن التنوين هو دليل التنكير، وبين مفهوم النكرة والمعرفة في دلالة الأسماء، فجعلوا من تنوين أسماء الأفعال وأسماء الأصوات، والأعلام المحتومة بـ "ويه" علامةً ودليلاً على أنها نكرة لا معرفة. وعدم التنوين دليلاً على أنها معرفة. لكن المصطلح غير واضح الدلالة على إرادة التعريف أو التنكير، وهو ما جعل ابن جني يعبر عن عدم وضوح التعريف والتنكير في أسماء الأفعال، فقال: « ليس التنكير في هذا الاسم المبني على حده في غيره من المغرب⁽²⁾ ».

المبحث الأول: تنوين التنكير في أسماء الأفعال وأسماء الأصوات.

أسماء الأفعال: هي أصوات يعبر بها عن معاني الأفعال، وهي ثلاثة أنواع:
الأول: الذي لا يُنَوَّن؛ نحو: أمين، ورؤيد، وبله، وهلم، وشنان، ومكانك، وهما، هيت.
الثاني: الذي يُنَوَّن؛ نحو: إيهما، وواها، وويهما، فداء،
الثالث: الذي يُسْتَعْمَلُ مُنَوَّنًا وَغَيْرَ مُنَوَّنٍ؛ نحو: "إيه" و"إيه"، و"صه" و"صه"، و"مه" و"مه"، و"أف" و"أف".

وقد تبأينت آراء القوم في تفسير التنوين للآحق لأسماء الأفعال وأسماء الأصوات؛ إذ يذهب بعضهم إلى التفسير الصوتي، فيرى أن التنوين عند الوصل وعدم التنوين عند الوقف. قال ابن السكيت،

(1) رؤية جديدة في تفسير التنوين في العربية، سمير شريف ستيبة، مجلة جامعة الملك سعود، 5، 1413هـ-1993م: 123-124

(2) الخصائص مرجع سابق: 300/2

وَالجَوْهَرِيُّ عَن تَتْوِينِ أَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ: « دُخُولُهُ فِيمَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْهَا، دَلِيلٌ كَوْنِهِ مَوْصُولًا بِمَا بَعْدَهُ، وَحَدْفُهُ دَلِيلٌ الْوَقْفِ عَلَيْهِ، نَقُولُ: صَهٍ صَهً، وَمَهٍ مَهً، بِتَتْوِينِ الْأَوَّلِ وَسُكُونِ هَاءِ الثَّانِي (1) ». « وَقَالَ تَعَلَّبٌ: "إِيهِ": حَدَّثْتُ، وَأَنْشَدَ:

وَقَفْنَا فَقُلْنَا إِيهِ عَن أُمِّ سَالِمٍ *** وَمَا بَالُ تَكْلِيمِ الدِّيَارِ الْبَلَاغِ

أَرَادَ: حَدَّثْنَا عَن أُمِّ سَالِمٍ، فَتَرَكَ التَّتْوِينَ، وَاكْتَفَى بِالْوَقْفِ. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: أَخْطَأَ ذُو الرُّمَّةِ، إِنَّمَا كَلَّمَ الْعَرَبَ "إِيهِ". وَقَالَ يَعْقُوبٌ: أَرَادَ "إِيهِ"، فَأَجْرَاهُ فِي الْوَصْلِ مُجْرَاهُ فِي الْوَقْفِ (2) ». وَقَالَ الْعَيْنِيُّ، فِي شَرْحِ الْحَدِيثِ: «... وَمَنْ قَالَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِصَاحِبِهِ: صَهً، فَقَدْ لَغَى، وَمَنْ لَغَى، فَلَيْسَ لَهُ فِي جُمُعَتِهِ تِلْكَ شَيْءٌ». قَوْلُهُ: "صَهً"، هِيَ كَلِمَةٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ بُنِيَتْ عَلَى السُّكُونِ، وَمَعْنَاهُ: اسْكُتْ، فَإِنْ وَصَلْتَ، نَوْنَتْ؛ قُلْتَ: صَهٍ صَهً (3) ».

وَقَالَ فِي عُمْدَةِ الْقَارِي: « وَلِمُسْلِمٍ مِنْ طَرِيقِ إِسْحَاقَ عَن أَنَسٍ: فَقَالَ الصَّحَابَةُ: مَهٍ مَهً، قَوْلُهُ: مَهً، كَلِمَةٌ بُنِيَتْ عَلَى السُّكُونِ، وَهُوَ اسْمٌ يُسَمَّى بِهِ الْفِعْلُ، وَمَعْنَاهُ: اكْفُفْ، لِأَنَّهُ زَجَرَ. فَإِنْ وَصَلْتَ نَوْنَتْهُ، فَقُلْتَ: مَهٍ مَهً. وَمَهٍ الثَّانِي تَأَكِيدٌ، كَمَا نَقُولُ: صَهٍ صَهً (4) ».

وَقَالَ أَيضًا: « قَوْلُهُ: حَلَّ حَلً، بِفَتْحِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَسُكُونِ اللَّامِ فِيهِمَا، وَهُوَ زَجْرٌ لِلنَّاقَةِ، إِذَا حَمَلَهَا عَلَى السَّيْرِ، وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: فَإِنْ قُلْتَ: حَلً، وَاحِدَةً، فَبِالسُّكُونِ، وَإِنْ أَعَدْتَهَا نَوْنَتْ فِي الْأُولَى، وَسَكَنْتَ فِي الثَّانِيَّةِ، وَحَكَى غَيْرُهُ السُّكُونَ فِيهِمَا، وَالتَّتْوِينَ، كَقَوْلِهِمْ: بَخَّ بَخً وَصَهٍ صَهً (5) ». وَيَذْهَبُ فَرِيقٌ آخَرٌ مِنَ اللُّغَوِيِّينَ إِلَى أَنَّ لِلتَّتْوِينِ اللَّاحِقِ لِأَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ وَالْأَصْوَاتِ لَهُ وَظِيفَةً مَعْنَوِيَّةً؛ فَهُوَ يَدُلُّ عَلَى غَيْرِ مُعَيَّنٍ بِخِلَافِ غَيْرِ الْمُنُونِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى مُعَيَّنٍ، وَهُوَ قَوْلُ عَامَّةِ النَّحَاةِ.

(1) شرح الرضي على الكافية، ت: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، بنغازي، 2/1996م: 91/3-92

(2) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: 458هـ)، تحقيق: عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1/1421هـ-2000م: 4/448

(3) شرح أبي داود للعيني، ت: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، الرياض، ط1/1420هـ-1999م: 4/370/369

(4) عُمْدَةُ الْقَارِي شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، الْعَيْنِيُّ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 3/128

(5) المرجع سابق: 7/14

قال ابن السراج عن تتوين أسماء الأفعال: «وجميع التتوين الذي يدخل في هذه الأصوات، إنما يفرق بين التعريف والتكثير، تقول: صه يا رجل، هذا الأصل في جميع هذه المبتنيات، ومنها ما يستعمل بغير تتوين ألبتة⁽¹⁾».

وجرى تعريفهم تتوين التكثير مراعيًا هذه الوظيفة المفرقة بين المَعْرِفِ والمُنْكَرِ، فهو تتوين يلحق أسماء الأصوات وأسماء الأفعال للتفريق بين المعرفة منها والنكرة، أو هو «اللاحق لبعض الأسماء المبتنية، إشعارًا بأن المراد به غير معين⁽²⁾».

أو «هو ما يلحق بعض الأسماء المبتنية فرقا بين معرفتها ونكرتها؛ نحو: مررت بسبيويه، وسبيويه آخر، وصه، إذا أردت السكوت، وصه، إذا أردت سكوتًا، وإيه، إذا استزدتته من حديث معلوم، وإيه، إذا استزدتته من حديث مجهول، ويطرّد فيما آخره "ويّه"، ولما يطرّد في أسماء الأفعال⁽³⁾».

وعلى ضوء ذلك قسموا أسماء الأفعال إلى معرفي، وهو ما يدخله التتوين، وإلى منكري، وهو ما لا يدخله التتوين، فما يئون من هذه الأسماء، فهو نكرة، «ومالم يدخله التتوين فهو معرفة. والتتوين الذي يدخلها يسمى "تتوين التنكير".

وأسماء الأفعال بهذه النسبة على ثلاثة أوجه:

أحدها: ما لا يأتي إلاً معرفة، فلا يدخله تتوين؛ نحو: رويد، بله، وأمين.

والثاني: ما لا يأتي إلاً نكرة، فيلزمه التتوين؛ نحو: "إيه"، في الكف، و "أها"، في التعجب، و "ويها" في الإغراء و "فداء لك"، بالكسر والتتوين.

والثالث: ما يجوز فيه الوجهان، والتكثير؛ فيلحقه التتوين، والتعريف؛ فلا يلحقه، نحو: إيه وإيه، وصه وصه، ومه ومه⁽⁴⁾».

(1) الأصول في النحو، مرجع سابق: 2/ 131

(2) شرح كتاب الحدود في النحو، عبد الله بن أحمد الفاكهي، ت: د. المتولي رمضان أحمد الدميري، ط1/2-1414هـ-1993م، مكتبة وهبة، القاهرة: 287

(3) ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي تحقيق رجب عثمان محمد، راجعه، الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ط1/ 1418هـ -

1998م: 2/ 667

(4) لمقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك)، أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي، ت: د. عبد الرحمن بن سليمان العنيمين وآخرين، معهد

البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط1/1428هـ-2007م: 5/ 514-515

جاء في الجليس الصالح: «بَخُ بَخْ، هذه كلمة تقولها العرب عند الشيء تفضُّله، وتمدَّحه، وتُعجب به، وفيها لغتان: التَّسْكِينُ والكَسْرُ والتَّنْوِينُ، فَمَنْ سَكَّنَ، فَعَلَى الْأَصْلِ فِيمَا بَيَّنَّنِي، وَلَا يُعْرَبُ، وَالْكَسْرُ عَلَى الْبَابِ فِي السَّاكِنِ، إِذَا حُرِّكَ، وَالتَّنْوِينُ فِي قَوْلِ مُحَقِّقِي نَحَاةِ الْبَصْرِيِّينَ يُؤْذِنُ بِالتَّنْكِيرِ، وَحَدْفُهُ يَدُلُّ عَلَى التَّعْرِيفِ، وَأَكْثَرُ مَا تُسْتَعْمَلُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ بِالتَّنْكِيرِ، وَلَهَا نَظَائِرُ فِيمَا وَصَفْنَا مِنْ حُكْمِهَا، قَالَ الشَّاعِرُ: بَيَّنَّ الْأَشِيْحَ وَبَيَّنَّ قَيْسَ بَاذِخٍ *** بَخُ بَخْ بَوَالِدِهِ وَبِالْمَوْلُودِ وَمِثْلُ هَذَا صَهٍ صَهٍ وَمَهٍ مَهٍ (1)».

ونشير، هنا، إلى أن بعض اللغويين يذهب إلى «أن أسماء الأفعال كلها معارف، ما نون منها، وما لم يَونَ، وأنها أعلام أجناس معنوية كـ "سبحان" (2)».

أما البحث؛ فلا يرى في تتوين أسماء الأفعال وأسماء الأصوات وظيفة تفرق بين المعاني، ولا يدعو أن تكون وظيفته صوتية مصاحبة لنطق هذه الأسماء عند بعض العرب، ومستند الباحثين عدم وضوح الدلالة على المنكر، والمقصود به؛ واضطراب آراء القائلين بذلك. قال خالد الأزهرى: «إيه بلا تتوين معرفة من قبيل المعرف بـ "أل" العهدية؛ أي: الحديث المعهود، كذا قالوا، وهو مبني على أن مدلول اسم الفعل المصدر، وأما على القول بأن مدلوله الفعل، فلا؛ لأن جميع الأفعال نكرات، وتقول: "صاح الغراب غاق غاق"، فإذا لم تتونها كانت معرفة؛ ودلت على معنى مخصوص، وإذا نوتنها، كانت نكرة مبهمة، ودلت على معنى مبهم (3)».

فمضمون قوله "كذا قالوا" أنه ينقل ما ذكره النحاة دون افتناع بما ذكره.

ثم ما معنى قوله: "صاح الغراب غاق غاق"، فإذا لم تتونها كانت معرفة؛ ودلت على معنى مخصوص، وإذا نوتنها، كانت نكرة مبهمة. ما الذي يحمله "غاق غاق أو غاق غاق" من معنى إذ هو في الأساس لمحاكاة صوت الغراب، فكيف يتخصص، ويصير دالاً على معرفة أو يتعمم، ويصير دالاً على مبهم. ولن يغير شرح بعض النحاة المراد بالتنكير في "غاق" شيئاً، ولن يُصَبَّحَ دالاً على معلوم؛ قال الطبري عن "

(1) الجليس الصالح الكافي والأنبس الناصح الشافعي، أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريدي النهرواني، ت: د. محمد مرسي الحولي، ط1/1413-1993م، عالم

الكتب، بيروت: 425/2

(2) التصريح بمضمون التوضيح (شرح التصريح)، خالد الأزهرى، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، ط1: 294/2

(3) المرجع سابق: 24/1

أف: « فَمَنْ خَفَصَ ذَلِكَ بِالتَّوِينِ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ عَامَّةٌ أَهْلُ الْمَدِينَةِ، شَبَّهَهَا بِالْأَصْوَاتِ الَّتِي لَا مَعْنَى لَهَا، كَقَوْلِهِمْ فِي حِكَايَةِ الصَّوْتِ: غَاقَ غَاقٌ، فَخَفَصُوا الْقَافَ وَنَوَّوْهَا، وَكَانَ حُكْمُهَا السُّكُونُ، فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ يُعْرِبُهَا مِنْ أَجْلِ مَجِيئِهَا بَعْدَ حَرْفِ سَاكِنٍ، وَهُوَ الْأَلْفُ، فَكَرِهُوا أَنْ يَجْمَعُوا بَيْنَ سَاكِنَيْنِ، فَحَرَكُوا إِلَى أَقْرَبِ الْحَرَكَاتِ مِنَ السُّكُونِ، وَذَلِكَ الْكَسْرُ؛ لِأَنَّ الْمَجْرُومَ إِذَا حُرِّكَ، فَإِنَّمَا يُحْرَكُ إِلَى الْكَسْرِ⁽¹⁾ ». وَقَالَ عَبَّاسٌ حَسَنٌ: «كَذَلِكَ: صَاحَ الْغَرَابُ غَاقٌ بِغَيْرِ تَوِينٍ»، فَالْمُرَادُ أَنَّهُ يُصِيحُ صَيَاحًا خَاصًّا، فِيهِ تَنْغِيمٌ، أَوْ حُزْنٌ، أَوْ فَرَحٌ، أَوْ إِطَالَةٌ... أَمَا بِالتَّوِينِ، فَمَعْنَاهُ مُجَرَّدُ صَيَاحٍ⁽²⁾ ».

لَكِنَّ السُّؤَالَ عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ "غَاقٍ" الْخَاصَّةِ فِي حَالَةِ الْحُزْنِ وَالْفَرَحِ وَالْإِطَالَةِ، وَبَيْنَ "غَاقٍ" الَّتِي هِيَ مُجَرَّدُ صَيَاحٍ، وَمَنْ لَدَيْهِ الْقُدْرَةُ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْغَاقَيْنِ؛ "غَاقٍ" الْمَعْرِفَةِ، وَ"غَاقٍ" النَّكْرَةِ.

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ لَا فَرْقَ فِي كِلَا الصَّوْتَيْنِ، بِالتَّوِينِ وَعَدَمِهِ؛ لِأَنَّ كُلَّ مُتَلَقٍّ لَا يَسْتَطِيعُ التَّمْيِيزَ بَيْنَ الصَّوْتَيْنِ دُونَ افْتِرَاضِ وُجُودِ فَرْقٍ بَيْنَ "غَاقٍ" وَ"غَاقٍ" غَيْرِ مُؤَنَّثَةٍ، وَمُؤَنَّثَةٍ. وَقَدْ وَضَعَتِ اللَّغَةُ لَفْظًا دَالًّا عَلَى مَعْنَى بَدَائَتِهِ، فَلَا يَدُلُّ التَّوِينُ عَلَى اسْتِحْدَاثِ مَعْنَى آخَرَ، ثُمَّ إِنَّ الْعَرَبَ حِينَ لَاحَظَتْ فُرُوقًا فِي أَصْوَاتِ بَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ كَالْخَيْلِ وَالْإِبِلِ، وَضَعُوا لَهَا أَلْفَافًا تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ التَّنَوُّعِ الصَّوْتِيِّ كَالصَّهِيلِ وَالْحَمْحَمَةِ، وَالضَّيْحِ، فَمِنْ « أَصْوَاتِ الْخَيْلِ: الشَّخِيرُ، وَالنَّخِيرُ، وَالْكَرِيرُ؛ فَالشَّخِيرُ مِنَ الْفَمِّ، وَالنَّخِيرُ مِنَ الْمَنْخَرَيْنِ، وَالْكَرِيرُ [الْكَرِيرُ] مِنَ الصَّدْرِ⁽³⁾ ». وَ« الْحَمْحَمَةُ: صَوْتُ الْفَرَسِ دُونَ الصَّهِيلِ⁽⁴⁾ ».

فَلَوْ كَانَ فِي صَوْتِ الْغَرَابِ اخْتِلَافٌ فِي أَحْوَالِهِ الْمُخْتَلِفَةِ، لَوْضَعُوا لَهُ لَفْظًا يُعَبِّرُ عَنِ ذَلِكَ النَّصُوبِ، كَعَهْدِهِمْ بِسَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي مَايَزُوا بَيْنَ أَصْوَاتِهَا بِالْفَافِ دَالَّةٍ عَلَى اخْتِلَافِ الصَّوْتِ.

وَالْأَمْرُ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّ الْقَوْلَ بِأَنَّ التَّوِينِ اللَّاحِقَ لِأَسْمَاءِ الْأَصْوَاتِ وَأَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ هُوَ قَوْلٌ لَا يَسْتَنِدُ إِلَى مَعْنَى لُغَوِيٍّ وَاضِحٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ تَحْكِيمِ الْمِنْطِقِ فِي اللَّغَةِ، حَمَلَهُمْ عَلَيْهِ الرَّغْبَةُ فِي التَّعْلِيلِ وَإِظْهَارِ وَظِيفَةِ مَعْنَوِيَّةٍ لِلتَّوِينِ الدَّاخِلِ عَلَى أَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ وَالْأَصْوَاتِ، انْطِلَاقًا مِنْ أَنَّ التَّوِينِ عِلْمَ التَّكْبِيرِ.

(1) جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، ت: د. عبد الله بن عبد الحسن التركي، ط1/1422-هـ/2001م، دار هجر: 14/ 546

(2) النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف بمصر، ط5: 1/ 36

(3) المنتخب من كلام العرب، علي بن الحسن الهنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ «كراع النمل»، ت: محمد بن أحمد العمري، جامعة أم القرى، ط1/1409-هـ-

1989م: 295

(4) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ت: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م: 1/ 436

وقال الرضي: «فَكَانَ مَعْنَى صَهٍ، اسْكُتْ سَكُوتًا وَأَيَّ سَكُوتٍ: سَكُوتًا بَلِيغًا؛ أَي: اسْكُتْ عَنْ كُلِّ كَلَامٍ⁽¹⁾». وقال ابنُ الشَّجَرِيِّ عَنْ "أَف": « وَمَنْ نَوَّنَهُ أَرَادَ بِهِ التَّنْكِيرُ؛ لِأَنَّ تَنْوِينَ هَذَا الضَّرْبِ عِلْمٌ لِلتَّنْكِيرِ، كَقَوْلِهِمْ فِي الْاسْتِزَادَةِ مِنَ الْحَدِيثِ: "إِيهِ"، إِذَا أَرَادُوا: حَدَّثَنِي حَدِيثًا مَا، وَ "إِيهِ" فِي الْاسْتِزَادَةِ مِنْ حَدِيثٍ يَغْرِفُهُ الْمَحَدَّثُ وَالْمَحَدَّثُ، وَمِثْلُهُ: صَهَ وَصَهٍ، وَمَهْ وَمَهٍ، فَمَنْ نَوَّنَ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: أَفْعَلُ سَكُوتًا وَكَفًّا، وَمَنْ لَمْ يَنْوِّنْ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: أَفْعَلُ السُّكُوتِ وَالْكَفِّ، وَكَذَلِكَ مَنْ قَالَ: أَفٌ، فَنَوَّنَ، أَرَادَ: أَنْضَجِرُ تَضَجِرًا، وَمَنْ لَمْ يَنْوِّنْ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ: أَنْضَجِرُ التَّضَجِرِ الْمَعْرُوفِ، وَقَدْ قُرِئَ بِالْوَجْهَيْنِ، فَالْتَّنْوِينُ قَرَأَ بِهِ مَعَ الْكَسْرِ نَافِعٌ وَحَفْصٌ، وَقَرَأَهُ الْبَاقُونَ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ، إِلَّا أَنَّ ابْنَ كَثِيرٍ اخْتَصَّ بِالْفَتْحِ، وَالْبَاقُونَ بِالْكَسْرِ⁽²⁾».

لا أرى فارقاً بين " أَنْضَجِرُ التَّضَجِرِ الْمَعْرُوفِ، وَبَيْنَ " أَنْضَجِرُ تَضَجِرًا، لِأَنَّ الضَّجَرَ وَاجِدٌ، خَفِيَ أَوْ ظَهَرَ. وَالْمُرَادُ عَدَمُ إِيدَاءِ الْوَالِدَيْنِ بِالْقَوْلِ أَوْ بِالْفِعْلِ. فَلَا «قَلَّ لَهُمَا كَلَامًا تَبَرَّمُ فِيهِ بِهِمَا، إِذَا كَبِرَا وَأَسْنَأَا، فَيَنْبَغِي أَنْ تَنْوَلِي مِنْ خِدْمَتِهِمَا مِثْلَ الَّذِي تَوَلَّيَا مِنَ الْقِيَامِ بِشَأْنِكَ وَخِدْمَتِكَ⁽³⁾».

وَلَوْ كَانَ لَتَنْوِينِ "أَف" دَلَالَةٌ عَلَى تَنْكِيرِ الْمَعْنَى، وَعَدَمُ إِرَادَةِ الْخُصُوصِ، لَتَعَيَّنَ التَّنْوِينُ عَلَى التَّنْكِيرِ، وَعَلَى مَعْنَى الْعُمُومِ؛ لِأَنَّ النَّهْيَ عَنْ مُطْلَقِ التَّأْفُفِ وَإِيدَاءِ الْوَالِدَيْنِ.

إِلَّا أَنَّ وَرُودَ هَذَا الْعَدَمِ مِنَ الْقَرَاءَاتِ لِلْفِظِ "أَف" فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَفِي كَلَامِ الْعَرَبِ، يُفْصِحُ بَأَنَّ لَا دَلَالَةَ لَتَنْوِينِ "أَف" وَلَا لِعَدَمِ تَنْوِينِهَا، وَهُوَ أَمْرٌ يُرْجِحُ كَوْنَهَا لَهْجَاتٍ وَتَعَدُّدًا فِي أَدَائِهَا بَيْنَ الْعَرَبِ. وَنَصُّ اللَّغَوِيِّينَ وَاضِحٌ أَنَّهَا لُغَاتٌ. بَلْ إِنَّ بَعْضَ الْبَاحِثِينَ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ صَرْفَ بَعْضِ الْأَسْمَاءِ الْمُعْرَبَةِ، وَمَنْعَ أُخْرَى مَرْدُّهُ إِلَى الْهَجَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي تَخْتَلَفُ فِي صَرْفِ بَعْضِ الْكَلِمِ، وَمَنْعَ بَعْضِهِ الْآخَرَ مِنَ الصَّرْفِ⁽⁴⁾.

وَيُظْهِرُ مِنْ نَصِّ الطَّبْرِيِّ الْآتِي أَنَّ التَّنْوِينَ وَعَدَمَ التَّنْوِينِ لَيْسَ إِلَّا لُغَاتٍ فِي أَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ، وَهُوَ مَا يَعْنِي أَنَّ الْأَمْرَ يَبْعُدُ إِلَى تَعَدُّدِ اسْتِعْمَالِ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ عِنْدَ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ؛ فَقَدْ بَلَغَتْ قِرَاءَةُ اللَّفْظِ "أَف" وَلُغَاتُهُ أَرْبَعٌ

(1) شرح الرضي على الكافية، ت: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، بنغازي، ط2/1996م: 91/3

(2) أمالي ابن الشجري، ابن الشجري، ت: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، ط1/1413هـ-1991م: 176/2

(3) زاد المسير، ابن الجوزي، ت: عبد الرزاق المهدي، ط1/1422هـ، دار الكتاب العربي، بيروت: 3/3

(4) رؤية جديدة في تفسير التنوين في العربية، مرجع سابق: 124

عشرة قراءة ولغة⁽¹⁾، بل أربعين لغة كما جاء في البحر المحيط والدرر المصون⁽²⁾، وذكر الزبيدي في "صه" أربع لغات؛ هي صه، وصه، وصه، وصها⁽³⁾. ولم يُشير الطبري إلى المعنى الوظيفي للتتوين المشهور في كُتُب النحْوِ، وهو التتكير؛ قال في تفسير "أف" في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌ وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ [الإسراء: 23]

« وللعرب في "أف" لغات سِت: رَفَعَهَا بِالتَّوِينِ وَغَيْرِ التَّوِينِ، وَخَفَضَهَا كَذَلِكَ، وَنَصَبَهَا، فَمَنْ خَفَضَ ذَلِكَ بِالتَّوِينِ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ عَامَّةٌ أَهْلِ الْمَدِينَةِ. شَبَّهَهَا بِالأَصْوَاتِ الَّتِي لَهَا مَعْنَى لَهَا، كَقَوْلِهِمْ فِي حِكَايَةِ الصَّوْتِ غَاقٍ غَاقٍ، فَخَفَضُوا الْقَافَ وَتَوَّنُوهَا، وَكَانَ حُكْمُهَا السُّكُونُ، فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ يُعْرِبُهَا مِنْ أَجْلِ مَجْبِيئِهَا بَعْدَ حَرْفِ سَاكِنٍ، وَهُوَ الأَلِفُ، فَكَرِهُوا أَنْ يَجْمَعُوا بَيْنَ سَاكِنَيْنِ، فَحَرَكُوا إِلَى أَقْرَبِ الحَرَكَاتِ مِنَ السُّكُونِ، وَذَلِكَ الكَسْرُ، لِأَنَّ المَجْرُومَ إِذَا حُرِّكَ فَإِنَّمَا يُحْرَكُ إِلَى الكَسْرِ. وَأَمَّا الَّذِينَ خَفَضُوا بغيرِ تَوِينٍ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ عَامَّةٌ قَرَأَهُ الكُوفِيُّينَ وَالبَصْرِيُّينَ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّمَا يُدْخِلُونَ التَّوِينِ فِيمَا جَاءَ مِنَ الأَصْوَاتِ نَاقِصًا، كَالَّذِي يَأْتِي عَلَى حَرْفَيْنِ مِثْلُ: "مَه" وَ"صَه" وَ"بَح"، فَيُنَمِّمُ بِالنُّونِ لِنُقْصَانِهِ عَنِ أُنْبِيَةِ الأَسْمَاءِ. قَالُوا: وَ"أَف" تَامٌ لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى تَتْمِيئِهِ بِغَيْرِهِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ جَاءَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ. قَالُوا: وَإِنَّمَا كَسَرْنَا الفَاءَ الثَّانِيَةَ لِنَلَّا نَجْمَعَ بَيْنَ سَاكِنَيْنِ. وَأَمَّا مَنْ ضَمَّ وَتَوَّنَ، فَإِنَّهُ قَالَ: هُوَ اسْمٌ كَسَائِرِ الأَسْمَاءِ الَّتِي تُعْرَبُ، وَلَيْسَ بِصَوْتٍ، وَعُدِلَ بِهِ عَنِ الأَصْوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ ضَمَّ ذَلِكَ بِغَيْرِ تَوِينٍ، فَإِنَّهُ قَالَ: لَيْسَ هُوَ بِاسْمٍ مُتَمَكِّنٍ، فَيُعْرَبُ إِعْرَابَ الأَسْمَاءِ المُتَمَكِّنَةِ، وَقَالُوا: نَضُمُّهُ كَمَا نَضُمُّ قَوْلَهُ ﴿لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم: 4]، وَكَمَا نَضُمُّ اللَّاسِمَ فِي النَّدَاءِ المُفْرَدِ، فَنَقُولُ: يَا زَيْدُ. وَمَنْ نَصَبَهُ بِغَيْرِ تَوِينٍ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ بِعَضِّ المَكِّيِّينَ وَأَهْلِ الشَّامِ، فَإِنَّهُ شَبَّهَهُ بِقَوْلِهِمْ: مَدَّ يَا هَذَا وَرَدَّدَ. وَمَنْ نَصَبَ بِالتَّوِينِ، فَإِنَّهُ أَعْمَلَ الفِعْلَ فِيهِ، وَجَعَلَهُ اسْمًا صَاحِحًا، فَيَقُولُ: مَا قُلْتُ لَهُ: أَفًا وَلَا تَفًا. وَكَانَ بَعْضُ نَحْوِيِّ البَصْرَةِ يَقُولُ: قُرِئَتْ: "أَف"، وَ"أَفًا" لُغَةً، فَجَعَلُوهَا مِثْلَ نَعْتِهَا. وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ "أَف"؛ وَذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ العَرَبِ يَقُولُ: "أَفٌ لَكَ" عَلَى الحِكَايَةِ؛ أَي: لَا تَقُلْ لَهُمَا هَذَا القَوْلَ. قَالَ:

(1) معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين، ط 1422/1-2002م: 494/8

(2) انظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: صديقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ: 32/7، والدرر المصون، السمين الحلبي، ت: الدكتور

أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق: 341/7

(3) انظر: تاج العروس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت: 1205هـ)، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية: 36/

والرَّفْعُ قَبِيحٌ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَجِئْ بَعْدَهُ بِلَامٍ. وَالَّذِينَ قَالُوا: "أَفٌّ فَكَسَرُوا كَثِيرًا، وَهُوَ أَجْوَدُ. وَكَسَرَ بَعْضُهُمْ وَنَوَّنَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: "أَفِّي"، كَأَنَّهُ أَضَافَ هَذَا الْقَوْلَ إِلَى نَفْسِهِ، فَقَالَ: أَفِّي هَذَا لَكُمَا، وَالْمَكْسُورُ مِنْ هَذَا مُنَوَّنٌ وَعَبَّرَ مُنَوَّنٌ عَلَى أَنَّهُ اسْمٌ غَيْرٌ مُتَمَكِّنٍ، نَحْوَ أَمْسٍ وَمَا أَشْبَهَهُ، وَالْمَفْتُوحُ بِغَيْرِ تَتْوِينٍ كَذَلِكَ. وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ: كُلُّ هَذِهِ الْحَرَكَاتِ السَّتِّ تَدْخُلُ فِي "أَفِّ" حِكَايَةً، تَشْبَهُهُ بِالِاسْمِ مَرَّةً، وَبِالصَّوْتِ أُخْرَى. قَالَ: وَأَكْثَرُ مَا تَكْسَرُ الْأَصْوَاتُ بِالتَّتْوِينِ إِذَا كَانَتْ عَلَى حَرْفَيْنِ مِثْلَ: "صَهٍ" وَ"مَهٍ" وَ"بَخٍ". وَإِذَا كَانَتْ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ شُبِّهَتْ بِالْأَدْوَاتِ "أَفٌّ" مِثْلَ: لَيْتَ وَمَدَّ، وَ"أَفٌّ" مِثْلَ مُدِّ يُشْبَهُهُ بِالْأَدْوَاتِ. وَإِذَا قَالَ: "أَفٌّ" مِثْلَ صَهٍ. وَقَالُوا: سَمِعْتُ مِضًّا يَا هَذَا، وَمِضُّ. وَحَكِي عَنِ الْكِسَائِيِّ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ «مَا عَلَّمَكَ أَهْلُكَ إِلَّا مِضًّا وَمِضًّا»، وَهَذَا كِ "أَفٌّ" وَ"أَفٌّ". وَمَنْ قَالَ: "أَفًّا"، جَعَلَهُ مِثْلَ "سُحْقًا وَبُعْدًا". وَالَّذِي هُوَ أَوْلَى بِالصَّحَّةِ، عِنْدِي، فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، قِرَاءَةٌ مِنْ قِرَاءَةٍ: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌّ﴾ بِكَسْرِ الْفَاءِ بِغَيْرِ تَتْوِينٍ؛ لِعِلَّتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا: أَنَّهَا أَشْهَرُ اللُّغَاتِ فِيهَا، وَأَفْصَحُهَا عِنْدَ الْعَرَبِ، وَالثَّانِيَةُ: أَنَّ حَظَّ كُلِّ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مُعْرَبٌ مِنَ الْكَلَامِ السُّكُونُ، فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَتْ الْفَاءُ فِي "أَفِّ" حَظُّهَا الْوَقُوفُ، ثُمَّ لَمْ يَكُنْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ لِاجْتِمَاعِ السَّاكِنِينَ فِيهِ، وَكَانَ حُكْمُ السَّاكِنِ إِذَا حَرَّكَ أَنْ يُحْرَكَ إِلَى الْكَسْرِ، حُرِّكَتْ إِلَى الْكَسْرِ، كَمَا قِيلَ: مُدٌّ وَشُدٌّ وَرَدُّ الْبَابِ⁽¹⁾».

وَقَدْ تَتَبَعَ الْبَاحِثَانِ اسْتِعْمَالَ بَعْضِ أَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ فِي نُصُوصِ اللُّغَةِ لِاسْتِنْتِطَاقِ السِّيَاقَاتِ الْوَارِدَةِ فِيهَا لِأَجْلِ مَعْرِفَةِ دَلَالَةِ التَّتْوِينِ فِيهَا عَلَى التَّنْكِيرِ، وَهِيَ "أَفٌّ" وَ"صَهٌ"، وَ"إِيهٌ"، وَ"مَهٌ".
أَمَّا "أَفٌّ"، فَلَمْ يَذْكَرِ الْمُفَسِّرُونَ الَّذِينَ وَقَفَ الْبَحْثُ عَلَى تَفْسِيرِهِمْ كَتَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ، وَمَقَاتِيحِ الْغَيْبِ لِلرَّازِيِّ، وَزَادِ الْمَسِيرِ، لَلْفِظِ "أَفٌّ" فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌّ﴾، أَنَّ تَتْوِينَهَا مُرَادٌ بِهِ تَنْكِيرُ الْمَعْنَى. وَقَدْ ذَكَرُوا اللُّغَاتِ الْوَارِدَةَ فِي هَذَا اللَّفْظِ، مُعَلِّينَ لِكُلِّ قِرَاءَةٍ بَعْلَةَ صَوْتِيَّةٍ لَا مَعْنَوِيَّةٍ، كَمَا سَبَقَ فِي نَصِّ الطَّبْرِيِّ، وَذَكَرُوا أَنَّهَا لُغَاتٌ الَّتِي تَعْنِي لَهْجَةً فِي اسْتِعْمَالِ الْمُحَدِّثِينَ، وَهُوَ مَا يُسِيرُ إِلَى أَنَّ هَذِهِ اللُّغَاتِ الَّتِي ذَكَرُوهَا هِيَ مِنَ التَّنَوُّعِ فِي اسْتِعْمَالِ الْقِبَائِلِ وَالْجِهَاتِ الْعَرَبِيَّةِ، وَهُوَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الرَّازِيُّ إِلَى

(1) جامع البيان ط هجر، مرجع سابق: 14/ 546-548، وزاد المسير، مرجع سابق: 23/3-24

أَنَّهَا كُلُّهَا لُغَاتٌ، وَذَكَرَ مَعْنَى "أَف"، فَقَالَ: « الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌ﴾ الْمَنْعُ مِنْ إِظْهَارِ الصَّجَرِ بِالْقَلِيلِ أَوْ الْكَثِيرِ (1) ». وَلَمْ يَذْكَرْ فَرْقًا بَيْنَ مُنَوَّنٍ وَغَيْرِ مُنَوَّنٍ.

قَالَ الرَّازِيُّ: « قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌ﴾ فِيهِ مَسَائِلُ:

المسألة الأولى: قَالَ الزَّجَّاجُ: فِيهِ سَبْعُ لُغَاتٍ: كَسْرُ الْفَاءِ وَصَمَّهَا وَفَتْحُهَا، وَكُلُّ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ بِنَوْنٍ وَبِغَيْرِ تَنْوِينٍ، فَهَذِهِ سِتَّةٌ، وَاللُّغَةُ السَّابِعَةُ أَفِي بِالْيَاءِ، قَالَ الْأَخْفَشُ: كَأَنَّهُ أَضَافَ هَذَا الْقَوْلَ إِلَى نَفْسِهِ، فَقَالَ قَوْلِي هَذَا، وَذَكَرَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ مِنْ لُغَاتِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ ثَلَاثَةٌ زَائِدَةٌ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الزَّجَّاجُ: "إِفٌ" بِكَسْرِ الْأَلِفِ وَفَتْحِ الْفَاءِ وَ"أَفَةٌ" بِضَمِّ الْأَلِفِ وَإِدْخَالِ الْهَاءِ، وَ"أَفٌ" بِضَمِّ الْأَلِفِ وَتَسْكِينِ الْفَاءِ.

المسألة الثانية: قرأ ابن كثير وابن عامر: بفتح الفاء من غير تنوين، ونافع وحفص: بكسر الفاء والتنوين، والباقون: بكسر الفاء من غير تنوين، وكلها لغات، وعلى هذا الخلاف في سورة الأنبياء ﴿أَفْ لَكُمْ﴾ [الأنبياء: 67] وفي الأحقاف: ﴿أَفْ لَكُمْ﴾ [الأحقاف: 17] (2).

قال الرمخسري: « وقرئ: "أَف"، بالكسر والفتح وبغير تنوين، وبالحرركات الثلاث مع التنوين، وهو صوت إذا صوت به الإنسان، علم أنه متصجر، كما إذا قال: حس، علم منه أنه متوجع، واللأم للبيان، معناه: هذا التأفيف لكما خاصة، ولأجلكما دون غيركما (3) ».

وقد ذكر ابن عطية أن التنوين في "أَف" يُعْطِي مَعْنَى التَّنْكِيرِ دُونَ تَوْضِيحِهِ، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهَا لَفْظَةٌ لِكُلِّ مَا يُوْذِي الْوَالِدِينَ صَغُرَ أَوْ عَظُمَ. وَهُوَ مَعْنَى يَتَحَقَّقُ بِاللَّفْظِ بِلُغَاتِهِ الْمُخْتَلَفَةِ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: «أَفٌ» بِكَسْرِ الْفَاءِ وَتَرْكِ التَّنْوِينِ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ حَمَزَةٌ وَالْكَسَانِيُّ وَعَاصِمٌ فِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ، وَقَرَأَ نَافِعٌ وَالْحَسَنُ وَالْأَعْرَجُ وَأَبُو جَعْفَرٍ وَشَيْبَةَ وَعَيْسَى "أَفٌ" بِالْكَسْرِ وَالتَّنْوِينِ، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامِرٍ "أَفٌ" بِفَتْحِ الْفَاءِ، وَقَرَأَ أَبُو السَّمَّالِ "أَفٌ" بِضَمِّ الْفَاءِ، وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ "أَفٌ" خَفِيفَةً، وَهَذَا كُلُّهُ بِنَاءٌ، لِأَنَّ قِرَاءَةَ نَافِعٍ تُعْطِي التَّنْكِيرَ، كَمَا نَقُولُ: "إِيهِ"، وَفِيهَا لُغَاتٌ لَمْ يُقْرَأْ بِهَا "أَفٌ" بِالرَّفْعِ وَالتَّنْوِينِ عَلَى أَنَّ هَارُونَ حَكَاهَا قِرَاءَةً، وَ"أَفًا" بِالنَّصْبِ وَالتَّنْوِينِ، وَ"أَفِي" بِنَاءٍ بَعْدَ الْكُسْرَةِ حَكَاهَا الْأَخْفَشُ الْكَبِيرُ، وَ"أَفًا" بِالْفِ بَعْدَ الْفَتْحَةِ، وَ"أَفٌ"

(1) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1420هـ، ط2: 324-326.

(2) المرجع السابق 325/324/20.

(3) الكشف عن حقائق غوامض التزيل وعيون الأفاويل في عيون التأويل، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي أحمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض،

1998م، ط1: 4/304.

بِسُكُونِ الْفَاءِ الْمُشَدَّدَةِ، وَ "أَفٌ" مِثْلُ رُبٍّ، وَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يُمِيلُ "أَفًا"، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرِيدُ فِيهَا هَاءَ السَّكْتِ؛ فَيَقُولُ: "أَفَاهُ".

قَالَ الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ: وَمَعْنَى اللَّفْظَةِ أَنَّهَا اسْمٌ فِعْلٌ، كَأَنَّ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ: أَضَجِرُّ أَوْ أَتَقَدَّرُ، أَوْ أَكْرَهُ، أَوْ نَحْوَ هَذَا يُعَبِّرُ إِيحَازًا بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ، فَتُعْطِي مَعْنَى الْفِعْلِ الْمَذْكُورِ، وَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ اللَّفْظَةَ مِثَالًا لِجَمِيعِ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يُقَابَلَ بِهِ الْآبَاءُ مِمَّا يَكْرَهُونَ، فَلَمْ تُرَدِّ هَذِهِ فِي نَفْسِهَا، وَإِنَّمَا هِيَ مِثَالُ الْأَعْظَمِ مِنْهَا، وَالْأَقْلُ⁽¹⁾.

وفي البحر المحيط: «جَوَابُ الشَّرْطِ فَلَا تَقُلْ لِهَؤُمَا أَفٌ وَتَقَدَّمَ مَدْلُولُ لَفْظِ أَفٍ فِي الْمَفْرَدَاتِ وَاللُّغَاتِ الَّتِي فِيهَا، وَإِذَا كَانَ قَدْ نَهَى أَنْ يَسْتَقْبَلَهُمَا بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ الدَّالَّةِ عَلَى الضَّجْرِ وَالتَّنْبُرِ بِهِمَا، فَالْنَهْيُ عَمَّا هُوَ أَشَدُّ كَالشَّتْمِ وَالضَّرْبِ هُوَ بَجَهَةِ الْأَوَّلَى، وَلَيْسَتْ دَلَالَةُ أَفٍ عَلَى أَنْوَاعِ الْإِيذَاءِ دَلَالَةً لَفْظِيَّةً خِلَافًا لِمَنْ ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "أَفٌ" كَلِمَةٌ كَرَاهَةٌ بَالِغٌ تَعَالَى فِي الْوَصِيَّةِ بِالْوَالِدَيْنِ، وَاسْتِعْمَالِ وَطَاءَةِ الْخُلُقِ، وَلَيْنِ الْجَانِبِ وَاللَّاحِظِ حَتَّى لَا نَقُولَ لِهَؤُمَا عِنْدَ الضَّجْرِ هَذِهِ الْكَلِمَةَ، فَضَلًّا عَمَّا يَرِيدُ عَلَيْهَا. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: قَالَ عُلَمَاؤُنَا: وَإِنَّمَا صَارَ قَوْلُ "أَفٌ" لِلْوَالِدَيْنِ أَرْدًا شَيْءٌ؛ لِأَنَّ رَفْضَهُمَا رَفْضُ كُفْرِ النِّعْمَةِ، وَجَحَدَ التَّرْبِيَةِ، وَرَدَّ وَصِيَّةِ اللَّهِ. وَ "أَفٌ" كَلِمَةٌ مَقُولَةٌ لِكُلِّ شَيْءٍ مَرْفُوضٍ، وَذَلِكَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَفٌ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنبياء: 67]؛ أَي: رَفْضُ لَكُمْ، وَلِهَذِهِ الْأَصْنَافِ مَعَكُمْ أَنْتَهَى. وَقَرَأَ الْحَسَنُ وَالْأَعْرَجُ وَأَبُو جَعْفَرٍ وَشَيْبَةُ وَعَيْسَى وَنَافِعٌ وَحَفْصٌ "أَفٌ" بِالْكَسْرِ وَالتَّشْدِيدِ مَعَ التَّنْوِينِ. وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَحَمْزَةُ وَالْكَسَائِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ كَذَلِكَ بغيرِ تَنْوِينٍ. وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامِرٍ بِفَتْحِهَا مُشَدَّدَةً مِنْ غَيْرِ تَنْوِينٍ. وَحَكَى هَارُونُ قِرَاءَةً بِالرَّفْعِ وَالتَّنْوِينِ. وَقَرَأَ أَبُو السَّمَّالِ أَفٌ بِضَمِّ الْفَاءِ مِنْ غَيْرِ تَنْوِينٍ. وَقَرَأَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ أَفًا بِالنَّصْبِ وَالتَّشْدِيدِ وَالتَّنْوِينِ. وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَفٌ خَفِيفَةً، فَهَذِهِ سَبْعُ قِرَاءَاتٍ مِنَ اللُّغَاتِ الَّتِي حُكِّيتَ فِي "أَفٌ". وَقَالَ مُجَاهِدٌ: إِنَّ مَعْنَاهُ إِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمَا فِي حَالِ الشَّيْخُوخَةِ الْغَائِطِ وَالبَوْلِ اللَّذِينَ رَأَيْتَ مِنْكَ فِي حَالِ الصَّغَرِ، فَلَا تَقْدَرُ هُمَا، وَتَقُولُ: "أَفٌ" أَنْتَهَى. وَالآيَةُ أَعْمٌ مِنْ ذَلِكَ. وَكَمَا نَهَاهُ تَعَالَى أَنْ يَقُولَ لِهَؤُمَا مَا مَدْلُولُهُ

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1/1422، ص: 448/3

اتَّضَجْرُ مِنْكُمْ ارْتَقَى إِلَى النَّهْيِ عَمَّا هُوَ مِنْ حَيْثُ الْوَضْعُ أَشَدُّ مِنْ "أَف"، وَهُوَ نَهْرُهُمَا، وَإِنْ كَانَ النَّهْيُ عَنْ نَهْرِهِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ النَّهْيُ عَنْ قَوْلِ "أَف"؛ لِأَنَّهُ إِذَا نَهَى عَنِ الْأَدْنَى، كَانَ ذَلِكَ نَهْيًا عَنِ الْأَعْلَى بِجِهَةِ الْأُولَى، وَالْمَعْنَى وَلَا تَزْجُرْهُمَا عَمَّا يَنْعَاطِيَانِهِ مِمَّا لَا يُعْجِبُكَ، وَقُلْ لَهُمَا بَدَلِ قَوْلِ "أَف"، وَنَهْرِهِمَا قَوْلًا كَرِيمًا؛ أَي: جَامِعًا لِلْمَحَاسِنِ مِنَ الْبِرِّ وَجَوْدَةِ اللَّفْظِ⁽¹⁾.

قَالَ الشُّوْكَانِيُّ: «وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ اسْمٌ فِعْلٌ يُنْبِئُ عَنِ التَّضَجْرِ وَالِاسْتِثْقَالِ، أَوْ صَوْتٌ يُنْبِئُ عَنِ ذَلِكَ، فَنَهْيُ الْوَلَدِ عَنِ أَنْ يَظْهَرَ مِنْهُ مَا يَدُلُّ عَلَى التَّضَجْرِ مِنْ أَبِيهِ أَوْ الْاسْتِثْقَالِ لَهُمَا، وَبِهَذَا النَّهْيِ يُفْهَمُ النَّهْيُ عَنِ سَائِرِ مَا يُؤَدِّيهِمَا بِفَحْوَى الْخَطَابِ أَوْ بِلَحْنِهِ⁽²⁾».

وَجَلِيٌّ أَنَّ دَلَالَةَ "أَف" عَلَى الْعُمُومِ، لِتَشْمَلِ كُلَّ أَدَى لَفْظِيٍّ أَوْ مَعْنَوِيٍّ، بِنَاءً عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْمُفَسِّرُونَ فِي الْمُرَادِ مِنْهَا؛ سِوَاءَ أَكَانَتْ مُنَوَّنَةً أَوْ غَيْرَ مُنَوَّنَةً.

صَه: اسْمٌ فِعْلٌ أَمْرٌ بِمَعْنَى اسْكُتْ. وَتَذَكَّرُ كُنْتُبُ اللَّغَةِ فِي اسْتِعْمَالِهَا عِدَّةُ لُغَاتٍ، جَاءَ فِي النَّجَاحِ: «صَه، بِسُكُونِ الْهَاءِ وَكَسْرِهَا مُنَوَّنَةً: كَلِمَةٌ زَجْرٌ لِلْمُتَكَلِّمِ؛ أَي: اسْكُتْ. ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ لُغَتَيْنِ "صَه" وَ"صَه"، وَفَاتَهُ: "صَهَا" بِالْفَتْحِ مَعَ التَّنْوِينِ. وَيُقَالُ: صَه بِالْكَسْرِ مِنْ غَيْرِ تَّنْوِينٍ⁽³⁾».

قَالَ الْخَلِيلُ: «صَه: كَلِمَةٌ زَجْرٌ لِلْسُّكُوتِ. قَالَ:

صَه لَّا تَكَلِّمْ لِحَمَادٍ بِدَاهِيَةٍ * * * عَلَيْكَ عَيْنٌ مِنَ الْأَجْدَاعِ وَالْقَصَبِ

وَقَالَ: إِذَا قَالَ حَادِينَا لِتَشْبِيهِ نَبَأَهُ * * * صَه لَمْ تَكُنْ إِلَّا دَوِيَّ الْمَسَامِعِ

يَقُولُ: حِينَ أَنْصَتَ لَمْ يَسْمَعْ شَيْئًا إِلَّا دَوِيَّ سَمْعِهِ. وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْ مَوْقُوفِ الرَّجْرِ، فَإِنَّ الْعَرَبَ تُنَوِّنُهُ مَخْفُوضًا، وَمَا كَانَ غَيْرَ مَوْقُوفٍ، فَعَلَى حَرَكَةِ صَرْفِهِ فِي الْوُجُوهِ كُلِّهَا⁽⁴⁾».

وَاضِحٌ مِنْ قَوْلِ الْخَلِيلِ أَنَّ التَّنْوِينِ لِجَانِبِ صَوْتِي لَوْصَلِ الْكَلَامِ، أَمَا فِي حَالَةِ الْوَقْفِ، فَلَا تَّنْوِينٌ.

(1) البحر المحيط، مرجع سابق: 7/ 37/36

(2) فتح القدير، الشوكاني البيهقي (ت: 1250هـ)، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط1/1414: 260/3

(3) تاج العروس، مرجع سابق: 36/ 428

(4) العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المحزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1/1408هـ-1988م: 3/ 345، في العين: "من موقوف الرجز" وهو لا يتفق مع مضمون السياق "وصوابه" الرجز". كما في التهذيب.

والنصوص اللغوية لا تُفصِح عن وظيفة معنوية للتتوين، للفظ " صه"، فالشاهدان اللذان أوردتهما الخليل، أحدهما بهاء ساكنة، والآخر بهاء منوثة، ولا فرق بين المنون وغير المنون. فقد جاء في الحديث: « وَمَنْ قَالَ: صَه! فَقَدْ تَكَلَّمَ، وَمَنْ تَكَلَّمَ، فَلَا جُمُعَةَ لَهُ⁽¹⁾ ». والحديث: « مَنْ قَالَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِصَاحِبِهِ: "صَه"، فَقَدْ لَعَا، وَمَنْ لَعَا، فَلَيْسَ لَهُ فِي جُمُعَتِهِ تِلْكَ شَيْءٌ⁽²⁾ ».

فعلى القول أن التتوين في " صه" للتتكير، كان ينبغي أن يكون اللفظ "صه" منوثة؛ لأن النهي متوجه عن مطلق الكلام أثناء الخطبة، لا عن حديث خاص بين متحدثين. لكن رواية " صه" بسكون الهاء، من دون تتوين، هي الواردة في معاجم اللغة شاهداً في مادة لغو⁽³⁾.

وجاءت في كتب الحديث بالكسر منوثة، ففي البخاري في قصة هاجر: « فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ: صَه، تُرِيدُ نَفْسَهَا⁽⁴⁾ ».

قال ابن حجر: « صه بفتح المهملة وسكون الهاء وبكسرهما منوثة، كأنها خاطبت نفسها، فقالت لها: اسكُتِي⁽⁵⁾ ».

وأشار بعض الشراح إلى روايتين، الكسر والتتوين؛ وسكون الهاء؛ ففي مصابيح الجامع: « قَالَتْ: "صه": قَالَ الزَّرْكَشِيُّ: بِالتَّتْوِينِ. قُلْتُ: وَالَّذِي رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ النُّسخِ: بِسُكُونِ الهَاءِ مِنْ غَيْرِ تَتْوِينٍ⁽⁶⁾ ». والنص لا دلالة فيه على تكثير في حالة التتوين، ولا على تعريف في حالة عدم التتوين، فالخطاب موجّه للمتكلم نفسه لنصغي نفسه لصوت سمعته تنتظر الفرج والغوث. وهو الحديث نفسه الذي تأمر نفسها بالسكوت عنه في الروايتين.

وهذه بعض استعمالات " صه" في العربية لا تُفصِح عن معنى التعريف أو التتكير في السياقات الواردة فيها:

(1) مُسْتَد أَحمد، أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرين، الرسالة، بيروت، 1995م: 125/2

(2) سنن أبي داود، ت: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط1/1430هـ-2009م: 283 /2، وانظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، ت: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، 1387: 28 /22

(3) انظر: لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت: 251/15، وتاج العروس، مرجع سابق: 463/39

(4) صحيح البخاري، ت: محب الدين الخطيب، السلفية، القاهرة، 1400هـ: 463/2

(5) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، -: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت: 402 /6

(6) مصابيح الجامع، الدماميني، ت: نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، ط1/1430هـ-2009م: 125 /7

المُرَارُ بْنُ سَعِيدِ الْفَقْعَسِيِّ⁽¹⁾:

عَجِبْتُ لِقَائِلِينَ صَهٍ لِقَوْمٍ *** عَلَاهُمْ يَفْرَعُ الشَّرْفَ الرَّفِيعَا

عُمَارَةَ بِنُ عَقِيلِ بْنِ بِلَالِ بْنِ جَرِيرِ⁽²⁾:

صَهٍ يَا نَمِيمُ إِنَّ شَيْبَانَ وَائِلٍ *** بِطَرْفِهِمْ عَنكُمْ أَضْنُ وَأَرْغَبُ

مُحَمَّدُ بْنُ هَانِيٍّ⁽³⁾:

صَهٍ كُلُّ آتٍ قَرِيبُ الْمَدَى *** وَكُلُّ حَيَاةٍ إِلَى مُنْتَهَى

فِي الْأَمْثَالِ: «صَهٍ صَاقِعُ».

يقال "صَهٍ" أي اسكت، و صَقَعَ، إِذَا كَذَبَ، قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: الصَّاقِعُ الَّذِي يَصْقَعُ فِي كُلِّ النَّوَاحِي؛ أَي:

أَسْكُتْ، فَفَدَّ ضَلَلْتَ عَنِ الْحَقِّ، يُضْرَبُ لِمَنْ عُرِفَ بِالْكَذِبِ⁽⁴⁾..

«خُطْبَةُ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، رَحِمَهَا اللَّهُ، يَوْمَ الْجَمَلِ... أَيُّهَا النَّاسُ، صَهٍ صَهٍ؛ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقَّ الْأُمُومَةِ،

وَحَقَّ الْمَوْعِظَةِ؛ لَا يَتَّهَمُنِي إِلَّا مَنْ عَصَى رَبَّهُ⁽⁵⁾».

« فَكَأَنَّمَا هَبَّ مِنْ رَقْدَةٍ، أَوْ حَضَرَ بَعْدَ غَيْبَةٍ، وَفَتَحَ دِيْوَانَهُ، وَأَطْلَقَ لِسَانَهُ، فَقَالَ: صَهٍ! لَقَدْ عَجَزْتُمْ عَن

شَيْءٍ عَدِمْتُمُوهُ⁽⁶⁾».

إِيَّاهُ: اسْمٌ فِعْلٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الْكَسْرِ، بِمَعْنَى زِدْ، مُنَوَّنَةٌ وَغَيْرَ مُنَوَّنَةٍ؛ قَالَ الْخَلِيلُ: «إِيَّاهُ" الْمَكْسُورَةُ: فِي

الِاسْتِزَادَةِ وَالِاسْتِنْطَاقِ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

وَقَفْنَا فُلْنَا: إِيَّاهُ عَنُّ أُمِّ سَالِمٍ *** وَمَا بَالُ تَكْلِيمِ الرُّسُومِ الْبَلَّاقِ

وَالْمَفْتُوحَةِ: زَجْرٌ وَنَهْيٌ، كَقَوْلِكَ: "إِيَّاهُ"، حَسْبُكَ، يَا رَجُلُ، وَقَدْ يُنَوَّنَانِ جَمِيعًا، فَيُقَالُ: "إِيَّاهُ" وَإِيَّاهَا⁽⁷⁾».

(1) خزانة الأدب، البغدادي، ت: عبد السلام هارون، الخائني، القاهرة، 1997م: 4/ 286

(2) التذكرة الحمدونية، ابن حمدون (ت 562هـ)، تحقيق: إحسان عباس، بكر عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1996م: 2/ 343

(3) المرجع سابق: 1/ 285

(4) مجمع الأمثال، الميداني، ت: محيي الدين عبد الحميد، السنة المحمدية، القاهرة، 1955م: 1/ 403

(5) العقد الفريد، ابن عبد ربه، ت: أحمد أمين وآخرين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت.: 4/ 128

(6) مقامات بديع الزمان الهمذاني، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة الأزهرية، 1342هـ-1923م: 425

(7) العين، مرجع سابق: 4/ 104/103

الفرزدق⁽¹⁾: أنتتني تهادي بعدما مالت الطلى *** وعندي رداح الحوف فيها شراؤها

فقلت لها: ايه اطلبي كل حاجة *** لادي وخفت حاجة وطلابها

قالت امرأة من بني عجل⁽²⁾: إن يظفروا يحرزوا فينا الغرل *** ايها فداء أبي لكم بني عجل

قال سديف⁽³⁾: ايه أبا إسحاق مليتها *** في صيحة منك وعمر طويل

مسلم بن الوليد⁽⁴⁾: ايه فإن النوى وافت مصيبته *** مولع القلب بين الشوق والقلق

قال الهمداني: «فقال: اللهم اجعلنا خيراً مما يُظنُّ بنا، فبسطت له أسرة وجهي، وفنتت له سمعي، وقلت له: ايه، فقال: قد أرضعتك ندي حرمة⁽⁵⁾».

مه: اسم فعل أمر، للزجر بمعنى اسكت؛ فهي «كلمة بنيت على السكون، وهو اسم سمي به الفعل، ومعناه أكف؛ لأنه زجر. فإن وصلت نونت، فقلت: "مه" ⁽⁶⁾». وجاء في شرح النووي: «قوله (فقال

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه مه): هي كلمة زجر ويقال به بالباء أيضاً، قال العلماء:

هو اسم مبني على السكون معناه اسكت، قال صاحب المطالع: هي كلمة زجر، قيل: أصلها ما هذا؟ ثم حذف تخفيفاً، قال: وتقال مكررة: مه مه، وتقال فردة: "مه"، ومثله "به" "به"، وقال يعقوب: هي لتعظيم

الأمر، كبخ يخ، وقد تتون مع الكسر، ويتون الأول ويكسر الثاني بغير تتوين⁽⁷⁾».

جاء في الحديث: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعداً في المسجد وأصحابه معه، إذ جاء

أعرابي، فبال في المسجد، فقال أصحابه: "مه" "مه"، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تزرموه دعوه⁽⁸⁾».

(1) شرح ديوان الفرزدق: ت: إيليا الحاوي، الكتاب اللبناني، بيروت، 1983م: 145/1.

(2) تاريخ الطبري: محمد بن جرير الطبري، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، المعارف، القاهرة، 1967م: 208/2.

(3) انظر: الشعر والشعراء: ابن قتيبة الدينوري (ت276هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1982م: 62/2.

(4) انظر: ديوان صريع الغواني، مسلم بن الوليد، ت: سامي الدهان، ط3، دار المعارف، القاهرة: 328.

(5) مقامات بديع الزمان الهمداني، مرجع سابق: 221.

(6) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري (ت393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1990م: 2250/6.

(7) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط2، 1392/2: 193/3.

(8) مسند أحمد، مرجع سابق: 297/20.

وفي حديث عائشة: «...فقلت: هذه فلانة بنت فلان، يا رسول الله، هي لا تتأم الليل، فقال: "مه" مه، خذوا من العمل ما تطيقون، فإن الله، عز وجل، لا يمل حتى تملوا⁽¹⁾».

والحديث: «... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مه مه عنهم، فإنهم عظام الهام، ثبت الأقدام، أنصار الحق في آخر الزمان⁽²⁾».

والحديث: « فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مه مه عنهم، فإنهم عظام، ثبت الأقدام، أنصار الحق في آخر الزمان⁽³⁾».

وجاء في الحديث: «...فخرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضباً، فعبس، وانتهر، وقطب، ثم قال: «مه" مه"، اتقوا الله، يا أمة محمد، واديان عميقان فغيران مظلمان، لا تهجوا عليّ وهج حرّ النار...⁽⁴⁾».

والظاهر أنّ التتوين الدّاخل على بعض أسماء الأفعال وأسماء الأصوات من التتعدّد الاستعمالي في جهات مختلفة من الجزيرة العربيّة، وما يستعمل عند قبائل العرب من هذه الأسماء والأصوات؛ لأنّ اللغويين يذكرون أوجه استعمالها في العربيّة؛ بهذه الصور المتنوّعة بأنّها لغات؛ قال الطبري: « والذي هو أولى بالصحة، عندي، في قراءة ذلك، قراءة من قرأه: ﴿فلا تقل لهما أف﴾ بكسر الفاء بغير تتوين؛ لعلتين: إحداهما: أنّها أشهر اللغات فيها، وأفصحها عند العرب، والثانية: أنّ حظ كل ما لم يكن له معرب من الكلام السكون، فلما كان ذلك كذلك، وكانت الفاء في "أف" حظها الوقوف، ثم لم يكن إلى ذلك سبيل لاجتماع الساكنين فيه، وكان حكم الساكن إذا حرك أن يحرك إلى الكسر، حرّكت إلى الكسر، كما قيل: مدّ وشدّ وردّ الباب⁽⁵⁾».

قال: إنّها أشهر اللغات في أداء هذا الحرف، ولم يُشير إلى وظيفة عدم التتوين، أو التتوين. وقد سبق في أثناء البحث أقوال بعض اللغويين عن تعدّد لغات أداء هذه الأسماء. وهو ما يُشير إلى أنّ تتوين أسماء

(1) المرجع السابق: 42 / 424

(2) الأحاد والثاني، أبو بكر بن أبي عاصم الشيباني، ت: د. باسم فيصل أحمد الجواررة، دار الراجية - الرياض، ط1/1411هـ-1991م: 2 / 431

(3) المرجع السابق: 2 / 371

(4) السنة، أبو بكر بن أبي عاصم الشيباني، ت: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط1/1400هـ: 153

(5) جامع البيان مرجع سابق: 14 / 546-548

الأفعال، وأسماء الأصوات، تتوين متعلق بأداء أبناء اللغة لهذه الأسماء، فهو ملازم لبعض هذه الأسماء غير منفصل عنها؛ نحو "إيها" في الكف، و "وأها" في التعجب، و "ويها" في الإغراء، و "فداء" لك بالكسر والتتوين. أمّا ما يستعمل مُنونا حيناً، وحيناً غير مُنون، فهو من تفضيل المُستعملين لطريقة استعمال في جهةٍ لطريقة استعماله في جهاتٍ أُخرى.

ووجد البحث أن بعض النصوص جاءت دون تتوين مُكرّرة، " صه صه" في قول عائشة، و"بخ بخ"، و "مه مه"، في الحديث. وهو ما يؤكد كونها لغات، لأنّ القوانين الصوتيّة مطّردة، لو كان التتوين في حال تكررهما، وعدمه حال انفرادها. قال ابن السكيت: « يُقال للرجل، إذا أسكته: "صه"، فإن وصلت، قلت: صه صه، وكذلك "مه"، فإن وصلت، قلت: "مه" "مه"، وكذلك تقول للشّيء إذا رضىته: "بخ"، فإن وصلت، قلت: "بخ" "بخ" (1)».

إنّ الوعي اللغوي يتخذ من أنّ التعريف يُفيد الخصوص، بينما التّكبير يُفيد العموم، وفي ضوء ذلك رأى اللغويون في المُنون من أسماء الأفعال وأسماء الأصوات دلالة على غير مُعين مُحدّد، وغير المُنون دلالة على مُعين مُحدّد، فاسم الفعل "صه" و "مه" و "أف" من دون تتوين فهي معرفة، وإن جاءت مُنونة، فهي نكرة، لأنّ تفريق اللغويين بين الاستعمالين قائم على الخصوص والعموم. غير أنّ استعمال أبناء اللغة لم يُفرّق بين الصيغتين، ولم يكن مُراداً من عدم التتوين لديهنّ التعريف، والنص على مُعين، ولا من التتوين الدلالة على نكرة غير مُحدّد؛ فقد ورد اسم الفعل "صه" بالسكون غير مُنون في النهي عن الكلام أثناء خطبة الجمعة، كحديث: « ومن قال: صه! فقد تكلم، ومن تكلم، فلا جمعة له (2)». والحديث: « من قال يوم الجمعة لصاحبه: "صه"، فقد لغا، ومن لغا، فليس له في جمعيته تلك شيء (3)».

والمعروف أنّ الحكم الفقهي يقتضي النهي عن مطلق الكلام، لا عن كلام مخصوص، ولو كان أبناء اللغة يُفرّقون بين "صه" من دون تتوين، و "صه" المُنونة، لتعين أنّ تكون "صه" بالتتوين، لكنّ نصّ الحديث في هذا الشأن جاء في اسم الفعل "صه" غير مُنون. وهو دليل على أنّ دلالة التتوين وعدمه،

(1) تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت: 370هـ)، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 2001/1م، 5/ 230/229

(2) مُسنّد أحمد، أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرين، الرسالة، بيروت، 1995م، 125/2

(3) سنن أبي داود، ت: الأرنؤوط: 283/2، وانظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: 28/22

لورود اسم الفعل "صه" في الأحاديث من دون تتوين وموتة في الحديث الواحد كحديث قصة هاجر أم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقد نص الشراح على جواز اللغتين؛ التتوين وعدمه.

المبحث الثاني: تتوين التنكير في (سيبويه) وأشباهه.

أصل كلمة سيبويه ذات أصل فارسي، وهو أمر مشهور في كتب اللغويين، ويذهبون إلى أنها مركبة من سيب، ومعناها التفاح في الفارسية، وويه وتعني الرائحة في تلك اللغة.

« وسيبويه؛ بكسر السين المهملة، وسكون الياء المثناة من تحتها، وفتح الباء الموحدة والواو، وسكون الياء الثانية، وبعدها هاء ساكنة، ولا يقال بالتاء البتة، وهو لقب فارسي معناه بالعربية رائحة التفاح؛ هكذا يضبط أهل العربية هذا الاسم ونظائره مثل: نفطويه وعمرويه وغيرهما، والعجم يقولون: "سيبويه" بضم الباء الموحدة، وسكون الواو، وفتح الياء المثناة بعدها، لأنهم يكرهون أن يقع في آخر الكلمة "ويه" لأنها للندبة⁽¹⁾ .»

وما ذهب إليه من أن ضبط لفظ "سيبويه" بضم الباء الموحدة، وسكون الواو، وفتح الياء المثناة بعدها، هو كذلك في الفارسية؛ ففي المعجم الفارسي الكبير: «سيبويه: تفاحي الرائحة: لقب عمرو بن عثمان النحوي المشهور المتوفى سنة 180ه⁽²⁾».

أما القول أن معنى "ويه" الرائحة في اللغة الفارسية؛ فليس دقيقاً؛ لأن "ويه" لاجقة نحوية تدل على معنى مغاير لما ذهبوا إليه، كما في المعجم الفارسي الكبير: «ويه: تفيذ التصغير والاستعطاف والمشباهة والملكية⁽³⁾». ومعنى «سيب: تفاحة⁽⁴⁾».

وما جاء في تفسير المعجم من أن معنى "سيبويه" بالفارسية تفاحي الرائحة؛ فهو من التأثير العربي في الفارسية. فقد فرست الفارسية عن العربية كثيراً من ألفاظ الحضارة، وأخضعت لقوانينها الصوتية. فأدخلت لفظ سيبويه بصيغته العربية، خاضعاً لطريقة نطقهم.

(1) وفيات الأعيان وأنباء الزمان: ابن خلكان (ت 681هـ)، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1977م: 3/ 465

(2) المعجم الفارسي الكبير فارسي - عربي لـ د. إبراهيم الدسوقي شتا، مكتبة مديبولي القاهرة 1992م: 2/ 1652

(3) المرجع السابق: 3/ 3144

(4) المرجع السابق: 2/ 1651

والقول بأنّ "ويّه" تعني الرائحة أمرٌ أشكل على الباحثين، يقول أحدُهُم: «فقد بحثتُ وسألتُ كثيرًا من دارسيّ الفارسيّة عن صحّة الزعم بأنّ "ويّه" كلمةٌ تدلُّ على الرائحة، فاهتديتُ إلى بطلان ذلك، وأن لا أساس له من الصحّة⁽¹⁾».

وعلى افتراض أنّ "ويّه" معناها الرائحة، فالأعلام المختومة بـ "ويّه"، لا تسيّر بوتيرة واحدة يصنقُ عليها معنى التركيب في أصل لغته المفترضة؛ إذ يُمكن تفسيرُ سيبويّه برائحة التفاح، لكنّ المعنى لا يستقيم مع سائر الأعلام كعمرويه، وخالويه، ونفطويه، وحمديّه، وحمارويه.

وكذلك الأمر في الاسم "شبرويه" فمعناه في المعجم الفارسيّ الكبير ذو جلال، واسم ابن خسرو أبرويز⁽²⁾. ولم يُشير إلى معنى "ويّه" بمعنى الرائحة.

وربما أرجعوا التعليل في إطلاق اللقب إلى سبب شكلي يتعلّق بالمُشابهة بين الوجنتين والتفاح؛ جاء في سير أعلام النبلاء: «قال إبراهيم الحرّبي: سُمي سيبويّه؛ لأنّ وجنتيه كانتا كالتفاحتين، بديع الحسن⁽³⁾».

أو أعادوا ذلك لسبب معنوي، «قال البارقي: إنّ معنى سيبويّه رائحة التفاح، لقب بذلك لذكائه⁽⁴⁾». وذهب بعض اللغويين إلى تعليل آخر مفاده أنّ سيبويّه مركّب من "السي"، ومعناه ثلاثون، و"بويّه"، ويعني الرائحة، قال محمّد بن حسن الزبيدي: «وحدّثني أبو عبدالله بن طاهر العسكري، قال: سيبويّه اسم فارسيّ، فالسيّ ثلاثون، وبويّه رائحة، فكانه، في المعنى، ثلاثون رائحة⁽⁵⁾».

فما ذكر من أنّ معنى "بويه" بالفارسيّة الرائحة، ليس دقيقًا، لأنّ السيّ بالفارسيّة معناه ثلاثون⁽⁶⁾. و"بوي" يعني الرائحة والعطر، وكذلك "بو" صفة، بمعنى الرائحة أيضًا⁽⁷⁾، أمّا "بويه"، فمعناه الأمل والرغبة⁽⁸⁾.

(1) انظر: كتاب سيبويه (مقدمة المحقق) تحقيق: عبد السلام محمد هارون: مكتبة الخانجي القاهرة، ط3/1408-1988م: 4-3/1

(2) انظر: المعجم الفارسيّ الكبير، مرجع سابق: 1788/2

(3) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ت: مجموعة محققين، مؤسسة الرسالة، ط3/1405-1985م: 8/352

(4) توجيه اللع، ابن الجباز، ت: د. فايز زكي محمد دياب، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة - جمهورية مصر العربية، ط2/1428-2007م: 431

(5) طبقات النحويين واللغويين، محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مدحج الزبيدي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1392-1973م: 72.

وانظر: تاريخ العلماء النحويين، التنوخي، ت: د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، ط1412/2-1992م: 99

(6) انظر: المعجم الفارسيّ الكبير، مرجع سابق: 1645/2

(7) انظر: المرجع السابق: 407/1

(8) المرجع السابق: 416/1

ومن الواضح أنّ أقوال اللغويين مضطربة بشأن الشقّ الثاني من سيبويه وأشباهه، بل وبشأن التركيب وتعريبه إلى العربية؛ فهناك من يفترض أنّ الأصل في هذه الأسماء إلحاق واو وهاء عند نداءها، وعربت إلى العربية بهذه الصورة، فقلبت العرب الهاء ياءً؛ قال ابن الخباز: « ما اقتضى تركيبه بناء شطريه، وذلك نوعان: أحدهما: ما ثانيه صوت كسيبويه وعمرويه، والأصل أنّ يقال: عمروه؛ لأنهم إذا نادوا ألقوا آخر الاسم واوا وهاء، فعربت العرب عمروه، وما أعربوه، فقالت: عمرويه؛ لأنّ الثاني صوت، والأصوات تستوجب البناء⁽¹⁾». وقال أبو سعيد: « الذي أوجب بناء عمرويه أنّ المضاف إلى عمرو صوت، وهو في كلام العجم على غير هذا اللفظ، إنّما هو عمروه، وإنّما هو زيادة صوت في اسم عمرو المعروف في كلام العرب، فغيروا لفظ الصوت، والصوتية مبقاة؛ لأنّ أصوات العرب بالبهائم وغيرها تخالف أصوات العجم، كما اختلفت سائر ألفاظهم⁽²⁾».

ولكنّ المستعمل في الفارسية إلحاق واو بالاسم المصغر من دون هاء؛ نحو بارو ودختر⁽³⁾. لا واو وهاء كما ذكر.

ويظهر من كلام سيبويه أنّ الأعلام المختومة بـ"ويه" أعلام أعجمية تعاملت معها العرب بطريقة مغايرة للغة الفارسية، قال: « وأما عمرويه، فإنه زعم أنه أعجمي، وأنه ضرب من الأسماء الأعجمية، وألزموا آخره شيئاً لم يلزم الأعجمية، فكما تركوا صرف الأعجمية، جعلوا ذا بمنزلة الصوت؛ لأنهم رأوه قد جمع أمرين، فحطوه درجة عن إسماعيل وأشباهه؛ وجعلوه في النكرة بمنزلة غاق، مئونة مكسورة في كل موضع⁽⁴⁾».

فمعنى قوله: «ألزموا آخره شيئاً لم يلزم الأعجمية»، أنّ الأعلام المختومة بـ"ويه" فارسية مغايرة في آخرها في العربية لاستعمالها في الفارسية. وقال أبو سعيد: « الذي أوجب بناء عمرويه أنّ المضاف إلى عمرو صوت، وهو في كلام العجم على غير هذا اللفظ، إنّما هو عمروه، وإنّما هو زيادة صوت في

(1) توجيه اللع، مرجع سابق: 431

(2) شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي، تحقيق: أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي، ط 2008/1م، دار الكتب العلمية، بيروت: 4/ 67

(3) المعجم الفارسي الكبير، مرجع سابق: 3075/3

(4) كتاب سيبويه، مرجع سابق: 301/3

اسْمٌ عَمْرٍو المَعْرُوفِ فِي كَلَامِ العَرَبِ، فَعَيَّرُوا لَفْظَ الصَّوْتِ، وَالصَّوْتِيَّةُ مُبْقَاةٌ؛ لِأَنَّ أَصْوَاتَ العَرَبِ بِالْبَهَائِمِ وَغَيْرِهَا تُخَالِفُ أَصْوَاتَ العَجَمِ، كَمَا اخْتَلَفَتْ سَائِرُ اللفَاطِهِمِ⁽¹⁾».

وَيُظْهِرُ لِي أَنَّ الأَعْلَامَ المَخْتُومَةَ بِـ "وِيَه" كَسِيْبِيَّوِيَه، وَرَاهُوِيَه، وَشِيرُوِيَه، وَحَمْدُوِيَه، وَعَمْرُوِيَه، وَحَمْدُوِيَه، وَخَالُوِيَه، وَنَفْطُوِيَه، مُسْتَعْمَلَةٌ فِي اللُّغَةِ الفَارِسِيَّةِ، وَأَنَّ هَذِهِ طَرِيقَةُ اسْتِعْمَالِ هَذِهِ الأَعْلَامِ فِيهَا، وَلِذَلِكَ عَدُّهَا أَعْجَمِيَّةً، وَإِنْ كَانَ صَدْرُهَا عَرَبِيًّا كَعَمْرُوِيَه وَحَمْدُوِيَه وَنَفْطُوِيَه؛ بِدَلِيلِ قَوْلِ سِيْبِيَّوِيَه: « وَأَمَّا عَمْرُوِيَه، فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّهُ أَعْجَمِيٌّ، وَأَنَّهُ ضَرَبَ مِنَ الأَسْمَاءِ الأَعْجَمِيَّةِ⁽²⁾». وَقَوْلِ المُبَرِّدِ: « هَذَا بَابُ الأِسْمِ الَّذِي تَلَحُّقُهُ صَوْتًا أَعْجَمِيًّا؛ نَحْوُ: عَمْرُوِيَه، وَحَمْدُوِيَه، وَمَا أَشْبَهَهُ⁽³⁾».

وَأَخْضَعَتِ العَرَبِيَّةُ هَذِهِ الأَعْلَامَ لِقَوَانِينِهَا الصَّوْتِيَّةِ، فَعَيَّرَتِ اسْتِعْمَالَ هَذِهِ الأَعْلَامِ بِإِضَافَةِ صَوْتٍ إِلَى آخِرِ هَذِهِ الأَعْلَامِ لِمَا يُنَاسِبُ خَصَائِصَهَا الصَّوْتِيَّةَ، هُوَ صَوْتُ "وِيَه"؛ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: « الَّذِي أُوجِبَ بِنَاءُ عَمْرُوِيَه أَنَّ المُضَافَ إِلَى عَمْرٍو صَوْتٌ، وَهُوَ فِي كَلَامِ العَجَمِ عَلَى غَيْرِ هَذَا اللفْظِ، إِنَّمَا هُوَ عَمْرُوَه، وَإِنَّمَا هُوَ زِيَادَةُ صَوْتٍ فِي اسْمِ عَمْرٍو المَعْرُوفِ فِي كَلَامِ العَرَبِ، فَعَيَّرُوا لَفْظَ الصَّوْتِ، وَالصَّوْتِيَّةُ مُبْقَاةٌ؛ لِأَنَّ أَصْوَاتَ العَرَبِ بِالْبَهَائِمِ وَغَيْرِهَا تُخَالِفُ أَصْوَاتَ العَجَمِ، كَمَا اخْتَلَفَتْ سَائِرُ اللفَاطِهِمِ⁽⁴⁾».

« وَكَذَلِكَ مَضَى الكَلَامُ عَلَى عَمْرُوِيَه وَسِيْبِيَّوِيَه وَنَفْطُوِيَه، وَنَحْوِهِ. وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهَا أَسْمَاءٌ وَأَصْوَاتٌ. فَالاسْمُ «سِيْبٌ»، وَالصَّوْتُ «وِيَه». وَالْحَرَكَةُ لِالتَّقَاءِ السَّاكِنِينَ؛ اليَاءِ وَالهَاءِ، وَالكَسْرُ عَلَى أَصْلِ التَّقَاءِ السَّاكِنِينَ⁽⁵⁾».

وَقَدْ رَأَى اللُّغَوِيُّونَ أَنَّ هَذِهِ الأَعْلَامَ مُرَكَّبَةٌ تَرْكِيْبًا مَرْجِيًّا، وَهُوَ عِنْدَهُمْ عِلَّةٌ بِنَائِهَا عَلَى الكَسْرِ؛ قَالَ سِيْبِيَّوِيَه: « وَعَمْرُوِيَه عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ حَضْرَمُوتَ، فِي أَنَّهُ ضَمَّ الآخِرَ إِلَى الأَوَّلِ. وَعَمْرُوِيَه فِي المَعْرِفَةِ مَكْسُورَةٌ فِي حَالِ الجَرِّ وَالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ، غَيْرُ مُنَوَّنٍ. وَفِي النُّكْرَةِ تَقُولُ: هَذَا عَمْرُوِيَه آخِرَ، وَرَأَيْتُ

(1) المرجع السابق: 4 / 67

(2) كتاب سيبويه، مرجع سابق: 3 / 301

(3) الملقب، المبرد، ت: محمد عبد الخالق عظمة، القاهرة، 1415هـ-1994م: 3 / 181

(4) شرح كتاب سيبويه، مرجع سابق: 4 / 67

(5) شرح المقدمة المحسبة، طاهر بن أحمد بن باشا، ت: خالد عبد الكرم، المطبعة العصرية - الكويت، ط1/1977م: 2 / 339

عَمْرَوِيهِ آخِر⁽¹⁾». والبناء على الكسر، هي اللغة الشهرى، إلى جانب لغة أقل شهرة، وهي إعرابها إعراب ما لا ينصرف. قال ابن عصفور: «فإن كان مركباً من اسم وصوت؛ مثل: سيبويه وعمرويه، فإنك تحكي فيه ما كان يجوز فيه قبل أن تحكيه؛ فيجوز البناء، وأن تعربه إعراب ما لا ينصرف، فنقول: جاءني سيبويه وسيبويه، ورأيت سيبويه وسيبويه، ومررت بسيبويه وسيبويه⁽²⁾». وفي ارتشاف الضرب: «وذو المزج إن ختم بـ "ويه" بُني على الكسر، ولم يذكر فيه سيبويه إلا البناء؛ نحو: عمرويه وسيبويه. وأجاز الجرمي فيه إعرابه إعراب ما لا ينصرف، تقول: قام سيبويه، ورأيت سيبويه، ومررت بسيبويه. وإن ختم بغير "ويه" كـ "شاهبور ومعدى كرب"، فأعراب ما لا ينصرف في آخره⁽³⁾».

وفي المقاصد الشافية: «ولم يحك سيبويه في هذا الضرب غير البناء...، وهي اللغة الشهرى، وفيه لغة أخرى قليلة، وهي إعرابه إعراب ما لا ينصرف إلحاقاً له بالضرب الأول، فنقول: هذا سيبويه، ورأيت سيبويه، ومررت بسيبويه⁽⁴⁾».

أما بناؤه على الكسر، فلمخالفة بينه وبين نظائره الأعلام الأعجمية والمركبة التي بناها على الفتح من لفظين عربيين، وحطه في المنزلة عنها لجمعه بين اسم وصوت؛ قال سيبويه: «وأما عمرويه، فإنه زعم أنه أعجمي، وأنه ضرب من الأسماء الأعجمية، وألزموا آخره شيئاً لم يلزم الأعجمية، فكما تركوا صرف الأعجمية، جعلوا ذا بمنزلة الصوت؛ لأنهم رأوه قد جمع أمرين، فحطوه درجة عن إسماعيل وأشباهه؛ وجعلوه في النكرة بمنزلة غاق، منونة مكسورة في كل موضع⁽⁵⁾».

وقال المبرد: «وأما قولهم: عمرويه، وما كان مثله، فهو بمنزلة خمسة عشر في البناء، إلا أن آخره مكسور، فأما فتحة أوله، فكالفتحة هناك، وأما كسرة آخره، فلأنه أعجمي فبني على الكسرة وحط عن حال العربي، وكذلك ما كان مثله في هذا المعنى⁽⁶⁾».

(1) كتاب سيبويه، مرجع سابق: 3/ 302

(2) تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، ناظر الجيش، ت: علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1/1428: 8/ 4091

(3) ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي تحقيق رجب عثمان محمد، راجعه، الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ط1/ 1418هـ - 1998م: 2/ 963-964

(4) المقاصد الشافية، مرجع سابق: 1/ 375

(5) كتاب سيبويه، مرجع سابق: 3/ 301

(6) المقتضب، مرجع سابق: 4/ 31

وقال أيضاً معلّلاً سبب البناء على الكسر: « وزعم سيويّه ... أنّ العرب إذا ضمت عربياً إلى عربيّ ممّا يلزمه البناء، ألزمته أخف الحركات، وهي الفتحّة، فقالوا: خمسة عشر يا فتى، وهو جاري بيت بيت يا فتى، ... وإذا بنوا أعجمياً مع ما قبله، حطّوه عن ذلك، فالزموه الكسر، وهذا مطرد في كلامهم⁽¹⁾ ».

أمّا أسماء الأعلام «سيويّه وعمرويّه ونفطويّه وخالويّه. فهذا الضرب مبنيّ، فنقول: هذا سيويّه، ورأيت سيويّه، ومررت بسيويّه، وبنأوه بناء الصوت لختمه بالصوت، فعومل معاملة⁽²⁾ ».

وتنتى هذه الأعلام وتجمع بناء على خلاف اللغويين حول بنائها أو إعرابها؛ فمن يرى إعرابها، قال في تثنيّتها وجمعها: عمرويهان، وعمرويّهون. وسيويّهان وسيويّهون.

ومن يرى بنائها، قال في تثنيّتها وجمعها: ذوا سيويّه، وكلاهما سيويّه. ويقول في الجمع: ذو سيويّه وكلّهم سيويّه. قال المبرّد: « وتنتى وتجمع؛ فنقول، فيه اسم رجل: عمرويهان، وعمرويّهون؛ لأنّ الهاء ليست للتأنيث، ولو كانت كذلك، لكانت في الأصل تاء⁽³⁾ ».

وجاء في تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد: « وفي الصحاح للجوهريّ: عمرويه، ذكر المبرّد في تثنيّته وجمعه: العمرويّهان والعمرويّهون. وذكر غيره أنّ من أعرب سيويّه وعمرويّه، ثناه وجمعه. ولم يشترط ذلك المبرّد. فمقتضى كلامه أنّ جمع ذلك حين الإعراب قول الجميع، وأنّ محلّ الخلاف ما إذا بُني، وأنّ المبرّد لا يشترط الإعراب، وأنّ اشتراطه هو قول الجميع، وأنّ محلّ الخلاف ما إذا بُني، وأنّ المبرّد لا يشترط الإعراب، وأنّ اشتراطه هو قول الأكثرين، ويؤيد ذلك قوله في فصل "ويه": ومن قال جاء سيويّه، ورأيت سيويّه، وأعربه كإعراب ما لا ينصرف ثناه وجمعه، ومن بناه، يقول في التثنيّة: ذوا سيويّه، وكلاهما سيويّه، ويقول في الجمع: ذو سيويّه، وكلّهم سيويّه⁽⁴⁾ ».

والأعلام المختومة بـ"ويه" تتون في حال تكبيرها، وهو قياس فيها؛ قال سيويّه: « وعمرويّه عندهم بمنزلة حصرموت، في أنّه ضمّ الآخر إلى الأوّل. وعمرويّه في المعرفة مكسورة في حال الجرّ والرفع

(1) المرجع السابق: 3/ 182

(2) تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، محمد بلر الدين بن أبي بكر بن عمر الدماميني، ت: د. محمد بن عبد الرحمن بن محمد المنذلي، ط 1403/1-هـ 1983م: 1/ 375

(3) المتقضب، مرجع سابق: 4/ 31

(4) تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، مرجع سابق: 1/ 233

والنصب، غيرُ مُنَوَّنٍ. وفي النكرة تقول: هذا عمرويه آخر، ورأيتُ عمرويه آخر⁽¹⁾. وقال المبرد: « اعلم أن الاسم الأعجمي الذي يلحق الصدر مجراه مجرى الأصوات، فحقه أن يكون مكسوراً بغير تتوين ما كان معرفة، فإن جعلته نكرة، نوّنته على لفظه؛ كما فعل ذلك بالأصوات⁽²⁾ ». قال أبو سعيد عن عمرويه وأشباهه: « وبنوه على الكسر لاجتماع الساكنين، وجعلوا علامة التنكير فيه التتوين. تقول: هذا عمرويه وعمرويه آخر⁽³⁾ ».

ومما سبق من أقوال النحاة حول تركيب الأعلام المختومة بـ "ويه" نلاحظ اضطراب تلك التعليقات التي ذكروها لتفسير جزئي التركيب. والأصل أن هذه أعلام أعجمية سقطت إلى العربية كما هي مستعملة في لغتها الأصلية، غيرتها العرب وفق قوانين لغتهم الصوتية.

والأصل، أيضاً، أن تستعمل بوصفها أعجمية لا يبحث عن أصل تركيبها، والأصلي والزائد فيها؛ لأن ذلك يقتضي معرفة أصل اشتقاقها. واللغة المستقبلية ليست معينة بذلك، جاء في المزر: « أن الأعجمي لا يشتق؛ لأنه لا يخلو أن يشتق من لفظ عربي، أو عجمي مثله، ومحال أن يشتق العجمي من العربي أو العربي منه؛ لأن اللغات لا تشتق الواحدة منها من الأخرى موصغة، كانت في الأصل أو إلهاماً، وإنما يشتق في اللغة الواحدة بعضها من بعض، لأن الاشتقاق نتاج وتوليد، ومحال أن تنتج النوق إلا حوراناً، وتلد المرأة إلا إنساناً⁽⁴⁾ ».

فالقول بتركيب هذه الأعلام مع القول بكونها أعجمية، من تحكيم المقاييس غير اللغوية في أحكام اللغويين، وكذلك القول بأن ذلك سبب بنائها على الكسر، لأنها دخيلة من اللغة الفارسية، فلا تستقيم تلك التعليقات مع ما هو نتاج استعمال لغة غير عربية، وهم في الأساس يصفون اللغة العربية. والأمر الآخر متعلق بقولهم أن هذه الأعلام تنكر بالحق تتوين التنكير، إذا دلت على غير معين؛ نحو: مررت بسبيويه وسبيويه آخر. الأول شخص معروف، والثاني غير معروف. وهو تفسير لاستعمال

(1) كتاب سبويه، مرجع سابق: 302 / 3

(2) المقتضب، مرجع سابق: 181 / 3

(3) المرجع السابق: 31 / 4

(4) المزر في علوم اللغة، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، ت: محمد أحمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البيحوي، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط: 3/ 1 / 287.

مُفْتَرَضٌ فِي حَالِ تَعَدَّدَتْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ. لِأَنَّ أَسْمَاءَ الْأَعْلَامِ لَا تَصِيرُ نَكْرَةً بِنَعْدَدِهَا، وَلَا يَنْطَبِقُ عَلَيْهَا وَصْفُ النَّكْرَةِ؛ نَحْوُ: رَجُلٌ، وَقَلَمٌ، وَطَالِبٌ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى شَائِعِ بَيْنَ جِنْسِهِ. وَتَتَأَثَّرُ بِدُخُولِ الْمُرَفَّاتِ عَلَيْهَا، فَتَكْتَسِبُ التَّعْرِيفَ، فَتَدُلُّ عَلَى مُعَيَّنٍ. وَاسْتِعْمَالُ اللَّغَةِ لَا يُسَاوِي بَيْنَ النَّكْرَاتِ وَأَسْمَاءِ الْأَعْلَامِ الْمُشْتَرَكَةِ، إِذْ يَظَلُّ مُعْرِفًا أَبَدًا عِنْدَ أَهْلِ هَذَا الْمُسَمَى بِهِ مَعْلُومًا مُحَدَّدًا، وَعِنْدَمَا يَنْعَدُّ وَيَشْتَرِكُ مَعَ مَنْ يَحْمِلُ الْأِسْمَ نَفْسَهُ، يُؤْتَى بِمَا يُحَدِّدُهُ بِذِكْرِ الْأِسْمِ الثَّانِي لِلْعَلْمِ كَاسْمِ أَبِيهِ وَجَدِّهِ، وَقَرَيْتِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَلَا تَدْخُلُ أَدَاةُ التَّعْرِيفِ عَلَى الْعَلْمِ، وَإِنْ دَخَلَتْ عَلَى الْعَلْمِ لَا تَفِيدُهُ تَعْرِيفًا، غَايَةُ مَا تَفِيدُهُ دَلَالَتُهَا عَلَى تَعَدُّدِ الْأِسْمِ. «إِنَّ الْأِسْمَ الْعَلْمَ يُعَدُّ عِلْمًا دَاتَ مَدْلُولٍ وَاحِدٍ وَمُنْقَرِدٍ بِدَلَالَتِهِ عَلَى مُعَيَّنٍ لَا ثَانِي لَهُ، لَا يَقْبَلُ التَّرْجِمَةَ، وَلَا التَّجْزِئَةَ. وَمَهْمَا كَانَ تَعَدُّدُ أَسْمَاءِ الْعَلْمِ، فَإِنَّ الْأَشْتِرَاكَ فِي أَسْمَاءِ الْأَعْلَامِ لَا يَسْتَلْبِهَا التَّحْدِيدَ، وَلَا يُؤَثِّرُ فِي دَلَالَتِهَا عَلَى مُعَيَّنٍ، وَلَا تَصِيرُ نَكْرَةً بِأَشْتِرَاكِ اسْمِ الْعَلْمِ كَاسْمِ مُحَمَّدٍ، مَثَلًا، الَّذِي يُسَمَّى بِهِ كَثِيرٌ تَبَرُّكًا بِاسْمِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ... وَمِنْ ثَمَّ لَا تَقْبَلُ أَسْمَاءُ الْأَعْلَامِ دُخُولَ أَدَاةِ التَّعْرِيفِ "أَل"، وَلَا تُضَافُ. أَمَّا دُخُولُ أَدَاةِ التَّعْرِيفِ "أَل" عَلَى بَعْضِ أَسْمَاءِ الْأَعْلَامِ، فَلَعَرَضٌ مَعْنَوِيٌّ هُوَ الْإِشَارَةُ إِلَى أَسْلِ الْعَلْمِ قَبْلَ اسْتِعْمَالِهِ فِي الْعِلْمِيَّةِ، أَوْ لِيَزِيدَ الْإِيضَاحَ وَالتَّحْدِيدَ...»⁽¹⁾.

وَيَرَى بَعْضُ النَّحَاةِ أَنَّ الْعَلْمَ إِذَا اشْتَرَكَ مَعَ غَيْرِهِ، يُصْبِحُ حُكْمُهُ حُكْمَ الْأَسْمَاءِ الشَّائِعَةِ، نَحْوُ: رَجُلٍ وَفَرَسٍ... فَهُوَ عِنْدَهُمْ نَكْرَةٌ يُضَافُ وَتَتَّصِلُ بِهِ أَدَاةُ التَّعْرِيفِ، وَيُصْبِحُ مُعْرِفًا؛ قَالَ ابْنُ بَيْعِشٍ: «اعْلَمْ أَنَّ الْعَلْمَ الْخَاصَّ لَا يَجُوزُ إِدْخَالُ لَامِ التَّعْرِيفِ فِيهِ؛ لِاسْتِعْنَانِهِ بِتَعْرِيفِ الْعِلْمِيَّةِ عَنِ تَعْرِيفِ آخَرَ، لِأَنَّ رُبَّمَا شُورِكَ فِي اسْمِهِ أَوْ اعْتُقِدَ ذَلِكَ؛ فَيَخْرُجُ عَنْ أَنْ يَكُونَ مَعْرِفَةً، وَيَصِيرُ مِنْ أُمَّةٍ كُلِّ وَاحِدٍ لَهُ مِثْلُ اسْمِهِ، وَيَجْرِي حِينَئِذٍ مَجْرَى الْأَسْمَاءِ الشَّائِعَةِ؛ نَحْوِ رَجُلٍ وَفَرَسٍ، فَحِينَئِذٍ يُجْتَرَأُ عَلَى إِضَافَتِهِ، وَإِدْخَالِ الْأَلْفِ وَاللَّامِ عَلَيْهِ كَمَا يُفْعَلُ فِي الْأَسْمَاءِ الشَّائِعَةِ، فَالْإِضَافَةُ نَحْوَ قَوْلِكَ: زَيْدُكُمْ وَعَمْرُكُمْ... أَضَافَ زَيْدًا إِلَى الْمُضْمَرِ، فَجَرَى فِي تَعْرِيفِهِ بِالْإِضَافَةِ مَجْرَى أَخِيكَ وَصَاحِبِكَ»⁽²⁾.

(1) الاسم العلم فرادته اللغوية وسياقاته الثقافية: د. يحيى إبراهيم قاسم، مجلة جامعة دمار 2013م: 391، وانظر: شرح ابن عقيل: 127-128، والنحو

الوادي: 294/1، ومهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: 1/ 510.

(2) شرح المفصل، ابن بَيْعِش، د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ط: 1/ 44.

إنَّ التتوينَ اللَّاحِقَ لِلأَعْلَامِ المَحْتَمَةِ بِـ "وَيْهِ" هُوَ تَتْوِينٌ مُفْتَرَضٌ، فِيمَا لَوْ وُجِدَ اسْمٌ عَلِمَ مُشَارِكٌ لِاسْمِ سَبِيوِيَّهِ اللَّقَبِ المَشْهُورِ لِإِمَامِ النُّحَاةِ، قَالَ إِبرَاهِيمُ السَّامِرَائِيُّ: «... وَأَتُوا مِنْ ذَلِكَ بِشَاهِدٍ وَضَعُوهُ هُمْ أَنْفُسُهُمْ، وَهُوَ مَرَّرْتُ بِسَبِيوِيَّهِ وَسَبِيوِيَّهِ آخَرَ؛ فَسَبِيوِيَّهِ الأَوَّلُ عَلِمَ مَبْنِيٌّ عَلَى الكَسْرِ، وَسَبِيوِيَّهِ الثَّانِي مُنَوَّنٌ، وَهُوَ تَتْوِينُ التَّتْكِيرِ. إِنَّ سَبِيوِيَّهِ لَقَبٌ لِعَلِمٍ، وَهُوَ عَمْرُو، وَكُنْيَتُهُ أَبُو بَشْرٍ، وَقَدْ غَلَبَ عَلَى صَاحِبِهِ، وَصَارَ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِهِ، وَنَحْنُ لَا نَعْرِفُ عَلِمًا آخَرَ مُعَاصِرًا لَهُ لَقَبَ بِسَبِيوِيَّهِ؛ فَإِنَّ التَّتْكِيرُ فِي سَبِيوِيَّهِ الآخِرِ⁽¹⁾». وَلَيْسَ مِنْ صَمِيمِ قَوَاعِدِ العَرَبِيَّةِ، لِأَنَّ النُّحَاةَ يَذْكُرُونَ سَبِيوِيَّهِ مِثَالًا لِمَا يُمَكِّنُ أَنْ يَدْخُلَهُ تَتْوِينُ التَّتْكِيرِ، وَمِثْلَ سَبِيوِيَّهِ لِتَتْوِينِ التَّتْكِيرِ بِعَمْرُوِيَّهِ، وَهِيَ أَسْمَاءُ أَعْلَامٍ أَعْجَمِيَّةٍ لَا عَرَبِيَّةٍ كَمَا رَأَيْنَا فِي أَقْوَالِهِمْ آفَاءً. قَاسُوا ذَلِكَ عَلَى أَسْمَاءِ الأَفْعَالِ وَالأَصْوَاتِ، وَمِنْ هُنَا يَظْهَرُ الخَلَلُ فِي نَظَرِهِمْ إِلَى مَا جَاءَ فِي آخِرِ هَذِهِ الأَعْلَامِ مُشَبِّهًا لِصَوْتِ فِي العَرَبِيَّةِ، مُتَنَاسِلِينَ أَصْلَ هَذِهِ الأَعْلَامِ الأَعْجَمِيَّةِ. قَالَ المُبَرِّدُ: «اعْلَمْ أَنَّ الاسْمَ الأَعْجَمِيَّ الَّذِي يَلْحَقُ الصَّدْرَ مَجْرَاهُ مَجْرَى الأَصْوَاتِ، فَحَقُّهُ أَنْ يَكُونَ مَكْسُورًا بِغَيْرِ تَتْوِينٍ مَا كَانَ مَعْرِفَةً، فَإِنْ جَعَلْتَهُ نَكْرَةً، نَوَّنْتَهُ عَلَى لَفْظِهِ؛ كَمَا تَفْعَلُ ذَلِكَ بِالأَصْوَاتِ⁽²⁾».

وَالأَصْلُ المَقْبُولُ عَلَيْهِ لَا يَصْمَدُ عِنْدَ التَّحْقِيقِ؛ فَقَدْ رَأَيْنَا أَنَّ التَّتْوِينَ اللَّاحِقَ لِأَسْمَاءِ الأَفْعَالِ، لَا يَحْمِلُ دَلَالَةً عَلَى التَّتْكِيرِ، لِأَنَّ مَا تَظْهَرُ النُّصُوصُ الَّتِي اسْتَشْهَدْنَا بِهَا أَنَّ "صَه" و "مَه" و "أَف"، جَاءَتْ سَاكِنَةً وَبِالْكَسْرِ مُنَوَّنَةً، وَغَيْرَ مُنَوَّنَةً؛ لَا دَلَالَةَ لَهَا عَلَى تَعْرِيفٍ أَوْ تَتْكِيرٍ.

أَمَا قَوْلُهُمْ بِنِيبَاءِ الأَعْلَامِ المَحْتَمَةِ بِـ "وَيْهِ"، فَلَا مُسَوِّغَ لُغَوِيًّا لَهُ إِلَّا تَحْكِيمُهُمُ القِيَّاسَ؛ لِأَفْتِرَاضِهِمْ "وَيْهِ" فِيهَا تُشَبِّهُ اسْمَ الفِعْلِ وَالصَّوْتِ فِي العَرَبِيَّةِ، وَتَحْكِيمِ قَوَانِينِ العَرَبِيَّةِ الصَّوْتِيَّةِ فِي كَلِمَاتِ لُغَةٍ أُخْرَى بِقَوْلِهِمْ بِحَطِّهَا دَرَجَةً عَنِ أَعْلَامِ كَاسْمَاعِيلَ، فُبْنِيَتْ عَلَى الكَسْرِ. قَالَ سَبِيوِيَّهِ: «وَأَمَّا عَمْرُوِيَّهِ، فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّهُ أَعْجَمِيٌّ، وَأَنَّهُ ضَرَبَ مِنَ الأَسْمَاءِ الأَعْجَمِيَّةِ، وَالزَّمُوا آخِرَهُ شَيْئًا لَمْ يَلْزَمِ الأَعْجَمِيَّةَ، فَكَمَا تَرَكَوا صَرَفَ

(1) النُّحُو العَرَبِيَّةُ نَقْدُ وَبِنَاءُ، إِبرَاهِيمُ السَّامِرَائِيُّ، بَغْدَادُ، 1968م: 63، نَقْلًا عَنْ أَمْرٍ ظَاهِرَةِ التَّتْكِيرِ وَالتَّعْرِيفِ فِي السِّيَاقِ اللُّغَوِيِّ، مُحَمَّدُ فُوَادِ مُحَمَّدُ عَبْدِاللهِ، مَاجِسْتِرِ،

جَامِعَةُ آلِ البَيْتِ - الأُرْدُن، 1999: 11

(2) المَقْتَضِبُ، مَرَجِعٌ سَابِقٌ: 3/ 181

الأعجمية، جعلوا ذا بمنزلة الصوت؛ لأنهم رأوه قد جمع أمرين، فخطوه درجة عن إسماعيل وأشباهه؛ وجعلوه في النكرة بمنزلة غاق، مؤنثة مكسورة في كل موضع⁽¹⁾».

وقال المبرد: «وأما قولهم: عمرويه، وما كان مثله، فهو بمنزلة خمسة عشر في البناء، إلا أن آخره مكسور، فأما فتحه أوله، فكالفتحة هناك، وأما كسره آخره، فلأنه أعجمي فبني على الكسرة وخط عن حال العربي، وكذلك ما كان مثله في هذا المعنى⁽²⁾».

وقال أيضاً معللاً سبب البناء على الكسر: «وزعم سيبويه ... أن العرب إذا ضمت عربياً إلى عربي مما يلزمه البناء، ألزمته أفعال الحركات، وهي الفتحة، فقالوا: خمسة عشر يا فتى، وهو جاري بيت بيت يا فتى، ... وإذا بنوا أعجمياً مع ما قبله، خطوه عن ذلك، فالزموه الكسر، وهذا مطرد في كلامهم⁽³⁾». والأصل أنها أعلام أعجمية تعامل كسائر الأعلام المفترضة من اللغات الأخرى؛ فتمنع من الصرف، نحو إبراهيم وإسماعيل، ومنع صرفها لغة أخرى ذكرها بعض اللغويين، كما مر. وهو المناسب لقواعد اللغة وقوانينها الصوتية؛ ولا ضرورة لافتراض أن تلك الأعلام مركبة؛ لأنها من لغة أخرى، ومغايرة في نظامها للغة العربية.

ولم يقف الأمر عند الأعلام الأعجمية، إذ قال النحاة: إن أسماء الأعلام الممنوعة من الصرف؛ نحو أحمد ويزيد، إذا تعددت، صارت نكرة، فتتوّن، تقول: مررت بأحمد من الأحمديين، ومررت بيزيد من اليزيديين. وهو ما قالوه، أيضاً، عن الأسماء المنصرفية؛ نحو زيد. وهو من أعمالهم القياس، وإلا فلم يرد استعمال لمثل هذا الاستعمال عن العرب.

قال الدماميني: «والمعارف من الأسماء التي لا تتصرف مثل أحمد وإبراهيم، وجميع الأسماء الستة، إذا نكرت دخلها التتوين، ولحقت بتتوين التمكن؛ لأن الاسم قد زال عنه بزوال إحدى علتيه؛ شبه الفعل، فعاد إلى الأصل في الاسمية. وكان تتوينه تتوين تمكن⁽⁴⁾».

(1) كتاب سيبويه، مرجع سابق: 301/3

(2) المقضب، مرجع سابق: 31/4

(3) المقضب، مرجع سابق: 182/3

(4) شرح المقدمة المحسبة، مرجع سابق: 187/1

وفي خزانة الأدب وهو يتحدث عن تتوين (شتان وسبحان): «... وصار بمنزلة زيد من الزيدين، إذا نكرت زيدا المعرفة⁽¹⁾». وقال عباس حسن: «إذا كان الاسم ممنوعاً من الصرف للعلمية مع وزن الفعل وزالاً معاً أو أحدهما، وجب تتوينه، إن لم يوجد مانع آخر؛ فمثال ما فقد العلمية؛ لقد أُنْتُيتُ على أحمدٍ واحدٍ من حملة هذا الاسم، فاز بالسبق "بتتوين كلمة أحمد"⁽²⁾».

أما التتوين اللاحق لسيبويه وأشباهه، في مثال النحاة المشهور: مررت بسيبويه وسيبويه آخر، فلا دلالة له على التنكير؛ لأن من أورد المثال ذكروا بعد لفظ سيبويه كلمة "آخر"، فلو كان التتوين كافياً في الدلالة على التنكير، لما احتجوا إلى الاستعانة باللفظ "آخر"، ولتم المراد باللفظ المنون.

وإلى جانب ذلك فإن المثال مصنوع لا نتيجة لاستعمال العرب، بدليل أن سيبويه ليس هو اسم صاحب الكتاب؛ أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، وإنما هو لقب له، فلو أردت تمييزه لذكرت اسمه، فمن أراد منع اللبس عند الاشتراك، نص على اسم العلم أو كنيته، وبه يتعين صاحب الكتاب، ولما احتاج إلى استعمال التتوين للتمييز بين مثل ذين الاسمين. بل كان ينبغي أن يقال: ورجل آخر مسمى بسيبويه، فلماذا الدخول في هذا الإشكال مع الاستغناء عنه.

ويبدو التفات في هذا المثال الذي يردد في كتب النحاة؛ إذ يفترض اللغويون أن رجلاً ما مسمى بلقب سيبويه، وأنت التفتت بهما معاً، وأردت التوضيح أن سيبويه آخر غير صاحب الكتاب معاً، ولكان بالإمكان القول: مررت بسيبويه صاحب الكتاب وآخر مسمى بسيبويه.

وهناك أمر متعلق بسيبويه والأعلام المختومة بـ "ويه"، وهو أنها أجمية قادمة من نظام لغوي آخر، أخضعها اللغويون لنظام اللغة العربية، فألحق اللغويون به التتوين ليفيد التنكير، قياساً على فهمهم أن التنكير يفيد العموم، والتتوين علامته، بينما التعريف يفيد الخصوص.

لكن الصنعة النحوية ظاهرة في الأمثلة التي ساقوها، لأن ابن اللغة لا يستسيغ القياس على أمثلتهم؛ فيقول: "سافرت إلى نيويورك" و "نيويورك أخرى"، مثلاً، ولا يستسيغ القول: مررت بـ "سوسير" وسوسير آخر.

(1) خزنة الأدب، مرجع سابق: 6/ 286

(2) النحو الوافي، مرجع سابق: 4/ 251-252

وعلى افتراض أن التنوين اللاحق للأعلام المختومة بـ "ويه"، مؤيد بشواهد استعمالية من كلام العرب، لكان حرياً أن يسمّى تنوين التعدد، فلا يلتبس مع التنكير الدال على العموم في باب النكرة والمعرفة.

❖ الخاتمة ونتائج البحث:

- إن مصطلح "تنوين التنكير" مشكل، ومضطرب في مدلوله، فليس واضحاً في دلاليته على التنكير؛ إذ لا يدرك مستعمل اللغة دلالة بيّنة على التنكير، ولعل منطلق القائلين بذلك مقلتهم إن التنوين علم على التنكير.
- التنكير والتعريف متعلقان بالألفاظ، ودلالتها على شائع بين أفراد الجنس، أو دلالتها على معين، أما تنوين التنكير، فهو تنوين ملازم لنطق اسم الفعل وطريقة أدائه من أبناء اللغة.
- تعدد تفسير اللغويين للتنوين اللاحق لبعض أسماء الأفعال وأسماء الأصوات، بين التفسير الصوتي؛ أي: أن التنوين عند الوصل وعدم التنوين عند الوقف، وبين التفسير الوظيفي؛ أي: أن للتنوين وظيفة معنوية؛ فهو يدل على غير معين بخلاف غير المنون الذي يدل على معين، وهو قول عامة النحاة.
- نص اللغويون أن الاختلاف في أداء بعض أسماء الأفعال بالتنوين وعدم التنوين مرده إلى تعدد الاستعمال اللغوي لهذه الأصوات، فقالوا: إنها لغات.
- من الشواهد التي وردت في البحث يظهر عدم وجود دلالة من التنوين وعدم التنوين في أسماء الأفعال، وأسماء الأصوات.
- إن التنوين المصطلح في الأعلام المختومة بـ "ويه"، لا يدل على تنكير المنون، لحاجة اللغويين إلى الاستعانة بذكر لفظ آخر "ليدل على اشتراك الاسمين.
- افتراض اللغويون أن سيويته وأضرابه مختومة بصوت يضارع أسماء الأفعال في العربية، فقالوا بتركيبها، وبنائها على الكسر قياساً على أسماء الأفعال. وهو أمر لا يتفق وقواعد العربية؛ لأنها أعلام أعجمية، فلا يستقيم القول بتركيبها لأنها خاضعة لقوانين لغة أخرى.
- الأعلام المختومة بـ "ويه" حكمها حكم سائر الأعلام الأعجمية كإبراهيم وإسماعيل... في منعها من الصرف، وهي لغة أقل شهرة فيها، ولا مسوغ للقول بأنها مبنية، لكونها من نظام لغوي آخر.

- قاسم اللغويون الممنوع من الصرف والمركب المزجي، فقالوا: إنه ينون إذا نكر، نحو: رب أحمد حصر. وهو أمر يدخل في باب الصناعة النحوية التي لا أساس لها من كلام العرب.
 - إن الاسم العلم لا يصير نكرة، وإنما يدل على التعدد؛ فمحمد وإن دل على ملايين المسمين به، لا يخرج عن دلالة على العلم، فابن اللغة يدرك علمية "محمد"، وإن كان غير معروف، بخلاف رجل التي تدل على فرد من أفراد الجنس، وإن تعرف كانت دلالة على فرد محدد من أفراد الجنس.
- ❖ التوصيات والمقترحات.

يُوصي البحث بإعادة النظر في بعض المصطلحات النحوية المصنوعة من دون مستند لها من كلام العرب، كما يقترح الباحثان إجراء أبحاثٍ مماثلة على ظواهر لغوية اعتمدت فيها اللغويون أو النحاة على القياس دون استقراء لكلام العرب وما سمع عنهم.

تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ،،

قائمة المصادر والمراجع:

- الأحاد والمثنائي، أبو بكر بن أبي عاصم الشيباني، ت: د. د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراجعية - الرياض، ط1/1411هـ-1991م.
- أثر ظاهرة التنكير والتعريف في السياق اللغوي، محمود فؤاد محمود عبدالله، ماجستير، جامعة آل البيت - الأردن، 1999.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي تحقيق رجب عثمان محمد، راجعه، الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ط1/1418هـ - 1998م.
- الاسم العلم، فرادته اللغوية وسياقاته الثقافية: يحيى إبراهيم قاسم. مجلة جامعة دمار 2013م.
- الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط1/1985م، بيروت السنة 33 - 1421هـ/2001م.
- أمالي ابن الشجري، ابن الشجري، ت: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، ط1/1413هـ-1991م.

- الإِنصَافُ فِي مَسَائِلِ الخِلافِ، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية- لبنان، ط1/1424هـ-2003م.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ: 32/7، والدر المصون، السمين الحلبي، ت: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- تاج العروس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت: 1205هـ)، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تاريخ الطبري: محمد بن جرير الطبري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المعارف، القاهرة، 1967م.
- تاريخ العلماء النحويين، التتوخي، ت: د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، ط2/1412هـ-1992م.
- التذكرة الحمدونية، ابن حمدون (ت 562هـ)، تحقيق: إحسان عباس، بكر عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1996م.
- التصريح بمضمون التوضيح (شرح التصريح)، خالد الأزهرى، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، ط1.
- التطور النحوي للغة العربية، محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية عام 1929م، المستشرق الألماني، برجستراسر (G.Bergstrasyer) (أخرجه وصححه وعلق عليه الدكتور / رمضان عبد التواب، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ط4 / 1423هـ -2003م.
- تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، محمد بدر الدين بن أبي بكر بن عمر الدماميني، ت: د. محمد بن عبد الرحمن بن محمد المفدى، ط1/1403هـ-1983م.
- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، ناظر الجيش، ت: علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1/1428هـ.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، ت: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، 1387هـ.

- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت: 370هـ)، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1/2001م.
- جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، ت: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر ط1/1422هـ-2001م.
- المجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجبري النهرواني، ت: د. محمد مرسي الخولي، ط1/1993م، عالم الكتب، بيروت.
- توجيه اللمع، ابن الخباز، ت: د. فايز زكي محمد دياب، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة جامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد سليم الغلاييني، المكتبة العصرية، لبنان، ط28/1414هـ-1993م.
- خزنة الأدب، البغدادي، ت: عبد السلام هارون، الخانجي، القاهرة، 1997م.
- الخصائص، ابن جني، ت: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4.
- ديوان صريع الغواني، مسلم بن الوليد، ت: سامي الدهان، ط3، دار المعارف، القاهرة.
- رؤية جديدة في تفسير التتوين في العربية، سمير شريف ستيتية، مجلة جامعة الملك سعود، م5، 1413هـ-1993م
- زاد المسير، ابن الجوزي، ت: عبد الرزاق المهدي، ط1/1422هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- السنة: أبو بكر بن أبي عاصم الشيباني، ت: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط1/1400هـ.
- سنن أبي داود، ت: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط1/1430هـ-2009م.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، ت: مجموعة محققين، مؤسسة الرسالة، ط3/1405هـ-1985م.
- شرح أبي داود للعيني، ت: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، الرياض، ط1/1420هـ-1999م.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، ط20/1400هـ-1980م.

- شرح ديوان الفرزدق: ت: إيليا الحاوي، الكتاب اللبناني، بيروت، 1983م.
- شرح الرضي على الكافية، ت: يوسف حسن عمر، جامعة قارونس، بنغازي، ط2/1996م.
- شرح كتاب الحدود في النحو، عبد الله بن أحمد الفاكهي، ت: د. المتولي رمضان أحمد الدميري، ط2/1414ه-1993م، مكتبة وهبة، القاهرة.
- شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي، تحقيق: أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي، ط1/2008م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شرح المفصل، ابن يعيش، د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ط1.
- شرح المقدمة المحسبة، طاهر بن أحمد بن بابشاذ، ت: خالد عبد الكريم، المطبعة العصرية - الكويت، ط1/1977م.
- الشعر والشعراء: ابن قتيبة الدينوري (ت276هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1982م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري (ت393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1990م.
- صحيح البخاري: ت: محب الدين الخطيب، السلفية، القاهرة، 1400هـ.
- طبقات النحويين واللغويين، محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1392ه-1973م.
- العقد الفريد، ابن عبد ربه، تح: أحمد أمين وآخرين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1/1408هـ-1988م.
- فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، -: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت.
- فتح القدير، الشوكاني اليمني (ت: 1250هـ)، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط1/1414هـ.

- كتاب سيبويه (مقدمة المحقق) تحقيق: عبد السلام محمد هارون: مكتبة الخانجي القاهرة، ط3/1408هـ-1988م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في عيون التأويل، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي أحمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، 1998م، ط1.
- اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، ت: د. عبد الإله النبهان، دار الفكر - دمشق، ط1/1416هـ-1995م.
- مجمع الأمثال، الميداني، ت: محيي الدين عبد الحميد، السنة المحمدية، القاهرة، 1955م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1/1422هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: 458هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1/1421هـ-2000م.
- المزهري في علوم اللغة، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، ت: محمد أحمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط3.
- مُسنَدُ أحمد، أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرين، الرسالة، بيروت، 1995م معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين، ط1/1422هـ-2002م.
- مصابيح الجامع، الدماميني، ت: نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، ط1/1430هـ-2009م.
- المعجم الفارسي الكبير فارسي - عربي لـ د. إبراهيم الدسوقي شتا، مكتبة مدبولي القاهرة 1992م.
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1420هـ، ط2.
- مقامات بديع الزمان الهمذاني، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة الأزهرية، 1342هـ-1923م.

- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك)، أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي، ت: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين وآخرين، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط1/1428هـ-2007م.
- المقتضب، المبرد، ت: محمد عبد الخالق عظيمة، القاهرة، 1415هـ-1994م.
- المنتخب من كلام العرب، علي بن الحسن الهنائي الأزدى، أبو الحسن الملقب بـ «كراع النمل»، ت: محمد بن أحمد العمري، جامعة أم القرى، ط1/1409هـ-1989م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط2/1392هـ.
- نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/1412هـ-1992م.
- النحو العربي نقد وبناء، إبراهيم السامرائي، بغداد، 1968م.
- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف بمصر، ط5.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان (ت 681هـ)، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1977م.

شبهات التطرف الديني والسياسي عند الخوارج المعاصرين تنفيذها وآثارها ووسائل الوقاية منها

د. أبوبكر عبد المقصود محمد كامل

أستاذ العقيدة والأديان المشارك

كلية الشريعة وأصول الدين - جامعة نجران - السعودية

abobkr1975@gmail.com

الملخص

هدف هذا البحث الى معرفة شبهات التطرف الديني والسياسي عند الخوارج المعاصرين تنفيذها وآثارها ووسائل الوقاية منها يتناول التعريف بفرقة الخوارج ونشأتهم وفرقهم ومعتقداتهم، وكذلك التعريف بالخوارج المعاصرين (تنظيم الدولة الاسلامية - داعش) وتأثيرها بالخوارج القدامى عقديا وفكريا، واستعرض البحث شبهات الخوارج المعاصرين الدينية والسياسية وتفنيدها، وكذلك آثار شبهات الخوارج المعاصرين على الأمن والدعوة والسياسة والمرأة وغير المسلمين، كما استعرض وسائل الوقاية من فكر وشبهات ومعتقدات الخوارج المنهجية والوقائية والعلاجية والعملية. الكلمات المفتاحية: الخوارج- الشبهات- تنظيم الدولة - داعش- الوسائل الوقاية.

5

Contemporary Kharijites' Obscurities of Religious & Political Radicalism: Refutation, Consequences, and Means of Prevention

Dr. Abu-Bakr Abdulmaqsoud Mohammed Kamel

Associate Professor of Faith and Religions,

Faculty of Sharia & Religion Fundamentals, Najran University, KSA

Abstract:

This study investigates suspects religious and political extremism among contemporary Kharijites, refuting it and its effects and means of prevention. It deals with the definition of the Kharijites' division, their origins, their teams and their beliefs, as well as the definition of contemporary Kharijites (Islamic State - ISIS) and their influence on ancient and ideological Kharijites and their refutation. The effects of the suspicions of contemporary Kharijites on security, advocacy, politics, women, and non-Muslims. He also reviewed methods of preventing the thought, suspicions, and beliefs of the Kharijites methodology, preventive, curative, and practical.

Key words: Khawarej - suspicions - ISIS - ISIS - means of prevention.

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفبه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ أما بعد:

إن ظاهرة التطرف الديني السياسي مركبة، لا يمكن تحليل أسبابها على سبب واحد، فمنها ما هو ديني، سياسي، اقتصادي، اجتماعي، نفسي أو فكري، وتوجد علاقات وروابط وثيقة داخل الفكر الإنساني من الممكن أن تشبه بسلسلة متصلة بعضها مع بعض، ما يعني أن أي حركة أو هزة تحصل في طرفي أو وسط هذه السلسلة حتماً سيؤثر بدرجات متفاوتة في معظم أجزائها.

وإن الجماعات الإنسانية لا تعيش بأفكار معزولة عما سبقها من الأفكار، وإنما يؤثر السابق في اللاحق، ويتأثر اللاحق بالسابق، وعلى سبيل المثال بأن الفرق الإسلامية لم تخرج أقوالها ومعتقداتها المنحرفة من عباءة مؤسسها فحسب بل كان لتلك العقائد التي تبنتها بعض الفرق صلات بعقائد وأفكار لها جذورها في

التاريخ القديم مثل عقيدة الحلول والتناسخ والرجعة إلى غير ذلك.، وكل جماعة في التاريخ الإنساني البشري قُدر لها البقاء لا بد أن تمر بفترات قوة وضعف عبر الزمن ولا بد أن يتأثر متأخروها بمتقدميها حتى وإن تغير أو تطور اسم الجماعة أو لقبها، ويزيد التأثير والتأثير إذا كانت العلاقة بين المتقدم والمتأخر مبنية على أساس عقدي، هذا الرباط الذي يعد مكون مهم من أهم مكونات الإنسان بل من أهم مكونات الحضارات إلى جانب اللغة والتقاليد والقيم، والأمة الإسلامية في هذا شأن أي جماعة إنسانية، ترتبط بعقيدة توحيدها عبر امتداد الزمان والمكان، تُولف بين قلوب أبنائها رغم تباعد ما بين أوائل هذه الأمة وأواخرها، فعقائد الأمة واحدة في نشأتها وأواخر أمرها.، وأي خلاف عقدي أو فقهي حدث بين الفرق الإسلامية في القرون الأولى لا بد أن تتسحب آثاره على أتباعهم المتأخرين بصورة أو بأخرى.

لذلك فإنني رأيت أن يكون هذا البحث بعنوان: "شبهات التطرف الديني والسياسي عند الخوارج المعاصرين تنفيذها وآثارها ووسائل الوقاية منها"، أسأل الله تعالى أن ينفع به.

□ **موضوع البحث وأهميته:** الخوارج من الفرق الإسلامية التي كان لها دور فكري وسياسي في القرون الأولى لا يمكن إغفاله أو إهماله، وكان لأرائها في ذلك العهد صدى بعيداً.، يتلخص هذا البحث في التعريف بالخوارج ونشأتهم في زمن الصحابة ﷺ، والنصوص الواردة فيهم، وأفكارهم وشبهاتهم التي ظلت تتوارثها الأجيال من جيل إلى جيل، وظهورهم في كل زمان ومكان بأسماء مختلفة تحمل نفس الأفكار وتعتقد بتلك المعتقدات متأثرين بشبهات القدامى، واستحداثا شبهات جديدة تماشياً مع مستجدات العصر، كما شمل البحث التعريف بالجماعات المعاصرة التي تكفر المجتمعات وتصفها بالجاهلية وما ينتج عن هذا من قتل وتخريب وتدمير وإساءة للإسلام، وختم البحث ببيان وسائل وقاية الأمن الفكري وحماية العقيدة الصحيحة من الانحراف.

منهجي في البحث: تقتضي طبيعة هذا البحث أن أتبع فيه المنهج التاريخي التحليلي الاستقرائي النقدي للتعريف بفرقة الخوارج وما نتج عنها من فرق تبنت عقائدها حتى عصرنا الحاضر، وجمع شبهات الخوارج المعاصرين والنصوص التي أساءوا فهمها، أو تأولوا معانيها على غير مرادها، كما يستخدم الباحث المنهجين التحليلي والنقدي لتحليل شبهات الخوارج والرد عليها وتنفيذها.

□ **الدراسات السابقة:** حظي هذا الموضوع بدراسات وأبحاث متعددة كالدراسات المختصرة التي

تناولت هذا الموضوع من جهة التحذير منهم، وأسباب تطرفهم، وتنوعت الكتابات عن الخوارج، وكل منها تناول جوانب لها أهميتها،

ومن أبرز الدراسات السابقة:

- كتاب: أثر الخوارج في الفكر الإسلامي المعاصر، لمؤلفه عبد التواب محمد عثمان.
 - كتاب: تأثير الخوارج المعاصرين بأصول الخوارج المتقدمين، للدكتور فهد بن سليمان الفهيد.
 - إبطال شبهات الخوارج في التكفير... موقع إسلام ويب.
 - شبهات تنظيم الدولة وأنصاره د. عماد الدين خيتي.
 - الردود السلفية على شبهات الحاكمية، أبو عاصم عمرو بن حسين.
- غير أنني في هذا البحث سأتناول التعريف بالخوارج القدامى والمعاصرين وتأثر المعاصرين بالقدامى وتنامي وامتداد أفكار القدامى حتى بعد القضاء على الخوارج المعاصرين ولو بشكل كبير؛ لكن تبقى الأفكار والشبهات التي نعرضها تحسبنا لهذا الجيل والأجيال المتعاقبة مع ذكر وسائل الوقاية منها وحماية الأمن الفكري.

□ **خطة البحث:** ويشتمل البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

- المقدمة: وتشتمل على موضوع البحث وأهميته وخطته ومنهجي في البحث والدراسات السابقة:
 - المبحث الأول: التعريف بالخوارج وأسباب نشأتهم وأهم فرقهم ومعتقداتهم.
 - المبحث الثاني: شبهات الخوارج المعاصرين والجماعات التكفيرية وتفنيدها.
 - المبحث الثالث: آثار التطرف الديني والسياسي ووسائل حماية المجتمع من الانحراف الفكري.
- التمهيد:**

إن العوامل المؤدية إلى الوقوع في التطرف الديني منها ما هو متعلق بالجانب الذاتي للمتطرف أو الجماعة المتطرفة، ومنها ما يتعلق بالبيئة المحيطة به والمجتمع الذي ينتمي إليه، وإن أهم أسباب التطرف الديني هو

الجهل بمعنى القرآن قال ﷺ: "يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم"^(١)، أي أنهم يأخذون أنفسهم بقرأة القرآن وإقراءه وهم لا يتفقهون فيه ولا يعرفون معانيه ومقاصده، والخوارج من أشد الفرق الإسلامية تمسكاً بمذاهبها الذي تعتقده وتدعو إليه، وتحاول تطبيقه بالقوة، مستخدمة القتل والفتك بالأنفس المحرمة إذا اقتضى الحال جهلا منهم بكتاب الله والنصوص الشرعية ومعانيها ومقاصدها، فالخوارج فرقة كبيرة من الفرق الاعتقادية، تمثل حركة ثورية عنيفة في تاريخ الإسلام السياسي، شغلت الدولة الإسلامية فترة طويلة من الزمن، وبسطوا نفوذهم السياسي على بقاع واسعة من الدولة الإسلامية في المشرق وفي المغرب العربي، ولا يخفى كذلك أن بعض أفكار الخوارج القدامى - ولا سيما الأزارقة^(٢)، والخوارج المعاصرين وخاصة تنظيم الدولة الإسلامية المعروف بداعش - المتعلقة بتكفير العصاة والخروج على الحكام والتطلع لإقامة دولة الخلافة لا يزال لها أتباع يمثلون تنوع الخوارج وتشدهم في وقتنا الحاضر، مما يستدعي عرض ودراسة هذه الفرقة، وما أنتجت من آراء وأفكار، وبيان ما جناه أتباعها على الإسلام والمسلمين فكلمة الخوارج علم مشهور على تلك الفرقة المعروفة التي وصفها النبي ﷺ بالمروق من الدين وتميزت عن سائر الفرق بالعلو والإفراط والشطط والتتبع، كما تميزت في منهجها الحركي بالاندفاع والتهور والثورية العمياء، والقابلية السريعة للتمزق والاشتعال، فالخلافة طبعهم، وضيق الأفق سمتهم، ما خيروا بين أمرين إلا اختاروا أفسسهما، وما رأوا طريقين إلا سلكوا أشقهما، وما صادفوا احتمالين إلا انحازوا لأبعدهما وهناك عدة أسباب أدت إلى نشأة الفرق بوجه عام من هذه الأسباب:

- ١- وجود علماء انحرفت عقائدهم، على رأس كل طائفة منهم مرده أسهموا في تثبيت الفرقة بين المسلمين.
- ٢- غلبة الجهل وقشوه بين أوساط المسلمين. ٣- عدم فهم النصوص فهماً سليماً.
- ٤- موافقة الخلف والفرقة لهوى. ٥- تدخل سلطان العصبية البيغضة.
- ٦- استحكام قوة الحسد في النفوس. ٧- الرغبة في إحياء البدع والخرافات.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٨٤/٢ بهذا اللفظ، صححه شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسند ٣٩٨/٩ وقال: حديث صحيح.

(٢) الأزارقة إحدى فرق الخوارج، وهم أتباع نافع بن الأزرق الحنفي، ولم تكن للخوارج قط فرقة أكثر عدداً ولا أشد منهم شوكة. الفرق بين الفرق، ص ٨٢، والملل والنحل: ١١١/١، والخلافة وأثرها في نشأة الخوارج ص ٥٥-٨ باختصار.

- ٨- تقديس العقل وتقديمه على النقل. ٩- بث الدعايات المنفرة عن الاعتقاد الصحيح^(١).
كما أن هناك تأثيرات خارجية أسهمت في الأخرى في تفرّق كلمة المسلمين، تكمن في الأمور التالية:
أ- اختلاط المسلمين بغيرهم، ودخول غير المسلمين في الإسلام. ب- وجود حركة ثقافية.
ج- تأثر بعض المسلمين بغيرهم من أهل الديانات السابقة. د- دخول كثير من الناس في الإسلام ظاهراً^(٢).

المبحث الأول: التعريف بالخوارج وأسباب نشأتهم وأهم فرقهم ومعتقداتهم

أولاً: التعريف بالخوارج القدامى: الخوارج في اللغة جمع خارج، وخارجي اسم مشتق من الخروج، وقد أطلق علماء اللغة كلمة الخوارج في آخر تعريفاتهم اللغوية في مادة: (خرج) على هذه الطائفة من الناس؛ معللين ذلك بخروجهم عن الدين أو على الإمام علي، أو لخروجهم على الناس^(٣).
وفي الاصطلاح: اختلف العلماء في التعريف الاصطلاحي للخوارج، وحاصل ذلك:

١- منهم من عرفهم تعريفاً سياسياً عاماً، فاعتبر الخروج على الإمام المتفق على إمامته الشرعية خروجاً في أي زمن كان، قال الشهرستاني: "كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين لهم والأئمة في كل زمان"^(٤).

٢- ومنهم من خصهم بالطائفة الذين خرجوا على الإمام علي عليه السلام قال الأشعري: "والسبب الذي سُموا له خوارج؛ خروجهم على علي بن أبي طالب"^(٥) وقال ابن حجر معرفاً لهم: "والخوارج هم الذين أنكروا على عليّ التحكيم وتبرؤوا منه ومن عثمان وذريته وقائلوهم، فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغلاة"، وقال في تعريف

(١) كتاب مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم: محمد العبد، وطارق عبد الحليم، ص ٢٧، ٢٨.

(٢) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية: ٢/١.

(٣) تحذيب اللغة للأزهري: ٥٠/٧، مادة "خرج"، ط: دار القومية العربية ١٣٨٤ هـ. وتاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي: ٣٠/٢، ط: مكتبة التراث العربي، الكويت ١٣٨٧ هـ.

(٤) الملل والنحل للشهرستاني: ١١٤/١، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، غالب عواجي: ٢٢٨/١، مكتبة لينة ١٤١٤ هـ.

(٥) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري: ٢٠٧/١.

آخر: "أما الخوارج فهم جماعة خارجة، أي: طائفة، وهم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم على الدين وخروجهم على خيار المسلمين" (١) ويرى أبو الحسن المظني أن أول الخوارج المحكمة، الذين يقولون لا حكم إلا لله ويكفرون عليًا بجعله الحكم إلى أبي موسى الأشعري ولا حكم إلا لله، وفرقة الخوارج، سميت خوارج لخروجهم على عليّ ﷺ يوم الحكمين، حين كرهوا التحكيم، وقالوا: لا حكم إلا لله (٢)، فالخوارج هم الذين خرجوا على عليّ ﷺ بعد موقعة صفين، وتعريف الشهرستاني هذا تعريف عام يشمل أقسام الخوارج، ولا يخص فرقة الخوارج، إذ الخروج على إمام المسلمين ينقسم إلى أقسام: أولاً: من خرج لمنازعة في الملك، ولكنه خرج غضبا للدين، ومن أجل جور الولاة وترك عملهم بالسنة، مثل الحسين بن علي (٣)، وأهل المدينة في وقعة الحرة، وزيد بن علي زين العابدين.

ثانياً: من خرج على ولي الأمر بتأويل سائغ (٤) يقره الكتاب والسنة، وهذا ما كان من أصحاب الجمل وصفين إذ خرجوا على علي ﷺ لا معاندين مطالبين بالملك، بل لرأي رأوه، واجتهاد صاروا إليه من طلب القصاص من قتلة عثمان ﷺ (٥).

ثالثاً: من خرج لطلب الملك فقط، وكان القتال على الدنيا وهؤلاء هم البيعاة حقا (٦)، وقد جاء الوعيد والذم لهذه الطائفة المفرقة للأمة والتي تسفك دماء المسلمين من أجل الدنيا والملك.

رابعاً: من خرج على الإمام وعلى الجماعة المسلمة للدعاء إلى معتقدهم، فخرج هؤلاء نابع من مخالفة لأصول في الشريعة الاعتقادية أو العلمية (٧) وهذا القسم الذي خرج للدعاء إلى معتقده هو الذي وردت فيه نصوص نبوية في ذمه، والأمر بقتاله لأن خطره عظيم على الأمة المسلمة وهو أخطر أقسام الخوارج

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر، ط: دار الريان للتراث، القاهرة، ط/ ١٤٠٧ هـ.

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين محمد المظني، ط: رمادي للنشر والتوزيع، الدمام، والمؤمن للتوزيع، الرياض، ط/ ١٤١٤ هـ.

(٣) في فتح الباري: ٢٠٦/١٢، الحسن بن علي والصحيح أنه الحسين حيث خرج علي يزيد بن معاوية وقتل في كربلاء.

(٤) التأويل السائغ هو الجائز الذي يقر صاحبه عليه إذا لم يكن فيه جواب. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ٢٦٦/٢٨، ٢٧٥، جمع وترتيب: عبد

الرحمن بن قاسم النجدي وابنه محمد، ط: دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض ١٤١٢ هـ.

(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٢٦٦/٢، ٢٧٥.

(٦) فتح الباري: ٢٨٦/١٢، بتصرف، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي: ٦٨/١، ط: دار الآفاق الجديدة بيروت.

(٧) مجموع الفتاوى: ٢٦٦/٢٨، ٢٧٥.

السابقة.

إذاً الخوارج بتعريف عام: هم كل من كفر علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان -رضي الله عنهما - وأصحاب الجمل ومن رضي بالتحكيم، والذين يكفرون بالمعاصي، ويرون الخروج على إمام المسلمين وجماعتهم بالسيف للدعاء إلى معتقدهم وكان خروجهم نابعا من مخالفة الأصول في الشريعة، فهذا التعريف أقرب لتعريف الخوارج كفرقة من الفرق، أما من خرج لغير ذلك مما تقدم فيطلق عليهم اسم الخروج العام، ويطلق عليهم خوارج كحكم شرعي، وصفة لفعالهم.

نشأة الخوارج: لقد اختلف المؤرخون وعلماء الفرق في تحديد بدء نشأتهم وخالصة ذلك ما يلي: أنهم نشأوا في عهد النبي ﷺ، أو في عهد عثمان أو في عهد علي حين خرج عليه طلحة والزبير ﷺ، كما يزعم بعض علماء الإباضية، أو نشأوا حين خرج الخوارج من المحكمة عن جيش علي ﷺ، أو ظهوروا في عهد نافع بن الأزرق^(١) ابتداء من سنة ٦٤هـ، كما تقدم في التعريف بهم، وقد ذهب إلى القول بأن أول الخوارج هو ذو الخويصرة^(٢) كثير من العلماء منهم ابن الجوزي وذلك في قوله: أن أول الخوارج وأقبحهم حالة ذو الخويصرة". وقوله: "فهذا أول خارجي خرج في الإسلام وآفته أنه رضي برأي نفسه ولو وقف لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله ﷺ، وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا علي بن أبي طالب ﷺ^(٣)، ومنهم ابن حزم^(٤)، والشهرستاني^(٥) وعلى هذا يمكننا القول بأن بداية نشأة الخوارج كفرقة ذات اتجاه سياسي وفكر خاص حين خرجوا على الإمام علي ﷺ بعد أن رضى بالتحكيم في موقعة صفين، والتحموا معه في معركة النهروان الشهيرة على شكل طائفة لها اتجاهها السياسي وأراؤها الخاصة، وهم الذين ينطبق عليهم مصطلح الخوارج بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، وهذا هو الأرجح، والواقع أن هذا هو ما يشهد له واقع تلك الحركة التي أحدثت

(١) نافع بن الأزرق الحروري من رؤوس الخوارج، وإليه تنسب طائفة الأزارقة. ميزان الاعتدال للذهبي: ٢٤١/٤، ط/دار الفكر، القاهرة ١٤٠٧هـ.

(٢) ذو الخويصرة التميمي، قيل: إن اسمه حرقوص بن زهير، اعترض على قسمة الرسول ﷺ، ثم صار مع الخوارج فقتل معهم. البداية والنهاية: لابن كثير:

٣٦٢/٤، مكتبة المعارف، بيروت ١٤٠٨هـ، ونيل الأوطار للشوكاني: ١٨٥/٧، ط: دار الحديث، مصر ١٩٩٣م.

(٣) تلبس إبليس لابن الجوزي، ص ٩٠.

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ١٥٧/٤.

(٥) الملل والنحل: ٢١/١.

دويا هائلا في تاريخ هذه الأمة الإسلامية عدة قرون تميزت فيها بآراء ومعتقدات وأنظمة لفتت إليها أنظار علماء التاريخ والفرق الإسلامية^(١).

مبادئ الخوارج ومعتقداتهم: الخوارج جماعة غلاة، استحلوا دماء المسلمين وأعراضهم، بأدنى فعلة هي كبيرة في نظرهم، وإن كانت صغيرة، إذ لا فرق عندهم بين الذنوب، فكلها عندهم كبائر كما نكرت، وهي في مستوى واحد، وتؤدي إلى نتيجة واحدة، وبهذا فقد قالت الخوارج بما لا يمكن تبريره، وفعلت ما لا يمكن أن يفعله ناشد حقيقة أبدأ، ويذكر العلماء أن الخوارج كانوا يختلفون ويتفرقون لأتفه الأسباب، وحينما جاء نافع بن الأزرق ببعض التفاصيل في المذهب كحكم التقية والقعدة وأطفال المخالفين لهم فزاد الطين بلة والنار اشتعالاً فتفرقوا فرقا كثيرة قد لا يكون ضرورياً عدها هنا فإن بعض تلك الفرق انتهى في وقته، وبعضها اندمج مع الفرق الأخرى، وبعضها رجع عن مقالاته كما فصلته كتب الفرق^(٢).

فرق الخوارج: لم تتفق على تقسيم فرقهم الرئيسية أو الفرعية على عدد معين، فنجد الأشعري مثلاً يعد فرق الخوارج أربع فرق، وغيره يعدها خمسا، وبعضهم يعدها ثمانياً، وبعضهم سبعا، وآخرون خمسا وعشرين، وقد تصل إلى أكثر من ثلاثين فرقة، يقول البغدادي: "وأما الخوارج فإنها لما اختلفت صارت عشرين فرقة وهذه أسماؤها المحكمة الأولى والأزارقة ثم النجدات ثم الصفرية ثم العجاردة وقد افترقت العجاردة فيما بينها فرقا كثيرة منها الخازمية والشيعبية والمعلومية والمجهولية والمعبدية والرشيديية والمكرمية والحمزية والإبراهيمية والواقفة وافتقرت الأباضية منها فرقا حفصية وحارثية ويزيدية واصحاب طاعة لا يزد الله بها واليزيدية منهم انتبأع ابن يزيد بن أنيس ليست من فرق الإسلام لقولها بأن شريعة الإسلام تتسخ في آخر الزمان بنبي يبعث من العجم وكذلك في جملة العجاردة فرقة يقال لها الميمونية ليست من فرق الإسلام لأنها أباحت نكاح بنات البَنَات وَبَنَات البَنِينَ كَمَا أَباحت المَجُوس، اليزيدية والميمونية في جملة الذين انتسبوا إلى الإسلام وما هم

(١) الخلافة وأثرها في نشأة الخوارج ص ٩٥-١٢ باختصار.

(٢) مقالات الأشعري: ١/١٩٨٣، الفرق بين الفرق للبغدادي، ص ٢٤، ٧٢، تاريخ الفرق الإسلامية: علي الغرابي، ص ٢٦٦، ٢٧١، ط/مكتبة الأنجلو

المصرية ١٩٨٥م، الاعتصام لأبي إسحاق الشاطبي، ص ٢/٢١٩، ت: محمد رشيد رضا، ط: دار المعرفة، بيروت ١٤٠٢هـ.

مِنْهُمْ وَلَا مِنْ فِرْقِهِمْ"^(١).

ألقابهم: وقد لُقّب الخوارج بألقاب خمسة عُرفوا بها، وهي: المارقة، والشراة، والخوارج، والحرورية، والمحكمة. ١- **الخوارج:** وسموا بذلك لخروجهم على كل إمام، واعتقادهم أن ذلك فريضة عليهم، لا يسعهم المقام في طاعته، حتى يخرجوا، ويتخذوا لأنفسهم دار هجرة، وحتى يكونوا منابذين لمن خالفهم من المسلمين، حرباً لهم. والمسلمون عندهم كفار مشركون، إلا من وافقهم، وبايعهم، واستجار بهم حتى يسمع كلام الله. ٢- **الحرورية:** وقد لُقّبوا بهذا اللقب، لاجتماعهم بقرية حروراء - موضع بالنهروان - بعد خروجهم على أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام.

٣- **المحكمة:** وسموا بذلك؛ لأنهم لما جرى أمر الحكمين بصفيين، اجتمع قوم من أصحاب أمير المؤمنين علي عليه السلام، وقالوا: لا حكم إلا الله، وأن الله قد حكم في التنزيل وقال: {فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ} (سورة الحجرات: ٩)، وقالوا: إن علينا ترك حكم الله، وحكم الحكمين، فلا حكم إلا الله.

٤- **الشراة:** وسموا شراة، لأنهم قالوا: شربنا أنفسنا من الله، نقاتل في سبيل الله، فنقتل ونقتل، وذهبوا في ذلك إلى قول الله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ} (سورة التوبة: ١١١)، وقوله: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ} (سورة البقرة: ٢٠٧)، وواحد الشراة: شاري. ومعنى شرى نفسه من الله، أي باعها.

٥- **المارقة:** وهو لقب جاء في الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم كما ورد في قصة الرجل الذي حضر قسمة النبي صلى الله عليه وسلم للهدية التي وجهها إليه علي بن أبي طالب عليه السلام من اليمن، إذ قام ذلك الرجل الذي ورد وصفه بأنه مضطرب الخلق، غائر العينين، ناتئ الجبهة، فقال له: لقد رأيت قسمة ما أريد بها وجه الله، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم حتى تورّد خداه، ثم قال: "يأتمني الله على أهل الأرض ولا تأتمنونني"، فقام عمر رضي الله عنه فقال: ألا نقتله يا رسول الله؟ فقال: "إنه يخرج من ضئى هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"^(٢).

(١) البداية والنهاية: لابن كثير: ٢٧٨/٧، ٢٨٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بد الوحي حديث ٣٣٤٤، ومسلم، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٢٤٩٦.

ثانياً: التعريف بتنظيم الدولة الإسلامية في الشام والعراق (داعش) وتأثره بالخوارج القدامى:

إن للنهي عن الابتداع في الدين أسباب عديدة منها: أنها سبب لإدخال أمور في الدين ليست منه، وأن صاحبها لا ينال على إحداثه أجراً من الله تعالى مهما بلغ من المشقة في عمله المبتدع، لأن الله سبحانه وتعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً صواباً، ومن أسباب النهي عنها والتحذير منها: محاصرتها والحد من انتشارها وقطع دابرها، لأنه إن لم تُحاصر وتُكافح فستنتشر وتفرع إلى عدة فروع كما حصل في بعض الجماعات والتنظيمات الإسلامية المنحرفة عن الطريق القويم، كتتنظيم القاعدة الذي تفرعت عنه عدة جماعات وتنظيمات كان منها: "جماعة التوحيد والجهاد" أسسه أبو مصعب الزرقاوي^(٢) ثم تحول اسمها إلى "قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين"، بعد مبايعة الزرقاوي لأسامة بن لادن^(٣) -زعيم تنظيم القاعدة- في ١٥/١١/٢٧هـ الموافق ٨/١/٢٠٠٤م^(٤)، فأصبحت جزءاً أو فرعاً عن القاعدة.

وتطور أمر قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين إذ قرر قائده بعد مقتل أبي مصعب الزرقاوي تكوين الدولة الإسلامية في العراق في ٢٢/٩/٢٧هـ، ١٥ أكتوبر ٢٠٠٦م إثر اجتماع مجموعة من الفصائل المسلحة ضمن معاهدة حلف المطيبين^(٥)، وتم اختيار "أبي عمر البغدادي" زعيماً له، وبعد مقتل أبي عمر البغدادي

(١) الزينة في الكلمات الإسلامية العربية لأبي حاتم الرازي، ط/مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط/ ١٤١٥هـ، والبداية والنهاية: لابن كثير: ٧/ ٢٧٨-٢٨٢،

والإيمان بين السلف والمتكلمين: أحمد بن عطية الغامدي، ص ٧٩، ط: مكتبة العلوم والحكم، ط/ ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢.

(٢) هو أحمد فضيل نزال الخلالبة وكنيته أبو مصعب الزرقاوي كان عضواً في تنظيم القاعدة في العراق، قاد معسكرات تدريب لمسلحين في أفغانستان، اشتهر بعد ذهابه إلى العراق لكونه مسؤولاً عن سلسلة من الهجمات والتفجيرات خلال حرب العراق، أسس ما سمي بتنظيم "التوحيد والجهاد" في التسعينيات والذي ظل زعيمه حتى مقتله في يونيو ٢٠٠٦.

(٣) بيان بيعة جماعة التوحيد والجهاد لتنظيم قاعدة الجهاد، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط <http://www.tawhed.ws/r?i=dwww>

(٤) ماذا تعرف عن الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش"، ص ٢٠. وتنظيم دولة العراق والشام، نشأته وتوثيق لأبرز الانتهاكات، الشبكة السورية لحقوق

الإنسان ص ٢ مجموعة باحثين، وتنظيم الدولة الإسلامية، النشأة والتأثير والمستقبل، مركز الجزيرة للدراسات ص ٣٢-٣٣، ٢٠١٤م

(٥) حلف المطيبين: هو حلف سري عقده مجموعة من المجاهيل ولم يعلم به أهل العراق السنة الذين يعينهم الأمر ولم يعلم به من كان مهتماً بالقتال في العراق،

إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام، عثمان بن عبدالرحمن التميمي، مؤسسة الفرقان للإنتاج والتوزيع، ص ٣١، وقد قال أحد العراقيين المهتمين بأمر القتال في

العراق: " أن أكثر الجماعات الإسلامية الجهادية الكبرى لم تسمع بما أسموه بحلف المطيبين إلا من وسائل الإعلام" الدولة الإسلامية بين الوهم والحقيقة، ص

في يوم الاثنين ٥/٥/١٤٣١هـ، ١٩/٤/٢٠١٠م أصبح أبو بكر البغدادي العراقي زعيماً لهذا التنظيم^(١)، بناء على بيان أصدره ما يسمى: بمجلس شورى دولة العراق الإسلامية، إذ جاء في نص البيان: "وظل مجلس الشورى في حال انعقاد مستمر طيلة الفترة الماضية للقاء وزراء الدولة وولايتها وأهل الحل والعقد وأصحاب الرأي فيها، ونبش أمة الإسلام ونخص منهم طليعتها المجاهدة، وفي مقدمتهم شيوخ الأمة وقادة الجهاد في كل مكان، بأن الكلمة قد اجتمعت على بيعة الشيخ المجاهد أبي بكر البغدادي الحسني القرشي أميراً للمؤمنين بدولة العراق الإسلامية، وكذا على تولية الشيخ المجاهد أبي عبد الله الحسني القرشي وزيراً أولاً ونائباً له"^(٢).

ويهدف تنظيم الدولة كما يزعم قادته وأعضاؤه: "إلى إعادة الخلافة الإسلامية، وتطبيق الشريعة"^(٣) والظاهر للعيان في تلك المدة التي استشرى فيها شر تنظيم الدولة في العراق غلبة الغلو في التكفير على أعلام التنظيم وأفراده، واستباحتهم الدماء والأموال بغير حق، واستهداف كل قوة سنية ترفض الاحتلال الغربي والرافضي، حتى إذا ما خلا الجو للتنظيم، خرج أتباعه إلى الصحراء - صحراء الأنبار - إلا من بعض عمليات تفجير وفوضى واستهداف للأمنين والبنى التحتية، يقومون بها بين الفينة والأخرى، أو عمليات تخريبية تقوم بها جهات استخباراتية ومن ثم تنسب أعمالهم البشعة إلى ذلك التنظيم دون أن يستنكرها أو ينفىها عن نفسه، مما يزيد من الشكوك حول وجود جهات أجنبية عديدة أسهمت في نشوء هذا التنظيم ساعدت على انتشار نفوذه، لقد لعب تنظيم الدولة في العراق دوراً أساسياً في تشييت ما يسمى بالقوى الجهادية وتفكيك تنظيماتها، وكان المصيدة التي استطاعت المخابرات الدولية من خلالها كشف أصحاب الميول الجهادية حول العالم واعتقالهم أو تصفيتهم، وقد شهد بذلك كثير من الذين تم اعتقالهم في

(١) هو إبراهيم عواد إبراهيم علي البدري السامرائي وشهرته أبو بكر البغدادي 28 يونيو ١٩٧١ - 26 أكتوبر 2019 قاد تنظيم القاعدة في العراق والملقب بأمير الجماعات المسلحة التي تسمى بـ "دولة العراق الإسلامية"، قام بإعلان الوحدة بين تلك الجماعات "دولة العراق الإسلامية" المسلحة ومنظمة جبهة نصره أهل الشام في سوريا تحت اسم تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام الذي اشتهر بداعش قتل في غارة جوية أمريكية في ٢٦ أكتوبر ٢٠١٩م، ماذا تعرف عن الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش" ص ١٨.

(٢) أبي همام بكر بن عبدالعزيز الأثري، مد الأيادي لبيعة البغدادي، كتاب على شبكة الانترنت، ص ٦، وفيه كامل نص بيعة المجاهيل المزعومة.

(٣) ماذا تعرف عن الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش" ص ٢٣.

طريقهم إلى العراق، أو بعد انسحابهم من العراق بعد تعرضهم لخيبات متكررة على الجبهات ونيران من الظهر، بل إن بعضهم روى وجود قيادات شيعية من الأحساء السعودية على رأس بعض مفاصل التنظيم^(١).

تأثر فكر تنظيم ما يسمى بتنظيم الدولة الإسلامية بأصول الخوارج المتقدمين: إن المتأمل في آراء الخوارج ومقالاتهم يجد أن فكرهم الباطل يتجدد بين الفينة والأخرى ويظهر في صور متعددة تجمعها أصول الخوارج الأوائل، ويظهر هذا الفكر بحسب وجود الفتن في المجتمع كثرة وقلة منها:

١- الغلو في التكفير، واستحلال الدماء والأعراض المعصومة والأموال المحترمة.

إن مما يدل على استمرار ظهور فكر الخوارج ما جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يخرج من أمتي قوم يسيئون الأعمال، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يحقر أحدكم عمله مع عملهم، يقتلون أهل الإسلام، فإذا خرجوا فاقتلواهم، فطوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه، كلما طلع منهم قرن قطع الله، كلما طلع منهم قرن قطع الله، كلما طلع منهم قرن قطع الله" فردد ذلك رسول الله ﷺ عشرين مرة أو أكثر وأنا أسمع^(٢) فدل هذا الحديث على أن الخوارج لن ينقطع ظهورهم، بل سيظهرون بين الفينة والأخرى، وفي كل ظهور لهم يهيب الله لهم من يبطل حجتهم ويقطع دابرهم، ومن أفكار الخوارج التي تتجدد مع كل ظهور لهم ويبرز معها الشبه بين المتقدمين منهم والمتأخرين: الغلو في التكفير، سواء كان التكفير بالكبائر عند بعضهم، أو التكفير لكل من خالفهم، وتكفيرهم لبعض أهل القبلة بذنب هم يرونه بسبب جهلهم وضلالهم ذنباً وهو في الحقيقة ليس بذنب.

وقال ابن تيمية: "وهم أول من كفر أهل القبلة بالذنوب، بل بما يرونه هم من الذنوب، واستحلوا دماء أهل القبلة بذلك، فكانوا كما نعتهم النبي ﷺ يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، وكفروا علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان ومن والاهما، وقتلوا علي بن أبي طالب مستحليين لقتله، قتله عبد الرحمن بن

(١) علا الشريفي، تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام ماله وما عليه -دراسة تحليلية-، مركز رَشْد للدراسات والتدريب، كتاب على شبكة الانترنت،

٢٠١٤م، ص ١١. مجموع الفتاوى ١٩/ ٨٩.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٨٤/٢ بهذا اللفظ، صححه شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسند ٣٩٨/٩ وقال: حديث صحيح.

مَلْجَم المرادي منهم، وكان هو وغيره من الخوارج مجتهدين في العبادة، لكن كانوا جهالاً فارقوا السنة والجماعة" (١) ومن تأمل تلك النقلات يتبين له اختلاف فرق الخوارج في تحديد الذنب الذي يكفر به صاحبه:

- فمنهم من يكفر كل أصحاب المعاصي.
- ومنهم من يكفر من يكفر من خالف مذهبهم.
- ومنهم من يكفر بعض أهل القبلة بذنب هو يراه كفراً بسبب جهله المركب، والأدهى من ذلك أنهم يرتبون على ذلك التكفير أحكاماً مبتدعة كما نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، وكما هو مشاهد في الوقت الحاضر، وهذا من أعظم الحجج على بطلان مسلكتهم الذي سلكوه وانحرفهم عن النهج القويم والصرط المستقيم، كما قال تعالى: **أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** (النساء: ٨٢) ولقد شابه "تنظيم الدولة الإسلامية" الخوارج المتقدمين في الابتداع في الدين، وأخذ بعضهم عنهم المقولات الباطلة والأفعال الشنيعة، فكفروا أهل الملة، إما بذنوب لا تخرج من الملة، أو بأفعال وأقوال ليست بذنوب، أو لمجرد أنهم مخالفين لمذهبهم، هذا على فرض أنهم سلموا من اختراقات استخباراتية أجنبية تريد بالمسلمين وديارهم الفوضى والدمار، وأشير إلى أن تنظيم الدولة شابه الخوارج الأوائل في قلة التصنيف كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأقوال الخوارج إنما عرفناها من نقل الناس عنهم، ولم نقف لهم على كتاب مصنف" (٢)، فهم مثل أسلافهم لم يؤلفوا إلا كتباً معدودة رجعت إلى بعضها في هذا البحث، وعمدتها كتاب: **إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام**، وكتاب: **مد الأيدي لبيعة البغدادي**، وقد طفحت أوراقهما بالكبر والتعالي وتركية التنظيم والخليفة المزعوم، وقد ركز الكتابان بعد التبجيل والتعظيم للتنظيم على البيعة وأحكامها، وتجنبنا الكلام في العقائد، ولذلك استعنت بكتب من عرف القوم عن قرب في توثيق أفعالهم وأقوالهم التي تشابه أفعال وأقوال الخوارج، إضافة إلى الواقع المشاهد في مقاطع الفيديو التي امتلأت بها مواقع الانترنت إضافة إلى ما تناقله الثقات من العلماء وطلبة العلم عن شناعة أفعالهم

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٨٢/٧.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٩/١٣.

وعظيم إجرامهم، والذي ظهر من خطابه لاتباع "دولة الخلافة" المزعومة، أنهم مغالون في التكفير، فهم يسارعون في تكفير خصومهم، ويكفرون بالظن، ويكفرون الناس بناء على الموقف من تنظيمهم، ويكفرون بما ليس بذنب.

ثم ذكر بعضاً من صور التكفير المعين التي يقوم بها أهل التنظيم فمن ذلك:

- 1- أنهم يرون أن مجرد الجلوس مع الأمريكيين للهدنة ردة.
- 2- يكفرون أي أحد بعينه إذا دخل الانتخابات.
- 3- يكفرون أي قيادي خرج من سجون الغرب ويعدون ذلك ردة عن الإسلام، وحجتهم في ذلك: أنهم لن يخرجوه إلا إذا باع دينه، مع أن خليفتهم البغدادي خرج من سجون الأمريكيين بعد سنتين فقط من احتجازه! وهذا يثير العديد من التساؤلات حول زعيمهم البغدادي.
- 4- تكفيرهم جميع أعيان من ينتسب لبعض الأجهزة الحكومية، كتكفير شرطة المرور.
- 5- يحكمون بالردة على من قال بوجوب قتل القتلة منهم إذا كان القتل عمداً^(١) ويقول أبو عبد الله المنصور: " وكم من مرة نفذ رجال منهم الغدر بمجاهدين وقتلوهم غيلة، وثبت ذلك القتل عليهم بما لا يدع مجالاً للشك، بل اعترفوا هم به، ومع هذا لم يسلموا القتلة للحكم الشرعي، بل كفروا من طالب بالحد الشرعي فيهم"^(٢) وهم بذلك مثل فرق الخوارج الأوائل فعلى حين أنهم يتولون موافقيهم ويعلمون عدم كفرهم، يتشددون على المخالف ويعدونهم كافراً، نجد هذا عند النجدات، حيث أن نجدة بن عامر تولى أصحاب الحدود من موافقيه، وقال: لعل الله يعذبهم في غير نار جهنم ثم يدخلهم الجنة، وزعم أن النار يدخلها من خالفه في دينه، فلم يكفرهم ولم يقم عليهم الحدود"^(٣)، فما أشبه الليلة بالبارحة، إلى غير ذلك من الأفعال الشنيعة والصور المؤلمة من الاستهانة بحقوق المسلمين

(١) الدولة الإسلامية بين الوهم والحقيقة ص ٧٩-٨٩.

(٢) نفس المرجع، ص ٩٠-٩٧.

(٣) مقالات الإسلاميين ١/١٧٥، والفرق بين الفرق، ص ٨٩، والملل والنحل، ١/١١٨، والفصل في الملل والأهواء والنحل ٣/١٢٥.

وحرمتهم، وهذا إن دل فإنما يدل على نفس جاهلة متكبرة متعطرسة هي نفس الخوارج المتقدمين والمتأخرين.

٢- معارضة السنة والخروج عن جماعة المسلمين، وإيجابهم الهجرة إليهم: من أصول الخوارج المتقدمين وتبعهم المعاصرون: الخروج على ولاة أمور المسلمين، وقد دلت السنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ بتحريم الخروج على ولاة أمور المسلمين، وأمرت بالصبر عليهم، قال النبي ﷺ: "إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض"^(١)، وكذلك ثبت عنه في الصحيح أنه قال: "عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أَمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ"^(٢).

وفي الصحيح عن عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومثبطنا ومكرهنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول أو نقوم بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم"^(٣) فقد أمر النبي ﷺ المسلمين بأن يطيعوا ولاة أمورهم، وإن استأثروا عليهم، وأن لا ينازعوهم الأمر، واستقر على ذلك أهل السنة والجماعة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف، وإن كان فيهم ظلم كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي ﷺ لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة فلا يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما، ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته، وكان أفضل المسلمين ينهون عن الخروج والقتال في الفتنة كما كان عبد الله بن عمرو سعيد بن المسيب وعلي بن الحسين وغيرهم ينهون عام الحرة عن الخروج على يزيد، وكما كان الحسن البصري ومجاهد وغيرهما ينهون عن الخروج في فتنة ابن الأشعث"^(٤) وأما الخوارج فإنهم يوجبون الخروج ويسلون السيف على أمة محمد، ففي المقالات لأبي الحسن الأشعري: "ويرون أن الإمامة في قريش وغيرهم إذا كان القائم بها مستحقاً لذلك

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب حتى تلقوني على الحوض حديث ٣٧٩٢، ومسلم، باب إعطاء المؤلفلة قلوبهم حديث ٢٤٩٣.

(٢) رواه مسلم: باب وجوب طاعة الأئمة في غير معصية حديث: ٤٨٦٩.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي حديث: ٧٠٥٦، ومسلم: باب وجوب طاعة الأئمة في غير معصية حديث: ٤٨٧٧.

(٤) منهاج السنة، ٣/٣٩١.

ولا يرون إمامة الجائر وحكي زرقان عن النجدات أنهم يقولون أنهم لا يحتاجون إلى إمام وإنما عليهم أن يعلموا كتاب الله سبحانه فيما بينهم^(١) وقال الأجرى في الشريعة: "والخوارج هم الشراة الأنجاس الأرجاس، ومن كان على مذهبهم من سائر الخوارج يتوارثون هذا المذهب قديماً وحديثاً، ويخرجون على الأئمة والأمراء ويستحلون قتل المسلمين"^(٢) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- عن الخوارج: "ولهم خاصتان مشهورتان فارقوا بهما جماعة المسلمين وأثمهم، أحدهما خروجهم عن السنة، وجعلهم ما ليس بسيئة سيئة، أو ما ليس بحسنة حسنة، وهذا هو الذي أظهوره في وجه النبي ﷺ حيث قال له ذو الخويصرة التميمي اعدل فإنك لم تعدل، حتى قال له النبي ﷺ ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل لقد خبت وخسرت إن لم أعدل"، فقوله: " فإنك لم تعدل" جعل منه لفعل النبي ﷺ سفهاً وترك عدل، وقوله: " اعدل" أمر له بما اعتقده هو حسنةً من القسمة التي لا تصلح، وهذا الوصف تشترك فيه البدع المخالفة للسنة فقائلها لا بد أن يثبت ما نفته السنة وينفى ما أثبتته السنة ويحسن ما قبحته السنة أو يقبح ما حسنت السنة وإلا لم يكن بدعة وهذا القدر قد يقع من بعض أهل العلم خطأً في بعض المسائل لكن أهل البدع يخالفون السنة الظاهرة المعلومة، والصنف الثاني من الخوارج وأهل البدع يكفرون بالذنوب والسيئات ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم وإن دار الإسلام دار حرب ودارهم هي دار الإيمان، فينبغي للمسلم أن يحذر من هذين الأصلين الخبيثين وما يتولد عنهما من بغض المسلمين وذمهم ولعنهم واستحلال دمائهم وأموالهم. وهذان الأصلان هما خلاف السنة والجماعة فمن خالف السنة فيما أتت به أو شرعته فهو مبتدع خارج عن السنة، ومن كفر المسلمين بما رآه ذنباً سواء كان ديناً أو لم يكن ديناً وعاملهم معاملة الكفار فهو مفارق للجماعة وعامة البدع والأهواء إنما تنشأ من هذين الأصلين"^(٣) وتنظيم الدولة الإسلامية سلك مسلك المتقدمين من أربع جهات:

- الأولى: إيجابهم الخروج وخلع الحكام.

(١) مقالات الإسلاميين، ١/١٢٥.

(٢) الشريعة للأجرى، ١/٤١.

(٣) مجموع الفتاوى، ١٩/٧٢.

• الثانية: تكفير الحكام.

• الثالثة: أنهم قصروا الحق على طوائفهم.

• الرابعة: أنهم ألزموا الناس بالهجرة إليهم.

ومن الشواهد على سلوك تنظيم الدولة مسلك الخوارج المتقدمين: ما قرره خليفتهم -المزعوم- أبو بكر البغدادي في خطبته التي تناقلتها وسائل الإعلام إذ قال: "أيها المسلمون في كل مكان، أبشروا وأمنوا خيراً، وارفعوا رؤوسكم عالياً، فإن لكم اليوم بفضل الله دولة وخلافة، تعيد كرامتكم وعزتكم، وتسترجع حقوقكم وسيادتكم..... وأضاف: "نخص بدعوتنا طلبة العلم والعلماء والفقهاء وعلى رأسهم القضاة، وأصحاب الكفاءات العسكرية والإدارية والخدمية والأطباء والمهندسين في كافة التخصصات والمجالات، ونستفهمهم، وأضاف البغدادي: "اسمعي يا أمة الإسلام، اسمعي وعي وقومي وانهضي، فقد آن لك أن تتحرري من قيود الضعف وقومي في وجه الطغيان على الحكام الخونة عملاء الصليبيين والملحدين وحماة اليهود، يا أمة الإسلام لقد بات العالم اليوم في فسطاطين اثنين، وخندقين اثنين، ليس لهما ثالث، فسطاط إسلام وإيمان، وفسطاط كفر ونفاق، فسطاط المسلمين والمجاهدين في كل مكان، وفسطاط اليهود والصليبيين وحلفائهم ومعهم باقي أمم الكفر وملله تقودهم أمريكا وروسيا وتحركهم اليهود، يا جنود الدولة الإسلامية لا تهولنكم كثرة أعدائكم فإن الله معكم، وإنني لا أخشى عليكم عدواً من غيركم، ولا أخشى عليكم حاجة أو فقراً، فإن الله ضمن لنبيكم ﷺ أن لا يهلككم بسنة أو يسلط عليكم عدواً يستبيح بيضتكم، وجعل رزقكم تحت ظل رماحكم، السلاح السلاح يا جنود الدولة، وإن إخوانكم في كل بقاع الأرض ينتظرون انقاذكم ويرقبون طلائعكم... فوالله لنتأرن، والله لنتأرن ولو بعد حين، ولنرد الصاع صاعات والمكيال مكيال" (1) فالبغدادي في خطبته الشهيرة دعا جميع المسلمين إلى تأييد دولة الخلافة المزعومة، ما يعني لزوم خلع كل بيعة في أعناقهم وإن كانت بيعة صحيحة، ودعا عامة المسلمين إلى الفرار بدينهم والهجرة إلى دولته المزعومة، بل أوجبها عليهم، واشتملت خطبته على تزكية لنفسه ولتنظيمه، وادعى في خطبته أن المسلمين في عدد من الدول يستجدون بهم وينتظرون انقاذهم من انتهاك الأعراض وإراقة الدماء، وإن جيوش جميع الدول جيوش

(1) موقع cnn العربية على الرابط: <http://arabic.cnn.com/middleeast/2014/07/01/baghdadi-speech-isis>.

كفر وردة ويجب قتالها، وكفر حكامها.^(١) وقال أسامة بن لادن في كلمة وجهها إلى أهل العراق عام ٢٠١٤ هـ: "إن الحكام الذين يريدون حل قضايانا ومن أهمها القضية الفلسطينية عبر الأمم المتحدة أو عبر أوامر الولايات المتحدة، قد خانوا الله ورسوله وخرجوا من الملة وخانوا الأمة". وقال أيضاً: "كما نؤكد على الصادقين من المسلمين أنه يجب عليهم أن يتحركوا ويحرضوا ويجيشوا الأمة في مثل هذه الأحداث العظام، والأجواء الساخنة، لتحرر من عبودية هذه الأنظمة الحاكمة الظالمة المرتدة المستعبدة من أمريكا، وليقيموا حكم الله في الأرض"، استعدوا للجهاد"، ولا شك أن تحرير جزيرة العرب من المشركين هو كذلك فرض عين"^(٢) فهذه دعوات صريحة من قادة التنظيم ومن شيوخهم توافق ما عليه الخوارج المتقدمون من الدعوة إلى الخروج وخلع البيعة وشق العصا، والدعوة إلى سل السيف.

مخالفات تنظيم الدولة الإسلامية: إن تنظيم الدولة قد وقع في العديد من المخالفات -وهي منشورة من أقوالهم، ومتواترة من أفعالهم- التي تقتضي الحكم عليهم بأنهم خوارج منحرفون عن المنهج النبوي، وهي:

- ١- الحكم على بلاد المسلمين بأنها بلاد كفر وردة، وإيجاب الهجرة منها إلى مناطق سيطرتهم ونفوذهم.
- ٢- الحكم على من خالفهم بالكفر والردة، ووصفهم بالصحات، ورميهم بالخيانة والعمالة للكفار، بالشبه، وبما ليس كفرًا أصلاً، كالتعامل مع الحكومات والأنظمة الأخرى واللقاء بمسؤوليها.
- ٣- استحلالهم قتال من خالفهم في منهجهم، أو رفض الخضوع لدولتهم الموهومة، فأعملوا في المسلمين خطفًا، وغدرًا، وسجنًا، وقتلاً، وتعذيبًا، وأرسلوا مفخخاتهم لمقرات المجاهدين، فقتلوا من رؤوس المجاهدين، والدعاة، والإعلاميين، والنشطاء ما لم يستطع النظامان الطائفيان في العراق وسوريا فعله، وقاتلوا المسلمين بما لم يقاتلوا به الأعداء وجميع ذلك يصدق قول الرسول ﷺ "يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ"
- ٤- استحلال أخذ أموال المسلمين بحجة قتال الجماعات المنحرفة، ومصادرتها دون وجه حق، واحتكار موارد الدخل العامة من آبار نفط وصوامع غلال وغيرها، والتصرف فيها كتصرف الحاكم المتمكن.

(١) إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام، ص ٨٣ <https://www.youtube.com/watch?v=zBtxTO2Ivok> K

(٢) إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام، ص ٨٤-١٠٢.

٥- الخروج عن جماعة المسلمين، وحصر الحق في منهجهم، والحكم على جميع من يخالفهم في الفكر أو المشروع بالعداء للدين، وآخر ذلك ادعاؤهم للخلافة، وإيجاب بيعتهم على جميع المسلمين.

٦- ليس فيهم علماء معروفون مشهود لهم عند المسلمين، كما قال ابن عباس رضي الله عنه لأسلافهم من الخوارج: " أُنْتِكُمْ من عندِ صحَابَةِ النَّبِيِّ عليه الصلاة والسلام، مِنَ المهاجِرِينَ والأنصارِ وفيهم أنزل، وَلَيْسَ فيكُمْ منهم أحدٌ"^(١) فغالبيتهم من صغار السن الذين تغلب عليهم الخفة والاستعجال والحماص، وقصر النظر والإدراك، مع ضيق الأفق وعدم البصيرة، فهم كما قال عنهم النبي ﷺ: " حُدْنَا الأَسْنَانِ، سَفَهَاءُ الأَحْلَامِ".

٧- وجميع ذلك يدفعهم إلى الغرور والتعالي على المسلمين، فقد زعموا أنهم وحدهم المجاهدون في سبيل الله، والعارفون لسنن الله في الجهاد، لذا فإنهم يكثرون من التفاخر بما قدموه وما فعلوه!! قال ﷺ في الخوارج: " إِنَّ فيكُمْ قَوْمًا يَعْبُدُونَ وَيَدَّابُونَ، حَتَّى يُعْجَبَ بِهِمُ النَّاسُ، وَتُعْجِبَهُمْ نَفْسُهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ"^(٢).

٨- كما أنهم ناصروا النصيريين ضد المجاهدين في القتال والحصار، وأظهروا الفرح بانكسار المجاهدين أمامهم، واستيلائه على مقراتهم، حتى لم يعد بعيداً ما يظن من دخول أعداء الإسلام واستخبارات بعض الدول في صفوفهم، يضررون بهم المجاهدين ويحققون ما عجزوا عن تحقيقه بالحرب المباشرة، فاجتمع في تنظيم الدولة من الشر ما لم يجتمع في غيره من الخوارج من قبل من الاجتماع على الباطل، والامتناع من الانقياد للحق والمحاكم الشرعية، والكذب، والغدر، والخيانة، ونقض العهود، وممالة أعداء الإسلام، حتى صاروا أخطر على المسلمين والمجاهدين من النظام النصيري الطائفي، وفاقوا الخوارج الأولين شرًا وسوءًا وانحرافًا"^(٣).

المبحث الثاني: شبهات الخوارج المعاصرين والجماعات التكفيرية وتفنيدها.

مقدمة

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب قتال أهل البغي ٢٦٥٦.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ١٨٣/٣، مسند أنس بن مالك ﷺ حديث: ١٢٩٠٩.

(٣) هل تنظيم "الدولة الإسلامية" من الخوارج، موقع هيئة الشام الإسلامية على شبكة الإنترنت. islamicsham.org/fatawa/1945

منذ أن ظهرت بعض التنظيمات ذات الفكر الغالي وعلى رأسها تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام - والمشهور باسم داعش - على الساحة العراقية ثم السورية وهي تعد إلى بث الشبه والمغالطات التي تدعم أفكارها وآراءها المتشددة، وتحاول بها تضليل الناس وخداعهم، والتشكيك والطمع في المخالفين، ويشترك معهم في ذلك عدد من المناصرين لهم والمدافعين عنهم، ونظرًا لما تحمله هذه الشبه من خطورة في تلبس الحق بالباطل، وتغيير المسلمين بزائف القول والمعتقد، وحرف الأحكام الشرعية عن حقيقتها، وما يترتب على ذلك من تكفير المسلمين، واستحلال دماءهم وأموالهم، وإثارة الفتنة ونشر الشبهة والبدعة؛ كان لزامًا على حَمَلَة العلم بيان الصحيح في هذه المسائل، والرّد على أهل البدع والشبهات، ونظرًا لامتداد فكر الخوارج القدامى وتأثيره في الخوارج المعاصرين تعين ذكر بعض شبهاتهم حتى يحذرها المسلمون خاصة الشباب وعوام الناس، من هذه الشبه:

الشبهة الأولى: تنظيم الدولة ليسوا بخوارج وهم لا يكفرون بالكبائر كما فعل الخوارج الأوائل.

تقول الشبهة: كيف تحكمون على تنظيم الدولة أنّهم خوارج، ومعروف أنّ الخوارج هم من خرج على الإمام المسلم، ومن كفر بالكبيرة، وتنظيم الدولة لم يخرجوا على حاكم مسلم، ولا يقولون بكفر مرتكب الكبيرة! الإجابة عن الشبهة:

أولاً: الضابط المُعتبر، والقول الفصل في تعريف الخوارج وإلحاق هذا الوصف بطائفة أو فرقة من الفرق هو ما ورد في النصوص الشرعية، وقد فصلت السنة النبوية في صفات الخوارج ما لم تُفصله في أيّ فرقة أخرى؛ لعظيم خطرهم، وسرعة الاغترار بهم، ومن أهمها: التكفير، واستباحة الدماء، وسوء الفهم لنصوص القرآن والسنة، والطيش والسّفه، وحادثة السن، مع الغرور والتعالي.

ثانيًا: ما ذكره كثير من العلماء من أن مذهب الخوارج (تكفير مرتكب الكبيرة)، ليس وصفًا جامعًا لكل الخوارج، وليس شرطًا للوصف بالخروج، بل يدخل في الخوارج كل من يكفر المسلمين بغير حق، ويستحل دماءهم ولو لم يعتقد كفر مرتكب الكبائر، فالذي جاء في الوصف النبوي أنهم يقتلون أهل الإسلام، وذكر أهل العلم أن سبب هذا القتل هو: أنّهم يحكمون بالكفر والرّدة على مخالفهم بغير حق، قال القرطبي رحمه الله: وذلك أنهم لما

حكّموا بكفر مَنْ خرجوا عليه من المسلمين، استباحوا دماءهم^(١)، وقال ابن البر رحمه الله: وهم قوم استحلّوا بما تأوّلوا من كتاب الله عز وجل: دماء المسلمين، وكفروهم بالذنوب، وحملوا عليهم السيف^(٢)، والخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والصحابّة ﷺ لم يكونوا ممن يعتقد القول بكفر مرتكب الكبائر كالزنا والسرقّة وشرب الخمر، وإنّما كفّروا الصحابة بقبول التّحكيم، مع أنه ليس بذنّب أصلاً، فكفّروا عليّاً ومعاوية والحكّمين ﷺ أجمعين، ومَنْ رضي معهم بالتّحكيم، واستحلوا دماءهم، فحكم عليهم الصّحابة بأنهم الخوارج الذين أخبر عنهم النبي ﷺ لفعلهم هذا، قال أبو الحسن الأشعري- رحمه الله -مبيّناً عقيدة الخوارج: "وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر، إلا النجّدات فإنها لا تقول بذلك"^(٣).

فالوصف الجامع للخوارج هو تكفير المسلمين بغير حق واستحلال دمائهم بذلك، وهذا التكفير له صور كثيرة: كتكفير مرتكب الكبيرة أو بمطلق الذنوب، أو التكفير بما ليس بذنّب أصلاً، أو التكفير بالظن والشبهات والأمور المحتملة، أو بالأمور التي يسوغ فيها الخاف والاجتهاد، أو دون التّحقّق من توفر الشروط وانتفاء الموانع^(٤).

ثالثاً: كذلك لم يرد في النصوص الشرعية ما يدل على اشتراط الخروج على الإمام المسلم للوصف بالخروج، بل كل من كان على معتقدهم ومنهجهم فهو من الخوارج سواء خرج على الإمام أم لم يخرج، والخروج على الأئمة عند الخوارج نتج عن التكفير بغير حق واستباحة دماء المسلمين، فإن وجد الخوارج الإمام خرجوا عليه واستباحوا الدماء والأموال، وإن لم يجدوا الإمام استباحوا دماء عامة المسلمين وخيارهم من المجاهدين والعلماء والدعاة فتسميتهم بالخوارج إنّما هي لخروجهم عن أحكام الدين ومفارقتهم جماعة المسلمين، كما قال ﷺ: "سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحَدَاتُ الْأُسْتَنَانِ، سَفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ النَّبِيِّ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِينَهُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٨٤/٩.

(٢) الاستدكار لابن عبد البر. ٤٩٩/٢.

(٣) مقالات الإسلاميين ٨٦/١.

(٤) بل إنّ من الخوارج فرقة معروفة باسم القعدّة أو القعدية لعودهم عن القتال، وفي تهذيب التهذيب: "والقعدّة الخوارج كانوا لا يرون بالحرب، بل ينكرون على أمراء الجور حسب الطاقة، فقد سماهم أهل العلم خوارج وعدّوهم من فرقهم، مع أنهم لم يكونوا يباشرون القتال، ولم يخرجوا على الحاكم، بل عدّهم عدد من أهل العلم من أحببت الخوارج؛ لما يقومون به من نشر الفتنة والتلبّيس على عامة الناس، روى أبو داود في مسائل الإمام أحمد عن عبّده الله بن محمّد أنّه قال: قَعْدُ الْخَوَارِجِ هُمْ أَحَبُّ الْخَوَارِجِ 362/1.

عَنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: سُموا بذلك لخروجهم عن الدين، وخروجهم على خيار المسلمين، وقال النووي رحمه الله: "وسموا خوارج؛ لخروجهم على الجماعة، وقيل: لخروجهم عن طريق الجماعة، وقيل: لقوله ﷺ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِيِّ هَذَا"^(٢).

فسبب إطلاق وصف الخروج على جماعة ليس مقصوراً على الخروج على الحاكم المسلم فقط، بل على الخروج عن طرق جماعة المسلمين، وهو ما يقوم به "تنظيم الدولة الإسلامية" اليوم.

قال ابن تيمية رحمه الله: "وليس لأحد أن يُكْفَرَ أحداً من المسلمين حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة"^(٣).

فلا بد من التثبت والتقدير بشروط التكفير وموانعه من الجهل والإكراه والخطأ والعجز والتأويل.

والخوارج المعاصرون من قادة وأتباع" تنظم الدولة الإسلامية" إذا كفر عندهم الحاكم كفروا أعيان كل من عمل معه ممن يستحق التكفير وممن لا يستحق، دون ملاحظة التفريق بين الكفر المطلق وكفر المعين، ودون ملاحظة موانع التكفير أبداً، وبما أن التكفير عند هؤلاء لا ضابط له، فقد يتوسعون فيكفرون أي موظف في الدولة، وقد يكفرون كل أفراد المجتمع، لأنهم راضون، بدليل سكوتهم، ولازم السكوت الرضا، وهذا دأب غلاة الخوارج في تكفير المسلمين بإلزامهم مقالات لم يقولوا بها، ومن ثمّ الحكم بتكفيرهم بناء عليها، وهذا من جملة الظلم والعدوان الذي ينتهجونه"^(٤) ومن أمثلة وقوع الخوارج المعاصرين في التكفير باللازم: تكفيرهم من لمن يكفر الكافر -بزعمهم- ومن شك في كفره، وهكذا في سلسلة من اللوازم، مع أن كثيراً من كفروهم ليسوا بكفار، إنما حُكّم عليهم بالردة إما لكونهم أذنبوا ذنباً يعدونها كفراً أو فعلوا أفعالاً مباحة عدوها هم كفراً أو لأن المخالف ليس من جماعتهم وتنظيمهم، ومن أعاجيبهم: أنهم كفروا بعضاً ممن خرج من السجون الأمريكية في العراق، معللين ذلك بأنهم ما خرجوا دون أن يبيعوا دينهم ويوالوا الأمريكيين

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي حديث: ٣٦١١، ومسلم: باب التحريض على قتل الخوارج حديث: ٢٥١١.

(٢) فتح الباري ٢٨٣/١٢، شرح النووي ١٦٤/ 7 ومعنى يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِيِّ: يخرج من أصله ونسبه.

(٣) مجموع الفتاوى ٤٦٦/١٢.

(٤) تأثر الخوارج المعاصرين بأصول الخوارج المتقدمين، ص ٢٧.

سراً^(١) وحُكْمنا على تنظيم الدولة بأنه من الخوارج، لا يعني بالضرورة الحكم على كل فرد من أفرادها بذلك؛ إذ قد يكون فيهم من هو جاهل بحقيقة أقوالهم وحالهم، أو مغرر به، إلا أنهم جميعاً من حيث حكم التعامل معهم سواء، فعلياً دفع شرورهم، وحسابهم على الله تعالى^(٢) والخلاصة: أنه يصدق على تنظيم الدولة أنهم خوارج؛ لخروجهم عن العقيدة الصحيحة، وجماعة المسلمين، واستباحتهم دمائهم بالباطل.

الشبهة الثانية: اجتهاد أفراد تنظيم الدولة في العبادة وجهادهم دليل على صحة منهجهم

تقول الشبهة: كيف تصفون تنظيم الدولة بالخوارج، ونحن نرى منهم اجتهاداً في العبادة، وحرصاً على الالتزام بها؟ فلا يوجد بينهم مدخنون، أو من يترك الصلاة، ونرى منهم شدة في القتال وبذل النفس في العمليات الاستشهادية، وهذه العبادة لا تصدر إلا عن تقوى، بل إننا نرى العديد منهم يتعامل مع الناس بحسن الخلق.....، وهذا يدل على صحة المنهج وللإجابة عن هذه الشبهة نقول:

أولاً: على فرض وجود نوع من الالتزام ببعض جوانب الدين، كالحلية، أو أداء الصلوات، وترك التدخين بن عناصر تنظيم الدولة فالتزامه لنفسه وهذا لا يعني التزام التنظيم وانضباطه العام بالدين؛ فإنَّ التنظيم قد وقع في أمور عظيمة وخطيرة، كفساد المعتقد والمنهج، وتكفير المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم، والكذب والغدر والخيانة، والطعن في أهل العلم وتخوينهم فهذا الالتزام الظاهري بالدين، وفي بعض الجوانب لا كلها، في مقابل تضييع جوانب أخرى أهم وأعظم ليس من الالتزام الصحيح، فكيف وكثير ممن عامل جنود التنظيم لم ير فيهم هذا الادعاء المزعوم من الالتزام والقوة في العبادة؟

ثانياً: إذا كان هذا التدين لا ينهي عن الابتداع في الدين، واستحلال دماء المسلمين، وأموالهم، والغدر والكذب، وسوء الخلق، فلا عبرة به، ولا يعني صحة المنهج، أو سلامة العقيدة، فقد يجتمع مع العبادة انحراف وبدعة، بل هذا ما عُرف به الخوارج طوال تاريخهم، فقد أخبرنا رسول الله ﷺ عن اجتهاد الخوارج في العبادة حتى لا نغترَّ بهم فقال مخاطباً الصحابة ﷺ وهم من هم في العبادة والالتزام بالدين والفضل: "يَحْقِرُ أَحَدَكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ

(١) الدولة الإسلامية بين الوهم والحقيقة، ص ٧.

(٢) ينظر فتوى: هل تنظيم الدولة الإسلامية من الخوارج؟ http://islamicsham.org/fatawa/1945.

صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ"^(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: كَانَ يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَاءُ لَشِدَّةِ اجْتِهَادِهِمْ فِي التَّلَاوَةِ وَالْعِبَادَةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَأَوَّلُونَ الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ الْمُرَادِ مِنْهُ، وَيَسْتَبْدُونَ بِرَأْيِهِمْ، وَيَتَنَطَّعُونَ فِي الزُّهْدِ وَالخُشُوعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. ^(٢) كذلك لا يُعَدُّ مجرد بذل النفس في المعارك، والقيام بالعمليات الفدائية، دليلاً على التدين أو صحة المنهج، فقد عُرف الخوارج طيلة تاريخهم بالجرأة والعنف في القتال، وقد استماتوا في معركة النهروان ضد جيش علي بن أبي طالب حتى لم ينجُ منهم إلا عشرة نفر! ثم كان لهم مع الدولة الأموية صولات وجولات، حتى سارت بشدتهم وقسوتهم في المعارك الركبان، بل إنَّ هذا الإقدام والشدة قد يصدر من المنحرفين، بل من غير المسلمين؛ فقد عُرف في التاريخ الكثير من حوادث من الشدة والثبات، وبذل النفوس من غير المسلمين الشيء الكثير، قديماً وحديثاً، كما عُرف بذلك الإسماعيلية الحشاشون قديماً، والعديد من المنظمات الشيوعية المناهضة لاحتلال اليهود لفلسطين، فبذلهم وتضحيتهم وثباتهم لا يساوي شيئاً في ميزان الشرع والحق ما داموا غير مسلمين. مما يدل على أنَّ القوة والجرأة والبأس والتضحية بالنفس لا تدل وحدها على قبول العمل أو صحة المنهج.

ثالثاً: من الخطأ اعتبار مجرد المناداة بتطبيق الشريعة أو محاربة الطواغيت، أو رفع شعارات إسلامية دلالةً على التدين، أو صحة المنهج والسلامة من الانحراف، فحُسن الكلام والشعارات يُحسنها كل أحد، بل كثيراً ما تغنى بها سيئ المعتمد والنية، قال ﷺ: "إِنَّ أَحْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلِّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ"^(٣). ومن علامات آخر الزمان كثرة من يدعي خاف ما هو عليه، قال ﷺ: "سَبَّأَتِي عَلَى النَّاسِ سِنَوَاتٌ خَدَاعَاتٌ، يَصْدُقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيَكْذِبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ"^(٤) وقد أخبرنا ﷺ أنَّ الخوارج يحسنون القول ويظهرون الدعوة للحق، على الرغم من انحراف منهجهم والابتداع في معتقدهم وقد اجتمع رؤوس الخوارج في عهد علي بن أبي طالب، وتعاهدوا على حكم القرآن، وطلب الحق وإنكار الظلم، وجهاد الظالمين وعدم الركون إلى الدنيا، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قاموا إلى قتال الصحابة ﷺ

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، حديث: ٣٦١٠، ومسلم: باب ذكر الخوارج وصفاتهم، حديث: ٢٥٠٥.

(٢) فتح الباري ١٢/٢٩٨.

(٣) أخرجه أحمد: مسند عمر بن الخطاب ﷺ ٢٢/١، حديث: ١٤٣.

(٤) سنن ابن ماجه كتاب الفتن ١٦٢/٥، حديث: ٤٠٣٦.

وعن ابن أبي نُعَيْمٍ، قَالَ: كنت شاهداً لابن عمر، وسأله رجل عن دم البعوض، فقال: ممن أنت؟ فقال: من أهل العراق، قال: انظروا إلى هذا! يسألني عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن النبي ﷺ يعني الحسن بن علي رضي الله عنهما (١) وبهذا يتبين أن مجرد إعلان الأقوال الحسنة، والتغني بها، ورفع الشعارات، وإظهار الحرص على أمور الدين، لا يدل بالضرورة على صدق قائلها، أو صحة منهجه.

رابعاً: أما ما قيل عن حُسن خُلق أفراد تنظيم الدولة:

1- فإنه ليس بصحيح، ووجود أفرادٍ من التنظيم ممن يتمتع بحسن الخلق هو من القليل أو النادر، والحكم للأغلب الأعم.

2- قام الدليل من الواقع على خلاف هذا الزعم، فالتكبر على الناس، وازدراؤهم، وإظهار جهلهم، والسخرية بهم لذلك - وغير ذلك من التصرفات - دليل على سوء خلق قاداتهم وعامتهم.

3- بل وقع من أفراد هذا التنظيم ما هو أشد من ذلك وأفظع: من اعتقالات، وتعذيب، وقتل لكل من طالته أيديهم من الثوار، بتهمة متعددة ومتنوعة، مدارها على التخوين، والحكم بالردة، حتى وصل عدد من قتل على أيديهم قرابة خمسة آلاف شخص بن مجاهد ومن عامة الناس! وقد رافقت عمليات القتل الموثقة - بالشهود وتسجيلات الفيديو - السباب والشتم، والمشاهد الوحشية، والتمثيل بالجثث، والعبث بها بما تشمئز منه النفوس السوية، فماذا يساوي التعامل مع عموم الناس بالحسنى - على فرض وقوعه - إذا كانوا يعاملون خيرة الناس من المجاهدين والدعاة بالتكفير والقتل؟

4- خضوع غالبية الناس لهم، وعدم مخالفتهم، سببه الخوف منهم وانقاء شرهم، وليس رغبة أو رضاً بهم أو بمنهجهم، تماماً كما كانوا يخضعون للطغاة بسبب الخشية من بطشهم، ولا يدل هذا الخضوع على صحة منهج هؤلاء الطغاة أو سامة تصرفاتهم، أو حُسن أخلاقهم، وليس في ذلك مدح لهم أو ثناء عليهم، قال ﷺ: "إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ انْقَاءً شَرَّهُ" (٢).

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب رحمة الولد وتقبيله حديث: ٥٩٩٤.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، حديث: ٦٠٣٢.

5- إن كان حُسن الخُلُق وحُسن التعامل دليلاً على صحة المنهج: ففي الكفار من هو حَسَنُ الخُلُق، حسن المعاملة، بل إن الدول الغربية أصبحت محل لجوء عددٍ من المسلمين في العقود السابقة لما يجدونه فيها من حسن معاملة وعدالة يفتقدونها في البلاد الإسلامية الرازحة تحت الطغيان وقد كان بعض عناصر النظام قبل الثورة بل وبعدها طيبي المعاملة، فهل يدل هذا على صحة منهجهم أيضاً؟ والخلاصة: أن أتباع تنظيم الدولة لم يُعرفوا بمزيد عبادة أو طاعةٍ عن غيرهم، بل إنهم قد وقعوا في الانحراف في العقيدة، وارتكاب الكبائر، والإجرام بحق المسلمين ما لم يقع فيه غيرهم، ولو كان بعضهم من العباد الطائعين: فإنَّ الاجتهاد في الطاعة لا يدلُّ على صحة المنهج أو سامة الاعتقاد^(١).

الشبهة الثالثة: وجود المهاجرين في صفوف تنظيم الدولة دلالة على صحة المنهج

تقول الشبهة: المهاجرون تركوا ديارهم وأهلهم هجرةً وجهاداً في سبيل الله، وهذا يدل على أنهم على الحق والمنهج الصحيح، وهم موجودون في تنظيم الدولة، مما يدل على صحة منهج التنظيم الإجابة عن هذه الشبهة: أولاً: تسمية القادمين إلى تنظيم الدولة بالمهاجرين غير صحيح، فالمهاجر هو من انتقل من بلاد الشرك والكفر إلى باد الإسلام فأراً بدينه، وهؤلاء لا ينطبق عليهم هذا الوصف. فغالبية هؤلاء جاؤوا من بادٍ إسلامية لا كافرة، ومن جاء منهم من بلاد غير إسلامية لم يخرج منها فراراً بدينه، ولا هرباً من اضطهادٍ أو مضايقة، بل كان يعيش فيها آمناً مطمئناً قبل انتقاله. وحتى لو كانوا مهاجرين حقيقة؛ فليس لمجرد هجرتهم أثر في الترجيح بن الحق والباطل؛ إذ ليس في مصطلح الهجرة دلالة على صحة المنهج بمجرد إطلاقه!

ثانياً: ظهر في كلام تنظيم الدولة غلو في فهم نصوص الهجرة وتطبيقها، ومن ذلك: تنزيل النصوص الشرعية الواردة في الصحابة المهاجرين على من التحق بالتنظيم، قال العدناني في كلمته عن المهاجرين: يا مَنْ يبغي الرشاد: لقد قال نبيك ﷺ عليك بالشام فإنها خيرٌ اللهُ من أرضه، يجتبي إليها خيرته من خلقه فانظر إلى المهاجرين في أرض الشام في أيِّ صفٍّ هم اليوم؟... لو ذوا بالمهاجرين فإنَّ الله ضامنٌ لهم لو ذوا بالمهاجرين

(١) فالاجتهاد في العبادة والعمل لم ينفرد به الخوارج، بل عُرف به غير المسلمين كذلك، كعُبَّاد الهندوس، والسيخ، والبوذيين، ووهبان النصارى، وغيرهم، لكنه لا يفيدهم يوم القيامة؛ إذ لا بد لصحة العمل وقبوله من شرطين: الإخلاص لله تعالى، والمتابعة، أي أن يكون العمل على وفق شرع الله. قال الفضيل بن عياض - رحمه الله - في قوله تعالى: {يُيَسِّرُكُمُ اللَّهُ لِكُلِّ حَسَنٍ عَمَلٍ} (الملك: ٢) حلية الأولياء، لأبي نعيم 95/ 8 وتراجع أقوال أهل العلم في تفسير الآيات القرآنية: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} (الفاتحة: ٧).

وأوهم وانصروهم، فإن الله لن يضلهم. لودوا بالمهاجرين فإنّ الجهاد لا يقوم إلا بالمهاجرين والأنصار ..، وفي هذا الكلام انحرافاً في فهم هذه النصوص الشرعية من وجوه:

١- أنّ تنزيل النصوص الشرعية الواردة في مهاجري الصحابة على من أطلقوا عليهم أنهم مهاجرون، ثم تنزيل ما ورد في الصحابة من أحكام وفضائل على مهاجريهم، والاستدلال بتلك الفضائل على صحة منهجهم كما كان منهج الصحابة صحيحاً، فهو أمر واضح الفساد والبطان.

٥- كذلك ادعاء أن الجهاد لا يقوم إلا بالمهاجرين والأنصار فهو ادعاء باطل، لا أساس له في الشرع، بل إنّ جهاد الدفع - وهو الجهاد الواجب حن وصول الكفار على باد المسلمين - يجب على أهل تلك البلاد، ولا يجب على أهل الباد الأخرى إلا إن احتيج إليهم. نقل ابن عابدين - رحمه الله - في حاشيته: " أنّ الجهاد إذا جاء النفير إنما يصير فرض عين على من يقرب من العدو، فأما من وراءهم يبعد من العدو فهو فرض كفاية عليهم، حتى يسعهم تركه إذا لم يحتج إليهم، فإن احتيج إليهم بأن عجز من كان يقرب من العدو عن المقاومة مع العدو، أو لم يعجزوا عنها، لكنهم تكاسلوا ولم يجاهدوا فإنه يفترض على من يليهم فرض عين" (١).

وقال النووي رحمه الله: " الجهاد اليوم فرض كفاية، إلا أن ينزل الكفار ببلاد المسلمين، فينتعين عليهم الجهاد، فإن لم يكن في أهل ذلك البلد كفاية، وجب على من يليهم تنميم الكفاية" (٢) والخاصة: أنّ من جاء منضمّاً إلى تنظيم الدولة أو إلى أي فصيل آخر بهدف الجهاد في سبيل الله، فلا تصح تسميته بالمهاجر، ولو صحت التسمية لغوياً لما كان لمجرد هجرته أثر في صحة المنهج وسلامة العمل.

الشبهة الرابعة: تنظيم الدولة يحارب الأعداء ويحقق الانتصارات!

تقول الشبهة: تنظيم الدولة يحارب الرافضة والنصيرين، وله في ذلك إنجازات كبيرة لا تنكر، فهو الذي قضم النصيرية وأنزل بها الهزائم، ومن أهمها تحرير المطارات الثلاثة في الرقة، فكيف تقولون إنه يقتل أهل الإسلام فقط وتستدلون بحديث (يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْتَانِ)؟ وهم لم يتركوا قتال الرافضة والنصيرية؟ ثم ألا تدل تلك الانتصارات على أنهم مجاهدون صادقون؟ الإجابة عن هذه الشبهة:

(١) حاشية ابن عابدين 4/ 124.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي 9/ 13.

أولاً: أصل الشبهة هو الخطأ في فهم قول النبي ﷺ: "يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ" حيث فهمها البعض أنهم يتركون قتال غير المسلمين نهائياً، وليس ذلك بصحيح شرعاً، ولا واقعاً، فالخوارج يقاتلون المسلمين والكفار على حد سواء، وَيَسْتَحِلُّونَ من قتال المسلمين ما يستحلون من قتال الكفار، ويعُدُّون ذلك من الجهاد، بل يعدُّون قتال المسلمين أولى؛ لأنَّهم يحكمون عليهم بالكفر والرَّدة، وأما واقعاً: فإنَّ الخوارج على مرِّ التاريخ كانوا يقاتلون المسلمين والكفار، لكن قتالهم للمسلمين أكثر، وأشدُّ نكاية، وأعظم ضرراً، ونابع من عقيدة غالية تكفيرية.

ثم إنَّ في قوله ﷺ يَقْتُلُونَ إشارةً إلى غدرهم بالمسلمين، وتسَلُّطهم عليهم؛ لقريهم منهم، ومخالطتهم لهم، فلربَّما أمَّتهم المسلمون، أو اغتروا بحالهم فانقلبوا عليهم. والتاريخ يشهد على مرِّ العصور أنَّ الخوارج كانوا يتسلَّطون على المسلمين، فيقتلونهم دون تحرُّج أو إعدار، كما فعلوا مع عبد الله بن خَبَّاب بن الأرت، وزوجه وولده، ويُسامون أهل الكتاب، ويراعون فيهم ذمة الله ووصية رسوله ﷺ⁽¹⁾ ويعتمد تنظيم الدولة على تضخيم وجوده، وأعماله، ومنجزاته، والتهويل منها، من خلال أعمال إعلامية احترافية، تقوم على عدة مرتكزات نفسية، تخاطب العاطفة من خال التركيز على القدرة على تحويل حلم الدولة الإسلامية والخلافة إلى واقع، والتركيز على إظهار التنظيم أنَّه الأكبر والأضخم في الساحة الجهادية، وأنَّه المشروع الجهادي الشرعي الوحيد، مع مهاجمة الخصوم وإسقاطهم واتهامهم بشتى الاتهامات وأقساها، والغض من حجمهم ومنجزاتهم، حتى ليخيل إلى السامع أنَّه لا مقاتلون إلا هم، والتأكيد على استخدام الألفاظ ذات المدلول الضخم، كالدولة الإسلامية، أو الخلافة، واستدعاء الأمجاد السابقة بتسميات تاريخية لمختلف أعمالهم، (كالوالي، وبيت المال) ونحوها، وتصوير الأوضاع في مناطق سيطرتها تصويراً مثاليًا لا شائبة فيه، ينعم بالرخاء والاستقرار وإقامة دين الله. بالإضافة إلى تعمُّد إظهار القوة والعنف وبت الرعب في قلب الخصوم في إصداراتهم، كمشاهد الذبح، وقطع الرؤوس، والتركيز على مشاهد التفجير، مما يعطي انطباعاً مغايراً لحجمها وقوتها على الأرض؛ لذا فإنَّها تعتمد إلى تسمية منتجاتها بأسماء رنانة ذات مدلول إيحائي معين، كإصدار (فشرد بهم من خلفهم)، مثلاً، وفي المقابل

(1) ومن تناقضات تنظيم الدولة في ذلك: أن بُنُو شريطاً فيه تنفيذ حكم القتل بأحد أفراد جبهة النصرة لأهم قدروا عليه قبل التوبة، فلا توبة له، بينما بنوا إصداراً فيه إعلان قبول توبة أحد النصريين بعد أسره! وقد تكرر منهم هذا مراراً.

تصمت عن الهزائم والخسائر ولا تذكرها، وإن ذُكرت فيجري التعرض لها سريعاً تحت شعار: الحرب سجال! وتؤدي هذه السياسة الإعلامية إلى اجتذاب فئات من الناس وخاصة طبقة الشباب منهم، وإلى تجنيدهم مدافعين ومروجين للتنظيم، مما يعطي انطباعاً غير حقيقي عن حجمه وأعداد مناصريه^(١).

والخلاصة: أن ما يُشاع عن انتصارات تنظيم الدولة إنما هو في حقيقته استيلاءً على المناطق التي حررها المجاهدون من قبل، بينما معظم أعمالهم العسكرية موجهة ضد بقية الفصائل المجاهدة، وأما جهودهم في قتال النظام فهي لا تكاد تذكر ولو حصل قتالٌ وحقق التنظيم انتصارات، فإن ذلك لا ينفي عنه العقائد الخارجية الغالية، ولا يعفيه من دماء المسلمين في رقبته.

الشبهة الخامسة: تنظيم الدولة هو الوحيد الذي يطبق الشريعة وقيم الحدود

تقول الشبهة: تنظيم الدولة عمل على تطبيق الشريعة في مناطق نفوذه، وطهرها من اللصوص والمجرمين، وهذا نابعٌ من إقامته للحدود الشرعية، وهو يرفض التحاكم لمحاكم غير واضحة المنهج، أو لا تكفر الكافر، التي لا يجوز التحاكم إليها، وهذا دليل على صحة منهجه، وصدقه في تطبيق الشريعة الإجابة عن هذه الشبهة: أولاً: عندما سيطرت الفصائل والكتائب على عدد من المناطق وحررتها: كان من أول الأعمال التي قامت بها تأسيس محاكم شرعية عديدة، والتي قامت بدورها بتسيير أمور الناس والفصل بينهم، فحازت على رضا الناس وتقتهم، وكانت هذه المحاكم مثلاً يحتذى به، وهي أسبق من محاكم التنظيم في الوجود، وأوسع انتشاراً، ولم يخلُ عمل هذه المحاكم من الضعف أو وجود بعض الأخطاء، كما هو حال سائر المؤسسات الثورية؛ نتيجة لظروف الثورة، ونقص الكوادر والإمكانات، لكنها قائمة على أساس تطبيق الشريعة الإسلامية فالادعاء أن تنظيم الدولة هو وحده من قام بتحكيم الشريعة ادعاءً باطل غير صحيح.

ثانياً: أن تطبيق الشريعة في المناطق المحررة جرى بطريقة صحيحة وفق فتاوى الجهات الشرعية المعروفة بمنهجها وعلمائها، حيث:

(١) ومن أشهر هذه التهويلات الإعلامية: ما ينشره التنظيم من صور خرائط تظهر سيطرته على معظم العراق وسوريا، وأنه قاب قوسين أو أدنى من إحكام السيطرة عليهما، بينما لا تعدو سيطرته على بعض المدن، والطرق بينها، أما الغالبية العظمى من المناطق فهي صحارٍ غير مأهولة.

- 1- أُشيعت حرية الدعوة إلى الله في المساجد وغيرها، وافتتحت الدورات الشرعية، وحلقات تعليم القرآن؛ لرفع الجهل عن الناس المفروض عليهم منذ عقود.
- 2- أُقيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد أن كان من الجرائم عند النظام؛ فعومل الناس بالترج، وأخذوا بالرفق، والتعليم، وأُشيعت بينهم الفتاوى التي تتعلق بالنوازل.
- 3- أُقيمت دورات ومعاهد لتأهيل وتخريج الدعاة، والقضاة، وفق مناهج معروفة، ومن علماء وطلبة علم تقات معروفين؛ لملء الفراغ الحاصل في المناطق المحررة.
- 4- حُورب الفساد بجميع صورته، ومُنعت الرشوة، واستغلال الناس، وقُضي على ما أمكن القضاء عليه من عصابات السُّلب والنهب.
- 5- حُكِّم شرع الله في المحاكم بدلاً من القوانين الوضعية الظالمة المفروضة من النظام.
- 6- طُبقت العقوبات والحدود المتعلقة بحقوق الأدميين، كالقصاص، وحدّ الحراية، وجرى تأجيل تطبيق العقوبات المتعلقة بحق الله تعالى، مع إيقاع عقوبات بديلة، والاستمرار بالتعليم. وقد سعت الهيئات الشرعية للتنسيق فيما بينها في الجهود الدعوية، والشرعية، وسعت المحاكم للتنسيق فيما بينها في الأمور القضائية، وكُلِّفت الفصائل العسكرية بتأمين الحماية لها، وأخذ عليها التعهد بتنفيذ أحكامها. وهذا كله من إقامة شرع الله تعالى في الأرض.

ثالثاً: تطبيق تنظيم الدولة للأحكام الشرعية يعتره العديد من الأخطاء، من أهمها:

- 1- حصر مسألة إقامة الشريعة بتطبيق بعض الحدود الشرعية، وتضخيم الحديث عنها، والمبالغة في تصويرها، ونشرها بن الناس، وجعلها دليلاً على إقامته للشرع، بينما إقامة الشريعة أعم من إقامة بعض الحدود والعقوبات، بل قد يكون من الشرع عدم تطبيق بعض الحدود كما سيأتي.
- 2- عمل التنظيم على إقامة الحدود التي هي من حق الله تعالى، كحدّ السرقة، وفتاوى أهل العلم على عدم إقامة الحدود في الحرب، لقوله ﷺ "لَا تَقْطَعُ الأَيْدِي فِي الغَزْوِ" قال الترمذي: والعمل على هذا عند بعض أهل العلم منهم الأوزاعي، لا يرون أن يقام الحد في الغزو بحضرة العدو، مخافة أن يلحق من يقام عليه الحد بالعدو

(١) وفي سن سعيد بن منصور أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَتَبَ إِلَى النَّاسِ: لَا يَجْلِدَنَّ أَمِيرُ جَيْشٍ وَلَا سَرِيَّةٍ رَجُلًا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ حَدًّا وَهُوَ غَازٍ، حَتَّى يَقْطَعَ الدَّرْبَ قَافِلًا؛ لِئَلَّا تَحْمِلَهُ حَمِيَّةُ الشَّيْطَانِ فَيَلْحَقَ بِالْكَفَّارِ (٢).

كما اكتفى سعد بن أبي وقاص بحبس أبي محجن - رضي الله عنهما - لما شرب الخمر في القادسية، ولم يجلد، قال ابن القيم رحمه الله: فهذا حدٌ من حدود الله تعالى، وقد نهى عن إقامته في الغزو خشيةً أن يترتب عليه ما هو أبغض إلى الله من تعطيله أو تأخيره، من لحوق صاحبه بالمشركين حَمِيَّةً وغبضاً. (٣) وبهذا صدرت فتاوى الهيئات الشرعية المختلفة في سوريا (٤) كما ثبت بالبرهان والدليل القاطع عدم أهلية قضاة محاكم التنظيم للقضاء؛ وذلك لأنهم مجاهيل الحال، لم يشهد لهم أهل العلم بالعلم والقدرة على القضاء، بل ثبت أن كثيراً منهم قليل العلم، بدلالة تطبيق الأحكام بطريقة غير صحيحة، ومن ذلك:

أ - تطبيق حدِّ السرقة في حال المجاعة، ومن المعلوم أنه لا يقيم حدُّ السرقة في المجاعة، ولا تخفى شدة الحاجة والفقير التي يعيشها الناس في سوريا بسبب ظروف الحرب والحصار.

ب - تنفيذ قطع يد السارق بالساطور، وما فيه من تعدٍ على الحد المشروع بتهشيم عظم الساعد، بينما الطريقة الشرعية هي قطع اليد بالسكين من المفصل.

ج - التعذيب الشديد للكثير من المعتقلين بما يشابه أفعال النظام المجرم، مما أدى لموت العديد منهم.

د - الجور الشديد والظلم في الأحكام الشرعية، كالحكم على العديد من المسلمين بل وقادة المجاهدين بالردة والكفر، وتعذيبهم وقتلهم بذلك، بشبه لا تُعدُّ من الكفر، كالتعامل مع الكنائس الأخرى، أو موالاته الكفار، ونحو ذلك، والحكم بمصادرة أموال وممتلكات النصاري.

هـ - تطبيق الحدود بصورةٍ تأنف منها النفوس السوية، كاتخاذ الذبح عادة في إعدام الكثير ممن حكم عليهم بالإعدام، وادعاء أن ذلك سنة نبوية، مع جمع الناس لها، وتصوير ذلك، والتباهي به، والعبث بالرؤوس

(١) أخرجه الترمذي: باب ألا تقطع الأيدي في الغزو، حديث: 1450.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه ٢٣٥/٢ رقم 2500.

(٣) أعلام الموقعين ١٣/٣، شبهات تنظيم الدولة الإسلامية وأنصاره والرد عليها، د. عماد الدين حبيبي ص ٦٠، ط/ ٢٠١٥ م.

(٤) ينظر فتوى: هل تقام الحدود والعقوبات في المناطق الحرة من سوريا في الوقت الحالي؟ http://islamicsham.org/fatawa/1423

والجثث. مع أن الأدلة الشرعية تنهى عن هذا الفعل القبيح، ولم يثبت في ذلك نص شرعي، فالقتل ذبحاً طريقة لم تُعهد عن المسلمين منذ عهد النبي ﷺ وصحابته ومن بعدهم من أهل العلم والقضاء؛ فنسبة هذا الأمر إلى السنة منكر من القول، وادعاء بلا علم. وإنما عُرفت هذه الطريقة في القتل عن الخوارج الأولين، كما جاء في كتب التاريخ والسّير أنهم: "ذَبَحُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَبَّابٍ كَمَا تُذْبِحُ الشَّاةُ، ثُمَّ قَرَّبُوا أُمَّ وَدَّهِ فَبَقَرُوهَا عَمَّا فِي بَطْنِهَا" فهي سنة خارجية، لا سنة نبوية^(١) ولم يتوقف الأمر عند مجرد الذبح، بل رافقه تعذيب المقتولين، وتهديدهم بالذبح، والسخرية منهم قبل ذلك، وحمل الرؤوس والعبث بها، ونصبها، والتباهي بها، وتصويرها، وركلها بالأقدام، والسخرية بها، وحرقتها، فأى شرع هذا الذي يقام؟! وأسوأ ما في الأمر: أن كان من ضمن المذبوحين - ردة كما زعموا-! خيرة المجاهدين والدعاة.

4- عطلّ التنظيم تطبيق أحكام العقوبات على العديد من المجرمين وقطاع الطرق بمجرد مبايعتهم للتنظيم، فقد ثبت انضمام كثير من المجرمين لتنظيم الدولة بهدف حماية أنفسهم من محاسبة الفصائل الأخرى، وقد قدم لهم التنظيم الحماية مقابل البيعة، فتعطلت بذلك الأحكام، وضاعت حقوق العباد، ثم تسلط هؤلاء على الشعب مرة أخرى بالأساليب والأفعال نفسها باسم الدين والشرع! **والخلاصة:** أن محاكم تنظيم الدولة تأخرت في النشأة عن محاكم الهيئات الشرعية والفصائل، فلم تكن هي الأسبق، ولا الأوحد، ثم كانت أحكامها مليئة بالأخطاء والظلم، فضلاً عن عدم أهلية قضاتها وغلوهم في الأحكام والتطبيق.

الشبهة السادسة: قتال المرتدين أولى من قتال الكفار: تقول الشبهة: إن قتال المرتدين أولى من قتال الكفار، بدلالة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة: ١٢٣)؛ لذلك فإنه يُشرع قتال الفصائل التي وقعت في الردة، وكذلك الدول والحكومات العربية المرتدة قبل قتال الكفار الأصليين. الإجابة عن هذه الشبهة:

أولاً: الحكم على فئة أو شخص بأنه مرتد لا بدّ فيه من توفر شروط التكفير، وانتفاء موانعه: وتنظيم الدولة قد حكم بالكفر والردة على مخالفه بما ليس كفرًا، وهو يؤيد ما ذكرناه سابقاً من غلوه في التكفير، وسلوكه فيه

(١) فتوى: ما حكم ذبح أسرى الأعداء بالسكين؟ وهل هو فعلاً سنة نبوية يمكن اتباعها؟ <http://islamicsham.org/fatawa/1990>

منهجاً غير منهج أهل السنة فهذه الشبهة من بدع الخوارج وغلوهم؛ لأنهم يقتلون المسلمين بدعوى الرِّدَّة، فهم كما قال عنهم الرسول ﷺ: "يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ"، وفهمهم المغلوط لهذه المسألة أوقعهم في الغلو، وهو منهجهم من قديم، قال ابن تيمية رحمه الله: "فإنهم يَسْتَحِلُّونَ دِمَاءَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّهُمْ مُرْتَدُونَ أَكْثَرَ مِمَّا يَسْتَحِلُّونَ مِنْ دِمَاءِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ لَيْسُوا مُرْتَدِينَ"^(١) وشروط التَّكْفِيرِ أَرْبَعَةٌ:

١- ثبوت أن هذا القول أو الفعل أو الاعتقاد أو الترك كَفْرٌ بمقتضى أدلة الكتاب أو السنة.

٢- ثبوت فعل المكلف له. 3- بلوغ الحجة. 4- أن لا يقوم بالشخص أحد موانع التكفير.

وموانع التكفير أَرْبَعَةٌ:

-الجهل: بأن يعتقد اعتقاداً أو يقول قولاً أو يعمل عملاً غير عالم بأنه كفر، ولا مخالفٌ للشريعة.

-الخطأ: وهو عدم قصد الفعل أو القول.

-الإكراه: وهو إلزام الغير بما لا يريد قهراً، بحيث لا يبقى للشخص معه قدرة ولا اختيار.

-التأويل: وهو أن يفعل الكفر لاعتقاده أنه صواب وحق، اعتماداً على شبهة يستدل بها.

أما تكفير تنظيم الدولة فهو غير منضبط بهذه الشروط والموانع، وأكثر اتهاماتهم لمنافسيهم بالكفر والردة والعمالة قائمٌ على الشبهة والغلو، والحكم بلازم القول والفعل، وجميعها مناطاتٌ غير صحيحة وباطلة.

أما عبارة: من لم يكفر الكافر أو شك في كفره أو صحح مذهبه فهو كافر فلا تكون إلا في الكفر المقطوع به، وهو الكافر الأصلي أو المجمع على رده، بعد تحقق الشروط وانتفاء الموانع، قال القاضي عياض رحمه الله:

ولهذا نُكْفَرُ مَنْ لَمْ يُكْفَرْ مِنْ ذَانَ بِغَيْرِ مِلَّةِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمَلَلِ.. أو وقف فيهم، أو شك، أو صحح مذهبهم.. وإن

أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده واعتقد إبطال كل مذهبٍ سواه.. فهو كافرٌ بإظهاره ما أظهر من خاف ذلك، لقيام النصِّ والإجماع على كفرهم، فمن وَقَفَ فِي ذَلِكَ فَقَدْ كَذَّبَ النَّصَّ"^(٢) أما تكفير من لم يكفر المرتد المعين

(١) وهذه المسألة من أهم المسائل التي يقع فيها الخلط عند الغلاة، وللمزيد ينظر فتوى هل مقولة من لم يكفر الكافر فهو كافر صحيحة؟: <http://islamicsham.org/fatawa/1904>

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ٤٠/١، شبهات تنظيم الدولة الإسلامية وأنصاره والرد عليها، د. عماد الدين حبيتي ص ٨٠.

المجمع على رده: فلا تنطبق عليه هذه القاعدة؛ لأنّ تنزيل حكم الردّة على مُعيّن ليس من المقصود بالدين، ولا حصل عليه إجماع، وليس فيه تكذيب للكتاب والسنة، بل هو محض اجتهادٍ قد يصيب وقد يخطئ.

ثانياً: الزعم بأنّ قتال المرتدين أولى من قتال الكفار الأصليين بقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ } (التوبة: ١٢٣) غير صحيح، ولا حجة لهم في هذه الآية، واستدلالهم بها خطأ: فالمراد من الآية: الأمر بجهاد الكفار والمشركين لفتح الباد ونشر الإسلام، وذلك في حال استواء البدء بها، فإن الأمور به هو قتال الأقرب فالأقرب، وأمر للمسلمين بقتال كلّ قوم في ناحيتهم من يلبهم من الكفار، قال ابن كثير رحمه الله: "أمر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولاً فأولاً، الأقرب فالأقرب إلى حوزة الإسلام؛ ولهذا بدأ رسول الله ﷺ بقتال المشركين في جزيرة العرب، فلما فرغ منهم وفتح الله عليه مكة والمدينة، والطائف، واليمن واليمامة، وهجر، وخيبر، وحضرموت، وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب، ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجاً، شرع في قتال أهل الكتاب، فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس إلى جزيرة العرب، وأولى الناس بالدعوة إلى الإسلام لكونهم أهل الكتاب" (١) وعلى ذلك جرى سائر كلام المفسرين وأهل العلم، والفقهاء، ولولا خشية التطويل لنقلنا من كلامهم الكثير في هذه المسألة، ويمكن الرجوع إليها في مظانها. فليس في الآية:

-حديث عن قتال المرتدين، بل هي نصّ في قتال الكفار.

-وليس فيها إشارة لضرورة البدء بقتال عدوٍ قبل غيره.

والخلاصة: أنّ تنظيم الدولة قد وقع في أخطاء عظيمة في أحكام التكفير؛ فتسلّط على المسلمين تكفيراً وحكمًا بالردة عن جهلٍ وغلو، ثم استباح دمائهم وأموالهم بذلك، مع ابتداع وخطأ في تفسير النصوص الشرعية لتوافق معتقده الغالي في إيجاب قتال من يحكم بردتهم على قتال العدو الكافر الأصلي.

الشبهة السابعة: لماذا المسارعة إلى قتال تنظيم الدولة قبل محاورته؟ تقول الشبهة: الكتائب والفصائل في بلاد الشام سارعت إلى قتال التنظيم قبل محاورته، ومحاولة التوصل معه إلى اتفاق يحقن الدماء، ويمنع الحرب الإجابة عن هذه الشبهة: أنّ ما حصل بالفعل في أول الأمر هو الحوار، والمناصحة، والدعوة إلى التحاكم

(١) وللمزيد ينظر بيان: (حول الدولة الإسلامية في العراق والشام وبيعة جبهة النصرة) <http://islamicsham.org/letters/824>

للشريعة، لكن موقف التنظيم المتعنت هو الذي منع من الوصول إلى نتيجة، رغم المحاولات المتكررة، ويوضح هذا الأمر من خال النقاط التالية:

أولاً: ما إن أعلن تنظيم الدولة عن مشروعه حتى سارعت الهيئات الشرعية والروابط العلمية السورية إلى بذل جهودها في هذه القضية، فسارعت إلى إعلان موقفها عبر بيان حول الدولة الإسلامية في العراق والشام وبيعة جبهة النصر، والذي بيّنت فيه أسباب رفض هذا الإعلان المتمثلة في:

1- الافتئات على أهل الحل والعقد في باد الشام بإعلان دولة وبيعة دون استشارة لأحد من أهلها، فضاءً عن إشراك علمائها ومجاهديها.

2- المخاطر المستقبلية المترتبة على هذا الإعلان⁽¹⁾. لكنها لم تلق أي تجاوب أو اهتمام ببيانها. ثم تالتت المواقف والخطابات حسب تطور مواقف التنظيم، واعتدائه على الكتاب: حيث صدر بيان إلى الفصائل والكتائب المجاهدة في سوريا والذي حث بأسلوب هادئ على:

1- دعوة كافة الفصائل إلى توحيد الصف تجاه الهدف الأساس وهو إسقاط النظام.

2- التحذير من التفرق وخطورته.

3- الحث على إصلاح ذات البين، وإن لم تتمكن الفصائل من الصلح فيكون الاتفاق على هيئة شرعية من العلماء والحكام للاحتكام لها، والالتزام بما تصدره.

4- التحذير من تكفير الفصائل الأخرى، واستباحة دمائهم، وأن ذلك يندب بشر خطير، ويوقع في فتنة عمياء تأتي على الأخضر واليابس⁽²⁾ ثم صدر بيان حول تصرفات تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام والذي فصل أهم مخالفاته وقرّر:

1- دعوة قيادات تنظيم الدولة إلى أن تقيء إلى الحق، وتستمع إلى الناصحين المخلصين، وتصحح هذه المخالفات والأخطاء.

2- تحميل تنظيم الدولة مسؤولية الانتهاكات والجرائم نتيجة استمرارها في بغيتها وعدوانها.

(1) ينظر: "بيان حول تصرفات تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام" <http://islamicsham.org/letters/>

(2) ينظر: "بيان إلى الفصائل والكتائب المجاهدة في سوريا" <http://islamicsham.org/letters/1312>

3-مناشدة أهل العلم ممن لم تزل لهم كلمة مسموعة عند تنظيم الدولة أن يقولوا كلمة الحق دون مواربة.
4-دعوة داعمي الجهاد في سوريا أن يتقوا الله ويتحرّوا في توجيه أموالهم وأموال المسلمين؛ لئلا تكون سبباً في سفك دماء المسلمين، والفتن في عضد المجاهدين^(١) ورافق هذه البيانات والخطابات عدد من المناصحات والمناقشات سرّاً وعلناً مع من أمكن اللقاء بهم من شخصيات التنظيم، لكن ذلك لم يزد هذا التنظيم إلا غلواً وبعداً عن الحق.

ثانياً: كان للعديد من القيادات الشرعية للتيار (السلفي الجهادي) وقفات وحوارات مع تنظيم الدولة لفترة طويلة، ولعل من أشهرها: ما دار بين تنظيم الدولة وأبي محمد المقدسي^(٢)، كما حاول غيرنا من الأفاضل والعلماء والمجاهدين، وأنا راسلنا المعنيين في هذا الخلاف والافتتال ومنهم البغدادي، وناصحناه سرّاً كما ناصحنا تنظيم الدولة علناً، ورددنا على بعض تجاوزات ناطقهم العدناني فيما قدرنا، كما أننا (أبو محمد المقدسي) راسلنا بعض مسؤولي الدولة الشرعيين، ولدينا وثائق بهذه المراسلات تظهر تدليسهم وفهم ودورانهم وافتراءهم على قادة المجاهدين وكذبهم، وغير ذلك مما لا يليق بالمجاهدين الذي يفترض أنهم أولى الناس بالقيام بالقسط والشهادة لله بالحق ولو على أنفسهم، فهذا البيان هو بمثابة سحب الغطاء الشرعي عن هذا التنظيم العاق لقيادته، وهو بمثابة إعلان للبراءة من نهجه المغالين وسفكه للدماء المعصومة، المشوه للجهاد والمجاهدين، والضال عن سبيل الله لانحرافاته وبغيه وامتناعه عن حكم الله، وبانحرافاته وصدّه عن التحاكم، ورفضه لجمع المبادرات؛ فهو الذي اضطرنا إلى هذا بعد بذل المناصحة له ومراسلة قادته وشرعيه سرّاً وعلناً، فصار ممتعاً عن الشرع وأداء الحقوق إلى أهلها، كما امتنع من قبل عن طاعة قادته، فصار لزاماً علينا القول بالحق بعد أن بذلنا ما في وسعنا من أسباب ومحاولات وسعي في إعادته إلى جادة الصواب، فأبى وأصر هو وقيادته وشرعيوه على انحرافاتهم.

(١) ينظر: "بيان حول تصرفات تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام" <http://islamicsham.org/letters/>

(٢) هو عصام طاهر البرقاوي أو كما يلقب بـ أبي محمد المقدسي أردني من أصل فلسطيني يعتبر من أبرز منظري تيار السلفية الجهادية اشتهر بسبب نشره لكتاب يكفر الدولة السعودية، واعتبر أستاذ لأبي مصعب الزرقاوي عندما جمعهما السجن.

ثالثاً: الواجب ألا يكون طول الحوارات واستمرارها سبباً لسفك الدماء المحرمة، والغدر بالمجاهدين، فلا تناقض بين إقامة الحجة على المعتدين وبين دفع عدوانهم فقد أرسل علي بن أبي طالب عبد الله بن عباس رضي الله عنهما إلى الخوارج فحاورهم وأقام عليهم الحجة، ثم أمر بقتالهم. وهكذا كان حال المسلمين مع الخوارج في كل عصر ومصر.

رابعاً: تمادى التنظيم أثناء هذه المبادرات والدعوات في غدره وخيانتته بتوجيه مفخحاته وانتحارييه لاستهداف مقرات الكتائب الأخرى، فاستشهد ببعضها عددٌ من المجاهدين والقادة؛ حيث كان انتحاريو التنظيم يصلون لأهدافهم بادعاء حضور اللقاءات والمفاوضات التي يدعون إليها، أو بالغدر بخصومهم بعد إعطائهم الأمان. وهو بذلك قد نقض العهود والمواثيق والهدن التي كان يسعى لإقامتها بين الطرفين.

خامساً: سبب عدم قبول تنظيم الدولة بهذه المبادرات أنه يرى نفسه (دولة)، ويرى البقية مجرد تنظيمات، وأنه على الحق، وسواه على الباطل، والخلاصة: أن تنظيم الدولة رفض أي نصيحة، أو حوار معه، سواء كان ذلك من عامة أهل العلم، أو من التيارات المقربة إليه، بل من شركائه بالأمس، وطعن في الجميع، وكفرهم، وغدر بهم، ونقض معهم المواثيق، فالزعم بعدم حصول حوار أو نقاش مع التنظيم قبل قتاله محض كذب وبهتان.

الشبهة الثامنة: قتال المسلم فتنة، وقد نهى الشارع عن قتال الفتنة: تقول الشبهة: أمر النبي ﷺ باعتزال الفتنة التي تقع بين المسلمين، ونهى في العديد من الأحاديث عن الاشتراك بالقتال فيها، كقوله: " إِذَا تَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيِّئِيهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ " (١)، وقوله: "سَتَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، قَالَ: فَإِنْ أَدْرَكَتَ ذَلِكَ، فَكُنْ عَبْدَ اللَّهِ الْمُقْتُولَ، قَالَ أَيُّوبُ: وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ، وَلَا تَكُنْ عَبْدَ اللَّهِ الْقَاتِلَ " (٢) ثم كان من هدي الصحابة والسلف اعتزال الفن، وعدم الاشتراك فيها. فكيف تجيزون قتال تنظيم الدولة على الرغم من ذلك؟ ، وللإجابة عن الشبهة:

أولاً: ليس كل قتالٍ أو قتالٍ يحصل بين المسلمين منهياً عنه في الشرع، بل هناك من القتل والقتال ما هو مأمور به، ومن ذلك:

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، حديث: ٢٣، ومسلم: باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، حديث: ٧٤٣٤.

(٢) أخرجه أحمد ٥٤٣/٣٤، برقم 21064، وأصله في الصحيحين.

- 1- القصاص من القاتل، قال تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (البقرة: 179).
- 2- قتال الفئة الباغية التي ترفض أن تنزل على حكم الشرع، قال تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاعَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (الحجرات: 9).
- 3- قتال الخوارج الذين جاءت صفاتهم في الأحاديث النبوية، وسيأتي ذكرهم.

ثانياً: أوضح أهل العلم المقصود بقتال الفتنة؛ وأنه القتال الذي لا يتبين فيه الحق، أو يكون قتالاً على غاية غير مشروعة، أو يكون قتالاً على ظلم قال الجصاص- رحمه الله -في حديث: "إِذَا نَقَى الْمُسْلِمَانِ بَسِيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ" فإنما أراد بذلك إذا قصد كل واحد منهما صاحبه ظلماً على نحو ما يفعله أصحاب العَصِيْبَةِ والفتنة" (١) وقال النووي رحمه الله: تُتَأَوَّلُ الْأَحَادِيثُ عَلَى: من لم يظهر له الحق، أو على طائفتين ظالمتين لا تأويل لواحدة منهما" (٢).

ثالثاً: قتال من ظهر ظلمه وبغيه وعدوانه وصياله على النفس والمال، ليس من قتال الفتنة المنهي عنه، بل هو قتال مشروع مأمور به، قال الطبري رحمه الله: "لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بن فريقين من المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل، لما أُقيم حق، ولا أُبطل باطل" (٣) وقال ابن بطال رحمه الله: "فأما إذا ظهر البغي في إحدى الطائفتين، لم يحلّ لمسلم أن يتخلف عن قتال الباغية، ولو أمسك المسلمون عن قتال أهل البغي لَبَطَلَتْ فريضة الله تعالى" (٤).

رابعاً: قتال الخوارج قد أمر به الشرع وحثّ عليه: فقد جاء في كلام النبي ﷺ عن الخوارج: " لئن أنا أدركتكم لقتلنكم قتل عاد" (٥)، وقال: " فَإِذَا لَقِبْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (٦) وعلى

(١) أحكام القرآن ٤/٤٧.

(٢) شرح النووي ١٠/١٨٨.

(٣) نقله القرطبي في تفسيره ١٦/٣١٧.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٠/٣١١.

(٥) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، حديث: ٣٣٤٤، ومسلم: باب ذكر الخوارج وصفاتهم، حديث: ٢٤٩٩.

(٦) سبق تخريجه ص ١٨٨.

هذا كان فهم الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، قال ابن تيمية رحمه الله: "وأما جمهور أهل العلم فَيَفَرُّونَ بين الخوارج المارقين" وبين "أهل الجمل وصيفين" وغير أهل الجمل وصيفين ممن يعد من البغاة المُتَأَوِّلِينَ. وهذا هو المعروف عن الصحابة، وكان علي رضي الله عنه مسرورًا لقتال الخوارج، ويروي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأمر بقتالهم؛ فمن سوى بن قتال الصحابة الذين اقتتلوا بالجمل وصيفين وبن قتال ذي الخبصرة التميمي وأمثاله من الخوارج المارقين والحَرورية المعتدين: كان قولهم من جنس أقوال أهل الجهل والظلم المبين^(١). والخلاصة: أن قتال الفتنة المنهي عنه هو الذي لا يتبين فيه الحق، أو يكون قتالاً على غاية غير مشروعة، أما قتال الخوارج فهو قتال مشروعٌ مأمور به، وليس من قتال الفتنة، كما هو الحال في قتال تنظيم الدولة.

الشبهة التاسعة: لا مصلحة في قتال تنظيم الدولة: تقول الشبهة: ليس هناك مصلحة في قتال تنظيم الدولة، أو الانشغال بالرد عليه، بل المصلحة في حشد الطاقات ضد الأنظمة الجائرة، حتى لا تتشتت الجهود، وتضعف الثورة، وهذا ليس في مصلحة أحد، فلم لا يؤجل حل الخلافات لما بعد إسقاطهم.

الرد على هذه الشبهة: هذه المقولة مبنية على عدم تصور المسألة تصوراً صحيحاً واقعياً كما هو على الأرض، وقد سبق الكلام عن انحرافات التنظيم وتصرفاته، والتصرفات المبدولة معه، وفشلها، والتي تجعل من أولى الأولويات مقارعة هذا التنظيم بالحجة والسنان، والوقوف في وجهه في كل ميدان وبيان ذلك في نقاط:

أولاً: الرد على أهل البدع وكشف ضلالهم وانحرافهم من أفضل الأعمال وأجلها؛ لما فيه من حماية الدين، وتنقيته مما يلحقه به أهل الغلو والابتداع، والنصح للخلق بتحذيرهم من الوقوع في الابتداع، وفي ذلك حماية لأعلى ضرورة من الضرورات الخمس، ألا وهي: الحفاظ على الدين من أفضل القربات إلى الله تعالى.

قال الحميدي، شيخ الإمام البخاري رحمه الله: والله لئن أغزَوْ هؤلاء الذين يردُّون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي من أن أغزو عِدَّتَهُمْ من الأتراك^(٢) وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: "من أتاها رجل فشاوره فدلّه على مبتدع

(١) الفتاوى ٥٤/٣٥، وينظر فتوى: هل القتال القائم بين الكتائب المجاهدة وتنظيم الدولة قتال فتنة؟

<http://islamicsham.org/fatawa/1549>

(٢) ذم الكلام وأهله ٧١/٢، ولنفظ (الأتراك) هنا يُقصد به الشعوب التي كانت تستوطن آسيا، ولم تكن وقتها قد دخلت الإسلام.

فقد غش الإسلام^(١) وقال يحيى بن يحيى رحمه الله: "الدُّبُّ [أي الدفاع] عن السنة أفضل من الجهاد"^(٢) فقال: إذا سكت أنت وسكت أنا فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم؟ ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة؛ فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين هذا أفضل. فبيّن أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله^(٣) وقال ابن القيم رحمه الله: فقوّم الدين بالعلم والجهاد، ولهذا كان الجهاد نوعين: جهاد باليد والسنان وهذا المشارك فيه كثير، والثاني الجهاد بالحجة والبيان وهذا جهاد الخاصة من اتباع الرسل، وهو جهاد الأئمة، وهو أفضل الجهادين؛ لعظم منفعته وشدة مؤنته وكثرة أعدائه^(٤).
ثانياً: إذا كان بيان حال أهل البدع من الأهمية بمكان، فإنّ بيان حال الخوارج أولى وأهم؛ لما في بدعتهم من الاعتداء على الأمة، وإفساد دينها ودنياها بالقوة نقل ابن حجر قول ابن هبيرة رحمهما الله: "وفي الحديث أن قتال الخوارج أولى من قتال المشركين، والحكمة فيه أن في قتالهم حفظ رأس مال الإسلام، وفي قتال أهل الشرك طلب الربح، وحفظ رأس المال أولى"^(٥).

ثالثاً: بيان انحراف تنظيم الدولة ومدافعتة ضرورة لا محيد عنها ولا اختيار؛ فهي ضرورة دينية لبيان ما لبسوا فيه على الناس من أمور دينهم، وضرورة عسكرية لدفع صيالهم واعتدائهم على الأنفس والأموال المعصومة، واستنقاذ ما احتلوه من مناطق، وما استولوا عليه من ممتلكات وقد أثبتت الوقفة الفكرية والعسكرية ضد هذا التنظيم كشف حقيقة معتقداتهم التي اغترّ بها البعض، وسحب الغطاء الشرعي عنهم، والحفاظ على حياة المجاهدين وقادتهم، وحماية مناطقهم من احتلالهم وعدوانهم، وعدم تكرار مأساة هدم الجهاد كما حصل في العراق وأماكن أخرى على يد هؤلاء الغلاة. والخلاصة: أنّ فضح عقائد تنظيم الدولة الخارجي، وقاتله دفاعاً

(١) أصول الاعتقاد للالكائي ١٥٥/١.

(٢) الفتاوى، ابن تيمية ١٣/٤.

(٣) الفتاوى، ابن تيمية ٢٣١/٢٨.

(٤) مفتاح دار السعادة ٧٠/١.

(٥) فتح الباري ٢٣١/١٢.

عن الأنفس، وحماية للثورة فيه مصالح عظيمة، من كشف زيف عقائد هذا التنظيم الغالي، وعدم اغترار الناس بها؛ حماية لعقائد الناس ودينهم، ثم في الحفاظ على دمائهم بدفع اعتدائه وصياله.

الشبهة العاشرة: مخالفو تنظيم الدولة يُكفرون التنظيم: تقول الشبهة: العديد ممن يخالف تنظيم الدولة ويعيبون عليه التكفير يقعون في تكفير التنظيم، ومن ذلك وصفهم لأفراد التنظيم ب(كلاب النار)، وأنهم (يمرّفون من الدين)، ووصفهم بالخوارج، والاستشهاد بأحاديث الأمر بقتالهم مثل (فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ)، وحديث: (يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، لَئِن أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ)، وحديث: (طَوَّبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ)، وحديث (شَرُّ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أُدِيمِ السَّمَاءِ)، وللإجابة عن هذه الشبهة من عدة نقاط:

أولاً: الأمر بالقتل أو القتال لا يدل على التكفير:

1- لقد أمر الله تعالى بقتال البغاة، وهم مسلمون بالاتفاق، وقد سماهم بالمؤمنين، فقال: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتِلُوا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ فَاصلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (الحجرات: ٩).

2- كما أمر بقتال الصائل المعتدي ودفعه، فعن أبي هريرة قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أُرَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يَرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قال: فلا تعطه مالك، قال: أُرَيْتَ إِنْ قَاتَلْتَنِي؟ قال قاتله، قال: أُرَيْتَ إِنْ قَاتَلْتَنِي؟ قال: فأنت شهيدٌ، قال: أُرَيْتَ إِنْ قَاتَلْتَهُ؟ قال: هو في النار^(١).

3- قتال المجتمعين على ترك واجب أو فعل محرم، كما قاتل أبو بكر مانعي الزكاة، وفي هذه الحالات لا يكون فيها المسلم كافراً، ومع ذلك يجوز قتاله.

4- كما أنه يجوز قتل المسلم في حالات أخرى، كقتل الزاني المحصن، والقتل قصاصاً، قال ﷺ: "الذئبُ الرّاني، والنّفسُ بالنّفسِ، والتّاركُ لدينهِ المُفارقُ لِلْجَمَاعَةِ"^(٢) ومما سبق يتضح أنّه لا تلازم بين القتل والقتال وبين الكفر، فليس كل من يجوز قتله أو قتاله كافر، فالفتوى بجواز قتال تنظيم الدولة لا يدل على تكفيره.

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، حديث: ٣٠٧٤، ومسلم: باب الدليل على أن من قصد أخذ مال حديث: ٣٧٧.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، حديث: ٦٨٧٨.

ثانيًا: الخوارج ليسوا كفارًا كما هو مذهب الجمهور^(١): فالذي عليه عامة العلماء من السلف والخلف: عدم تكفير الخوارج، ويدل على ذلك أن الصحابة ﷺ لم يحكموا بكفر الخوارج مع قتالهم لهم، كما روى ابن أبي شيبة عن طارق بن شهاب، قال: "كُنْتُ عِنْدَ عَلِيٍّ، فَسُئِلَ عَنْ أَهْلِ النَّهْرَوَانِ (يعني: الخوارج)، أَهْمُ مُشْرِكُونَ؟ قَالَ: مَنْ الشَّرِكِ فَرُّوا. قِيلَ: فَمُنَافِقُونَ هُمْ؟. قَالَ: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا. قِيلَ لَهُ: فَمَا هُمْ؟ قَالَ: قَوْمٌ بَعَاوَا عَلَيْنَا"^(٢) قال ابن تيمية رحمه الله: "ولم يُكْفَرْهُمْ علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وغيرهما من الصحابة، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم، ولم يقاتلهم علي حتى سفكوا الدم الحرام وأغاروا على أموال المسلمين؛ فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم، لا لأنهم كفار"^(٣) وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ رحمه الله: "أجمع علماء المسلمين على أن الخوارج مع ضلالتهم فرقة من فرق المسلمين، وأجازوا مناكحتهم وأكل ذبائحهم، وأنهم لا يكفرون ما داموا متمسكين بأصل الإسلام"^(٤) وقال ابن حجر رحمه الله: "وذهب أكثر أهل الأصول من أهل السنة إلى أن الخوارج فساق، وأن حكم الإسلام يجري عليهم لتلفظهم بالشهادتين ومواظبتهم على أركان الإسلام، وإنما فسقوا بتكفيرهم المسلمين مستندين إلى تأويل فاسد، وجزَّهم ذلك إلى استباحة دماء مخالفيهم وأموالهم، والشهادة عليهم بالكفر والشرك"^(٥) وعليه: فلا يصح إطلاق القول بكفر "تنظيم الدولة"، ولا يمنع ذلك من وقوع بعض أفرادهم في الكفر؛ لارتكابه ناقضًا من نواقض الإسلام، أو كونه من غير المسلمين المندسين في صفوفهم، أو غير ذلك، لكن لا يكون الحكم عليه إلا ببينة شرعية، بعد استيفاء الشروط، وانتفاء الموانع، وإنما يُحكم عليهم بالبدعة والضلالة، كما قال الآجري رحمه الله: "لم يختلف العلماء قديمًا وحديثًا أن الخوارج قوم سوء، عصاة لله تعالى ولرسوله ﷺ، وإن صلوا وصاموا واجتهدوا في العبادة، فليس ذلك بنافع لهم"^(٦) فهل يجرؤ أعضاء التنظيم على الشهادة لسائر الفصائل بالإسلام والبراءة من الكفر والرذلة؟

(١) ينظر فتوى: حكم تكفير تنظيم الدولة ولعنهم وحكم أسراهم وأموالهم؟ <http://islamicsham.org/fatawa/2046>

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣٠٢/٨، برقم. 16722

(٣) الفتاوى ٢٨٢/٣.

(٤) فتح الباري ٣٠٠/١٢.

(٥) فتح الباري ٣٠٠/١٢، وللمزيد ينظر فتوى حكم تكفير تنظيم الدولة ولعنهم وحكم أسراهم وأموالهم. <http://islamicsham.org/fatawa/2046>

(٦) الشريعة للآجري ٣٢٥/١.

ثالثاً: ما ورد من ألفاظ في الأحاديث النبوية مثل: أنهم (بِمَرْثُوفٍ مِنَ الدِّينِ)، و(شَرُّ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ)، وأنهم (كلاب أهل النار)، فلا تدلُّ على التكفير، أو الوقوع في الكفر، بل تدل على الخروج عن الدين الصحيح والوقوع في البدعة، بالإضافة إلى ما فيها من تهديد ووعيد:

1- فوصفهم بالمروق من الدين يعني المروق من الدين الصحيح، وقال السندي رحمه الله: "قِيُؤُولُ هَذَا بِكُفْرَانِ نِعْمَةِ الْإِيمَانِ، وَيُؤُولُ يَخْرُجُونَ مِنَ الدِّينِ: بالخروج من كماله، والله تعالى أعلم"^(١).

2- ووصفهم بشرِّ القتلى لبيان نكارة فعلهم وضررهم وخطرهم على المسلمين: ومع هذا فالصحاباء رضي الله عنهم والتابعون لهم بإحسان لم يكفروهم، ولا جعلوهم مرتدين، ولا اعتدوا عليهم بقول ولا فعل، بل اتقوا الله فيهم، وساروا فيهم السيرة العادلة.^(٢)

3- ووصفهم بكلاب النار تشبيهه لدناءة أفعالهم في حق المسلمين، بدناءة الكلاب: قال المناوي رحمه الله: ("كلاب أهل النار) أي يتعاونون فيها كعواء الكلاب أو هم أخس أهلها وأحقهم كما أن الكلاب أخس الحيوان" وقال: "الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا؛ وذلك لأنهم دأبوا ونصبوا في العبادة وفي قلوبهم زيغ، فَمَرَقُوا مِنَ الدِّينِ بِإِعْوَاءِ شَيْطَانِهِمْ حَتَّى كَفَرُوا الْمُوحِدِينَ بِذَنْبٍ وَاحِدٍ، وَتَأَوَّلُوا التَّنْزِيلَ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ"^(٣).

رابعاً: أن دخول النار لا يعني الحكم بالكفر أو الخلود فيها؛ فإنَّ المسلم الموحِّد العاصي مُتَوَعِّدٌ بدخول النار لمجازاته على ما ارتكب من ذنوبٍ وآثام، فيدخلها ليتطهر من ذنوبه، ثم يخرج منها دون أن يخلد فيها، كما هو معلوم من منهج أهل السنة والجماعة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، يَقُولُ اللَّهُ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ حَزْدٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرَجُوهُ، فَيَخْرُجُونَ قَدْ امْتَحَسُوا

(١) حاشية السندي على سنن ابن ماجه ١/٧٥.

(٢) منهاج السنة النبوية ٥/٢٤٨.

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير ١/١٦٠.

وَعَادُوا حُمَمًا، فَيُفُوقُونَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُثُونَ كَمَا تَنْبُثُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ- أَوْ قَالَ: حَمِيَّةِ السَّيْلِ^(١) (٢) قال ابن رجب رحمه الله: "فمن جاء مع التوحيد بِقُرَابِ الأَرْضِ- وهو ملؤها أو ما يقارب ملأها -خطايا، لقيه الله بِقُرَابِهَا مغفرة، لكن هذا مع مشيئة الله عز وجل، فإن شاء غفر له، وإن شاء أخذَه بذنوبه، ثم كان عاقبته أن لا يخلد في النار، بل يخرج منها، ثم يدخل الجنة"^(٣) ومن قال: إن الثنتين والسبعين فرقة كل واحد منهم يكفر كفرًا ينقل عن الملة فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، بل وإجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة، فليس فيهم من كفر كل واحد من الثنتين وسبعين فرقة"^(٤) والخاصة: أن أوصاف (الخوارج، وكلاب النار، وشُرُّ القتلى) لا تدل على التكفير، أو الخلود في النار، بل على الدلالة على انحراف الموصوف عن الدين الصحيح، وتهديده بالعذاب، ولو لم يخلد فيه، وكذلك الحال في الإذن بقتال الخوارج وقتلهم فليس هذا من التكفير.

الشبهة الحادية عشرة: الفصائل المقاتلة لا تكفر بالطاغوت ولا تكفره: تقول الشبهة: الفصائل المقاتلة في الشام، والهيئات الشرعية لا تكفر بالطاغوت، فقد رفضت تكفير الحكومات العربية الطاغوتية، مع أن أول واجب على المرء حتى يكون مسلمًا أن يكفر بالطاغوت، وبذلك تكون قد أخلت بركن من أركان التوحيد، ووقعت في الردة، قال تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنِ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (البقرة: 256) -الإجابة عن هذه الشبهة لا بد أن نعرّف الطاغوت والكفر به فنقول: أولاً: معنى الطاغوت لغة: الطغيان، أي: تجاوز القدر والحد، والارتفاع، وكلُّ مجاوزة للحد في العصيان.

(١) المقصود ب (ائْتَجَشُوا) احترقوا. و (حُمَمًا) فحمًا. و (الْحَبَّةُ) بذر البقول والعشب تنبت في البراري وجوانب السيول. و (حَمِيلِ السَّيْلِ) غنائه وهو ما جاء به من طن وغيره فإذا كان فيه حبة واستقرت على شط الوادي تنبت بسرعة. و (حَمِيَّةِ السَّيْلِ) معظم جريه واشتداده. وعند مسلم (حَمِيَّةِ السَّيْلِ) وهي الطين الأسود.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب فضل السجود، حديث: ٨٠٦، ومسلم: باب معرفة طريق الرؤية، حديث: ٤٦٩.

(٣) جامع العلوم والحكم ٤١٧/٢.

(٤) الفتاوى ٧١٧/٧.

واصطلاحاً: تنوعت تعريفات أهل العلم له، وأجمع ما قيل فيه: قول ابن جرير الطبري رحمه الله: "الصواب من القول عندي في الطاغوت أنه كل ذي طغيان على الله، فعبد من دونه، إما يقهر منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده له، إنساناً كان ذلك المعبود، أو شيطاناً أو وثناً أو صنماً أو كائناً ما كان من شيء" (١).

ولا يخفى وجوب تقييد ذلك بحال الرضا ممن يُعبد من دون الله عز وجل، أما من عبَدَ من دون الله وهو غير راضٍ بذلك، فليس بطاغوت، ولا إثم عليه في غلو من غا فيه، فليس كل ما عبَدَ من دون الله يعتبر طاغوتاً؛ فالأنبياء والعلماء وغيرهم من الصالحين والأولياء لم يحملوا الناس على عبادتهم، ولا رضوا بذلك، بل حذروهم من ذلك أشد تحذير، فلا يسمى الأنبياء ولا العلماء وإن عبَدوا من دون الله طواغيت.

ثانياً: معنى الكفر بالطاغوت: يكون الكفر بالطاغوت باعتقاد بطلان عبادة غير الله، وتركه، والبراءة منه، واعتقاد أنه لا يستحق شيئاً من أنواع العبادة، سواء كان من الأوثان أو الأصنام، أو الجن، أو من ادعى تأليه نفسه، أو شرع من غير الله، ونحو ذلك، قال تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} (البقرة: ٢٥٦)، ويندرج تحت ذلك أنواع وأمثلة كثيرة عن العبادة التي يمكن أن تُصرف لغير الله تعالى بطول المقام بذكرها وتفصيلها.

ثالثاً: أول واجب على المسلم: دلَّت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، على أن أول ما يجب على من يريد الدخول في الإسلام هو توحيد الله تعالى بالنطق بالشهادتين: فمن الآيات القرآنية: قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} (الأنبياء: ٢٥) ومن السنة النبوية: عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن، فقال: " ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ حَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةَ فِي أَمْوَالِهِمْ تُوخَذُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ" (٢) وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ

(١) تفسير الطبري ٤١٩/٥.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب وجوب الزكاة حديث: ١٣٩٥، ومسلم: باب الدعاء إلى الشهادتين، حديث: ١٣٠.

الله، وَيُقيموا الصَّلَاةَ وَيؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بَحْقَةَ وَحِسَابَهُمْ عَلَى اللَّهِ" (١)، وفي رواية عند مسلم: "بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ: عَلَى أَنْ يُوحَّدَ اللَّهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَالْحَجِّ" (٢) قال ابن حزم رحمه الله: "أَوَّلُ مَا يَلْزِمُ كُلَّ أَحَدٍ وَلَا يَصِحُّ الْإِسْلَامُ إِلَّا بِهِ: أَنْ يَعْلَمَ الْمَرْءُ بِقَلْبِهِ عِلْمًا يَقِينًا وَإِخْلَاصًا - لَا يَكُونُ لِشَيْءٍ مِنَ الشُّكِّ فِيهِ أَثَرٌ - وَيَنْطِقُ بِلِسَانِهِ وَلَا يَدَّ، بَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ" (٣) وقال ابن دقيق العيد رحمه الله: "والبداية في المطالبة بالشهادتين؛ لأن ذلك أصل الدين الذي لا يصح شيء من فروع الدين إلا به" (٤) ولفظ الشهادتين فيها نفي وإثبات: فالنفي: نفي الألوهية عن كل أحد (لا إله)، والإثبات: إثباتها لله وحده (إلا الله) وهذا يقتضي البراءة من كل معبودٍ سوى الله من الطواغيت؛ لذا فإنه لم يؤثر عن الرسول ﷺ أو من صحابته الزيادة على النطق بالشهادتين من الكفر بالطواغيت، أو البراءة منها؛ لأنها داخلة في الشهادتين قال ابن رجب رحمه الله: "وَمِنَ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْبَلُ مِنْ كُلِّ مَنْ جَاءَهُ يُرِيدُ الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ الشَّهَادَتَيْنِ فَقَطُّ، وَيَعْصِمُ دَمَهُ بِذَلِكَ، وَيَجْعَلُهُ مُسْلِمًا. ... (٥)

فإذا وقع المسلم في شيء من الاعتقاد بالطواغيت كأن يعتقد أن أحداً من البشر يملك أن يُشرع للناس، فإنه يُطالب بأن يأتي بما يخالف ذلك، بأن يشهد أن التشريع حق لله تعالى وحده؛ ليصح كفره بالطواغيت.

رابعاً: على المسلم أن يعتقد تحريم الحكم بغير ما أنزل الله، وموالاته الكافرين ومعاونتهم على المسلمين، وأن من ذلك ما قد يصل إلى الكفر والخروج من الملة، ولكن هذا يختلف عن تكفير فاعل ذلك؛ فذلك من تكفير المعين الذي لا يصح إلا بشروط تقدم ذكرها وعليه: فإن تكفير بعض الأشخاص أو الحكومات لارتكابهم مكفراً ليس من الواجبات على المسلم، ولا من أصول الدين التي ينبغي عليه استكمالها حتى يصح إيمانه، وليس لتنظيم الدولة أو أي جهةٍ أخرى أن يمتحن الناس في تكفير شخصٍ معين، أو جهةٍ ما، ويحكم عليهم بذلك، فهذه بدعة خطيرة، وآفة من آفات الغلو، بل الواجب أن يعرف المسلم أصول دينه، وما يصح به إيمانه، كإفراد الله تعالى

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، حديث: ٢٥٠، ومسلم: باب من فضائل علي بن أبي طالب، حديث: ٦٣٧٥.

(٢) أخرجه مسلم: باب قول النبي ﷺ: بني الإسلام على خمس، حديث: ١٢٠.

(٣) المحلى لابن حزم ٢٢٢/١.

(٤) أحكام الأحكام ٣٧٥/١، شبهات تنظيم الدولة الإسلامية وأنصاره والرد عليها، د. عماد الدين حيتي ص ١٢٢.

(٥) جامع العلوم والحكم ٢٢٨/١.

بالعبادة والحكم والتشريع، واجتتاب الوقوع في مخالفة ذلك والخاصة: أن تنزِيل أحكام الكفر والرِّدة على طائفة معينة، أو أشخاص معينين - لم يرد في الشرع النصُّ على كفرهم - ليس من أصول الدين، ولا من المأمور به أو المشروع في الأصل، فضلاً عن امتحان الناس به، كما هو اعتقاد الغلاة من تنظيم الدولة وغيرهم.

الشُّبهة الثانية عشرة: الفصائل الأخرى توالي الكفار في قتال تنظيم الدولة: تقول الشُّبهة: قتال الفصائل لتنظيم الدولة الآن هو في حقيقته تحت مظلة الإرهاب، والذي هو بقيادة غربية، مما يعني موالاة الكفار، وهو كفر وردة، الرد على هذه الشُّبهة: في هذه الشُّبهة مغالطة تاريخية وشرعية، وبيان ذلك كما يلي:

أولاً: كانت الهيئات الشرعية والفصائل المجاهدة أول من حذّر من التدخّل الأجنبي، ورفضه، فقد أعلنت المؤسسات الشرعية والعسكرية رفضها لمشروع تنظيم الدولة، وحذرت من أن التصرفات التي يقوم بها ستستعدي الأعداء بفتح البلاد أمام التدخّلات الأجنبية المتربّصة، وتقديم المسوّغ لها لأي تصرف تتخذه ضدّ المجاهدين أو قياداتهم تحت دعوى محاربة "التطرف والإرهاب"، وغير ذلك مما لا يخفى على عاقل، وقد صدر هذا البيان بتاريخ 3 جمادى الآخرة من عام 1434 هـ، الموافق 13 أبريل لعام 2013 م⁽¹⁾.

وهذا ما يكشف زيف وكذب ما ادعاه تنظيم الدولة مرارًا من تحالف الفصائل وموالاتهم لغير المسلمين، وحكمه عليهم بالكفر والردة لأجل ذلك.

ثانيًا: اعتبار قتال الفصائل للتنظيم في الوقت نفسه الذي يشن فيه التحالف هجومه على الحلف بمثابة الإعانة للحلف، والانضواء تحت رايته: قول بيّن البطلان؛ فإنه لا يطلب من المجاهدين إيقاف قتالهم لعدو لمجرد قتال آخرين له، ولا يُعدُّ ذلك إعانةً للحلف أو اشتراكًا معه في أي عرف! وإلا لوجب مطالبه المجاهدين التوقف عن قتال النظام إن قام الحلف بضربه، أو عن قتال حزب الله بسبب قتال اليهود له، والأمثلة على ذلك كثيرة وهذا أمرٌ معروف ببداهة العقل، ولا يخالفه إلا جاهل، أو مكابر، بل إنّه قد ورد أمثاله عن قادة التيارات الجهادية المعاصرة، فهذا (ابن لادن) يقول في تسجيل صوتي عن الحرب في العراق عام ٢٠٠٣م، والتي يحث فيه على مقاتلة الأمريكان، وقال فيها: "بغض النظر عن بقاء أو زوال الحزب الاشتراكي وصدام: فيجب على المسلمين

(١) ينظر: بيان حول الدولة الإسلامية في العراق والشام وبيعة جبهة النصرة (http://islamicsham.org/letters/824)

عامة وفي العراق خاصة أن يشمروا عن ساق الجد والجهاد ضد هذه الحملة الظالمة، وأن يحرصوا على اقتناء الذخائر والسلاح؛ فهذا أمر واجب عليهم متعين. ولا يضر في هذه الظروف أن تتقاطع مصالح المسلمين مع مصالح الاشتراكيين في القتال ضد الصليبيين، مع اعتقادنا وتصريحنا بكفر الاشتراكيين، فالاشتراكيون وهؤلاء الحكام قد سقطت ولايتهم منذ زمن بعيد، وهذا القتال الذي يدور أو يكاد أن يدور في هذه الأيام يشبه إلى حد بعيد قتال المسلمين للروم من قبل، وتقاطع المصالح لا يضر؛ فقتال المسلمين ضد الروم كان يتقاطع مع مصالح الفرس ولم يضر الصحابة ﷺ ذلك في شيء".

ثالثاً: باستخدام هذه القاعدة التي يزعمها أنصار تنظيم الدولة: يمكن الحكم على التنظيم بالكفر والردة؛ وذلك لأنهم حاربوا المجاهدين أثناء حرب النظام لهم، بل كانوا يشتركون مع النظام في حصار العديد من المناطق، وأدى غدرهم بالمجاهدين وخيانتهم لهم، وانسحابهم من مناطق استغلها النظام في التسلل إلى أماكن المجاهدين إلى استعادة النظام لبعض المناطق. كما استطاع النظام المرور بجيشه من بن بعض نقاط التنظيم لضرب المجاهدين دون أن يتعرض لها التنظيم⁽¹⁾ كما كان التنظيم يحرك قطاعاته العسكرية الضخمة لمئات الكيلومترات دون أن يتعرض لها النظام بسوء، وهو الذي يستهدف أي تحرك يسير للكثائب الأخرى، ويحاصرها، وأثبتت الأيام والوقائع أن هذا التنظيم استخدمه النظام والغرب في تشويه صورة الإسلام والجهاد، ثم في التدخل الأجنبي الفج في بلاد المسلمين.

رابعاً: إن اضطرت بعض الكثائب للحصول على أسلحة أو استشارات أو عقد لقاءات مع دول أو منظمات، فإن هذا لا يعني بالضرورة عمالتها أو تنفيذها لمخططات خبيثة؛ فضلاً عن الحكم بردتها وكفرها.

1- فمع أن الغالب أن كثيراً من الدول والمنظمات لا تُقدم أسلحة إلا وفق ترتيبات معينة، وينبغي الحذر الشديد من التعامل معها، إلا أنه لا يشترط أن كل من حصل على استشارة أو ساع أن يكون مشروطاً أو موجّهاً، بل قد يكون ذلك للتعاون على عدو مشترك، أو اتحاد المصالح في مسألة ما، ونحو ذلك؛ لذا فإن على الكثائب والفضائل عدم التسرع للتعامل بهذه الأمور إلا وفق رؤية وخطة واضحة.

(1) شبهات تنظيم الدولة الإسلامية وأنصاره والرد عليها، ص ١٣٢.

2- بحث أهل العلم مسألة الاستعانة بغير المسلمين في قتال البغاة في مصنفاتهم^(١)، فذهب جمهورهم إلى عدم جواز الاستعانة بالكفار عليهم، وذهب بعض أهل العلم إلى جواز ذلك، وحصرها فريق ثالث بالجواز في حال الضرورة، فمن أقوال الجمهور المانعين لذلك: قول القرافي رحمه الله: "ولا تُسبى ذراريهم ولا يُستعان عليهم بمشرك"^(٢) وقال النووي رحمه الله: "لا يجوز أن يُستعان عليهم بكفار، لأنه لا يجوز تسليط كافر على مسلم"^(٣) بينما أجاز عدد من العلماء الاستعانة بشرط أن يكون حكم الإسلام هو الظاهر: قال السرخسي رحمه الله: "وإن ظهر أهل البغي على أهل العدل حتى ألجؤهم إلى دار الشرك فلا يحل لهم أن يقاتلوا مع المشركين أهل البغي؛ لأن حكم أهل الشرك ظاهر عليهم"^(٤) وقال ابن حزم: "هذا عندنا - ما دام في أهل العدل منعة - فإن أشرفوا على الهلكة واضطروا ولم تكن لهم حيلة، فلا بأس بأن يلجؤوا إلى أهل الحرب، وأن يمتنعوا بأهل الذمة، ما أيقنوا أنهم في استنصارهم: لا يؤذون مسلماً ولا ذمياً - في دم أو مال أو حرمة مما لا يحل. برهان ذلك: قول الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ (الأنعام: ١١٩)، وهذا عموم لكل من اضطر إليه، إلا ما منع منه نص، أو إجماع"^(٥)، فهذه المسألة فقهية بحتة، يكون الحكم فيها دائراً بن الإباحة والتحریم، وتنزيلها على واقع تنظيم الدولة يحتاج إلى نظر واجتهاد، وليست من المسائل العقديّة التي يكون الحكم فيها دائراً بن الإيمان والكفر، فلم يحكم أهل العلم على من استعان بالكفار في ذلك بالكفر أو الخروج من الدين؛ إذ إنّ هناك فرقاً بن الاستعانة بالكفار - ولو كانت محرمة - وبين الموالاة، والخلط بينهما من عمل أهل الغلو.

(١) يرد في بعض كتب أهل العلم الجمع بين أحكام البغاة والخوارج، مع أنّ بينهما فروقاً كبيرة، وأما جمهور أهل العلم فيفرون بين الخوارج المارقين وبين أهل الجمل وصفين وغير أهل الجمل وصفين - ممن يعد من البغاة المتأولين - وهذا هو المعروف عن الصحابة، وعليه الجمهور وذلك أنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: تَمُرُّ مَارِقَةٌ عَلَى حِنْ فُرْقَةٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ تَقْتُلُهُمْ أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ (وهذا الحديث يتضمن ذكر الطوائف الثلاثة، وبين أن المارقين نوع ثالث ليسوا من جنس أولئك؛ فإن طائفة علي أولى بالحق من طائفة معاوية، الفتاوى ٥٣/٣٥).

(٢) الذخيرة ١٢/٩.

(٣) المغني ٥٢٩/٨.

(٤) المبسوط ١٠/١٣٣.

(٥) المحلى ٣٥٥/١١.

خامساً: أما موالاة أهل الكفر: فلا يصح إطلاق القول فيها بالكفر، بل الواجب فيها التفصيل، فمناطق الحكم بالكفر والرّدّة بالموالاة ليس مجرد الإعانة والقتال، وإنما إرادة ظهور الكافر وغلبيته، أو تصحيح مذهبه؛ فالموالاة درجات، ولها أحكام مختلفة، قال الإمام الطبري - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى: لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (آل عمران: ٢٨) "لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهراً وأنصاراً توالونهم على دينهم، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلونهم على عوراتهم؛ فإنه من يفعل ذلك، فليس من الله في شيء، يعني بذلك: فقد برئ من الله، وبرئ الله منه بارتداده عن دينه، ودخوله في الكفر"^(١) وقال ابن الجوزي رحمه الله: "من يتولهم في الدين، فإنه منهم في الكفر"^(٢) ولأن التولي التام يوجب الانتقال إلى دينهم، والتولي القليل يدعو إلى الكثير، ثم يندرج شيئاً فشيئاً، حتى يكون العبد منهم، وقال ابن عاشور - رحمه الله -: "وقد تأولها المفسرون بأحد تأويلين: إما بحمل الولاية في قوله: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ} على الولاية الكاملة التي هي الرضى بدينهم، والطعن في دين الإسلام،.. وإما بتأويل قوله: {فإنه منهم} على التشبيه بالبلغ، أي فهو كواحد منهم في استحقاق العذاب... وقد اتفق علماء السنة على أن ما دون الرضا بالكفر، وممالاتهم عليه من الولاية لا يوجب الخروج من الرّبيقة الإسلامية، ولكنه ضال عظيم، وهو مراتب في القوة بحسب قوة الموالاة، وباختلاف أحوال المسلمين"^(٣).

والخلاصة: أن تنظيم الدولة قد غالى وخطب بين الأحكام الشرعية، فلم يُفرّق بين أحكام الموالاة، والاستعانة واعتبرها شيئاً واحداً، ثم غالى في جعل الموالاة منزلة واحدة وحكم عليها بالكفر، ثم غالى وافترى على بقية الفصائل باتهامها بالولاء والعمالة للغرب، وتكفيرهم بذلك، وجميع ذلك محض افتراء.

وخلاصة القول في شبهات الخوارج المعاصرين: ومن خلال الاستعراض السابق لأهم الشبه التي يثيرها تنظيم الدولة وأنصاره، ويقول ببعضها العديد من الغلاة على اختلاف في درجة الأخذ بها، يتأكد لنا أن هذا

(١) تفسير الطبري ٦/٣١٣.

(٢) زاد المسير ١/١٥٨.

(٣) التحرير والتنوير ٦/٢٣٠، وقد سبقَت الإشارة مراراً لفتوى هل موالاة الكفار كفر بإطلاق؟

التنظيم الغالي قد جمع بين الانحراف في العقيدة، وطريقة التفكير، وفهم الواقع، وترتيب الأولويات، وما تترتب عليها من طريقة التعامل مع بقية المسلمين، فكان بحق سهماً مغروساً في خاصرة المسلمين، استفاد منه الأعداء في تشويه صورة الإسلام، والطعن بالمشروع الإسلامي عامة، فنسأله تعالى أن يهدي ضال المسلمين، ويوفق دعواتهم وعلماءهم لبيان الحق والصدع به.

المبحث الثالث: آثار التطرف الديني والسياسي ووسائل حماية المجتمع من الانحراف الفكري.

تعد مشكلة التطرف الديني والسياسي من أكثر القضايا إثارة للجدل والاهتمام، فنمو الظاهرة وانتقالها إلى أطوار وأشكال جديدة لم تكن موجودة من قبل يدعونا إلى التعمق في البحث والتقيب عن آثار هذا التطرف ووسائل الوقاية منه، وإن حماية المجتمع المسلم من الانحراف الفكري يعد من أهم جوانب الحماية التي ينبغي أن يعنى بها الباحثون، ويتصدى لها المسؤولون عن أمن المجتمع وسلامته، ذلك أن صحة الفكر وسلامته من أهم الأمور المؤدية إلى استقرار المجتمع المسلم، والانحراف الفكري هو أخطر انحراف يقع في المجتمع المسلم، وقبل البدء في الحديث عن الوسائل الوقائية والعلاجية لا بد من بيان:

أولاً: آثار التطرف الديني السياسي^(١):

١- التطرف الديني السياسي ظاهرة عالمية عابرة للدول تحت مضامين متنوعة، كتغير النظم السياسية وإسقاط الحكومات، وهو معضلة أرقت الكثير من الحكومات في المجتمعات والدول الإسلامية وأصبحت تمثل تهديداً حقيقياً للاستقرار الداخلي والأمن المجتمعي.

٢- تسبب التطرف الديني السياسي في تكبد كل دول العالم خسائر كبيرة ليس في الأرواح فحسب، بل في حرمانها من استكمال مسيرة البناء والتشييد والاستثمار في جميع المجالات.

٣- سيطرة المنظمات المتطرفة على مقاليد الحكم بصورة مباشرة، وتوجيه دفة القيادة بحسب الإيديولوجيا التي تحملها، وبالتالي تعطلت العملية السياسية.

٤- انقطاع الصلة بالعالم الخارجي وما يربط هذه الدولة من علاقات سياسية أو دبلوماسية نتيجة التغيير الكبير للسياسة الخارجية للدولة الواقعة تحت سيطرة المتطرفين.

(١) أسباب التطرف الديني السياسي في ضوء القرآن الكريم وأثره على الأمن المجتمعي أ.م. جمال أبو مرزوق ص ٦٢-٦٧ باختصار

- ٥- اختلال معايير التقييم السياسي في هذه الدول والتي يغلب عليها الطابع الفكري الغير قابل للنقاش.
- ٦- تشويه صورة الإسلام وانتشار التكفير في المجتمعات المسلمة للحكومات والأنظمة التي تحكم بالقوانين الوضعية، وما ينتج عنه من استباحة الدماء والأموال.
- ٧- يؤثر التطرف الديني السياسي على الدعوة الإسلامية ويعطلها، ويتسبب في تمزيق جماعة المسلمين وتفرقتها

- ٨- شدة العداء لغير المسلمين لغياب الوسطية والمنهج الصحيح الذي أرساه القرآن الكريم والسنة المطهرة.
- ٩- سوء فهم شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعطيل قدرات المرأة في مشاركتها في بناء المجتمع.
- ١٠- الانقسام بين انتماء المجتمع إلى الإسلام ورفضه لبعض أحكامه، وإقصاء الإسلام عن الحياة الاجتماعية.

ثانيا: الوسائل المنهجية لمواجهة التطرف الديني السياسي:

- ١- شغل وقت الفراغ ومحاربة الرفاهية الزائدة: لعل أوقات الفراغ الكثيرة التي يعيشها الشباب ويعانون منها وخاصة المترفين منهم إحدى أسباب وقوع هؤلاء الشباب في برائن الانحراف الفكري، وعلينا شغل وقت فراغ الشباب وتعويدهم على الخشونة والجدل وتحمل المسؤولية وهذا ما أرشدنا إليه القرآن الكريم فقد ربط بين العيش الرغيد وبين الضعف عند الخصومة، فقال تعالى: {أَوْمَنْ يُنَشَأُ فِي الْحَيَاةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرَ مُبِينٍ} (سورة الزخرف آية ١٨) وعلى من أراد تحقيق الأمن الفكري ابتكار المشروعات والأفكار البناءة، التي تشغل أوقات فراغ الشباب بما هو مفيد، وتتأى بهم عن الوقوع في أسر الأفكار الهدامة، نتيجة الرفاهية الزائدة الغير مضبوطة بالتأديب على أمور الدين والتربية عليه، ونتيجة لأوقات الفراغ الكثيرة التي يعيش فيها الشباب.

- ثانيا: الاهتمام بالمؤسسات التربوية: إنه لمن المؤكد أن التربية الإيمانية هي الدرع الواقي والحصن الحصين ضد الانحراف الفكري، ولهذا كان القرآن لمدة ثلاث عشرة سنة يربي المسلمين تربية إيمانية، ويثبت العقيدة في قلوبهم حتى لا تزيغ قلوبهم لأفكار دخيلة، أو آراء تخالف هذه العقيدة، فقويت العقيدة في قلوبهم

وحملوها للعالم بأسرها تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عَزَدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ (الأنعام: ٥٧)، "عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي" أي: على يقين مبين، بصحته، وبطلان ما عداه، وهذه شهادة من الرسول جازمة، لا تقبل التردد، وهو أعدل الشهود على الإطلاق، فصدق بها المؤمنون، وتبين لهم من صحتها وصدقها، بحسب ما مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَيْهِمْ فَثَبَّتُوا عَلَىٰ عَقِيدَتِهِمْ، وتمسكوا بها، وحملوا مشعلها لجميع البشرية^(١) ومن هنا كان لزاماً على جميع المرين آباء كانوا أو معلمين السعي الجاد والعمل المنظم لغرس عقيدة التوحيد في نفوس النشء المسلم وتلقينهم المبادئ الأساسية لدينهم، وأن يخطوا في قلوبهم الإسلام حكماً وشرعة، ويعلموهم معانيه السامية من الحب والوفاء والعدل والبطول والتسامح وعدم الحقد والحسد والبغضاء للمسلمين، كي يحصنهم فكرياً بتحسينهم إيمانياً ولذلك فقد أولى الإسلام قضية التربية اهتماماً خاصاً لتحقيق الأمن الفكري وتحسين المسلم من كل ما يعزوه فكرياً من خلال الاهتمام بالدوائر التربوية المختلفة، ودوائر التربية على النحو التالي:

أ- الأسرة ودورها في الأمن الفكري. ب- المسجد ودوره في الأمن الفكري.

ج- المدرسة ودورها في الأمن الفكري.

ثالثاً: الحوار: هو من أفضل تلك الطرق، وهو سلاح فتاك، من حيث إقناع الآخرين، والحوار الهادئ المقنع يفعل - في أكثر الأحيان - ما لا تفعله قوة المدافع والطائرات، وإذا كان كذلك، وأراد المسلمون أن يحموا أوطانهم، ويحفظوا وحدة أمتهم، فعليهم بالحوار؛ لأنه لا غنى لهم عنه، فهو وسيلة أساسية للتواصل مع الآخرين، وإقناع أصحاب الانحراف الفكري والعقدي، وليس القمع ويعرف الحوار بأنه: " حديث يجري بين شخصين أو أكثر في قضية ما، وقد يكون على طريقة السؤال والجواب شريطة الوحدة في الموضوع"^(٢) والحوار وسيلة من وسائل تحقيق الأمن الفكري التي يمكن استنباطها من القرآن الكريم: "وهو أسلوب وقائي وعلاجي في آن واحد، بمعنى أنه على المصلحين أن يديروا دائماً حوارات مع الشباب لتحقيق الأمن الفكري لديهم وتصحيح مفاهيمهم وتحسينهم من الغزو الفكري، كما أنه على المصلحين إدارة جلسات حوارية مع

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ١/٢٥٨، المكتب الإسلامي ط/١٤٢٣هـ.

(٢) أصول التربية الإسلامية: عبد الرحمن النحلاوي، ص ٢٠٦.

من انجرف من الشباب في تيارات الغزو الفكري لإقناعهم بالإقلاع عما هم عليه وبيان خطورته عليهم وعلى الأمة جمعاء^(١) ومن المواقف التي وردت في السنة لتدل على استخدام النبي ﷺ لأسلوب الحوار لتغيير الأفكار وتقويمها، ما ورد عن أبي أمامة ﷺ قال: "إِنَّ فِتْيَ شَابًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالرِّزْيِ. فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ مَهْ. فَقَالَ: ائْذَنُ. فَذَنَا مِنْهُ قَرِيبًا. قَالَ فَجَلَسَ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لَأَمِّكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِإِبْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِإِبْنَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخْوَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ. قَالَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ. قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَقِثُ إِلَى شَيْءٍ"^(٢) وهكذا عالج النبي ﷺ الموقف وقوم الأفكار، ووأد الفتنة في أول ظهورها، وفي ذلك القدوة الحسنة لولاة أمر المسلمين، والدعاة، والمصلحين في كل عصر ومصر إذا أرادوا إرادة حقيقية في تحصين المسلمين من الانحراف الفكري، وتحقيق الأمن الفكري لهم، وكذلك استخدم الصحابة ﷺ مبدأ الحوار في معالجة الانحراف الفكري، ومن ذلك ما وقع في خلافة علي ﷺ من الخوارج فبعث إليهم عبدالله ابن عباس ﷺ فحاوهم وكانت نتيجة هذا الحوار رجوع أربعة آلاف منهم إلى الحق بدون قتال .

رابعاً: البعد عن الإعلام الهابط الهدام، والاستعانة بالإعلام البديل المنافس: الإعلام من أقوى الوسائل تأثيراً على البشر وعلى المجتمع؛ إذ إنه سلاح ذو حدين، ولا يُمنع أحد من عدم مشاهدته؛ لأنه في متناول الجميع، سواء كان مرثياً أم مقروءاً أم مسموعاً، ولذا كان من مراتب الجهاد جهاد الكلمة أو جهاد القلم، ولكن ما إن يتحول هذا الإعلام إلى وسيلة لإذلال العباد واستعبادهم حتى يصبح ذا خطورة عالية، فيهول لهم الأمور حتى تصبح كالموبيقات لديهم {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّاعُوا بِهِ} (سورة النساء: ٨٣) وإذا كان أعداء الإسلام برعوا في استغلال وسائل الإعلام الحديثة في تسميم أفكار الشباب، فعلى

(١) المرجع السابق ص ٢٠٧.

(٢) أخرجه الإمام أحمد، من حديث أبي أمامة الباهلي بن عمرو بن وهب الباهلي عن النبي ﷺ ٢٤٨/٥ حديث ٢٢٢٦٥.

المصلحين أن يستغلوا وسائل الإعلام الحديثة في نشر الدين الصحيح وفي تنقية فكر الشباب مما قد يعتريه من هذه الأفكار المسمومة. والمتأمل في آيات القرآن الكريم يجد أن الله - ﷻ - أمر باستغلال النعم التي ينعم الله بها على الإنسان فيما يرضي الله - ﷻ - ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (سورة القصص ٧٧) ومن مراقبة الله - ﷻ - في وسائل الإعلام أن يستغلها المصلحون فيما يرضي الله، ومن ذلك: إعداد البرامج التي من شأنها تحصين المسلمين فكرياً ضد الأوبئة الفكرية التي ينفثها أعداء الإسلام في بلاد المسلمين، ومن خلال ما تقدم يتبين لنا دور الإعلام في نشر الوعي بين جميع طبقات المجتمع، وإفساح المجال للفكر أن يتناول قضايا العصر والنظام السائد فيه، سواء كانت علمية أو اجتماعية أو تربوية، بالنقد والتحليل فيسهم في حل قضايا المجتمع، ويبين محاسن المبادئ والنظريات، ولكي يستفيد أبناء المجتمع المسلم منها، وبالمقابل يكشف المبادئ الهدامة والفسادة، ويدعو إلى تجنبها والابتعاد عنها، كما أنه يسهم في مداواة أمراض الجريمة وعلل الانحراف الفكري وذلك بالاهتمام بالبيت والأسرة، ويقدم النصح للأبوين في المشكلات التربوية، ومساعدة المدرسة على أداء رسالتها، ويسهم في تقديم الإرشادات والتوجيهات لكل طبقات المجتمع (١)

خامساً: حب الوطن: إن حب الوطن والانتماء له والسعي لمصلحته والبعد عما يضر به والحرص على وحدته وطاعة ولي أمره في غير معصية مطلب شرعي أمر به الإسلام وهو إحدى الوسائل الإسلامية التي من شأنها أن تحقق الكثير لدى المسلمين من الأمن الفكري، ولا شك أن طاعة ولي الأمر في غير معصية الله تأكيد على حب الوطن، وحرص على وحدته، وتقويت على أعداء الإسلام من إيقاع الفرقة بين المسلمين وإشعال الحروب الداخلية في بلدانهم، والناظر في سنة النبي ﷺ يتعجب من شدة حبه لوطنه الأم مكة المكرمة ودليل ذلك قول النبي ﷺ حين هجرته بعد سنوات طوال من إيذاء أهل مكة له وتصدي الكثير منهم لدعوته: " وَاللَّهِ إِنَّكَ لَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ وَإِنَّكَ لَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ وَلَوْلَا أَنْ أَهْلَكَ أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا

(١) المسؤولية الأمنية للمؤسسات الاجتماعية: أحمد عبدالكريم غنوم، ص ٧٦، المجلد ١٥، عدد ٣٤، مجلة البحوث الإسلامية: ١٣٩/٩٤.

خَرَجْتُ" ^(١) وقد ورد في أقوال السلف ما يؤكد قيمة حب الوطن وأهميته ومنها: ما قاله عمر رضي الله عنه: "لولا حب الوطن لخرب بلد السوء فحبب الأوطان عمرت البلدان"، وقال ابن عباس رضي الله عنه: "لو قنع الناس بأرزاقهم فتونعهم بأوطانهم لما شكا عبد رزقه". وقال أبو عمرو بن العلاء: "مما يدل على كرم الرجل وطيب غريزته حنينه إلى أوطانه، وقدما قالوا: من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة ولمسقط رأسها تواقاً" ^(٢) فعلى ولاة الأمر والمصلحين والمربين والآباء في بلدان المسلمين أن يزرعوا حب الوطن والانتماء له والحرص على وحدته، ونفع أهله، وطاعة ولي أمره، عليهم أن يزرعوا ذلك كله في داخل الناشئ المسلم وأن يستغلوا لذلك برامج تربية واعية في البيت والمدرسة والمسجد ووسائل الإعلام حتى في النوادي الترفيهية وغيرها من الأماكن التي يتردد عليها الشباب.

سادساً: المؤاخاة: إن حب المسلم لأخيه المسلم وحرصه على مصلحته جزء من الدين، وهذا ما دفع النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار من أول أفعاله بعد هجرته صلى الله عليه وسلم؛ ولو طبقت المؤاخاة حق التطبيق لكان لها أكبر الأثر في تحقيق الأمن الفكري والسلوكي؛ لأن كل واحد داخل الوطن ينظر للآخر على أنه أخوه يحبه ويحرص عليه ويتفانى في مصالحه. ولذلك فإن الرابطة الإيمانية هي أهم الأسس التي يقوم عليها المجتمع المسلم، وبالتالي فهي أهم وأقوى الحصون التي تحصن المجتمع من كيد أعدائه وأفكارهم المسمومة، وتخطيطاتهم الخبيثة، وقد كانت الأخوة نوعاً جديداً من العلاقات لم يعهده المجتمع العربي قبل الإسلام، إذ كان ذلك المجتمع يقوم على رباط النسب والجنس، فجاء الإسلام ليجعل الترابط في مجتمعه على ذلك الأساس الروحي والفكري من وحدة العقيدة ووحدة الغاية، متخطياً في ذلك الروابط التي تحمل في طبيعتها عوامل التفكك وبذور الانهيار ^(٤)

(١) سنن الترمذي، المناقب ٣٩٢٥، سنن ابن ماجه، المناسك ٣١٠٨، سنن الدارمي، السير ٢٥١ ط: دار القلم، دمشق، ط ١٤١٧هـ.

(٢) الروض الأنف: السهيلي: ٣١٤/٢، ط: دار إحياء التراث العربي، ط/ ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٣) تفسير روح البيان: إسماعيل حقي ٢١٣/١٠، ط: دار الفكر، بيروت، محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني: ٩٩/٢، ط: دار الأرقم، بيروت، ط/ ١٤٢٠هـ،

والمحاسن والمسائير لإبراهيم البيهقي: ١٣٨/، ط: دار صادر بيروت، ومجلة البحوث الإسلامية: ١٥٣/٩٤

(٤) المجتمع الإسلامي، أهدافه ودعائه أوضاعه وخصائصه، في ضوء الكتاب والسنة، د/ مصطفى عبدالواحد، ص ٤٤، ٤٥، ط: مطبعة دار التأليف، مصر،

ط/ ١٣٨٩هـ، و أثر الإيمان في تحصيل الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة: عبدالله بن عبدالرحمن الجريوع: ٥٥٣/٢، ط: الجامعة الإسلامية

بالمدينة المنورة، عمادة البحث العلمي، ط/ ١٤٣٢هـ ٢٠١٣م.

قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (سورة الحشر: ٩)، وجملة: {يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ} حال من الذين تبوؤوا وهذا ثناء عليهم بما تقرر في نفوسهم من أخوة الإسلام إذ أحبوا المهاجرين، وشأن القبائل أن يتخرجوا من الذين يهاجرون إلى ديارهم لمضايقتهم^(١) وبعد البيان لأهمية الرابطة الإيمانية لقوة المجتمع المسلم ووحدته وحصانته من الأفكار الهدامة، وأثر ضعف تلك الرابطة في تفككه وحدوث الثغرات التي يتسلل منها كل فكر خبيث ومبدأ هدام، بعد ذلك يأتي المجال لذكر أهم العوامل التي تنمي الرابطة الإيمانية وتشد منها.

وأهم العوامل التي تنمي الرابطة الإيمانية هي:

أولاً: التزام الأخلاق الفاضلة.

ثانياً: القيام بالحقوق المفروضة لبعض المسلمين على بعض.

ثالثاً: الالتزام بالنظام الاجتماعي والاقتصادي الإسلامي.

رابعاً: المحافظة على الوحدة الفكرية^(٢).

ثانياً: الوسائل الوقائية والعلاجية لمواجهة التطرف الديني السياسي: ولا ريب أن تأصيل وترسيخ الاعتقاد الصحيح من أعظم وسائل الوقاية من الانحراف الفكري، والواقع في القديم والحديث يصدق هذه الحقيقة؛ إذ لا نكاد نلمس انحرافاً فكرياً فيمن كان لديه اعتقاد صحيح مبني على علم، فلا غرو أن يعنى الكتاب الكريم والسنة المطهرة بتثبيت العقيدة الصحيحة في النفوس بالدلائل والبراهين العقلية والنقلية، ومن ذلك:

أولاً: التزام الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة: هو الأساس العاصم من الانحراف الفكري في الأمة على المستوى الفردي والجماعي، وذلك بدلالة الكتاب والسنة، وإجماع السلف الصالح من أصحاب النبي ﷺ

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ٤٣٦٢/١، ط: الدار التونسية ١٩٨٤م.

(٢) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة: ٥٦٠/٢.

والتابعين لهم بإحسان على ذلك، قال تعالى: {الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} (١). وقال سبحانه: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} (٢) أما دلالة السنة على هذه الحقيقة فواضحة من خلال:

أ- الأحاديث الكثيرة الحاضرة على التزام الوحيين والاستمساك بهما، قال النبي ﷺ: " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ" (٣) وأقوال الصحابة ؓ كثيرة في هذا منها القول المأثور عن الصحابييين الجليلين عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود قالوا: إنما هما اثنتان الكتاب والهدي فخير الكتب كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ (٤).

ب- التلقي السليم الذي لا تتنازعه أهواء ولا تعصبات ولا منازعات، ولا يشوبها انحرافات فكرية، ولا يخالطها معتقدات فاسدة باطلة.

وبين الله ﷻ في كتابه الكريم وعلى لسان نبيه الأمين محمد ﷺ الأمور المفسدة للاعتقاد الصحيح، والتي يحدث بوجودها الانحراف الفكري في كل مجتمع، وحذر عباده منها لما لها من آثار سيئة عليهم، ولا ريب أن التعرف على هذه الأسباب من الكتاب والسنة والتحذير منها واجتنابها من أنفع السبل لوقاية المجتمع من الانحراف الفكري بإذن الله تعالى، وهذه أهم الأسباب مرتبة في المطالب التالية:

أولاً: العناية بالعلم الشرعي: فهو من أهم طرق الوقاية من الانحراف الفكري، وضعف العلم وذهاب العلماء من أعظم أسباب الانحراف، كما دلت على ذلك السنة المطهرة بقوله ﷺ: " إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا" (٥) ومما يؤكد أهمية العلم كضمانة حقيقية ضد الانحراف ما نلاحظه في الواقع من أنه كلما قل العلم بالكتاب الكريم والسنة المطهرة في مجتمع ما كلما بدت ظواهر الانحراف الفكري جلية واضحة وأبرزها الانحراف الفكري فنجد أن البيئات التي يقل فيها العلم يسهل على الدعوات المضللة

(١) سورة البقرة الآيات ١، ٢.

(٢) سورة الإسراء: ٩، ومجلة البحوث الإسلامية: ٣١٩/٧٧.

(٣) رواه الترمذي، في كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة، حديث ٢٩٩١.

(٤) الاعتصام لأبي إسحاق الشاطبي: ٦٩/١، تحقيق: محمد رشيد رضا، ط: دار المعرفة، بيروت ١٤٠٢هـ.

(٥) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب: كيف يقبض العلم، حديث ٩٨، ومسلم: كتاب العلم، باب: رفع العلم وقبضه، حديث ٢٦٧٣.

والأفكار المنحرفة أن تجد فيها قبولاً وتأثراً بها، وعلى العكس من ذلك البيئات التي ينتشر فيها العلم الشرعي وهذا ملاحظ في واقع الأمة فإن البيئات التي لم ينتشر فيها العلم الشرعي تكثر فيها البدع والانحرافات.

ثانياً: الفهم الصحيح: من أهم القضايا التي ينبغي العناية بها، لا سيما في أوقات الفتن؛ إذ بها تتفاوت مراتب الخلق في إصابة الحق، ولذلك اختص الله نبيه سليمان عليه السلام بالفهم مع ثنائه عليه وعلى داود عليه السلام بالحكم، قال تعالى: **{فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا}** (سورة الأنبياء: ٧٩) وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي موسى في كتابه إليه: (الفهم الفهم فيما أدلي إليك)^(١)، وقال علي رضي الله عنه: (أو فهمًا يؤتية الله عبدًا في كتابه)^(٢)، وقال أبو سعيد: كان أبو بكر رضي الله عنه أعلمنا برسول الله^(٣)، ودعا النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله ابن عباس رضي الله عنهما أن يفقهه في الدين ويعلمه التأويل^(٤)، وتلك مرتبة فوق مرتبة العلم المجرد. قول الإمام العلامة ابن القيم: "صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أعطي عبد عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما"..... إلى أن قال: "ومن تأمل الشريعة وقضايا الصحابة وجدها طافحة بهذا، ومن سلك غير هذا أضاع على الناس حقوقهم، ونسبه إلى الشريعة التي بعث الله بها رسوله" انتهى كلامه^(٥).

رابعاً: الوسائل العملية لعلاج التطرف الديني السياسي :

أولاً: الحكم بما أنزل الله في جميع جوانب الحياة: لا ريب أن الحكم بما أنزل الله في جميع جوانب الحياة يحقق للمجتمع صلاحاً في عقيدته، وتحقيقاً لإيمانه قال تعالى: **{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}** (سورة النساء: ٦٥) فالمجتمع المحكوم بشرع الله أقرب إلى التمسك بالدين والمحافظة عليه والتمسك بثوابته، وعدم الانحراف عنه، وكما كان المجتمع محكوماً بالشرع متحكما إليه، قلت فيه دواعي الانحراف وأسبابه. وإن كان ذلك لا يختفي

(١) أخرجه الدار قطني في سننه: ٢٠٦/٤، ٢٠٧، والبيهقي في السنن الكبرى: ١١٩/١٠، ١٥٠، و منهاج السنة لابن تيمية: ٧١/٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد، حديث ٣٠٤٧ بنحوه.

(٣) أخرجه البخاري، في كتاب: المناقب، حديث ٣٦٥٤، ٣٩٠٤، ومسلم في: فضائل الصحابة، حديث ٢٣٨٢.

(٤) أخرجه البخاري في: الوضوء، حديث ١٤٣، ومسلم في: فضائل الصحابة، حديث ٢٤٧٧.

(٥) إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن القيم: ٨٧/١، ٨٨، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ط: دار الجليل، بيروت ١٩٧٣م.

مطلقاً، ولكن تكون نسبته أقل، كما هو الشأن في عصر علي ؓ حيث ظهرت الخوارج والرافضة، مع أن المجتمع كان محكوماً بالشرع ومتحاكماً إليه. إذ المجتمع المسلم المحكوم بالشرع لا يسمح بالدعوة إلى العقائد الضالة والمذاهب المنحرفة، والفكر المناوئ للحق والمعادي له، فيقل تبعاً لذلك من يبحث عنها ويعتقها.

ثانياً: القيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: يتصور بعض الناس أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يختص بالأمر العملية، وهذا فهم قاصر لهذا المبدأ العظيم، ففي مجال العقيدة والفكر للأمر والنهي مجاله، فقد ورد النهي عن التفكير في ذات الله، أو الاستمرار في التساؤل عن الخلق، في حديث عروة بن الزبير قال أبو هريرة ؓ قال رسول الله ﷺ: " يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك، فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته" ^(١)، ومما يدخل في ذلك النهي عن القراءة في كتب الباطل والضلال، ولا سيما من قبل من يخشى عليهم التأثير بها، وقد نهى الأئمة عن كل ما يؤدي إلى فساد الاعتقاد وضلال الفكر، ومن ذلك نهى الأئمة عن علم الكلام ومخالطة أهل البدع والضلالات والعناية بتدريس العقيدة الإسلامية القائمة على التوحيد الخالص من شوائب الشرك والبدع والخرافات، وتعميق وترسيخ هذه العقيدة بشتى السبل العلمية لأن المسلم ذا العقيدة الصحيحة سد منيع أمام دعاة الانحراف الفكري.

ثالثاً: منع المبطلين من نشر مذاهبهم الضالة وعقائدهم المنحرفة والتحذير منها والرد على أصحابها: لا ريب أن من عوامل سلامة المجتمع المسلم من الانحراف الفكري، سلامته من دعاة الضلال والانحراف، ذلك أن وجودهم وكثرتهم وإتاحة الفرصة لهم لنشر ضلالاتهم وانحرافاتهم مؤذن بالخطر، وقد حذر النبي ﷺ منهم ووصفهم بأنهم دعاة على أبواب جهنم. فمنعهم من نشر مذاهبهم المنحرفة وآرائهم المشككة، وشبهاتهم المضللة من أعظم العون على الثبات على الحق.

رابعاً: بيان وكشف العقائد والمذاهب الباطلة والأساليب المسببة للانحراف الفكري والتصدي لها: يعد التحصين الفردي تجاه صور الانحراف الفكري ووسائله ومسبباته أهم سبل الوقاية من الانحراف، وكما

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، حديث: ٣٠٣٤.

سبقت الإشارة لذلك فيما مضى ولعل من سبل التحصين المؤثرة الفاعلة دحض الضلالات الفكرية، وكشف الشبهات وتعرية المذاهب الباطلة، وكشف ريف العقائد الضالة. وذلك ببيان لا يدع شبهة إلا كشفها، ولا حجة إلا أجاب عنها. ولنا في كتاب ربنا القرآن الكريم أسوة فقد حكى العقائد الضالة وبين المذاهب الباطلة، ودحض حججها، وكشف زيفها^(١).

الخاتمة:

وفيها أهم النتائج: الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، وقد أسفرت هذه الدراسة عن النتائج الآتية:

- ١- يعتبر ذو الخويصرة التميمي الذي اعترض على رسول الله ﷺ هو أول خارجي خرج في الإسلام .
- ٢- إن ظهور الخوارج ليس محصورا في القرن الأول، أو في الذين خرجوا على علي عليه السلام بل لا يزال خروجهم مستمرا حتى يلحق آخرهم بالذجال، ولن ينقطع ظهورهم، بل سيظهرون بين الفينة والأخرى، وفي كل ظهور لهم يهيب الله لهم من يبطل حجتهم ويقطع دابرهم، وأعظم سلاح لردع ضلالتهم مجابتهم بالحجة وسيف السلطان.
- ٣- إن نصوص الوعيد السابقة للخوارج والذم لهم لا تخص فرقة الخوارج، أو تنحصر على من تسمى بالخوارج، بل تعم كل من سار على نهج الخوارج، ممن يخرج على إمام المسلمين وجماعتهم لمعتقد يعتقد سواء تسمى باسمهم أو باسم آخر .
- ٤- كثير من آراء الخوارج وجد لها صدى في العصر الحاضر في فكرنا الإسلامي، بصورة ما، وتفاوت هذا الأثر قوة وضعفا، واختلفت وجهة نظر القائلين بآراء الخوارج، ما بين تطبيقها عمليا، أو الاقتناع بها نظريا فقط والاجتهاد في تقريرها، والإعجاب بها، وحث الناس على اعتناقها، فبعض آراء المعاصرين في التكفير والخروج تسيير على الخطى التي سار عليها الخوارج قديما، فيتشابهون في أفكارهم وآراءهم.
- ٥- إن التعامل مع الفكر المغالي، والرأي المنحرف لا يكون إلا بالحوار معه، وتصحيح ما به من أخطاء، وبيان ما لديه من خلل، وإيضاح الصواب له، هذا هو سبيل العلاج، أن يتم ذلك من خلال التعامل مع

(١) مجلة البحوث الإسلامية: ٣٣٥/٧٧.

صاحب هذا الفكر لا يكونه يقف موقف المتهم ينتظر الإدانة، وإنما هو في موقف المريض تريد له الدواء، كما حدث مع الإمام علي عليه السلام - حينما بعث عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - إلى الخوارج كي يحاورهم ويبين لهم وجه الصواب.

٦- أن أفكار "تنظيم الدولة الإسلامية" مستفاهة ومشابهة لأفكار الخوارج السابقين، تزداد اندحاراً بسبب الجهل والهوى، واحتمال وجود اختراقات أجنبية لهذا التنظيم.

٧- خفاء حال ما يسمى بتنظيم دولة الخلافة الإسلامية واغترار كثير من المسلمين -ذكوراً وإناثاً- بهم، واشتباها أمرهم عليهم.

٨- وجود تأثير كبير لأصول الخوارج المتقدمين على فكر تنظيم "دولة الخلافة الإسلامية" تستدعي الوقوف عندها، كتكفير المخالف، والتكفير باللائم، والتكفير بالذنب أو بما ليس بذنب أصلاً، واستباحتهم ممن كفروه ما لا يستباحونه من الكافر الأصلي.

٩- التحذير من مسالك التنظيمات وبالأخص التي تنهج نهج الخوارج، الكشف عن ما زاده وفاق به تنظيم دولة الخلافة الإسلامية الخوارج المتقدمين والخوارج المعاصرين كتتنظيم القاعدة.

أهم المراجع

- القرآن الكريم، كتاب الله المعجزة الخالدة.

١- الأحكام السلطانية، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى : ٤٥٠هـ)

٢- إعلان الخلافة الإسلامية، رؤية شرعية واقعية. علوي السقاف، موقع الدرر السنية.

٣- بيعة الأمصار للإمام المختار، أبو جعفر الحطاب، أحكام البيعة في الإسلام (كتاب على شبكة الانترنت) ١٤٣٤هـ.

٤- تأثر الخوارج المعاصرين بأصول الخوارج المتقدمين، د. فهد الفهيد ط/ جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٣٦هـ.

٥- تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى : ٣١٠هـ)، ط/دار الكتب العلمية - بيروت.

٦- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الملطي الشافعي، دون طبعة، دون تاريخ.

٧- تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام ماله وما عليه -دراسة تحليلية-، علا الشريف مركز رُشد للدراسات والتدريب ٢٠١٤م.

- ٨- تنظيم الدولة الإسلامية، النشأة، التأثير، المستقبل، ، دون طبعة ، دون تاريخ.
- ٩- تنظيم دولة العراق والشام، نشأته وتوثيق لأبرز الانتهاكات التي قام بها، إعداد: الشبكة السورية لحقوق الإنسان، مجموعة باحثين. تنظيم الدولة الإسلامية، النشأة، التأثير، المستقبل، مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٤م.
- ١٠- خلافة داعش من هجرات الوهم إلى بحيرات الدم، هيثم مناع، المعهد الاسكندنافي لحقوق الإنسان، ٢٠١٤م.
- ١١- داعش، مازن شندب، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ١٤٣٥هـ، بيروت، أبو عبدالله محمد المنصور.
- ١٢- دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، أحمد محمد أحمد جلي، ط/مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
- ١٣- الدولة الإسلامية بين الحقيقة والوهم ، أبو عبد الله محمد المنصور ، دون طبعة ، دون تاريخ.
- ١٤- شرح السنة للبرهاري الحسن بن علي بن خلف البرهاري أبو محمد ادار ابن القيم - الدمام الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ
- ١٥- شرح النووي على صحيح مسلم أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ط/دار إحياء التراث العربي- بيروت ١٣٩٢هـ
- ١٦- الشريعة للأجري أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجرّي البغدادي (المتوفى : ٣٦٠هـ)
- ١٧- فتح الباري دار المعرفة - بيروت ، ١٣٧٩ تحقيق : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي
- ١٨- الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور ط/دار الآفاق الجديدة - بيروت.
- ١٩- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، ط/مكتبة الخانجي، القاهرة.
- ٢٠- القاعدة تتبرأ من تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، تقرير على شبكة الانترنت أعده مركز المعلومات حول الاستخبارات والإرهاب، ٢٠١٤م.
- ٢١- القواعد المثلى لابن عثيمين الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م
- ٢٢- ماذا تعرف عن الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش."، دون طبعة ، دون تاريخ.
- ٢٣- مجموع الفتاوى لابن تيمية، ط/ دار الوفاء ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥ م
- ٢٤- مد الأيادي لبيعة البغدادي، كتاب على شبكة الانترنت، أبي همام بكر بن عبدالعزيز الأثري، وفيه كامل نص بيعة المجاهيل المزعومة الباطلة.
- ٢٥- مسند الإمام أحمد تحقيق شعيب الأرنؤوط ط/ عالم الكتب - بيروت الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ. ١٩٩٨ م
- ٢٦- مقالات الإسلاميين، دار إحياء التراث العربي، ط/بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٥م.
- ٢٧- الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني الناشر : دار المعرفة - بيروت ، ١٤٠٤هـ.
- ٢٨- منهاج التأسيس والتأسيس في كشف شبهات داوود ابن جرجيس، عبداللطيف آل الشيخ ط/دار الهداية الرياض ١٤٠٧هـ
- ٢٩- منهاج السنة النبوية لابن تيمية تحقيق د.محمد رشاد سالم ، ط/مؤسسة قرطبة، الطبعة لأولى ١٤٠٦هـ.

مواقع

الانترنت:

- ٣٠- موقع cnn العربية: <http://arabic.cnn.com/middleeast/2014/07/01/baghdadi-speech-isis>.
- ٣١- موقع كتابات الإخبارية على الرابط <http://cutt.us/WZVPH> ، وتنظيم دولة العراق والشام، نشأته وتوثيق لأبرز الانتهاكات التي قام بها ، إعداد: الشبكة السورية لحقوق الإنسان.
- ٣٣- موقع كتابات الإخبارية على الرابط <http://cutt.us/WZVPH> ، وتنظيم دولة العراق والشام، نشأته وتوثيق لأبرز الانتهاكات التي قام بها.
- ٣٤- هل تنظيم "الدولة الإسلامية" من الخوارج، موقع هيئة الشام الإسلامية على شبكة الإنترنت islamicsham.org/fatawa/1945.
- ٣٥- بيان بيعة جماعة التوحيد والجهاد لتنظيم قاعدة الجهاد، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط <http://www.tawhed.ws/r?i=dwww> 500
- ٣٦- بيان بيعة جماعة التوحيد والجهاد لتنظيم قاعدة الجهاد، منبر التوحيد والجهاد، <http://www.tawhed.ws/r?i=dwww>
- ٣٧- القاعدة تنبراً من تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، تقرير على شبكة الانترنت أعده مركز المعلومات حول الاستخبارات والإرهاب، ٢٠١٤م، موقع كتابات الإخبارية <http://cutt.us/WZVPH> ،
- ٣٨- موقع cnn العربية: <http://arabic.cnn.com/middleeast/2014/07/01/baghdadi-speech-isis>
- ٣٩- <https://azelin.files.wordpress.com/2013/09/abc5ab-al-e1b8a5asan-al-azdc4...>
- ٤٠- <https://archive.org/stream/tabsir.almahajij.l#page/n0/mode/2up>
- ٤١- موقع هيئة الشام الإسلامية <http://islamicsham.org/fatawa/1945> <https://www.youtube.com/watch?v=zBtxTO2Ivok>
- ٤٢- موقع قناة الجزيرة <http://www.aljazeera.net/portal> ،
- ٤٣- موقع قناة العربية، <https://www.alarabiya.net/> <http://alarabnews.com/alshaab/GIF/14-02-2003/Laden.htm>

القواعد الفقهية والأصولية

المستخرجة من كتاب فتح الإله المنان للعلامة باغيثان – رحمه الله –

د. عادل محفوظ عوض باسدس

أستاذ أصول الفقه ومقاصد الشريعة المساعد- مدير عام مركز جامعة

حضر موت لتدريب الطلاب.

Dr.basads75@gmail.com

الملخص

6

يتناول البحث القواعد الفقهية والأصولية عند علم من علماء حضرموت ألا وهو العلامة باغيثان في كتابه (فتح الإله المنان).

اجتهد العلامة – رحمه الله – في تناول القواعد الفقهية والأصولية، والاستدلال بها في كل موطن من مواطن استدلاله، وقد احتوى البحث في محثه الأول التعريف بالقواعد الفقهية والأصولية وبيان أهميتها والعلاقة بينهما، مع التعريف بالعلامة باغيثان، من حيث مكانته الفقهية والأصولية.

ثم جاء المبحث الثاني في استخراج القواعد الفقهية من كتاب فتح الإله المنان والذي قُسم إلى قواعد فقهية كبرى ضمت قاعدة: الأمور بمقاصدها، واليقين لا يزول بالشك، والمشقة تجلب التيسير، والضرر يُزال، والعادة محكمة. والقسم الثاني من القواعد الفقهية تناول قواعد غير القواعد الكبرى: كقاعدة: الرخص لا تناط بالمعاصي، وقاعدة الأصل في الأشياء الإباحة، وقاعدة لا يُنكر المختلف فيه وإنما يُنكر المجمع عليه وغيرها.

وجاءت القواعد الأصولية في المبحث الثالث، الذي ضم العديد من تلك القواعد الأصولية، منها: قاعدة الحكم يدور مع علته وجوداً وعدمًا، وقاعدة التحريم منوط على الوسائل، والأوامر والنواهي وغيرها. مع ذكر مثال واحد على الأقل للاستشهاد لتلك القواعد عند العلامة باغيثان.

الكلمات المفتاحية : القواعد، باغيثان، فتح المنان .

The Jurisprudence Principles Extracted from Ba Ghaith's Book *Fat-h El-Ilah Elmanan*

Dr. Adil Mahfoudh Awadh Ba Suds

Assistant Professor of Jurisprudence and Sharia Intentions, Director of Student Training Center, Hadramout University

Abstract:

The research tackles the rules of Islamic jurisprudence (Fiqh) and fundamentalism at one of the scholars of Hadhramout, which is the Scholar Bagithan in his book, Fateh al-Elah al-Manan.

The scholar- may God have mercy on him-made every effort to handle the rules of Islamic jurisprudence (Fiqh) and fundamentalism, and made inferences where it is required. In its first topic, the research introduces the definition of Islamic jurisprudence and fundamentalism, clarification of their significance, the relation between them, and introducing the scholar Bagithan, in terms of his jurisprudential and fundamental status.

The second topic is devoted to extract the rules of Islamic jurisprudence from the book, Fateh al-Elah al-Manan which is divided into major jurisprudential rules that include the following: Actions are judged by intentions (motives), certainty is not removed (overruled) by doubt, priority is given to permission (facilitation) over hardship in Sharia (If hardship is the outcome of an action, it is better to facilitate it by giving permission not to do it, based on the rule that says: Islamic religion tends to facilitate deeds not to complicate them), harm can be removed (prevented), the custom (habit) is the source of Sharia's resolutions (fatwa), each custom has its own particular adjudication. Whereas the second part of jurisprudential rules deals with rules other than the major ones, and they are as follows: Rule of permission does not entitle committing sins, the nature of rulings is permission, and the rule that says: Islamic Scholars do not deny judgements that all of them consider right. However, they deny what all of them agree that is wrong.

The third topic tackles the fundamental rules that include the following: Rule of judgment going with its reason, rule of prohibition depends on the nature of means, Islamic directives, and Islamic forbiddances etc. The research cites at least one example to clarify those rules of the Scholar Bagithan.

Key words: Rules, Bagithan, Fateh al-Manan

مقدمة البحث

الحمد لله الذي أرسى قواعد الدين وأحكم، ومهد سبل التعلم وعلم، وفقه في دينه من اصطفى وفهم، واختص بالتوفيق من شاء وألهم، وصلى الله على المبعوث رحمة وسلم، المخصوص بجوامع الكلم وبدائع الحكم، وودائع العلم والحلم والكرم.

وبعد:

فإن علم القواعد ذوات الارتباط بالفقه والأصول، علم جليل قدره، عظيم شأنه، عميم نفعه، فكان للقواعد الفقهية الأثر الكبير في مجال الفتوى وإصدار الأحكام، وبها اكتنحت بإثمده عيون أعطاف ذوي الأفهام، واستبصرت بنورها أنظار أولي النهى والأحلام، إذ هي قاعدة الأحكام، والفاصل بين الحلال والحرام، وبها تتحقق مصالح الأنام، وتحكم المسائل غاية الأحكام.

يقول الإمام القرافي — رحمه الله — " فإن الشريعة المعظمة المحمدية، زاد الله تعالى منارها شرفاً وعلواً، اشتملت على أصول وفروع، وأصولها قسمان: أحدهما المسمى بأصول الفقه، وهو في غالب أمره ليس فيه إلا قواعد الأحكام الناشئة عن الألفاظ العربية خاصة، وما يعرض لتلك الألفاظ من النسخ والترجيح، نحو قولهم: الأمر للوجوب والنهي للتحريم، والصيغة الخاصة للعموم ونحو ذلك، وما خرج عن هذا النمط غير كون القياس حجة، وخبر الواحد، وصفات المجتهدين.

والقسم الثاني: قواعد كلية فقهية جليلة كثيرة العدد عظيمة المدد مشتملة على أسرار الشرع وحكمه، لكل قاعدة من الفروع في الشريعة ما لا يحصى، ولم يذكر منها شيء في أصول الفقه وإن اتفقت الإشارة إليها هنالك على سبيل الإجمال فبقي تفصيلها لم يتحصل، وهذه القواعد مهمة في الفقه عظيمة النفع، وبقدر الإحاطة بها يعظم قدر الفقيه ويشرف، ويظهر رونق الفقه ويُعرف، وتتضح مناهج الفتوى وتُكشف، فيها تنافس العلماء وتفاضل الفضلاء، وبرز القارح على الجذع وحاز قصب السبق من فيها برع، ومن جعل تخريج الفروع بالمناسبات الجزئية دون القواعد الكلية تناقضت عليه الفروع واختلقت، وتزلزلت خواطره فيها واضطربت، وضاعت نفسه من طلب مناهجها، ومن ضبط الفقه بقواعده استغنى عن حفظ أكثر الجزئيات؛ لاندراجها في الكليات، واتحد عنده ما تناقض عند غيره وتناسب، وأجاب الشاسع

البعيد وتقارب، وحصل طلبته في أقرب الأزمان، وانشرح صدره لما أشرق من البيان، فبين المقامين شأو بعيد، وبين المنزلتين تفاوت شديد⁽¹⁾.

وتزداد أهمية القواعد الفقهية والأصولية من خلال قيمة المصنف؛ الذي جمع بين الفقه والأصول، ولذلك وقع اختياري على مصنف نافع لعلم معروف في مدينة العلم والعلماء تريم الغناء ألا وهو مفتي بلاده ومرجع كل سائل فيها العلامة سالم بن سعيد باغيثان من خلال كتابه (فتح الإله المنان). وهو أحد الأئمة الأعلام الذي يفخر بهم القطب الحضرمي.

لذا فلا جرم أن نجد الثناء العظيم على هذا الكتاب، وعلى صاحبه من لدن العلماء والأئمة في زمانه وبعد زمانه، فإنه منار الفقهاء المجتهدين، في كل وقت وحين، ينهل منه كل ذي فقه ما يقوي آراءه وفتاويه، ويحصل اختلافات الأئمة في الفروع الفقهية، ويقارن بينها ويوازن، فتتمو الملكة الفقهية التي يستطيع بها أن يقدم ما يستوجب التقديم، ويؤخر ما حقه التأخير.

ومما سبق ذكره يمكننا تلخيص أهمية البحث في:

- 1) إبراز دور القواعد الفقهية والأصولية في معالجة القضايا في كل عصر ووقت.
- 2) بيان مكانة القواعد في الفتوى، وتأكيد على صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان.
- 3) إظهار مكانة العلامة باغيثان – رحمه الله – في الفقه والأصول.
- 4) أن القواعد الفقهية والأصولية في كتاب "فتح الإله المنان" متناثرة، والفوائد فيها متطايرة، وقد يبذل طالب العلم جهداً في الحصول عليها، فأحدث الله في نفسي أن تلك القواعد لو اجتمعت في سفر واحد، لكان أفضل وأجود.
- 5) إن جمع القواعد الفقهية والأصولية، واستخراجها من "فتح الإله المنان" يبرز أهمية هذا الفن في شخصية العلامة باغيثان – رحمه الله –.
- 6) المساهمة في خدمة الجانب الفكري لشخصيته العلمية، وذلك أن من الباحثين قد اهتموا بالعلامة باغيثان – رحمه الله – في جوانب وأغفلوا جوانب أخرى.

أهداف البحث: نوجز تلك الأهداف في النقاط الآتية:

¹ (الفروق: القرافي 1 / (5 - 8).

- 1) إرشاد الباحثين وطلاب العلم إلى أهمية العلم ومصنّفه.
- 2) إرشاد السالكين في طريق العلم لأهمية القواعد الفقهية والأصولية.
- 3) توضيح القواعد الفقهية والأصولية الواردة في كتاب (فتح الإله المنان).
- 4) خدمة تراث فقهاء حضرموت.

أسباب اختيار الموضوع: مما سبق ذكره من أهمية البحث، وعملي في بحثي (المصلحة

والمفسدة عند العلامة باغيثان الحضرمي من خلال كتابه - فتح الإله المنان - (1) واطلاعي وقراءتي للكتاب لأكثر من مرة خلصتُ إلى جملة من القواعد الفقهية والأصولية والتي جعلتها منطلقاً لبحثي الذي بين أيديكم، وكذلك إشارات بحثية علمية لعدد من الباحثين والأكاديميين، فيها من النصح والإرشاد لاستنباط القواعد الفقهية والأصولية من كتاب (فتح الإله المنان). ولعل من أبرز تلك التوجيهات والتوصيات ما يأتي:

- 1) أوصى الدكتور رياض بن فرج عبدات في نهاية بحثه(2)، بضرورة الاعتناء بعلم القواعد الفقهية والأصولية والمقاصدية من قبل المراكز الشرعية والبحثية والجامعات. وهذه التوصية إنما جاءت بناءً على عدد كبيرٍ من القواعد الفقهية والأصولية المتوافرة في كتاب (فتح الإله المنان). وأيضاً أوصى بنشر تراث فقهاء حضرموت، ودراسته دراسة علمية معمّقة.
- 2) أشار الدكتور أمين سالم بن عثمان في بحثه(3)، إلى التزام العلامة باغيثان - رحمه الله - بالقواعد والضوابط الفقهية عند الإفتاء ومراعاته لمقاصد وأسرار روح الشريعة. وقد ذكر عدداً من تلك القواعد والتي تحتاج لدراسة وتحقيق، مع استنباط ما لم يستنبطه الباحث من كتاب (فتح الإله المنان).

¹ البحث منشور في مجلة المدونة. التابعة لمجمع الفقه الإسلامي، العدد (23)، لشهر جمادى الأولى 1441هـ من شهر يناير 2020م.

2) أثر التعيد في نجاعة الفتوى - التصفيق عند العلامة باغيثان أمودجاً -: لرياض بن فرج عبدات، ص 24.

3) العلامة سالم بن سعيد بكير باغيثان ومنهجيته في الإفتاء من خلال فتاويه المسماة (فتح الإله المنان)، لأمين سالم عبدالله بن عثمان، مجلة جامعة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد (14) المجلد (15) أبريل، ص (370 - 373).

(3) أوصى الدكتور علي يسلم بابطاط في نهاية بحثه للماجستير(1) بضرورة دراسة تلك القواعد من كتاب (فتح الإله المنان) دراسة مستفيضة وإبراز تلك القواعد وإيضاحها، حتى يتبين لمريد الحق ما قامت عليه تلك الفتاوى من قواعد أصولية وفقهية، وإبراز مكانة العلامة باغيثان – رحمه الله – وما بذله من جهد وعناء حتى بلغ تلك المرتبة. مع غيره من العلماء السابقين. وعملي في (فتح الإله المنان) هو استنباط واستخراج تلك القواعد الفقهية والأصولية، والتعليق عليها وتوضيحها بأمثلة واردة في كتاب فتح الإله المنان. هذا، وقد قسمتُ بحثي إلى مباحث ثلاثة. جاءت على النحو الآتي:

المبحث الأول: (المبحث التمهيدي) وعنيت فيه ببيان مفردات العنوان، والابضاح المفهومي للبحث. والذي احتوى (القواعد الفقهية. القواعد الأصولية. الإمام باغيثان فقيهاً أصولياً).

المبحث الثاني: استخراج القواعد الفقهية من كتاب فتح الإله المنان.

المبحث الثالث: استخراج القواعد الأصولية من كتاب فتح الإله المنان.

وقد ذيلتُ البحثُ بخاتمةٍ أودعتها خلاصةً للنظر للقواعد الفقهية والأصولية من كتاب (فتح الإله المنان). مع ذكرٍ لأبرز التوصيات التي يأمل الباحث تحقيقها مستقبلاً.

وصل الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

1 (فتح الإله المنان من أول الكتاب العبادات إلى آخر كتاب الحج: لعلي يسلم بابطاط، رسالة ماجستير. نوقشت بالسودان، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإنسانية.ص 221.

المبحث الأول

مصطلحات البحث

القواعد الفقهية والأصولية والعلامة باغيثان – رحمه الله –

إن تحرير مفاهيم المصطلحات مدخل إلى وضع الحقائق في نصابها، وقطع دابر المماحكة، واستجلاء أوجه الالتلاف والاختلاف بين الفرقاء، ولذلك رأيت من الضرورة المنهجية بيان المفردات التي انبنى عليها الإطار المفهومي للبحث، وهي مفاتيح مسعفة على تنزيل الخطاب في محله المناسب، وانتزاع البعد عن سياقه الصحيح؛ لذا كانت البداية بتعريف القواعد الفقهية والأصولية وبيان أهميتها والفرق بينهما.

أولاً: مفهوم القواعد الفقهية:

القاعدة لغة: الأساس (1) لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ (2).

الفقه لغة: العلم بالشيء والفهم له (3) يقال فقهت الدرس؛ إذا فهمته، ومنه قوله تعالى: ﴿هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ (4).

الفقه اصطلاحاً: هو " العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية " (5).

القواعد الفقهية اصطلاحاً (مركب إضافي) هي: " أصل كلي يتضمن أحكاماً تشريعية عامة من أبواب متعددة في القضايا التي تدخل تحت موضوعه " (6).

وقيل هي: " أصول فقهية كلية في نصوص موجزة دستورية تتضمن أحكاماً تشريعية عامة في الحوادث التي تدخل تحت موضوعاتها " (7).

1 (لسان العرب: لابن منظور، 3 / 357.

2 (سورة البقرة: آية 127.

3 (لسان العرب: لابن منظور، 13 / 522.

4 (سورة الأعراف: آية 179.

5 (أصول الفقه: للعريزي والرفاعي: 1 / 67.

6 (القواعد التأصيلية: للعتبي: ص 414 ؛ وهذا التعريف وجدته عند الندوي: القواعد الفقهية: ص 39 وما بعدها ؛ القواعد الفقهية المستخرجة من كتاب إعلام الموقعين: لأبي عبدالرحمن عبدالمجيد جمعة الجزائري، ص (161 — 162).

7 (القواعد الفقهية: للزرقا، ص 34.

- وعرفت بأنها: " حكم أغلبي ينطبق على معظم جزئياته " (1).
 كما عرفت بأنها: " حكم أغلبي ينطبق على معظم جزئياته، لتعرف أحكامها منه " (2).
 وقيل هي: " حكم شرعي في قضية أغلبية يتعرف منها أحكام ما دخل تحتها " (3).

ثانياً: مفهوم القواعد الأصولية:

- القواعد الأصولية هي: " القواعد التي تتناول مباحث أصول الفقه وتحكمها وتضبطها " (4).
 وقيل: هي: " العلم بالقواعد والأدلة الإجمالية، التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية " (5).
 وقيل: هي: " قضية كلية يندرج تحتها مجموعة من الأدلة الإجمالية، التي تسمح باستنباط أحكام أفعال المكلفين " (6).

ثالثاً: أهمية القواعد الفقهية والأصولية:

- للقواعد في الشريعة أهمية عظيمة يتم بها استنباط الأحكام الشرعية، فالمسائل الفقهية كثيرة ومتعددة، وكذلك الوقائع والأحداث، تختلف من عصر لآخر، فلا بد من وضع معايير ثابتة وضوابط جامعة تتضمن في غالب أحوالها على كثير من الفروع والمسائل الفقهية المتشابهة، وللقواعد دور عظيم في خدمة الفقه والفقهاء (7).

1 (المدخل الفقهي العام: للزرقا، 940/2.

2 (غمر عيون البصائر: للحموي 51/1.

3 (القواعد الفقهية: للندوي، ص 43.

4 (القواعد الفقهية: للندوي، ص 39.

5 (مدخل إلى الفقه الإسلامي: للعريزي، ص 131.

6 (القواعد الفقهية: لزقور، 2 / 207.

7 (القواعد الفقهية والأصولية ذات الصلة بالعمل الخيري وتطبيقاتها: لجميلة الرفاعي، ص 16.

وقد جاء في مختصر العلائي عن أهمية القواعد الفقهية: "ولها دور عظيم في خدمة الفقه، وذلك من ناحية جعله دائم التجدد؛ لذا لا تتحجر مسائله ولا تتجمد قضاياها"⁽¹⁾، فهي تكون عند الفقيه ملكة فقهية لاستنباط الأحكام⁽²⁾. وكذلك الأصولي.

يقول القرافي: "لكل قاعدة من الفروع في الشريعة ما لا يحصى.. ومن ضبَّطَ الفقه بقواعد استغنى عن حفظ أكثر الجزئيات لاندراجها في الكليات"⁽³⁾. والقواعد يُستغنى بها عن حفظ جزئيات الفقه.

كما أن القواعد الفقهية لَمَّتْ شتات الأحكام الفقهية، فيرى الزرقا أن: "لولا هذه القواعد لبقيت الأحكام الفقهية فروعاً مشتتة، قد تتعارض ظواهرها"⁽⁴⁾ ومن أَحَكَمَ القواعد فهماً ودراسةً، يُسَّرَ عليه ضبط الفروع وتخريجها على الأصول، وأمكنه الردُّ فيما ورد عليه من النظائر والشوارد. يقول ابن رجب الحنبلي: "هذه قواعد مهمة، وفوائد جمّة، تضبط للفقيه أصول المذهب، وتطلعه من مآخذ الفقه على ما كان عنه قد تغيب، وتنظم له منثور المسائل في سلك واحد، وتقيد له الشوارد، وتقرب عليه كل متباعد"⁽⁵⁾ ومعرفة القواعد تخول للطالب ملكة علمية، تؤهله لرتبة الاجتهاد، وتمكّنه من التخريج والإلحاق. يقول الإمام ابن نجيم مشيداً بعلم القواعد: "... هي أصول الفقه في الحقيقة، وبها يرتقي الفقيه إلى درجة الاجتهاد ولو في الفتوى"⁽⁶⁾.

وحت شيخ الإسلام ابن تيمية على ضبط الكليات، وردَ إليها الجزئيات ليتكلم على علم وإلا فسيع فساد كبير، فقال: " لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية يرد إليها الجزئيات ليتكلم على علم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات، فيتولّد فساد عظيم"⁽⁷⁾.

1 (مختصر من قواعد العلائي: لابن خطيب الدهشة، ص 51، تعليق مصطفى البنحوي.

2 (القواعد التأصيلية: للعتبي ص 415 ؛ القواعد الفقهية: لرفور: 2 / (221 — 222).

3 (الفروق: للقرافي 1 / (2 — 3).

4 (شرح القواعد الفقهية: للزرقا ص 36 ؛ المدخل: للزرقا 2 / 942.

5 (القواعد في الفقه الإسلامي: لابن رجب الحنبلي، ص 3.

6 (الأشباه والنظائر: لابن نجيم، ص 15.

7 (مجموع الفتاوى: لابن تيمية 19 / 203.

كذلك يتم بالقواعد الأصولية التي تعد مصدراً ضخماً لإمداد القواعد الفقهية بقواعدها تحقيق مصالح الناس الضرورية والحاجية والتحسينية، وهذا ينعكس على القواعد الفقهية، فنكون نتيجة الأمر أن القواعد الأصولية والفقهية محققة للمصالح الفردية والجماعية، كما يتم من خلال هذه القواعد تحصيل مسائل الفقه في أقرب زمان، وتوضيح مناهج الفتوى للتسهيل على المفتي(1)، وبها يرتقي الفقيه إلى درجة الاجتهاد(2).

رابعاً: الفرق بين القواعد الفقهية والأصولية:

من أبرز الفوارق بين القواعد الفقهية والقواعد الأصولية ما يأتي:

- 1) القاعدة الأصولية أصل، والقاعدة الفقهية فرع(3).
- 2) القاعدة الأصولية ناشئة عن الألفاظ العربية، أما القواعد الفقهية فهي كليات مشتملة على فروع فقهية غير منحصرة(4).
- 3) القواعد الأصولية موجودة قبل الفروع، بعكس القواعد الفقهية، فهي متأخرة في وجودها الذهني والواقعي عن الفروع؛ لأنها جمع لأشتاتها وربط بينها(5).
- 4) إذا وقع تعارض بين قاعدة أصولية وقاعدة فقهية فُدمت القاعدة الأصولية(6).
- 5) القواعد الأصولية قواعد مطردة؛ أي إن حكمها باللفظ من حيث تحققه في الفروع أو عدم تحققه، أما القواعد فهي غير مطردة، وحكم القاعدة على الغالب من جزئياتها(7).
- 6) النظر في القواعد الأصولية خاص باللفظ من حيث تحققه في الفروع أو عدم تحققه، أما القواعد الفقهية فالنظر فيها خاص بالمعنى من حيث تحققه أم لا ؟(8).

1) القواعد الفقهية: لرقور، 2/ (221-222).

2) الأشباه والنظائر: لابن نجيم ص 15.

3) القواعد الفقهية: لرقور: 2/ 208.

4) المصدر السابق: لرقور 2/ 209.

5) المصدر نفسه: لرقور 2/ 209؛ مدخل إلى الفقه: للعززي ص 132؛ القواعد الكلية: لشبير ص 28.

6) الأشباه والنظائر: للسيوطي 6/1 ذكر الفارق المحقق.

7) المصدر السابق: للسيوطي 5/1. ذكر الفارق المحقق.

8) المصدر نفسه: للسيوطي 5/1. ذكر الفارق المحقق.

(7) القواعد الأصولية عامة يمكن تطبيقها على أنواع متعددة من الأدلة والأحكام، سواء أكانت هذه الأدلة من القرآن أم السنة أم الإجماع، وسواءً كانت هذه الأحكام في العبادات أو في المعاملات أو العقوبات، أما القاعدة الفقهية فلا تشتمل إلا نوعاً واحداً من الأحكام المتقاربة، مثل أمر الإمام يرفع الخلاف، فهي خاصة بما يتبناه الخليفة من أحكام(1).

خامساً: العلامة باغيثان فقيهاً أصولياً من خلال كتابه " فتح الإله المنان ":

امتاز العلامة باغيثان — رحمه الله — بعقلية علمية وسعة في تحصيله العلمي ولا سيما الفقه والأصول، أعطته هذه الخصيصة سعة في الاطلاع، وخبرة ودراية ومراساً في المذهب الشافعي. لم يكتفي الفقيه باغيثان — رحمه الله — بمعرفة أدلة الفقه الشافعي فحسب، بل اتضح معرفته بالمذاهب الفقهية الأخرى أصولاً وقواعداً لكل مذهب. فنجد في فتاويه التقعيد الفقهي والأصولي وحتى المقاصدي.

رغم أن العلامة باغيثان — رحمه الله — اشتغل في جُلِّ وقته بتعليم وإفتاء الناس، لكن رغم ذلك وجدتُ له بعض الكتب والرسائل، وأغلبها تهتم بالمواضيع الفقهية(2).

وإذا أردتُ أن أثبت للقارئ مكانة العلامة باغيثان — رحمه الله — في مجال الفقه والأصول فإن كتابه المشهور (فتح الإله المنان) يبيّن ذلك من خلال الآتي:-

(1) استوعب كتابه الفقهي مسائل فقهية وردت على العلامة باغيثان — رحمه الله — من أقطار عديدة غير بلاد حضرموت واليمن(3)، كجنوب وشرق أفريقيا وغيرها من مسائل حديثة ومستجدة.

(2) تغطية هذا المجموع الفقهي أغلب أبواب الفقه وتوسّعه في أصعب مسائل العبادات والمعاملات. ومن تلك الأبواب على سبيل المثال: (باب الاجتهاد والتقليد، باب الوضوء، كتاب الصلاة، كتاب الصيام، كتاب الزكاة، كتاب الحج، كتاب البيع، باب الصلح

(1) الميسر في أصول الفقه: لابن عامر، 2 / (15 - 16).

(2) تطرقنا لذكر مصنفاته في بحثنا (المصلحة والمفسدة عند العلامة باغيثان) ص 113، والعلامة سالم بن سعيد بكير باغيثان ومنهجته في الإفتاء من خلال فتاويه المسماة (فتح الإله المنان): لأمين سالم عبدالله، ص (358 - 359).

(3) انظر: العلامة سالم بن سعيد بكير باغيثان ومنهجته في الإفتاء من خلال فتاويه المسماة (فتح الإله المنان) ص 357.

- وغيرها (1). وبالجملة فهذه قطرات يسيرة من هذا المجموع الفقهي المبارك، فهو جم المنافع غزير الفائدة، لا يستغني عنه الفقهاء، كما يحتاجه كل طالب لدقائق علم الفقه.
- (3) أحييت على العلامة باغيثان — رحمه الله — الكثير من مستعصيات المسائل الفقهية والاستفتاءات في جميع أبواب الفقه.
- (4) ملازمته المذهب الشافعي وضبطه لأصوله وقواعده (2)، ولا يتعصب للمذهب ولا يقف عليه ووقوف العاجز، بل يبحث بحثاً عميقاً في دليله فإن قوي وإلاً أخذ بأقوال الأئمة في المذاهب الأخرى (3).
- (5) يعزو فتاويه للمسائل إلى جهابذة العلماء في المذهب الشافعي (4) كالرافعي والنووي وابن حجر.
- (6) ضم كتابه العديد من مصادر ومراجع وكتب المذهب الشافعي (5). وإن كان واضحاً ميوله للإمام ابن حجر (6)، وأقواله في كتابه في أكثر من موضع.
- (7) التزام العلامة باغيثان — رحمه الله — في فتاويه بمنهجية الفقهاء الشافعية المتقدمين (7)، ومراعاته لضوابط الفتوى (8)، وملازمته للمعتمد من المذهب الشافعي.
- (8) احتوى كتابه على العديد من أبواب الأصول منها الاستدلال بالأدلة الشرعية كالعرف وأبواب طرق الاستنباط اللغوية من الأوامر والنواهي (9) والعموم والخصوص والمطلق والمقيد (10).

1) انظر: باغيثان: سالم بن سعيد بن بكير، فتح الإله المَنَّان: ص (367 — 368).

2) انظر: فتح الإله المَنَّان: ص 66.

3) جمع الدكتور أمين بن عثمان أهم المصادر والمراجع المهمة في المذاهب الفقهية المختلفة والتي رجع إليها العلامة باغيثان — رحمه الله — في فتاويه. انظر: العلامة سالم بن سعيد بكير باغيثان ومنهجيته في الإفتاء من خلال فتاويه المسماة (فتح الإله المَنَّان) ص 369.

4) انظر: فتح الإله المَنَّان: ص 58. ص 65. ص 191. وغيرها.

5) انظر: العلامة سالم بن سعيد بكير باغيثان ومنهجيته في الإفتاء من خلال فتاويه المسماة (فتح الإله المَنَّان) ص (367 — 368).

6) انظر: فتح الإله المَنَّان: ص 42؛ ص 119. ص 250؛ ص 297 وغيرها.

7) انظر: فتح الإله المَنَّان: ص 121. ص 189. وغيرها.

8) قارن الدكتور أمين بن عثمان ضوابط الفتوى والتزاماتها والتي أشار إليها بعض الأئمة كالصمري وابن الصلاح والنووي — رحمهم الله — ومدى تواجدها والتزام العلامة باغيثان — رحمه الله — بما. انظر: العلامة سالم بن سعيد بكير باغيثان ومنهجيته في الإفتاء من خلال فتاويه المسماة (فتح الإله المَنَّان) ص (360 — 366).

9) فتح الإله المَنَّان: ص 21.

10) انظر: فتح الإله المَنَّان: العرف ص (62 — 63)؛ العلة والتعليل ص 125؛ الخاص والتخصيص ص 318؛ العموم والعام ص 328؛ وغيرها.

المبحث الثاني

القواعد الفقهية المستخرجة من فتح الإله المنان

وردت العديد من القواعد الفقهية في " فتح الإله المنان " للعلامة باغيثان – رحمه الله – ومن خلال هذا المبحث سيتضح لنا مدى توافر تلك القواعد الفقهية في مصنفه، وأنها أكثر من القواعد الأصولية. وهذا دليل ميوله الفقهي أكثر من المجال الأصولي. وعملنا في هذا المبحث هو استنباط القواعد الفقهية والاستدلال لها من " فتح الإله المنان "، وعند بيان القاعدة فإنني سأطرق لذلك في هامش البحث حتى أتجنب الإطالة في متن صفحات البحث، وأتجنب الخروج عن أهداف البحث. ويمكنني تقسيم تلك القواعد الفقهية على صنفين:

أولاً: القواعد الفقهية الكبرى:

اعتاد علماء القواعد الفقهية أن يبدأوا حديثهم بعد التعريف بالقواعد الحديث عن القواعد الكبرى. والتي ذكرها أهل العلم في أكثر من مصنف. وقد اهتم العلماء بشرحها، وهي أمهات قواعد الإسلام، وتبنى عليها معظم المسائل والأحكام، وهذا القواعد هي(1):

(1) الأمور بمقاصدها.

(2) اليقين لا يزول إلا بالشك.

(3) المشقة تجلب التيسير.

(4) الضرر يُزال.

(5) العادة محكمة.

القاعدة الأولى: الأمور بمقاصدها (2): هذه أول قاعدة من القواعد الخمس الأساسية التي تتخرج

عنها ما لا ينحصر من الصور الجزئية، وهي أهم القواعد. والحد الفاصل بين الحلال والحرام.

1) انظر: السيوطي: جلال الدين الأسيوطي. الأشباه والنظائر، ص 8؛ الزرقا: أحمد بن الشيخ الزرقاء، شرح القواعد الفقهية، ص 47 وما بعدها؛ الندوي: القواعد الفقهية ص 206؛ القواعد الفقهية المستخرجة من كتاب إعلام الموقعين. ص 185.

2) انظر: بيان القاعدة (تعريفها، وعلاقتها بالنية والمقصد والأحكام المنوطة بها..) الأشباه والنظائر: السيوطي 1/ 35؛ شرح الفازداني على الدرر البهية البهية 1/ 108؛ القواعد الفقهية: عبدالعزيز محمد عزام، ص (81 – 89)؛ القواعد الفقهية المستخرجة من كتاب إعلام الموقعين: ص (219 – 239)؛ القواعد الفقهية من خلال كتاب المغني لابن قدامة: عبدالواحد الإدريسي ص 143.

تطرق العلامة باغيثان — رحمه الله — لهذه القاعدة من خلال فتوى التصفيق فقد سئل — رحمه الله — " عن تصفيق تلامذة المدارس أثناء الدرس وحفلاتهم في تلك المدارس، ومشاركة أساتذتهم معهم تشجيعاً لهم، ومباركة الإدارة لذلك، وتأييدها، مع العلم أن الشارع ألزم وأوجب على ولي الطفل أنه إذا ميّز واستكمل سبع سنين تعليمه الواجبات: من شروط الصلاة وأركانها وسننها كالسواك، وجميع مصححاتها، وتعليمه القرآن وأمره بالصلاة مع التهديد إذا تركها، وإذا استكمل عشر سنين قام بضربه عليها ولو قضاء، وعلى ترك شرط من شروطها، أو شيء من الشرائع الظاهرة، ليتعود ذلك ويترتب على تعظيم المأمورات والمحافظة عليها، ويعزّزه على ارتكاب المنهيات، فهل يباح ذلك وهل لناظر المدرسة السكوت عليه أم يلزمه المنع عنه ؛ لأن التصفيق في الحديث خصّه بالنساء، فالتشبه بهنّ منهي عنه، وهو يُنافي ما أمر به الوليّ مما ذكر، فضلاً أفتونا فالمسألة واقعة حال، لا زلتم مناراً للهداية، وإيضاح الحق للمسلمين؟".

فأجاب — رحمه الله — بقوله: الحمد لله ونسأل المولى سبحانه الهداية والتوفيق للصواب، الجواب: التصفيق باليد من الرجل خارج الصلاة مختلف في تحريمه وإباحته، فالذي مال إليه الشيخ ابن حجر كراهته، ولو بقصد اللعب، ومال الجمال الرّملي إلى حرمة؛ إذا كان للهو أو قصد به التشبه بالنساء، ونقله الزيّادي في شرح التحرير عن الزركشي وأقره، وذمه ابن عبدالسلام في قواعده بقوله: " الرقص والتصفيق حَفَّةٌ ورعونة مشابهة لرعونة الإناث لا يفعلها إلا أرعن أي أحق أو متصنّع جاهل" أ. ه من فتاوى الكردي، ومعلوم فيما يظهر أن تصفيق هؤلاء في مثل هذه المناسبات لا يقصدون به التشبه بالنساء، ولا يقصدون به اللعب أيضاً، وإنما يقصدون به الاستحسان والإعجاب بما يسمعون من كلام الخطباء والعظماء ونحوهم، أو لتغلب خصم على خصمه في المناظرة وما أشبهها، وعليه فلا تأتي الحرمة هنا حتى على كلام الإمام الرّملي، على أنّ المقرر أنّ الإنكار لا يكون إلا في المجمع عليه أو فيما يعتقد الفاعل تحريمه، كما صرّح به التّحفة وغيرها. والله أعلم بالصواب" (1).

(1) فتح الإله المنان: ص (31 — 32).

يتضح لنا من الإجابة مكانة العلامة باغيثان – رحمه الله – في تطبيق القواعد الفقهية، وما امتاز به من " نزعة تعيدية مكنته من معالجات راشدة لقضايا عصره (...) وإن فتوى التصفيق التي بين أيدينا لتتضح بقواعد فقهية وأصولية والذي يهمننا قاعدة (الأمور بمقاصدها) وهذا واضح وبيّن من قوله: " ومعلوم فيما يظهر أن تصفيق هؤلاء في مثل هذه المناسبات لا يقصدون به التشبّه بالنساء، ولا يقصدون به اللعب أيضاً، وإنما يقصدون به الاستحسان والإعجاب بما يسمعون من كلام الخطباء والعظماء ونحوهم، أو لتغلب خصم على خصمه في المناظرة وما أشبهها " .

يقول الدكتور رياض بن عبدات تعليقا على ذلك: " اعتدّت الشريعة بمقاصد الألفاظ والأفعال، ورتبت على ذلك الأحكام، ولو كان التصفيق وحده مؤثرا لأبطل رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصحابة الذين صفقوا كما في حديث سهل بن سعد الساعدي – رضي الله عنه –، وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس ما لكم حين نابكم شيء في الصلاة أخذتم في التصفيق، إنما التصفيق للنساء، من نابه شيء في صلاته فليقل سبحان الله " (1)، ولأمرهم بإعادة الصلاة، أو سجود السهو، وإنما أمرهم بالسنة وندبهم إلى الأفضل. وهذا ما أشار إليه كثير من الفقهاء " (2).

بل لو أن الرجل صفق في الصلاة أو سبّحت المرأة فالصلاة صحيحة لأنهما قصدا الإعلام، لكن خالفا السنة (3) وعندما سئل – رحمه الله – عن (رجل متوفي وله وصيتان مكتوبتان) أعاد الإجابة على المسألة على أسس قواعد فقهية ذات علاقة بقاعدة الأمور بمقاصدها فيقول: " إن المقاصد إذا لم تدل عليها الألفاظ لا تعتبر، ويحتمل صحة التعليق " (4).

1 (رواه البخاري في صحيحه (1177) كتاب السهو، باب الإشارة في الصلاة 1 / 114.

2 (انظر: الخاوي: لعلي البغدادي 2 / 380، والتمهيد: لعبدالرحيم الإسنوي 21 / 103، وفتح الباري: لابن رجب 9 / 311؛ أثر التعيد في نجاعة الفتوى: لرياض بن عبدات ص 17.

3 (انظر: الخاوي: لعلي البغدادي 2 / 380، والجموع: للنووي: 4 / 82، وأسنى المطالب: لتركيا الأنصاري 1 / 181.

4 (فتح الإله المنان: ص 233.

ويتضح من جوابه — رحمه الله — انه أسس هذه الفتوى على قاعدة اليقين لا يزول إلا بالشك، ولا يجوز القول في دين الله تعالى، أو الافتاء في أي مسألة إلا على بناء يقيني قوي.

القاعدة الثالثة: المشقة تجلب التيسير(1): تعد هذه القاعدة من دعائم الشريعة الإسلامية، وتبنى

عليها معظم المسائل الفقهية.

ويتخرج على هذه القاعدة جميع رخص الشرع التي شرعها الله — تعالى — رحمةً بعباده، تخفيفاً على المكلفين لسبب من الأسباب التي تقتضي هذا التخفيف؛ لأن العسر والحرج منتفیان شرعاً(2). فهي قاعدة أصولية فقهية مقطوع بصحتها لا ينازع في ثبوتها مسلم.

والمشقة التي تجلب التيسير هي التي لا يكون فيها نص يدعو إلى تحملها، فإن وجد النص، فلا يجوز العمل بخلاف هذا النص رغبة في التيسير، فالتكاليف لا بد فيها من المشقة، ولا يُرخص في شيء منها إلا عند عدم القدرة على تحملها، وهذا بناءً على قواعد المشقة(3) والمشقة الجالبة للتيسير: هي المشقة التي تنفك عنها التكاليف الشرعية. أما المشقة التي لا تنفك عنها التكاليف الشرعية كمشقة الجهاد وألم الحدود ورجم الزناة وغيرها، فلا أثر لها في جلب تيسير ولا تخفيف.

وعند تطبيق ذلك في كتاب " فتح الإله المنان " نجد أن العلامة باغيثان — رحمه الله — يبسر الفتوى ولا ينتشد فيها، كما في مسألة من لم يختتن هل يجب أن يغسل ما تحت قلفته؟ وإذا أمسكه آخر في الصلاة. وكذا المستجمر أجاب: بأن المستجمر يُعفى عن محل استجماره بالنسبة له كحال الألقف(4).

(1) انظر: الأشباه والنظائر: لابن السبكي، 1 / 84، والأشباه والنظائر: للسيوطي، ص 84، وشرح القواعد الفقهية: للزرقا ص (157 — 162)، والقواعد الفقهية: للندوي ص 10 وغيرها، والمشقة تجلب التيسير دراسة نظرية وتطبيقية، لصالح بن سليمان بن محمد اليوسف، المطابع الأهلية، 1408م / 1988م، الرياض، والقواعد الفقهية بين الأصالة والتوجيه: محمد بكر إسماعيل، دار المنار، مصر، الطبعة الأولى 1417هـ — 1997م. ص 80.

(2) القواعد الفقهية المستخرجة من كتاب إعلام الموقعين: عبدالمجيد الجزائري، ص 303.

(3) انظر: قواعد المشقة (المشقة المعتادة، والمشقة الفادحة والتي يخشى منها على تلف النفس وغيرها، ومشقة بين البين أي بين الاعتقاد والفادحة). القواعد الفقهية بين الأصالة والتوجيه، محمد بكر إسماعيل، ص 85.

(4) انظر: فتح الإله المنان: ص (21 — 22).

وسئل أيضاً عن حكم تعدد الجمعة في بلد واحد، فاستطرد القول فيها إلى أن قال: "... والذي يتجه اعتبار من يغلب فعلهم لها عادة، وإن ضابط العسر أن يكون فيه مشقة لا تحتمل عادة في مكان واحد منها، ولو غير مسجد فتجوز الزيادة - أي في الجمعة - بحسب الحاجة لا غير" (1).

وفي السياق نفسه قال - رحمه الله - جعل قاعدة (المشقة تجلب التيسير) أساساً في السؤال المنصوص بحكم إعادة الصلاة بعد صلاة الجمعة وإعادتها جماعة أو فرادى، فقال: " تحرم الإعادة في حالات، وإن تعددت فيما أن يكون التعدد لحاجة أو لا، فإن كان لحاجة كأن عسر الاجتماع بمحل واحد جاز التعدد بقدر الحاجة" (2). وهذا من باب الرخصة تُقَدَّر بقدرها.

وسئل - رحمه الله - في رجل يسقي أرضه من ماء جاري مشترك، فقال: " لا يجوز ولا يسوغ للبعض المذكور سقي أرضه المذكورة وإخراج الماء إليها من تلك الساقية المشتركة التي ليس لها شرب منها، وإن لم يُضَيِّق على الباقيين، ويأثم بذلك إثماً عظيماً، ويحرج به حرجاً شديداً" (3).

القاعدة الرابعة: الضرر يُزال (4): تعد هذه القاعدة مع القاعدة الكلية السابقة (المشقة تجلب التيسير) متحدة أو متداخلة. وتعتبر عن وجوب رفع الضرر بعد وقوعه. وهي من أهم القواعد وأجلها شأناً في الفقه الإسلامي، ولها تطبيقات واسعة في مختلف المجالات الفقهية. بل " فيها من الفقه ما لا يُحصر له، ولعلها تتضمن نصفه، فإن الأحكام إما لجلب المنافع أو لدفع المضار، فيدخل فيها دفع الضروريات الخمس التي هي حفظ الدين والنفس والنسب والمال والعرض.

¹ انظر: المسألة بطونها، فتح الإله المَنَّان، ص (39 - 41).

² انظر: فتح الإله المَنَّان، ص (41 - 42).

³ انظر: فتح الإله المَنَّان: ص 125.

⁴ انظر: بيان القاعدة في، الأشباه والنظائر: لابن السبكي 1 / 41، والأشباه والنظائر: للسيوطي ص 92، والأشباه والنظائر: لابن نجيم ص 85، شرح القواعد الفقهية: للزرقا ص (179 - 183)، القواعد الفقهية: للندوي، ص 287 وما بعدها، والقواعد الفقهية: لعبد العزيز عزام، ص 126 وما بعدها.

وهذه القاعدة ترجع إلى تحصيل المقاصد وتقريرها بدفع المفاصد أو تخفيفها " (1). وأصلها: قوله — صلى الله عليه وسلم —: " لا ضَرَرَ ولا ضَرَرًا " (2). والقاعدة مَقِيَّةٌ إجماعًا بغير ما أذن به الشرع من الضرر، كالمقاصص والحدود وغيرهما؛ لأن درء المفاصد مُقَدَّمٌ على جلب المصالح، على أنها لم تشرع في الحقيقة إلا لدفع الضرر أيضًا (3).

وقد بنى العلامة باغيثان — رحمه الله — على هذه القاعدة العديد من مسائله، من ذلك: مراعاة الضرر وانتقائه لمن أراد تجديد بيته وما يرتبط به من مجالات وعدم الإضرار بالمارة ولا بالشارع (4). وسئل — رحمه الله — عن رجل يملك أرضًا مُحَوَّسَةً أي مبنيًّا عليها سور ومرتبطة عليها ولا منازع له، وأراد أن يُسَوِّرَ أرضيته ويشرف عليها بيت آخر له نوافذ حادثات، فهل يجوز له تسوير أرضيته ولو منع الهواء والضوء عن جاره. فقال: "يجوز له ذلك لتصرفه في ملكه فلا يمنع منه، والضرر لا يزال بالضرر، وهذا واضح من كلام أئمتنا " (5).

وقد ذكر العلامة في أكثر من موضع لضرورة مراعاة المصلحة وعدم المفسدة للغير، مع تحقيق حق الضروريات الخمس في كل فتاويه (6)، حفاظًا عليها من الضرر.

القاعدة الخامسة: العادة محكمة (7): هذه آخر قاعدة من القواعد الخمس الأساسية التي تُعدُّ دعائم الفقه الإسلامي والمراد بالعادة مُحَكِّمة أي أنها تجري في الناس مجرى الأحكام الشرعية؛ ولذلك

¹ (شرح الكوكب المنير: تقي الدين محمد بن أحمد الفتوحي ابن النجار الحنبلي، الطبعة الأولى، تحقيق الدكتور محمد الزحيلي، والدكتور نزيه حماد، منشورات مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، 1408هـ / 1987م. ص (443 — 444).

² (رواه ابن ماجه في الأحكام، باب من بين في حقِّه ما يضرُّ تجارته (رقم / 2340) وأحمد في مسنده (5 / 326 — 327) عن عبادة بن الصامت وإسناده ضعيف. لكن الحديث صحيح، فإن له شواهد كثيرة يتقوى بها. ولهذا صححه غير واحد من الأئمة، انظر: نصب الرأية: 4 / 384. وجوامع العلوم والحكم: لابن رجب، 2 / (207 — 211).

³ (شرح القواعد: للزرقاء، ص 165.

⁴ (انظر: فتح الإله المَنَّان: ص (123 ، 124).

⁵ (انظر: فتح الإله المَنَّان، ص 128.

⁶ (انظر: مثلاً: فتح الإله المَنَّان، ص (167 — 170)، وأيضًا بيان ذلك في بحثي المصلحة والمفسدة عند العلامة باغيثان من خلال كتابه فتح الإله المَنَّان، المَنَّان، المنشور في مجلة (المدونة) العدد (23)، لعام 1441هـ، وقد ذكرت العديد من الأمثلة لفتاويه في حفظ الدين والنفس والمال وغيرها.

⁷ (الأشباه والنظائر: للسيوطي، ص 99، والأشباه والنظائر: لابن نجيم ص 93، والقواعد الفقهية: لعبدالعزیز عزام، ص 172 وما بعدها، والقواعد الفقهية من خلال كتاب ابن قدامة: للإدرسي، ص 200 وما بعدها.

عبر عنها ابن قدامة بقوله: " العادة جارية " (1)، وهي بهذا المعنى تبرز مكانة العرف في الشريعة الإسلامية، ومدى سلطانه في المعاملات بين المكلفين، قال ابن نجيم: " واعلم أن اعتبار العادة، والعرف يُرجع إليه في الفقه الإسلامي في مسائل كثيرة؛ حتى جعلوا ذلك أصلًا " (2)، ولهذا قال ابن العربي: " والحكم بالعادة أصل " (3). ولهذه القاعدة قواعد ينبغي التوفّر فيها لكي يُعمل بها ولن نتطرق إليها خشية الإطالة فيها (4).

وتعدّ هذه القاعدة من أكثر القواعد استخدامًا في فتاوى العلامة باغيثان — رحمه الله — من ذلك: يقول العلامة — رحمه الله — في عقد المخالعة: " يرجع في تفاريحها إلى العوائد المطّردة في الجهة وتختلف باختلاف البلدان " (5)، وكذا لما سئل عن فتوى أحد العلماء ببطلان بيع العهدة فيمن وكلّ آخر أن يبيع شيئاً عهدة فباعه الوكيل بأقل من نصف الثمن، فأجاب — رحمه الله — بصحة هذا البيع وببطلان الفتوى المذكورة؛ لأنّ ثمن العهدة يكون أقل من ثمن المثل، وأنّ هذا هو العرف فيه؛ لأنه الغالب، فالتوكيل في البيع عهدة إذا في البيع بأقل من ثمن المثل، وليس لهذا الأقل حدًّا محدود حتى يعرف الغبن لو نقص الوكيل عنه بل يتناول القليل والكثير (6). والعادة إن خالفت نصًّا شرعيًّا، فلا عبرة بها، وهذا ما سار عليه المفتي، ومن ذلك إفتاؤه بحرمة إحياء حريم الديار المبنية، وكذا حريم القرية نفسها كلعب الصبيان ومرتكض الخيل إذا كانوا خيالة، ومسيل الماء، ومناخ الإبل، ومطروحات القمامات، وطرق القرية ونحوها، ومثل ذلك مجاري المياه التي تسيل من الجبل؛ لأنها من حقوق العامر، ولا عبرة بالعادة التي ذكرها السائل، ولا بحكم السلطان، فجريانه على غير الوجه الشرعي (7).

¹ (المغني: ابن قدامة، 5 / 314.

² (الأشباه والنظائر: لابن نجيم ص 37.

³ (أحكام القرآن: لابن العربي، 3 / 1063.

⁴ (انظر: قواعد العادة عند العلماء هي: (أن تكون مطردة أو غالبة، أن تكون سابقة للتصرفات، أن لا يعارضها تصريح بخلافها، أن لا تعارض نصًّا شرعيًّا) الأشباه والنظائر: للسيوطي ص 65، و الأشباه والنظائر لابن نجيم ص 103. القواعد الفقهية من خلال كتاب ابن قدامة: للإدرسي ص (203 — 204).

⁵ (انظر: فتح الإله المنان ص 142.

⁶ (انظر: فتح الإله المنان: ص (113 — 115).

⁷ (انظر: فتح الإله المنان ص (149 — 150).

وأجاب — رحمه الله — في مسألة تخص الوقف وهي تنص على الوقف للذكور من الأقرباء للواقف دون الإناث بناءً على وجود وثيقتين تبين ذلك. فهل يعمل بهما أم لا ؟ فقال مستدلاً بقول إمام من أئمة الشافعية: "... في وقْفِ بيدِ أربابه جُهِلَتْ شروطه واطرَدَ فيه العرف، وجرت العادة فيه قديماً وحديثاً، على أن مات من أهل الوقف عن ورثة ذكور وإناث، اختص الوقف بالذكور وصرف إليهم دون الإناث، بأنه يلزم العمل بما جرت عليه عوائد المتقدمين المطرّدة حملاً لفعالهم على السداد ثم قال: والعمل بخلاف عمل من تقدّم غير سايغ؛ لأن في ذلك نقضاً للعرف المنزل منزلة الحكم الشرعي. ولا يجوز نقضه إذا لم يكن ثمّ ما يوجب ذلك " (1)، يقول العلامة باغيثان — رحمه الله — بعد هذا الاقتباس العلمي من الشافعية: " فانظر إلى تنزيله العرف المطرد والعادة الجارية منزلة الحكم الشرعي" (2).

وفي مسألة الوقف لمن أوقف جرباً — وهو المكان المحتوي على زراعة تسقى من ماء المسجد ويكون عائده للمسجد أو ما يوقف له — فمن أوقفه بصرف حاصله لأكفان الموتى، ولم توجد صيغة له فقال: ... وإذا اطردت العادة قديماً بأخذ الأكفان لغالب الموتى من الأكفان المسبلة، من غير تفرقة بين الأغنياء والفقراء جاز العمل بها، والجري عليها " (3).

وفي باب الوصية سئل — رحمه الله — عما جرت به العادة قديماً وحديثاً في صيغ الوصايا من قولهم: أوصى فلان إذا جرى عليه الموت أن يغسل.. الخ، هل الصيغة صحيحة هذه ؟ فأجاب بقوله: اختلفت أقوال العلماء في ذلك بين من قال بصحتها ومن قال ببطلانها " (4).

وخلاصة قولنا: نلاحظ في فتاوى باغيثان — رحمه الله — مراعاته للعرف والعادة المطرّدة، والنظر إلى المآلات والنتائج؛ من أجل حماية الشريعة في أحكامها، والحفاظ على السلم الاجتماعي من التفكك والانهايار. ثم يدافع عن المسلم حفاظاً على دمه ودينه وغيرهما.

¹ انظر: فتح الإله المَنَّان: ص (175 — 176).

² انظر: فتح الإله المَنَّان: ص 176.

³ انظر: فتح الإله المَنَّان ص (191 — 192)، وأيضاً: ص (198 — 201) ذكر العلامة باغيثان — رحمه الله — في أكثر من موضع العمل بالعرف والعادة المطرّدة. وقد تكرر ذكر العرف والعادة المطرّدة في مسائل متعددة في باب الوقف كالوقف على العموم من غير تخصيص لشخص معين وغيرها.

⁴ انظر: فتح الإله المَنَّان: ص 217.

ثانياً: قواعد فقهية غير القواعد الكبرى:

كثيراً ما يدغم العلامة باغيثان — رحمه الله — فتاويه بالضوابط والقواعد الفقهية؛ لأنها تضبط للفقيه أصول المذهب وتنظم له منشور المسائل في سلك واحد، وتطلعه على حقائق الفقه ومقاصده وأسراره، وهذه القواعد منها الكلية الكبرى — كما سبق ذكرها — ومنها القواعد المدرجة تحت الكلية والتي هي في المرتبة الأقل من القواعد الكبرى، ومن تلك القواعد، في كتاب فتح الإله المنان:

1- قاعدة: لا إنكار إلا في المجمع عليه(1): وهي قاعدة شبيهة بقاعدة لا إنكار في مسائل الاجتهاد، وقد أخذ العلامة باغيثان — رحمه الله — بهذه القاعدة في حكم التصفيق(2)، إن لم يقصد به تشبيهاً بالنساء، أو اللعب إنما للاستحسان والتشجيع جاز، والعلامة — رحمه الله — بعد أن ذكر أقوال العلماء قال: "المقرر أن الإنكار لا يكون إلا في المجمع عليه، أو فيما يعتقد الفاعل تحريمه" (3)، أما غير المجمع عليه وهي الأمور الاجتهادية فلا إنكار فيها.

2- قاعدة: الرخص لا تناط بالمعاصي(4): سئل العلامة باغيثان — رحمه الله — عن حكم القنيص المعرف في حضرموت، هل هو من قبيل السفر المباح؟، فيجوز للقائض إذا نوى قطع مسافة مرحلتين أو أكثر أن يترخص بالجمع والقصر والتميم، أم يكون من قبيل سفر المعصية؟ فأجاب بأنه: "لا يجوز للمعاصي بسفره، وهو الذي أنشأ سفره لمعصية الأخذ برخص المسافرين، أما من عرضت له معصية وهو مسافر فارتكبها، كأن زنى أو سرق مثلاً وهو في السفر، فلا يمتنع عليه الترخيص، ومعلوم أن القنيص عندنا: اصطياد الصيد، وهو مباح فسفر القائض لفعل مباح وهو الاصطياد، وما يقع في سفره من المعصية، كترك الصلاة، أو الفحش في القول مثلاً فهو عارض؛ لأنه ليس هو الحامل على السفر، فهو من قبيل المعصية في السفر، ولا يصير المباح في ذاته حراماً بما يعرض فيه ويقع بسببه من المحرمات" (5).

¹ انظر: الأشباه والنظائر: للسيوطي 1/ 341.

² أثر التعيد في نجاعة الفتوى: لرياض عبدات ص 16.

³ انظر: فتح الإله المنان، ص 23.

⁴ انظر: الأشباه والنظائر: للسبكي 1/ 135، والأشباه والنظائر: للسيوطي 1/ 300، والمنثور: للزركشي 67/2، والقواعد الفقهية: للندوي ص 351.

⁵ انظر: فتح الإله المنان: ص (33 — 34).

3- الرخصة تقدر بقدرها(1): فقد أفتى العلامة باغيثان — رحمه الله — بجواز التعدد في صلاة الجمعة إذا وجدت أسبابه بقدر الحاجة(2). وأيضاً الرخصة في دفع الزكاة لمستحقها بصورة مرتب شهري، أجاب العلامة باغيثان — رحمه الله — بقوله: "ذكر العلماء — رحمهم الله — أنه إذا حال الحول وتمكن من إخراج الزكاة بأن حضر ماله والمستحقون؛ وجب عليه أداء الزكاة فوراً ولا يجوز له تأخيرها، فإن أصرّ أتم، وضمن إن تلف المال، نعم إن أصرّ لانتظار قريب أو جارٍ أو أحوج أو أصلح لم يأثم لكنه يضمن إن تلف المال للزكاة وتركها عنده، ودفعها للمستحق مقسطة شهرياً مدة العام، نعم إن أراد الدفع له كما ذكر معجلاً قبل الحول بأن ملك في المحرم مائة ألف مثلاً، فأراد أن يدفع لقربيه من زكاتها كل شهر حتى يتم حولها جاز، وكان للمدفع حكم الزكاة المعجلة..."(3).

4- قاعدة الأصل في العبادة التوقيف: سئل — رحمه الله — أنه يوجد في بلدة مسجد جامع واحد يصلون الجمعة فيه، ثم يقيمون الصلاة، ويصلون الظهر بعدها جماعة، ولا يقل عدد المصلين عن مائتين وخمسين شخصاً، ومنذ سنين هم على هذه العادة، فأجاب: بأن الجمعة إذا لم تتعدّد فالجمعة صحيحة متى كملت شروطها بأن صليت بأربعين، أو أكثر ذكراً، حرّاً مكلفاً، مستوطناً بمحلّها لا ينقص شيئاً من أركان الصلاة، وشروطها، ولا يعتقده سنة، ولا يلزمه القضاء، ولا يبدل حرفاً بحرف، ولا يُسقطه، ولا يزيد فيها بما يغيّر المعنى، ولا يلحن بما يغيره، فحينئذ تحرم صلاة إعادتها ظهراً، ولا تتعدّد(4).

5- قاعدة الأصل في الأشياء الإباحة(5): قال العلامة باغيثان — رحمه الله — نقلًا عن الحافظ المنذري أنه يجوز إعطاء الزكاة لمن ادعى حاجةً أو فقراً وإن اتهم، وتُعطى الزكاة حتى لمن ملك عقاراً بشرط أن يكون هذا العقار لا يكفيه مؤنته ومن يعول(6).

6- قاعدة لا يجوز الإفتاء بالقول الضعيف: إن من فقه العلامة باغيثان — رحمه الله — أنه لا يتعصب للمذهب ولا يقف عليه وقوف العاجز، بل يبحث بحثاً عميقاً في دليله فإن قوي وإلّا أخذ بأقوال

¹ (انظر: المنشور: للزركشي 2 / 320، و الأشباه والنظائر: لابن نجيم ص 86، ذ: للزرقاء ص (187 — 188)، و شرح القواعد الفقهية القواعد الفقهية بين الأصالة والتجديد: لحمد بكر ص 78.

² (انظر: فتح الإله المَنَّان ص 40.

³ (انظر: فتح الإله المَنَّان ص (74 — 75).

⁴ (انظر: فتح الإله المَنَّان ص (41 — 42).

⁵ (شرح القواعد الفقهية: للزرقاء ص 481، و القواعد الفقهية: لعبد العزيز عزام ص 108.

⁶ (انظر: فتح الإله المَنَّان ص (71 — 73).

الأئمة في المذاهب الأخرى. والعمل بالرأي الآخر وإن خالف المذهب فالنظر للمصلحة المحققة من ذلك. كقوله بنقل الزكاة من بلد الوجوب إلى غيرها(1). فيعتمد العلامة باغيثان — رحمه الله — القول المرجوح أحياناً بالنظر إلى تحقيق مصلحة عامة، مع وجود القول الراجح في المذهب، حيث نقل عن العلامة السيد علوي بن سقاف الجفري قوله: إن الحديث الذي احتج به لمنع النقل هو قول الرسول — صلى الله عليه وسلم —: " صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم " (2)، لا دلالة فيه إلا بإضمار فقرائهم — أي فقراء بلدهم — فإن لم يُضمر كان دليلاً على جواز النقل.

7- قاعدة تغيير الفتوى لتغيير الحال(3): من قواعد الفتوى عند العلماء هو تغيير الفتوى من حال إلى حال آخر، ومن مكان لآخر، ومثال ذلك عند العلامة باغيثان — رحمه الله — في فتوى إخراج زكاة الفطر، هل تخرج من الأعلى قيمة أو الأكثر اقتيناً؟ وقد قيل: إن الأرز أعلى قيمة من البر والذرة، قال — رحمه الله —: والأصح أكثر اقتيناً وعليه فالطعام البر والذرة على قول باغيثان — رحمه الله — أفضل من الأرز؛ ولأنهما أبلغ منه في الإقتينات.

المبحث الثالث

القواعد الأصولية المُستخرجة من فتح الإله المنان

تعد القواعد الأصولية من القواعد التي تكشف عن الحكم الشرعي لكثير من دلالات خطاب الحاكم الشرعي الموجّه للمكلفين، وهي قواعد استدلالية تبيّن من خلالها الحكم الشرعي سواء أكان كلياً أم جزئياً. وهي وسيلة للكشف عن الحكم، وليس لذات الحكم.

ومن خلال هذا المبحث سأذكر القواعد الأصولية المستخرجة من (فتح الإله المنان)، ونتعرف على مدى العمق الأصولي عند العلامة باغيثان — رحمه الله — ومن تلك القواعد:

(1) **الحكم يدور مع علته وجوداً وعدمًا(4):** تظهر هذه القاعدة من خلال قول العلامة باغيثان — رحمه الله — في مسألة التصفيق(5) إذ يقول فيها: " ومعلوم فيما يظهر أن تصفيق هؤلاء في مثل هذه

¹ انظر ك فتح الإله المنان ص (51 — 52).

² (صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا. 158 / 2، رقم الحديث 1496 من حيث ابن عباس.

³ انظر: القواعد الفقهية: لعبدالعزیز عزام ص 198 — ص 214.

⁴ انظر: اللمع: للشيرازي ص 216، وإعلام الموقعين: لابن القيم 4 / 105.

⁵ انظر: فتح الإله المنان ص (31 — 32).

المناسبات لا يقصدون به التشبه بالنساء، ولا يقصدون به اللعب أيضاً، وإنما يقصدون به الاستحسان والإيجاب". ويتبين لنا أن علة التحريم في التصفيق ما كان لهواً محرماً، أو كان تشبهاً بالنساء، والأمران منتقيان في المسألة فانتهى الحكم بالحرمة. وقد استدلت العلامة باغيثان - رحمه الله - بكثير من أقوال أئمة المذهب في هذه المسألة، كثيراً ما نجد العلامة باغيثان - رحمه الله - يستدل في فتاويه بعلة في بيان الإجابة عن تساؤلات السائلين. ومن ذلك قوله عند السؤال عند التلفظ بالنية في أثناء الوضوء وبعد سرد أقوال العلماء علق بقوله: " فثبت أن أتى بالوضوء المنوي مع النطق. هذا كلام العلماء رحمهم الله تعالى، وهم الحجة وبهم الأسوة (...) وعليهم المعوّل في الدليل والتعليل "(1). وسئل - رحمه الله - عن قول الأئمة الثلاثة في تحريم إعطاء بني هاشم من الزكاة وامتناع المالكية عن ذلك فيقول: " وحجة هؤلاء - من يذهبون لمنع الزكاة عن أهل البيت - أن النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، علل منع أهل البيت من الزكاة بأن لهم في خمس الخمس ما يكفيهم أو يغنيهم. (...)، قالوا: فالحكم يدور حيث العلة فما داموا مكفيين بخمس الخمس فلا يعطون من الزكاة شيئاً، وإذا منعوا منه أعطوا منها لامتناع العلة "(2). وقد يذكر العلامة - رحمه الله - ظاهر العلة في كلام من يُستدلُّ بهم من الأئمة الشافعية وغيرهم فيقول في مسألة السقي المشترك بين المسلمين(3): "... ظاهره وإن لم يضيق - أي على السقاة المشاركين في مكان السقي - وهو ظاهر العلة التي ذكرناها "(4) وفي موضع آخر، وإن لم يصرح بلفظ العلة في إجاباته وإلا فصريح كلامه واضح في بيان علل الأحكام ورأي الشارع، ومن ذلك قوله مستدلاً بأقوال الأئمة عن امتناع دخول الملائكة لبيت فيه صور وكتب: " قال العلماء: سبب امتناعهم من بيت فيه صورة كونها معصية فاحشة، وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى، وبعضها في صورة ما يُعبد من دون الله تعالى، وسبب امتناعهم من بيت فيه كلب لكثرة أكله النجاسات ؛ ولأن بعضها يشبه شيطاناً "(5).

¹ انظر: فتح الإله المَنَّان: ص 32.

² انظر: فتح الإله المَنَّان ص 59.

³ انظر: بيان المسألة وإجابة العلامة - رحمه الله - ص (124 - 126).

⁴ انظر: فتح الإله المَنَّان ص 125.

⁵ انظر: فتح الإله المَنَّان ص 267.

1- حمل المطلق على المقيد (1): قال العلامة - رحمه الله -: " التصفيق باليد من الرجل خارج الصلاة مختلف في تحريمه وإباحته " (2)، وقد علق الدكتور رياض بن عبدات على هذا الاستدلال للعلامة باغيثان - رحمه الله - فقال: " جاءت روايات الحديث مطلقةً ومقيدةً فحمل المطلق على المقيد؛ حيث اتحد السبب والحكم، كما في حديث سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - وفيه، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " يا أيها الناس ما لكم حين نأبكم شيء في الصلاة أخذتم في التصفيق - إنما التصفيق للنساء من نأبه شيء في صلاته فليقل سبحان الله " (3)، وفي رواية أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " التسبيح للرجال والتصفيق للنساء في الصلاة " (4). جعل التصفيق للنساء محمولاً على حالة الصلاة بدليل تقييده بذلك في رواية مسلم، وأما في خارج الصلاة فيكون حكمه للرجال والنساء على سواء، ويكون تحريمه بحاجة لدليل خاص، وليس ثمة دليل يدل على التحريم (5)؛ فيبقى التصفيق على أصله من الإباحة ما لم يكن التصفيق لعباً، أو تشبهاً مقصوداً.

وتطرق العلامة باغيثان - رحمه الله - للمطلق والمقيد في باب (النذر) فقد سئل - رحمه الله - عن صيغة النذر وما فيها من ألفاظ مطلقة ومقيدة (6).

2- لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة (7): وتبين لنا هذه القاعدة من مسألة التصفيق، التصفيق، إذ يقول العلامة - رحمه الله -: " التصفيق باليد من الرجل خارج الصلاة مختلف في تحريمه

1 (انظر: الأشباه والنظائر: للسبكي 2 / 147؛ وأصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله. لعياض السلمي 368/1).

2 (انظر فتح الإله المنان ص 32).

3 (صحيح البخاري: كتاب أبواب السهو، باب الإشارة في الصلاة، 1 / 114، رقم الحديث (1177)).

4 (صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب تسبيح الرجال وتصفيق المرأة إذا نأهما شيء في الصلاة. 1 / 318، رقم الحديث (106)).

5 (انظر: طرح الثريب: 2 / 250).

6 (انظر: فتح الإله المنان: ص 317).

7 (انظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، لمحمد بن علي الشوكاني 2 / 26؛ أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه

جهله. لعياض السلمي 410/1).

وإباحته" (1)، فلو كان التصفيق من الرجل خارج الصلاة محرماً لبينه النبي - صلى الله عليه وسلم - ؛ إذ أن تأخير البيان وقت الحاجة لا يجوز، وإلا لكان تكليفاً بما لا يُطاق وهذا محال، وغاية نص رسول الله صلى الله عليه وسلم بيان المشروع في الصلاة، وليس يلزم تحريم ما عداه، ولو كان حراماً لبينه (2)، كما أن الأصل في العادات الإباحة (3).

3- تخريج الفروع على الفروع: من أهم المسائل الموجودة في كتاب فتح الإله المنان تخريج

الفروع على الفروع عندما لا يجد العلامة باغيثان - رحمه الله - نصاً لأئمة المذهب في الواقعة. والتخريج: هو نقل حكم مسألة إلى ما يشابهها والتسوية بينهما، سواء تخريج الفروع على الأصول، أو تخريج الفروع على الفروع، وإنما يكون التخريج إذا فهم المعنى وكان المخرج مساوياً لذلك المخرج منه في ذلك المعنى (4). ومن تلك المسائل التي خرّجها العلامة باغيثان - رحمه الله - من باب الفروع على الفروع - على سبيل المثال لا الحصر - مسألة تخريج الأوراق النقدية في جواز إخراجها في زكاة النقدين على جواز إخراج الفلوس والصكك، لذا قال العلامة باغيثان - رحمه الله -: "فهذه مثل الفلوس في جواز إخراجها عن زكاة النقدين وغيرها: لأنها رائجة، بل هذه الأوراق أولى من الفلوس؛ لأن المعاملة الآن في أكثر بلدان العالم لا تقع إلا بها هي، والنقود لا تعرف أصلاً" (5).

4- التحريم منوط على الوسائل: سئل - رحمه الله - عن القنيص في حضرموت - وهو

الخروج للصيد فهل هو من قبيل السفر المباح فيجوز للقائص الجمع والقصر والتيمم أو هو من قبيل سفر المعصية فلا يجوز له ذلك؟ وقد أجاب - رحمه الله - بين الحل والحرمة على أساس وسيلة القنص فقال: "... فمن أراد رمي الصيد بالبندق لا يجوز له الترخّص لا بالقصص ولا بغيره؛ لحرمة

¹ انظر: فتح الإله المنان ص 32.

² طرح التريب: 2 / (246 - 247).

³ الموافقات: للشاطي 513 / 2، وأثر التقيد على نجاعة الفتوى: لرياض عبدات ص 20.

⁴ انظر: أدب المفتي والمستفتي: لابن صلاح (1 / 34 - 35)، والإنصاف لمعرفة الراجح من الخلاف: للمرداوي 1 / 6.

⁵ انظر: فتح الإله المنان ص (61 - 62). وكذلك: مسائل أخرى في تخريج الفروع على الفروع، تخريج ضبط السيارة بالمكايح على ضبط الفرس باللحام، ص (314 - 316)، وتخريج صحة صلاة من لفة جبة على حرق كان في ثوبه على صحة صلاة من وضع يده على الخرق في الثوب. ص (35 - 36)، وتخريج وجوب إشهاد البائع ونحوه، لو طلب منه الإشهاد بما جرى منه من البيع على وجوب إشهاد الحاكم، بما يثبت عنده، أو حكم به إذا طلبه الخصم. ص 85. وغيرها من المسائل في هذا الباب.

سفره؛ لأنه لفعل محرّم، نعم إن كان حاداً يعلم أنه لا يتلف الصيد بل يثبتهُ فقط احتمال الجواز" (1).

5- الأوامر والنواهي عند باغيثان: ذكرت الأوامر والنواهي في كتاب فتح الإله المنان في

أكثر من موضع. من ذلك: انه سئل - رحمه الله - عن قوم لا يختنون الأنثى، فأجاب عن ذلك بذكر ختان الذكر والأنثى واستدل بقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: " ألق عنك شعر الكفر واختن (2)". فقال - رحمه الله - معلقاً على الحديث: " إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمر بالختان رجلاً أسلم، والأمر للوجوب؛ ولأنه لو لم يكن واجباً لما كشفت له العورة مع أن كشفها محرّم"، فلما كشفت له العورة دلّ على وجوبه (3).

6- العموم عند باغيثان: سئل - رحمه الله - عما إذا نذرَ شخصٌ لآخر بجميع ما يملكه من

الأموال بحضرموت، وللناذر المذكور مال بالشعر، فهل يدخل في النذر ويستحقه المنذور أم لا (4)؟ فقال - رحمه الله -: " قضية كلام جمهور العلماء الآتي في تحديد حضرموت بل صريحة أن الشعر معدودة من حضرموت، وعليه فكل مال موجود بها للناذر حال نذره، داخل في النذر المذكور يملكه المنذور له (...) والقرينة هنا إرادة الشمول والعموم للشعر ونواحيها" (5).

8(الحقيقة والمجاز) (6) عند باغيثان: أجاب - رحمه الله - عن مسألة مفادها أن رجلاً ورث في

أخيه هو وأخته بالعصبوية، ثم ماتت الأخت وانحصر إرثها في ذلك الأخ، ثم اتفق الأخ مع بنات أخيه وأمهن، على أن ينذر لهنّ بما خصّه في أخيه أبيهن المذكور، فنذر لهنّ على الإطلاق، من غير بيان حصته أو حصته وأخته معاً فهل يتمّ النذر أم لا ؟.

¹ انظر: فتح الإله المنان: ص 35.

² سنن أبي داود: كتاب الطهارة، باب في الرجل يسلم فيؤمر بالغسل، رقم الحديث (356)، ج 1/ ص 139. ورد في السلسلة الصحيحة للألباني، ج 1/ ص 178. رقم الحديث (2977).

³ انظر: فتح الإله المنان: ص 21.

⁴ انظر: للمسألة بطولها في فتح الإله المنان ص (326 - 329).

⁵ انظر: فتح الإله المنان ص 328.

⁶ شرح القواعد الفقهية: لأحمد الزرقا، ص 317، و القواعد الفقهية: للندوي ص 217 وغيرها.

فقال - رحمه الله - " لا يدخل النذر فيها إلا ما خصَّ النادر بالإرث من أخيه فقط دون ما ورثه من أخته، لأنه لم يخصه من أخيه وإنما خصه من أخته فلا يتناوله اللفظ إلا على سبيل المجاز، ولا يحمل اللفظ على المجاز إلا إذا تعذَّر الحمل على الحقيقة. وهنا الحمل على الحقيقة ممكن. " (1).

وخاتمة قولنا: هذه بعض ملامح التعميد الفقهي والأصولي عند العلامة باغيثان - رحمه الله - القائم على أساس القواعد الفقهية والأصولية، وهذه القواعد مما أمكننا ذكرها مع أمثلتها، خدمة لهذا السيفر العلمي، وإظهاراً للعلامة باغيثان في مجال التأصيل الفقهي والأصولي.

خاتمة البحث : ختام هذا البحث (القواعد الفقهية والأصولية المستخرجة من كتاب فتح الإله

المنان للعلامة باغيثان)، فإن الباحث خلص إلى جملة نتائج ومجموعة توصيات هي:

أولاً: نتائج البحث:

- (1) يعدُّ العلامة باغيثان - رحمه الله - من أبرز علماء وأئمة حضرموت في الفقه والأصول.
- (2) تنوّع أصول الكتاب من حيث القواعد الفقهية والأصولية.
- (3) كثرة القواعد الفقهية على القواعد الأصولية في كتابه (فتح الإله المنان).
- (4) بناء القواعد الفقهية في كتابه على القواعد الأصولية.

ثانياً: التوصيات:

- (1) إخراج درر فتاوى باغيثان في مجال القواعد المقاصدية.
 - (2) دراسة منهج باغيثان - رحمه الله - في قاعدة من القواعد كقاعدة (العادة محكمة).
- وفي الختام أسأل الله التوفيق والرضا لي ولكم، وقبول هذا الجهد القليل في حق عالم جليل، وأن يغفر لي كل الزلل، وحسبي أني بذلت الجهد واستفرغت الوسع رجاء الوصول إلى الغاية، فإن وفقت فله الحمد والمنة، وإلا فيشفع لي إخلاصي في القصد، ودأبي في العمل.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا

¹ (انظر: فتح الإله المنان ص 342. وقد تكرر لفظ الحقيقة والمجاز أكثر من مرة في جوابه على سؤال السائل.

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم: برواية حفص عن عاصم.
- (1) ابن الصلاح: عثمان بن عبدالرحمن بن عثمان الشهرزوي أبو عمرو، (1407هـ)، أدب المفتي والمستفتي، مكتبة العلوم والحكم، عالم الكتب - بيروت - الطبعة الأولى.
- (2) ابن العربي: ابن العربي المعافري (ت: 543هـ)، أحكام القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر.
- (3) ابن القيم: أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الشهير بابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من موائد الشيطان، تصحيح وتعليق وتحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- (4) ابن القيم: أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله ابن قيم الجوزية، (1973) إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، طبعة دار الجيل - بيروت.
- (5) ابن النجار: تقي الدين محمد بن أحمد الفتوح الحنبلي، (1408هـ / 1987م)، شرح الكوكب المنير، تحقيق: الدكتور محمد الزحيلي، والدكتور نزيه حماد، منشورات مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى.
- (6) ابن تيمية: شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد ابن قاسم، بمساعدة ابنه محمد، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب.
- (7) ابن خطيب الدهشة، أبو الثناء نور الدين محمود بن أحمد الحموي الفيومي، (1420هـ / 1999م)، مختصر من قواعد العلائي وكلام الأسنوي، تحقيق: مصطفى محمود البنجويني، مطبوعات وزارة الأوقاف بقطر، طبعة ثانية.
- (8) ابن رجب الحنبلي: زين الدين أبو الفرج عبدالرحمن، (1411هـ - 1991م) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى.

- (9) ابن رجب الحنبلي: زين الدين أبو الفرج عبدالرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، (1422هـ)، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، طبعة دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثانية.
- (10) ابن قدامة: موفق الدين بن قدامة المقدسي، المغني في فقه أحمد بن حنبل، دار الفكر. بيروت.
- (11) ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، الطبعة الأولى، مصر، دار صادر.
- (12) ابن نجيم: زين الدين ابن إبراهيم الحنفي (ت: 970 هـ)، (1405هـ / 1985م)، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- (13) الإدريسي: عبدالواحد الإدريسي، (1429هـ / 2008م)، القواعد الفقهية من خلال كتاب المغني لابن قدامة، دار ابن القيم، دار ابن عفان.
- (14) اسماعيل، محمد بكر، (1417هـ – 1997م)، القواعد الفقهية بين الأصالة والتوجيه، دار المنار، مصر، الطبعة الأولى.
- (15) الإسنوي: عبدالرحيم بن الحسن أبو محمد، (1400هـ)، التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، تحقيق: د. محمد حسن هيتو، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى.
- (16) الألباني: محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض.
- (17) الأنصاري: شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، (1422هـ / 2000م)، أسنى المطالب في شرح روض الطالب: تحقيق د. محمد محمد تامر، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى.
- (18) بابطاط: علي يسلم بابطاط، (2016م)، فتح الإله المنان من أول الكتاب إلى آخر كتاب الحج (دراسة وتحقيق)، رسالة ماجستير، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإنسانية، نوقشت بالسودان.
- (19) باسدس: عادل محفوظ عوض باسدس، (1441هـ / 2020م)، المصلحة والمفسدة عند العلامة باغيثان الحضرمي من خلال كتابه فتح الإله المنان، مجمع الفقه الإسلامي، الهند، مجلة المدونة فصلية شرعية محكمة، العدد (23) يناير 2020م، لشهر جمادى الأولى 1414هـ.
- (20) البخاري: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، (1407هـ / 1987م) صحيح البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، طبعة دار ابن كثير، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية.

- 21) ابن عثمان: أمين سالم عبدالله، (2016)، العلامة سالم بن سعيد بكير باغيثان ومنهجيته في الإفتاء من خلال فتاويه المسماه (فتح الإله المنان)، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد (15) أبريل، العدد (14).
- 22) بني عامر: أحمد إسماعيل: (2004هـ)، الميسر في أصول الفقه، طبعة أولى.
- 23) الجزائري: أبي عبدالرحمن عبدالمجيد جمعة (1431هـ – 2010م)، القواعد الفقهية المستخرجة من كتاب إعلام الموقعين، دار ابن القيم، دار ابن عفا، الطبعة الثانية.
- 24) الحموي: (1357هـ)، غمز عيون البصائر شرح الأشباه والنظائر، دار الطباعة العامرة.
- 25) الحنبلي: ابن رجب. القواعد في الفقه الإسلامي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- 26) الرفاعي: جميلة عبدالقادر شعبان الرفاعي، (20 / 22 يناير 2008م)، القواعد الفقهية والأصولية ذات الصلة بالعمل الخيري وتطبيقاتها، بحث مقدم إلى " مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث"، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدمشق.
- 27) الزرقا: مصطفى أحمد الزرقا، (1383هـ / 1963م)، المدخل الفقهي العام، دمشق، مطبعة جامعة دمشق.
- 28) الزرقا: أحمد بن محمد الزرقا، (1409هـ / 1989م)، شرح القواعد الفقهية، قام بتنسيق الطبعة الأولى الدكتور عبدالستار أبو غدة، وهي مصححة ومعلق عليها بقلم مصطفى أحمد الزرقا، دمشق، دار القلم، طبعة ثانية.
- 29) الزركشي: محمد بن بهادر بن عبدالله أبو عبدالله، (1423هـ – 2002م)، المنثور في القواعد، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، طبعة اتحاد الكتاب العرب.
- 30) زقور: أحسن زقور، (1426هـ / 2005م)، القواعد الفقهية المستنبطة من المدونة الكبرى، دار ابن حزم، دار التراث الجزائر، طبعة أولى.
- 31) الزيلعي: العلامة جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف الحنفي، نصب الراية لأحاديث الهداية، مع حاشية " بغية الأملعي في تخريج الزيلعي " دار الحديث. القاهرة.
- 32) السجستاني: سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي. بيروت.
- 33) السلمي: عياض بن نامي بن عوض السلمي، (1426هـ – 2005م)، أصول الفقه الذي لا يَسَعُ الفقيه جَهْلَهُ دار التدمرية، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى .

- 34) السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911هـ)، (1419هـ / 1998م)، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية، طبعة أولى.
- 35) شبير: محمد شبير، (1426هـ / 2006م)، القواعد الكلية والضوابط الفقهية، عمان دار النفائس، طبعة أولى.
- 36) الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) (1419هـ - 1999م)، إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى.
- 37) عبدات: رياض فرج عبدات، (2017م)، أثر التعيد في نجاعة الفتوى - التصفيق عند العلامة باغيثان أنموذجاً - نشر في مجلة كلية الشريعة . جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد السادس، يوليو.
- 38) العتبي: أبو عبدالملك أحمد بن مسفر العتبي، (1423هـ / 2002م)، القواعد التأصيلية.
- 39) العراقي: أبو الفضل زين الدين عبدالرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم، طرح الترتيب في شرح التقريب، طبعة دار الحديث إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي.
- 40) عزام: عبدالعزيز محمد، (1426هـ / 2005م)، القواعد الفقهية، دار الحديث، القاهرة.
- 41) العريزي: د عزت العريزي، ذياب عقل، يوسف محمود عبد خليل، (1993م)، برنامج التربية مدخل إلى الفقه الإسلامي، منشورات جامعة القدس المفتوحة، طبعة أولى.
- 42) العريزي والرفاعي: محمد رامز العريزي وجميلة عبدالقادر الرفاعي، (1428هـ / 2008م)، أصول الفقه في ثوبه الجديد، مصادر التشريع في الفقه الإسلامي، مطابع وزارة الأوقاف، الطبعة الأولى.
- 43) القرافي: شهاب الدين القرافي (ت: 684هـ)، الفروق، بيروت، عالم الكتب.
- 44) الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الحاوي، طبعة دار الفكر، بيروت.

45) المرادوي: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرادوي الدمشقي الصالحي، (1419 هـ)، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى.

46) الندوي: علي أحمد الندوي، (1986م)، القواعد الفقهية، دمشق، دار القلم.

47) اليوسف: صالح بن سليمان بن محمد، (1408 هـ / 1988 م)، المشقة تجلب التيسير دراسة نظرية وتطبيقية، المطابع الأهلية، الرياض.

سلوكيات الطرق المنحرفة في المجتمع (وكيفية معالجتها)

أ. ضيف الله منصور الذيفاني
 باحث دكتوراه – كلية علوم التربية
 جامعة محمد الخامس – المغرب

الملخص

7

أن الانحراف السلوكي ليس سلوكاً فطرياً، بل هو نتيجة للسلوك المكتسب الذي اكتسبه الفرد من المحيط الاجتماعي (الأسرة، والمؤسسات التعليمية، والبيئة الاجتماعية) التي يعيش فيها، وأن ضعف الضابط أو الرادع الذاتي لدى الفرد يعد سبباً من أسباب الزلل والوقوع في الانحراف السلوكي، فالرادع الذاتي يحصن الإنسان من مخالفة قيم المجتمع وأخلاقه، ويتبين لنا من خلال هذا البحث أن الغلو والتطرف والإرهاب من أهم المسببات في الانحراف السلوكي، مما يؤدي في النهاية إلى الاضطرابات في المجتمع وعدم الاستقرار.

ولا شك أن الانحراف السلوكي يشكل خطراً على الفرد والأسرة والمجتمع والدولة، لهذا ينبغي التعاون والتكامل بينهما، ومن خلال ذلك يجب على الدولة الاهتمام بالتعليم بمختلف مستوياته؛ لأن ارتفاع نسبة المتعلمين في المجتمع تحد من انحراف السلوك.

وإن اهتمام الأسرة بالجانب التربوي، لا سيما تربية أبنائها التربية السليمة؛ لتعزيز الكيان الذاتي لدى الأبناء، أي بناء الشخصية السوية لديهم، وغرس المبادئ الأخلاقية، وقيم الخير، والتكافل والتراحم.. إلخ.

وختاماً على العلماء وخطباء المساجد، والأساتذة، والمنقذين مهمة كبيرة في توجيه وإرشاد الناس إلى إتباع الحق والخير، والابتعاد عن الانحراف السلوكي بكل أنواعه وصوره المختلفة على الفرد والأسرة والمجتمع والدولة، بل وعلى التنمية الشاملة؛ لأن في ذلك خير الأمة، وأمنها، واستقرارها.

Community Ill Manners and Methods of Treatment

Mr. Dhaif Allah Mansour El-Thayfani

PhD Research Scholar, Faculty of Education, Mohammed V University, Morocco

Research summary:

That behavioral deviation is not an innate behavior, but rather is the result of the acquired behavior that the individual has acquired from the social environment (family, educational institutions, and the social environment) in which he lives, and that the weakness of the individual or the self-deterrent of the individual is one of the causes of malfunction and falling into the behavioral deviation, as the deterrent Self protects the person from violating the values and morals of society, and it becomes clear to us through this research that hyperbole, extremism and terrorism are among the most important causes of behavioral deviation, which ultimately leads to social turmoil and instability.

There is no doubt that behavioral deviation is a danger to the individual, family, society and the state, therefore cooperation and complementarity between them should take place, and through this the state must pay attention to education at its various levels, because the high percentage of learners in society limits the deviation of behavior.

And that the family's interest in the educational aspect, especially the proper education of its children, in order to enhance the self-existence of the children, that is, building the appropriate personality for them, implanting moral principles, good values, solidarity and compassion ... etc.

In conclusion, the scholars, preachers of mosques, professors, and intellectuals have a great task in directing and guiding people to follow the truth and the good, and to avoid behavioral deviation in all its forms and its different forms on the individual, family, society, and the state, and even on comprehensive development, because that includes the good of the nation, its security, and its stability.

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة.

أما بعد..

إن الانحراف من الظواهر الاجتماعية التي رافقت حياة الإنسان منذ خلق الله سبحانه وتعالى البشرية، ولا شك أن ظاهرة الانحراف شائعة بين الأفراد على اختلاف ديانتهم وألوانهم، وأعمارهم، ومهنتهم، وحضارتهم، ومن الشواهد على ذلك قصة قابيل وهابيل، عندما قام قابيل بقتل أخيه هابيل، فمنذ ذلك الزمن وهذه القصة وأشباهاها تتوالى وتكرر بصور متنوعة، وتفاصيل مختلفة.

فالمجتمعات البشرية تقوم على مجموعة من القيم الاجتماعية في مختلف نواحي الحياة الاجتماعية، والثقافية، والسياسية، والاقتصادية وغيرها، التي تربط بين أفراد المجتمع، وقد تعارف الناس على هذه القيم، وأصبحت هي الناظم لحياتهم وإشباع حاجاتهم ورغباتهم، وتساعد على تسيير أمور حياتهم، وعلاقتهم ببعضهم البعض، وبدون ذلك يسود المجتمع الفوضى وعدم الاستقرار.

ولهذا يرى البعض أن المجتمع هو الذي يحدد " ماهية السلوك السوي وماهية السلوك المنحرف ..، وفق القيم الاجتماعية التي رسمها لنفسه؛ وعلى ذلك فالانحراف كلمة نسبية تختلف من مجتمع إلى آخر، ومن عصر إلى عصر، ومن ثقافة إلى أخرى"⁽¹⁾.

فالشخصية المنحرفة " هي من تقوم بأي عمل يفسد النظام، ليفتح الباب مشرعاً أمام الفوضى لتدخل في القانون، وتحول دون تطبيقه على واقع الحياة، مما يلحق الضرر

(1) - السلوك الانحرافي في إطار التخلف والتقدم، تأليف: د. خيرى خليل الجميلي، الناشر: المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، الطبعة عام 1998م (ص134).

بالمصلحة الفردية أو المصلحة الاجتماعية، أو بكتليهما معاً.. فكل الظواهر السلوكية الخاطئة المنفشية في الواقع المتحضر.. هي ثمرة تلك الجهود المبذولة لتحطيم الإنسان، وسلب عقله وفكره، وجعله دمية رخيصة يتلاعبون بها حيث شاؤوا، للسيطرة على إنسانيته⁽¹⁾.

☒ أهمية البحث:

نظراً لما يفرضه الواقع الحالي من قضايا التطرف الفكري والإرهاب والعنف والتخلف الاقتصادي وما تسببه تلك القضايا من حالات الانحراف التي تعاني منها مجتمعاتنا، جاءت هذه الدراسة لتسلط على هذه السلوكيات المنحرفة بغية تعديلها وعلاجها من منظور إسلامي وذلك امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»⁽²⁾.

☒ أهداف دراسة :

تهدف الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف التالية:

- 1- التعرف على مفهوم الانحراف السلوكي وأنواعه.
- 2- الوقوف على العوامل التي تؤدي إلى الانحراف السلوكي.
- 3- تقديم الحلول التي تساهم في معالجة أسباب الانحراف السلوكي.
- 4- التوصل إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، بغية معالجة الانحراف السلوكي.

(1) - الانحرافات السلوكية الأسباب والعلاج، تأليف: صباح عباس، الناشر: دار البيان العربي، - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1414هـ - 1993م (ص46-47).

(2) - المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فواد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت { كتاب الإيمان } {بابُ تَيَانِ كَوْنِ التَّهْيِ عَنِ الْمُتَكْرِمِ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيُنْقُصُ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُتَكْرِمِ وَاجِبَانِ} (69/1) رقم الحديث 49

✘ **منهج البحث :** لقد استخدمت في هذا البحث المنهج التحليلي القائم على تحليل محتويات النصوص واستخراج المعنى منها، وإبرازه في صورة مبسطة، وصياغتها بصيغة موضوعية.

✘ **خطه البحث:**

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في مقدمة، وأربعة مباحث، ثم خاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع.

أما المقدمة: فقد اشتملت على أهمية الموضوع، والهدف من الدراسة، ومنهج البحث، وخطه البحث.

وأما المباحث فقد جاءت على النحو التالي:

- المبحث الاول: مفهوم الانحراف السلوكي.
 - المبحث الثاني: العوامل التي تؤدي إلى الانحراف السلوكي.
 - المبحث الثالث: نماذج من الانحرافات السلوكية في المجتمع.
 - المبحث الرابع: الموقف من الانحرافات السلوكية ومعالجتها.
 - الخاتمة: وقد اشتملت على أهم نتائج البحث وأهم التوصيات.
- نسأل الله أن ينفعنا بما عملنا وأن يعلمنا ما ينفعنا إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المبحث الاول

مفهوم الانحراف السلوكي

اولاً:- مفهوم الانحراف في اللغة:

كلمة (الانحراف) مأخوذ من مادة (ح ر ف)، ومن معانيها في اللغة العربية أنه يقال: (حرف الجبل)، أي أعلاه المحدد، ويقال: (فلان على حرف من أمره) أي ناحية منه كأنه ينتظر ويتوقع، فإن رأى من ناحية ما يجب وإلا مال إلى غيرها، والانحراف هو الميل، يقال: انحرف وتحرف، أي مال وعدل عن الطريق⁽¹⁾.

وقيل هو: الانحراف عن الشيء. يقال: انحرف عنه ينحرف انحرافاً. وحرفته أنا عنه، أي عدلت به عنه. ولذلك يقال: محارف، وذلك إذا حورف كسبه فميل به عنه، وذلك كتحرif الكلام، وهو عدله عن جهته⁽²⁾.

ثانياً:- مفهوم الانحراف في الاصطلاح:

عرفه الدكتور محمد الزحيلي بأنه: " الخروج من جادة الصواب، والبُعد عن الوسط المعتدل، وترك الاتزان"⁽³⁾ وقال الشيخ أحمد عبدالسلام⁽⁴⁾: " التحريف الميل بالشيء إلى الحرف، والمقصود هنا تغيير الكلام لفظاً أو معنى"⁽¹⁾.

(1) - لسان العرب : تأليف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منطور الأنصاري الرونعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ) الناشر: دار صادر - بيروت - الطبعة الثالثة 1414 هـ - (41/9).

(2) - معجم مقاييس اللغة: تأليف: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م (43-42/2).

(3) - الإسلام والشباب، تأليف: د. محمد الزحيلي، الناشر: دار القلم - دمشق - سوريا، 1414هـ (ص163).

(4) - هو: الشيخ أحمد عبد السلام محمد " أبو مُزَيَّرِيق " هو أحد علماء ليبيا المشهود لهم بالعلم والفقه في الدين ورموزها الكبار في مجال الكتابة والتأليف ، ولد " أبو مُزَيَّرِيق " سنة 1929م في قرية رأس علي بمصراته، وله مؤلفات كثيرة تدل على علمه وسعه اطلاعه ومن أهم هذ المؤلفات: (إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن): وهو تفسير كامل للقرآن وهو أعظم مؤلفاته ، أودعه خزانة أفكاره وآرائه وعلمه، شرع في تأليفه سنة 1973م، وأكملة سنة 1993م، وقد طبع في اثني عشر مجلداً، وهو أكبر أبحاثه العلمية وأهمها، وكانت وفاة الشيخ " أبو مُزَيَّرِيق " عام 2010م بعد مرضه وانقطاعه عن الفتوى، رحمه الله رحمه واسع، وأسكنه فسيح جناته. قامت دار المدار

وعرفه محمد عبد الصمد بأنه: "ترك الحق والوسطية والاستقامة أياً كان موضوع الانحراف أو مجاله وصوره"⁽²⁾.

وخلصه القول: إن الانحراف عُرف منذ أن وجدت البشرية حين قتل قابيل أخاه هابيل ، وهما أبنا أبي البشر آدم عليه السلام، بل يرجع تاريخه قبل ذلك أيضاً، وذلك عندما خالف إبليس - لعنة الله تعالى عليه- أمر الله عز وجل بالسجود لآدم عليه السلام كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾⁽³⁾، ثم حدثت مخالفة آدم عليه السلام وزوجته حواء لأمر الله عز وجل غير أن الله سبحانه وتعالى قد تاب على آدم عليه السلام، فقال: ﴿فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾⁽⁴⁾، مما يدل على أن الانحراف قديم قدم الإنسانية ذاتها، فهو ظاهرة اجتماعية قائمة في كل العصور وفي كل المجتمعات، وليس مختصاً بمجتمع بعينه أو بزمان معين، إلا أنه قد يختلف مجتمع من مجتمع آخر من حيث ظهور الانحراف كثرة أو شذوذاً، وهذا يتعلق بمدى تكرار حدوث ظاهرة الانحراف لوجود الأسباب والعوامل المؤدية إلى ذلك⁽⁵⁾.

ثالثاً:- مفهوم السلوك في اللغة:

يرجع الأصل اللغوي لمصطلح السلوك إلى السلك، الخيط و السلك بالفتح: مَصْدَرُ سَلَكَ الشَّيْءَ فِي الشَّيْءِ فَانْسَلَكَ أَيِ ادْخَلْتَهُ فِيهِ، مصدر سلك طريقاً؛ وسلك المكان يسلكه سلكاً وسلوكاً وسلكه غيره وفيه وأسلكه إياه وفيه وعليه ، وَفِيهِ لُغَةٌ أُخْرَى: أَسْلَكْتُهُ فِيهِ. وَاللَّهُ يُسَلِّكُ الْكُفَّارَ فِي جَهَنَّمَ أَيِ

الإسلامي بالتعريف بالمؤلف انظر: إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن: تأليف: للشيخ / أحمد عبد السلام أبو مزيريق، الناشر: دار المدار الإسلامي- بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 2011م (11/1).

(1) - إرشاد الحيران ، لأبي مزيريق (24/3).

(2) - ظواهر الانحراف الاجتماعي في المجتمع الإسلامي ومعالجتها " رؤية إسلامية" ، تأليف: د. محمد عبد الصمد، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية (شيتا غونغ)- بنجلادش-، المجلد الرابع ديسمبر 2007م (ص147).

(3) - سورة البقرة / الآية 34.

(4) - سورة البقرة / الآية 37.

(5) - ظواهر الانحراف الاجتماعي، لمحمد عبد الصمد (ص152).

يُدْخَلُهُمْ فِيهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (1)، أي أدخله ينابيع في الأرض. يقال: سلكت الخيط في المخيط أي أدخلته فيه. والمسلك: الطريق (2).

وقيل السلوك: " النفاذ في الطريق" (3) وقيل السلوك: سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه يقال: فلان حسن السلوك ، أو سيء السلوك (4) ويرد السلوك أيضاً بمعنى الاستقامة، والسلوكي، بالضم: الطعنة المستقيمة، والأمر المستقيم (5).

رابعاً: مفهوم السلوك في الاصطلاح:

السلوك : هو " مجموع ما يقوم به الإنسان من أعمال في حياته ومجتمعه" (6).

وقيل : السلوك هو أثر ما في القلب وأن الإنسان عليه أن يجاهد نفسه سلوكياً ليستقيم قلبه، فإذا استقام قلبه استقامت الأطراف (7).

وقيل : إن سلوك الإنسان وتصرفاته في الحياة مظهر من مظاهر عقيدته، فإذا صلحت العقيدة صلح السلوك واستقام، وإذا فسدت فسد واعوج، ومن ثم كانت عقيدة التوحيد والإيمان ضرورة لا يستغنى عنها الإنسان ليستكمل شخصيته ويحقق إنسانيته (8).

(1) - سورة الزمر / جزء من الآية 21.

(2) - انظر: لسان العرب، لابن منظور (442-443).

(3) - التوقيف على مهمات التعاريف: تأليف: زين الدين محمد المدعو بعيد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ) ، الناشر: عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت- القاهرة ، الطبعة الأولى 1410هـ-1990م (1971).

(4) - المعجم الوسيط: (مجمع اللغة العربية بالقاهرة)، تأليف: (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة (445/1).

(5) - القاموس المحيط : تأليف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة، 1426 هـ - 2005 م (943/1).

(6) - أسس النهضة الرائدة ، تأليف: أحمد القصص، رابطة الوعي الثقافي، طرابلس - لبنان - الطبعة الأولى 1416هـ-1995م (ص85).

(7) - الأساس في السنة وفقهها - العقائد الإسلامية: تأليف: سعيد حوى ، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الثانية، 1412 هـ - 1992 م (274/1).

(8) - العقائد الإسلامية: تأليف: السيد سابق، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان، (309/1).

خامساً: - أنواع السلوك: فسلوك الإنسان نوعان⁽¹⁾:**أ. سلوك مادي ظاهري:**

وهو السلوك الذي يستدل عليه من آثاره الظاهرة التي تبدو بشكل مباشر في البيئة التي يتم فيها السلوك وهو أظهر ما يطلق عليه السلوك، والسلوك الظاهري مجاله جسم الإنسان وأعضاؤه.

ب. سلوك معنوي باطني.

وهو السلوك الذي لا يستدل على آثاره إلا بشكل غير مباشر، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾²، فالسلوك الظاهر انعكاس مادي للسلوك الباطن ويقدر سلامة الثاني وصلاحه تكون تكون سلامة الاول وصلاحه.

ويمكن تعريف الانحراف السلوكي بأنه: تغير يطرأ على السلوك يكون مخالفاً للمبادئ والقيم الربانية أو المجتمعية سواءً كان ذلك بقصد أو بغير قصد بعلم أو بغير علم⁽³⁾.

المبحث الثاني: العوامل التي تؤدي إلى الانحراف السلوكي.

إن الانحراف ليس فطرياً، بل هو مكتسب من البيئة المحيطة بالفرد، سواءً كانت بيئة داخلية متمثلة في الأسرة، أم بيئة خارجية متمثلة في المحيط الاجتماعي، كما أنها تمثل الأساس الذي يستقي منه الفرد أنماط سلوكه ويحدد على أساسها ميوله واتجاهاته، فالفرد لا يولد شريراً ولا جشعاً، لهذا فالانحراف لا يرجع إلى نقص في طبيعة، أو إلى نزاعات داخلية في نفسه البشرية، وإنما يرجع إلى

(1) - تعديل السلوك الإنساني في التربية الإسلامية، إعداد/ عماد عبد الله محمد الشرفين، رسالة ماجستير - جامعة اليرموك- المملكة الأردنية الهاشمية 1422هـ- 2002م (ص 13) ، القرآن والسلوك الإنساني، تأليف: محمد بهاني سليم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، - القاهرة - جمهورية مصر العربية، 1987م (ص 23).

² - سورة غافر / جزء من الآية 19.

(3) - الانحرافات الفكرية والسلوكية وسبل معالجتها في ضوء أحاديث صحيح البخاري، إعداد الطالب: عبد الرحمن بن محمد بن نفيذ المذاهبي الحارثي، 1432-1433هـ (ص9).

خلل في البيئة التي نشأ فيها، وعدم تهيئة الجو النفسي والمناخ الملائم للتربية، والتوجيه، والرعاية بصورة سليمة⁽¹⁾، والسلوك الانحرافي يكتسب عن طريق التعليم وليس عن طريق الوراثة⁽²⁾.

• أهم عوامل الانحراف السلوكي في المجتمع ما يلي:

1- ضعف الإيمان:

يرى الإسلام أن الإيمان ليس مجرد عبادة محضة يتجه بها المخلوق نحو خالقه فحسب وإنما هو اتجاه الناس للخالق مع الإخلاص، والبعد عن كل رذيلة تنافي شرف الأخلاق والعمل المثمر للصالح العام⁽³⁾ وإذا لم يكن للإيمان أثر في أخلاق الإنسان وسلوكه وصحته النفسية، فذلك دليل على أنه ضعيف أو مزيف، وصاحبه ممن يدعون الإيمان بالقول، لا بالعمل، دون أن يدخل قلوبهم، ولا كان له سلطان على أرواحهم⁽⁴⁾.

إن الإنسان ضعيف الإيمان لابد من أن تتحط معايير وقيمه، ونظرته إلى كل شيء في هذه الحياة، ذلك أن الإيمان هو الذي يقوي الجانب الروحي من الإنسان ويربطه بالمثل العليا، إذ يربط القلب البشري بالله، فالتذكير الدائم بأن الله مع الإنسان يراه ويراقبه ويحصى عليه أعماله، ثم يحاسبه عليها يوم القيامة، حتى تصبح تقوى الله جزءاً لا يتجزأ من مشاعر القلب، وركيزة ثابتة في الضمير يعتبر من أهم وسائل التثبيت الإيمانية في النفس البشرية⁽⁵⁾.

• ولضعف الإيمان أعراض ومظاهر متعددة ومن هذه الأعراض والمظاهر⁽⁶⁾:

أ- الوقوع في المعاصي وارتكاب المحرمات، مما يؤدي إلى تحولها عادة مألوفة.

(1) - السلوك الانحرافي في إطار التحلف والتقدم، تأليف: د. خيري خليل الجميلي، الناشر: المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، عام 1998م (ص225).

(2) - المشكلات الاجتماعية، تأليف: جبارة عطية جبارة، والسيد عوض علي، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية- مصر- الطبعة الأولى 2003م (ص168-169).

(3) - الإسلام دين ودوله ونظام، تأليف: عبد الحى العمراني، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1983م (ص126).

(4) - أثر الإيمان في بناء الشخصية، سلسلة الدراسات الإسلامية، العدد (11) تأليف: د. التهامي نقرة، الناشر: المطبعة العصرية- تونس، 1988م (ص110).

(5) - ركائز الإيمان، تأليف: محمد قطب، الناشر: دار الشروق، القاهرة- جمهورية مصر العربية- الطبعة الأولى 1422هـ- 2001م (ص77) بتصرف يسير.

(6) - انظر: ظاهرة ضعف الإيمان، تأليف: محمد المنجد، www.saaid.net/book/index.php

ب- الشعور بقسوة القلب وخشونته حتى لا يتأثر الإنسان بشيء؛ لا بموعظة الموت ولا برؤية الأموت ولا الجنائز، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾⁽¹⁾.

ت- عدم الاهتمام بقضايا المسلمين ولا التفاعل معها بدعاء ولا صدقة ولا إعانة، فيكتفي بسلامة نفسه، وهذا نتيجة ضعف الإيمان.

2- سوء البيئة التربوية:

إنّ من طبيعة الإنسان التأثر ببيئته ومجتمعه الذي يعيش فيه، والتأثر والافتداء بمن يخالطهم من الناس، فمن عاش في بيئة صالحة ورفقة طيبة فإنه يتأثر بذلك، ويهتدي إلى ما اهتدوا إليه من الحق بدعوتهم إياه المستمرة إلى الهدى والحق، ويتأثره بسلوكهم وأخلاقهم، وكذلك من عاش في بيئة فاسدة وصحبة سوء فإنه سيتأثر بهم، وبما يزينونه له من باطلهم وبما يمينونه ويغرونه به من معسول الكلام، والدعوة إلى باطلهم، وربما يؤثر فيه سلوكهم وضلالهم وطغيانهم⁽²⁾.

والبيئة هي المنزل أو المكان الذي ينزل فيه الإنسان، وهي كذلك تعبر عن الحالة فيقال: بيئته بيئة سوء، أي: بحالة سيئة، ويقال العكس: فهو حسن البيئة. وبذلك يمكن القول بأن البيئة يقصد بها المكان أو الحالة التي عليها الإنسان الناجمة عما يكتنفه من ظروف⁽³⁾.

والإسلام يدعو إلى تطهير المجتمع من المفاصد ظاهرها وباطنها، ويأمر كل فرد بأن يتركها أولاً بنفسه، قال تعالى: ﴿وَدَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾⁽⁴⁾.

(1) - سورة البقرة / جزء من الآية: 74.

(2) - السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك، تأليف: شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، الناشر: مكتبة الرشد، - الرياض - المملكة العربية السعودية، - الطبعة الأولى (ص197-198).

(3) - الفكر التربوي العربي الإسلامي، تأليف: أحمد عبد الرحمن عبد اللطيف الناشر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1987م (ص933).

يَقْتَرِفُونَ⁽¹⁾، ثم يأمر بإزالة ما يراه من مفاسد في المجتمع وتطهير البيئة عن كل فاحشة تقع عيناه عليها، وجعله مسؤولاً عن ذلك بقدر استطاعته ونفوذ حدود سلطانه.

إن سوء البيئة الاجتماعية يولد في أفراد المجتمع نزعة كبيرة للفساد، يضعف وازعهم الإيماني الذي كان يمنعهم عن الوقوع في المعاصي، "إذا تغرّبت البيئة الإسلامية، وتخلّت تحت ضغوط التأثير المتنوع عن مقوماتها الذاتية، وتاهت في بידاء الأهواء والضلالات، وأضحى الدين عندها في بطون الكتب، وعلى رفوف المتاحف، تشكّل سلوك الفرد على مقتضى تلك البيئة"⁽²⁾.

قال الغزالي: "إن الصبي بجوهره خلق قابلاً للخير والشر جميعاً وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين"⁽³⁾ وهكذا اهتم الإسلام بالبيئة المحيطة بالإنسان لتأثيرها القوي الدائم في الطبيعة الإنسانية وفي تشكيل شخصية الفرد وتحديد أنماط سلوكه في مواقف الحياة المختلفة، فكلما صلحت تلك البيئة قوي الوازع عند الناس، وإن فسدت ضعفت وظيفته.

3- **الوضع الاقتصادي والاجتماعي:** إن تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية تؤدي إلى خلق بيئة مساعدة على تزايد سلوك الانحراف، ويصبح هناك علاقة بين هذا السلوك، وبين المشكلات الاجتماعية، والاقتصادية، مثل البطالة، والفقير، وغلاء المعيشة.. إلخ، كما أن القوانين التي تحد من حرية الأفراد في مختلف المجالات الاقتصادية والمالية قد تشكل عائقاً أمام تطلعات الأفراد والجماعات في تحسين أوضاعهم الاقتصادية؛ بالتوسع في ممارسة الأنشطة الاقتصادية التي تساعد على زيادة الإنتاج، ومن ثم القضاء على الأزمات الاقتصادية كالفقير، والبطالة... إلخ⁽⁴⁾ وأخيراً، يمكن القول: إن الانحراف السلوكي مثله مثل غيره من أنماط السلوك، يتم اكتسابه ثقافياً واجتماعياً؛

(1) - سورة الأنعام/ الآية: 120.

(2) - أثر الإيمان في بناء الشخصية الحياتية الروحية، سلسلة الدراسات الإسلامية، تأليف / نورة التهامي، الناشر: المطبعة العصرية، - تونس، - (ص119).

(3) - إحياء علوم الدين: تأليف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) الناشر: دار المعرفة - بيروت (74/3).

(4) - السلوك الانحرافي في إطار التخلف والتقدم (227).

حيث يرى البعض أن الفرد" يكتسب مختلف المهارات، نتيجة لاختلاطه وتعايشه في بيئته ثقافية اجتماعية تكسبه مختلف المؤثرات، والرغبات، والأهداف، والعلاقات"(1).

4- عوارض الضعف البشري:

لقد خلق الله عزّ وجلّ عند الإنسان دوافع فطرية تدفعه إلى السلوك والحركة والعمل في هذه الحياة كالدوافع إلى الجنس، والطعام والشراب، والمال والبنين... إلخ، وإن هذه الدوافع الغريزية، إذا لم تهذب وتوجه، أصبحت مصدراً للفوضى الاجتماعية..، لذلك وضع الله في فطرة الإنسان القدرة على تعديل دوافعه الغريزية وتهذيبها وتحويلها إلى عواطف واضحة الهدف تحدّد لصاحبها أسلوباً مهذباً في إرواء دوافعه دون إيذاء الآخرين أو إحداث فوضى في الجماعة، فالغريزة الجنسية مثلاً بدلاً من أن تكون ميلاً جسدياً نحو تحقيق الشهوة تصبح بالتربية والتهذيب عاطفة نحو الزواج(2).

إنّ جوهر الحياة الإنسانية يبنى على قيم ومعانٍ سامية، فإذا انعدمت هذه القيم، تحول الإنسان إلى وحش ضارّ أفسد ما حوله، وأفسد على نفسه حياته، لذلك لا بدّ للإنسان من قانون أخلاقي يضبط حياته، ويكوّن له معانٍ أخلاقية، يتعامل بها مع نفسه وغيره(3).

المبحث الثالث

نماذج من الانحرافات السلوكية في المجتمع

وفيها مطلبان:

المطلب الأول: الغلوّ و التطرّف.

أولاً:- مفهوم الغلوّ في اللغة:

(1) - مقدمة في الانحراف الاجتماعي، تأليف: د. مصطفى عبد الحميد كاره، الناشر: معهد الإمام العري، - بيروت- لبنان،- الطبعة الاولى 1985م (ص91-92).

(2) - التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، تأليف: د. عبد الرحمن النحلوي، الناشر: المكتب الإسلامي، - بيروت- لبنان،- الطبعة الثانية 1985م (ص99).

(3) - حرية الاعتقاد في ظل الإسلام، تأليف: د. تيسير حميس العمر، الناشر: دار الفكر- بيروت- لبنان،- الطبعة الأولى 1998م (ص146).

الغلوّ والتطرّف لفظان مترادفان، وهما بمعنى واحد تقريباً، وهو الخروج عن الهدى، أو الصراط المستقيم أو الوسطية، التي قال عنها عز وجل في كتابه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾⁽¹⁾، يقال: (غلا) في الأمر جاوز فيه الحد ، ويقال غلا في الدين غلواً تشدد وتصلب حتى جاوز الحد⁽²⁾.

وقال ابن الأثير: " الغلوّ في الدين البحث عن بواطن الأشياء والكشف عن عللها وغوامض متعبداتها"⁽³⁾.

ثانياً:- مفهوم الغلوّ في الاصطلاح:

اجتهد العلماء في وضع تعريف للغلو بعبارة موجزة، وهذه بعض تلك التعريفات:

عرفه ابن تيمية: بأنه مجاوزة الحد بأن يزداد الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق⁽⁴⁾.

وقال ابن حجر الغلو هو: " المبالغة في الشيء والتشدد فيه بتجاوز الحد"⁽⁵⁾.

وعرف الزحيلي الغلو: بأنه " التشدد والتصلب في مجاوزة الحد المطلوب والمقدر شرعاً"⁽⁶⁾.

(1) - سورة البقرة / جزء من الآية: 143.

(2) - مختار الصحاح ، تأليف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية - دار النموذجية، بيروت - صيدا - الطبعة الخامسة، 1420هـ / 1999م (229/1)، (التوقيف على مهمات التعاريف)، تأليف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ) ، الناشر: عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت- القاهرة ، الطبعة الأولى 1410هـ-1990م (235/1).

(3) - تاج العروس من جواهر القاموس: ، تأليف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: 1205هـ) المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية(178/39).

(4) - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم : تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان الطبعة السابعة، 1419هـ - 1999م (328/1).

(5) - فتح الباري شرح صحيح البخاري: ، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379 رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي (278/13).

(6) - الاعتدال في التدين فكراً وسلوكاً ومنهجاً، تأليف: د. محمد مصطفى الزحيلي، الناشر: كلية الدعوة الإسلامية- طرابلس- ليبيا، 1428هـ (ص12).

وقال الشيخ أبو مزيريق: " الغلو هو الأفراط وتجاوز الحد" (1).

ثالثاً: مفهوم التطرف في اللغة:

يعتبر التطرف من المصطلحات الحديثة المعاصرة، واستخدمت هذه اللفظة في القرآن استخداماً لغوياً وليس شرعياً محدداً.

يقال " تطرف، يتطرف، تطرفاً، فهو متطرف، والمفعول متطرف، يقال: تطرف الشيء: مُطَاوَع طَرْفَ: أتى الطرف، أي منتهى الشيء، صار طرفاً "عُصَنَ متطرف". ويقال: تطرفت الشمس: أوشكت أن تغرب، ويقال: تطرف الشيء: أخذه من أطرافه، ويقال أيضاً: تطرف في إصدار أحكامه: جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط "حزب سياسي متطرف" (2).

ويقال: التطرف: المغالاة السياسية أو الدينية أو المذهبية أو الفكرية، وهو أسلوب خطر مدمر للفرد أو الجماعة "تبذل بعض الدول جهوداً مضيئة للقضاء على التطرف الإرهابي" (3).

رابعاً: مفهوم التطرف في الاصطلاح:

يبدو أن المتقدمين لم يستعملوا في كتبهم لفظة (تطرف) المستخدمة اليوم، بيد أن هناك لفظة أخرى كثر استخدامها في كتبهم للدلالة على هذا المعنى، وهي كلمة (الغلو)، التي وردت في القرآن الكريم، ووردت على لسان النبي صلى الله عليه وسلم، لكن من خلال المفهوم السائد اليوم، يمكننا القول

(1) - إرشاد الحيران، لأبي مزيريق (386/3).

(2) - معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب،

الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008 م (1396/2) ينظر

(3) - المرجع السابق نفس الصفحة.

أنّ التطرّف يعني: تجاوز حدّ الاعتدال، سواء كان في العقيدة، أو في الفكر، أو في السلوك، فالغلوّ في الحقيقة أعلى مراتب الإفراط في الجملة، فالغلوّ في الكفن هو المغالاة في ثمنه والإفراط فيه⁽¹⁾.

• الأدلة العامة من الكتاب والسنة على تحريم الغلوّ و(التطرّف).

لقد أنزل الله كتابه، وجاءت أحكامه وسطاً بين الغلوّ والتتّع⁽²⁾ فقد نهى عن الغلوّ في الدين، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾⁽³⁾، وهذا النهي وإن كان الخطاب فيه لأهل الكتاب إلا أن فيه التحذير لهذه الأمة لكي تتجنب أسباب هلاك الأمم السابقة، يقول الشيخ أبو مزريق: "فديننا الحق هو الذي لا غلوّ فيه بإفراط أو تفريط وهو (الإسلام)... بعكس ما كان عليه النصارى من غلوّ في الدّين متمثلاً بتعظيم المسيح فوق ما يجب أن يكون له من التعظيم، وكان إيذاء اليهود له وسعيهم في قتله، من الغلوّ في الجمود على التقاليد التي ابتدعوها، واتباع أهوائهم بلا علم.. فهذا النهي كان موجه إلى أهل الكتاب الذين كانوا في عصر التنزيل عن التقليد الذي كان سبب ضلالهم؛ إذ هم قد اتبعوا أهواء قوم ضلوا في وثنيّتهم وأضلوا غيرهم، وتركوا سنن الرسل والصالحين من قبلهم.. وهذا هو السبب الذي جعل اليهود ملعونين على مدى التاريخ ممثلاً في موقف داوود وموقف عيسى، وكلاهما لعن بني إسرائيل، واستجاب الله لعنته بسبب عصيانهم وعدوانهم، وبسبب انحلالهم الاجتماعي وتهاونهم"⁽⁴⁾.

وقال ابن كثير في تفسيره: "نهى تعالى أهل الكتاب عن الغلوّ والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا حد التصديق بعيسى، حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز

(1) - مجلة البحوث الإسلامية - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، العدد الرابع والسبعون (236/74).

(2) - التَّنَطُّعُ: مأخوذ من النطع، وهو الغار الأعلى من الفم، ثم استعمل في كل تعمق قولاً وفعلاً. والمتنطعون: هم المتمسكون بالمغالون في الكلام، المتكلمون بأقصى حلوّهم انظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (74/5).

(3) - سورة المائدة / جزء من الآية 67.

(4) - إرشاد الحيران لأبي مزريق (406/3) بتصرف.

النبوة إلى أن اتخذوه إلهًا من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه، ممن زعم أنه على دينه، فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقا أو باطلا أو ضلالا أو رشادا، أو صحيحا أو كذبا"⁽¹⁾.

وقد يسر الله على عباده المؤمنين، ورفع عنهم الحرج، وأمرهم بتجنب الشدائد والغلوّ والتتبع في كثير من الآيات، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾⁽²⁾، ويقول الشيخ أبو مزريق: في تفسيره لهذه الآية: "إن الدين الحنيف كله بتكاليفه وعبادته وشرائعه جاء للناس سهلاً ميسراً دون مشقة وحرج"⁽³⁾.

وقال ابن كثير في تفسيره: "أي ما كلفكم ما لا تطيقون، وما ألزمكم بشيء فشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجا ومخرجا"⁽⁴⁾.

وقال السعدي في تفسيره: "أي مشقة وعسر، بل يسره غاية التيسير، وسهله بغاية السهولة، فأولا ما أمر وألزم إلا بما هو سهل على النفوس، لا يتقلها ولا يؤودها، ثم إذا عرض بعض الأسباب الموجبة للتخفيف، خفف ما أمر به، إما بإسقاطه، أو إسقاط بعضه. ويؤخذ من هذه الآية، قاعدة شرعية وهي أن المشقة تجلب التيسير والضرورات تبيح المحظورات"⁽⁵⁾.

(1) - تفسير القرآن العظيم، تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1420هـ - 1999م (477/2).

(2) - سورة الحج/ جزء من الآية 78.

(3) - إرشاد الخيران، لأبي مزريق (210/8).

(4) - تفسير المراعي، تأليف: أحمد بن مصطفى المراعي (المتوفى: 1371هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، 1365هـ - 1946م (148/17)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (455/5).

(5) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى 1420هـ - 2000م (546/1).

فالنظر إلى الآيات القرآنية يجد أنها تحث على تجنب الغلو، وترك التنطع في الدين، سواء أكانت في العقائد، أو المعاملات، أو العادات، والحث على الوسطية والاعتدال ورفع الحرج.

- وجاءت السنة النبوية تؤكد على الاعتدال، وتنهاي عن الغلو والتنتع في جميع مناحي الحياة. يقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ يَاكُمْ وَالْغُلُوُّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ »⁽¹⁾، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطَرْتُ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ »⁽²⁾، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « هَلْكَ الْمُتَنَطِّعُونَ » قَالَهَا ثَلَاثًا⁽³⁾، وهناك العديد من أنواع الغلو، والتي نهى الإسلام العبد المسلم من فعلها، أو الاقتراب منها لما فيها من الخطر عليه في الدنيا والآخرة، يقول ابن تيمية " إياكم والغلو في الدين فإن الغلو يقع في الاعتقادات والأعمال"⁽⁴⁾.

المطلب الثاني: الإرهاب.

أولاً: مفهوم الإرهاب في اللغة:

(1) - سنن ابن ماجه : تأليف: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، 1430 هـ - 2009 م {كتاب المناسك} {باب فتر حصى الرمي} {1008/2} رقم الحديث (3029).

(2) - الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه " صحيح البخاري " : تأليف/ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة الأولى، 1422 هـ {كتاب أحاديث الأنبياء} {باب قول الله واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها} {1271/3} رقم الحديث (3261).

(3) - أخرجه مسلم في صحيحه: {كتاب العلم} {باب هلك المتنتعون} (2055/4) رقم الحديث (2670).

(4) - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم : تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان الطبعة السابعة، 1419 هـ - 1999 م (328/1).

(رَهَبٌ)، بِالْكَسْرِ، يَرْهَبُ رَهْبَةً وَرُهْبًا، بِالضَّمِّ، وَرَهْبًا، بِالتَّحْرِيكِ، أَي خَافَ. وَرَهَبَ الشَّيْءَ رَهْبًا وَرَهْبًا وَرَهْبَةً: خَافَهُ. وَالرَّهْبُ: الرَّهْبُ، وَالرُّهْبِيُّ، وَالرَّهْبِيُّ، وَالرَّهْبِيُّ، وَرَجُلٌ رَهْبِيٌّ. يُقَالُ: رَهْبِيٌّ خَيْرٌ مِنْ رَحْمَتِي، أَي لَأَنْ تَرْهَبَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُرْحَمَ⁽¹⁾.

وقال ابن فارس: " الرَاءُ وَالْهَاءُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى خَوْفٍ، وَالْآخَرُ عَلَى دِقَّةٍ وَخَفَةِ، فَالْأَوَّلُ الرَّهْبَةُ: تَقُولُ رَهْبْتُ الشَّيْءَ رُهْبًا وَرَهْبًا وَرَهْبَةً. وَالتَّرَهْبُ: التَّعَبُّدُ. وَمِنْ الْبَابِ الْإِرْهَابُ، وَهُوَ قَدْغُ الْبَيْلِ مِنَ الْحَوْضِ وَذِيَادُهَا. وَالْأَصْلُ الْآخِرُ: الرَّهْبُ: النَّاقَةُ الْمَهْزُولَةُ"⁽²⁾.

وقيل: هو " وصف يُطلق على الَّذِينَ يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية"⁽³⁾.

ثانياً: - مفهوم الإرهاب اصطلاحاً: لم أقف على تعريف شرعي أو اصطلاحي لمصطلح الإرهاب لا في النصوص الشرعية، ولا في كلام أهل العلم من المفسرين والشراح، ولكن هناك تعريفات عدة تتقارب أحياناً وسأذكر بعضها:

- عُرِفَ الإرهاب بأنه: بث الرعب الذي يثير الرعب في الجسم والعقل، أي الطريقة التي تحاول بها جماعة منظمة أو حزب أن يحقق أهدافه عن طريق استخدام العنف⁽⁴⁾.

- وقد جاء الكلام عن الإرهاب في بيان مكة المكرمة الذي أصدره مجمع الفقه الإسلامي التابع للرابطة في دورته السابعة عشرة المنعقدة بتاريخ 19 - 23 / 10 / 1424 هـ حيث قال: إن الإرهاب مصطلح لم يتفق دولياً على تعريف له يضبط مضمونه ويحدد مدلوله، لذا فإن مجلس المجمع يدعو رجال الفقه والقانون والسياسة في العالم إلى الاتفاق على تعريف محدد للإرهاب تنزل عليه الأحكام والعقوبات، ليتحقق الأمن وتقام موازين العدالة، وتضامن الحريات المشروعة للناس جميعاً ثم أورد بياناً لما يتضمنه الإرهاب جاء فيه: " الإرهاب هو العدوان الذي يمارسه أفراد أو

(1) - لسان العرب، لابن منظور مادة (رهب) (436/1).

(2) - معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (رهب) (447/2).

(3) - المعجم الوسيط (376/1).

(4) - نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - "صلى الله عليه وسلم"، تأليف: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الرابعة (3830/9).

جماعات أو دول بغياً على الإنسان في دينه ودمه وعقله وماله وعرضه ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق⁽¹⁾.

ومن التعاريف المهمة أيضاً تعريف مجلسي وزراء الداخلية والعدل العرب، حيث عرّفا الإرهاب في الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب الصادرة عن المجلس المذكور عام 1998م، عرّفاه بأنه: " كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به، أيًا كانت بواعثه أو أغراضه يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق، أو الأملاك العامة أو الخاصة، أو اختلاسها، أو الاستيلاء عليها أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر"⁽²⁾.

مما سبق تبين للباحث:

أنّ الإرهاب لا دين له، بل هو فعل ينافي سماحة الإسلام ومبادئه الأساسية، وقد دعا أستاذ الفقه المساعد بكلية التربية الأساسية بدولة الكويت الدكتور/ فراج محمد فراج الرداس إلى تفعيل دور الجامعات في التوعية المجتمعية من خطر الانحراف الفكري المؤدي إلى التطرف والإرهاب، وخاصة فئة الشباب، عن طريق عقد الدورات والبرامج والمؤتمرات التي تعني بذلك ، ونبه إلى ضرورة إنشاء وحدة متخصصة في الجامعات تعنى بالمصالحة والتوعية المجتمعية بمخاطر الانحراف الفكري المؤدي إلى التطرف والإرهاب، وكذا التنسيق بين أولياء الأمور والجامعات لاحتواء الشباب الذين ظهرت عليهم علامات الغلو المبكر⁽³⁾.

ثالثاً: مفهوم الإرهاب في القرآن الكريم:

(1) - الفقه الميسر: ، تأليف: أ. د. عبد الله بن محمد الطيار، أ. د. عبد الله بن محمد المطلق، د. محمد بن إبراهيم الموسى، الناشر: مدار الوطن للنشر، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1432 / 2011م (85/13)

(2) - حقيقة موقف الإسلام من التطرف والإرهاب، ، تأليف/ د . سليمان بن عبدالرحمن الحقييل، مطابع الحميضي، الطبعة الأولى 2001م (ص77-78).

(3) - انظر: " الانحراف الفكري المؤدى إلى الإرهاب المنسوب للتراث الإسلامي " بحث نشر في مؤتمر " الفهم الصحيح للتراث الإسلامي وأثره في علاج الانحراف الفكري " جامعة الأزهر - أسبوط - خلال الفترة من 21-23 فبراير 2016م.

نلاحظ أن القرآن الكريم لم يستعمل مصطلح (الإرهاب) بهذه الصيغة، وإنما اقتصر على استعمال صيغ مختلفة الاشتقاق من نفس المادة اللغوية، بعضها يدل على الإرهاب والخوف والفرع، والبعض الآخر يدل على الرهينة والتعبد، حيث وردت مشتقات المادة (رهب) في بعض آيات القرآن الكريم في مناسبات متعددة من سوره، وبصيغ مختلفة، منها قول الله عز وجل: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾⁽¹⁾، قال ابن كثير في تفسيره: ﴿وَأِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ أي فاحشون، ترهيباً، والرهبة من أجل الرجوع إلى الحق، والاتعاظ بما عسى أن ينزل بهم من العقاب⁽²⁾.

وقال الشيخ أبي مزريق: الرهبة : خوف معه تحرّز⁽³⁾، وفسر قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَأَنْتُمْ أَعْلَمُ بِاللَّهِ يَلْعَلُكُمْ﴾⁽⁴⁾، فسرهما بالقول: " في هذه الآية توجيه بالأمر للاستعداد واتخاذ القوة اللازمة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها.. فالوسائل المادية وحدها ليست هي التي تفصل في المعارك، والاعصاب أحياناً تكون هي القوة الفاصلة؛ وما يثبت الأعصاب ويقويها العقيدة والتربية والخلق والتنظيم؛ لأنها تربط القلوب بالله، وتصل قوة المجاهدين بالقوة الكبرى التي لا تغلب، وتمد الأرواح بالينبوع الدافق الذي لا ينضب! وبهذه القوة (يرهب) المسلمون عدوهم المعلوم لهم وغير المعلوم لهم من كفار العرب وكفار العجم، والسابق واللاحق من جميع الأمم⁽⁵⁾!.

(1) - سورة البقرة / الآية 40.

(2) - انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (242/1) بتصرف.

(3) - إرشاد الحيران، لأبي مزريق (113/1).

(4) - سورة الأنفال / جزء من الآية 60.

(5) - إرشاد الحيران، لأبي مزريق (132/5).

وقال القرطبي: ﴿ تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ يعني تخيفون به عدو الله وعدوكم من اليهود وقريش وكفار العرب⁽¹⁾، وقال ابن كثير: " ترهبون أي: تُخَوِّفُونَ به عدو الله وعدوكم، هم المنافقون"⁽²⁾، وورد في تفسير المراعي عند شرحه لقول الله عز وجل: ﴿ وَأَعَدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَأْتَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾⁽³⁾، والإرهاب والترهيب: الإيقاع في الرهبة، وهي الخوف المقترن بالاضطراب⁽⁴⁾.

ويتبين لنا من ذلك أن الإرهاب يُعدُّ أخطر الظواهر وأسوأها في حياة المجتمعات الإنسانية المعاصرة؛ لأنه يستخدم أساليب متدنية، وأدوات غير مشروعة للوصول إلى أهداف كثيرة ما تكون غير نبيلة⁽⁵⁾.

المبحث الرابع

الموقف من الانحرافات السلوكية، وكيف تم معالجتها

إن انحراف السلوكينسي أثاره في انحراف المجتمع وتصوراته وتقاليده، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾⁽⁶⁾، يقول الشيخ أبو مزريق: " كلما انحرفت المجتمعات عن العقيدة الصحيحة عادت تصورات الجاهلية تطل بقرونها.. ففي كثير من المجتمعات اليوم تعود تلك التصورات إلى الظهور.. فالأنثى لا يرحب بمولدها كثير من الأوساط وكثير من

(1) - الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة - الطبعة الثانية، 1384هـ - 1964م (38/8).

(2) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير (82/4).

(3) - سورة الأنفال/ جزء من الآية 60.

(4) - تفسير المراغي (23/10).

(5) - الإرهاب وخطره على السلم والأمن العالمي، تأليف: أبو لبابه حسين، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية - الأزهر الشريف - السنة الثامنة والأربعون - الكتاب الثالث - 1438هـ - 2017م (ص67).

(6) - سورة النحل/ الآيات 58-59.

الناس، ولا تعامل معاملة الذكر من العناية والاحترام. وهذه وثنية جاهلية في إحدى صورها، نشأت من الانحراف الذي أصاب العقيدة الإسلامية - في مسألة المرأة - نتيجة لما يروونه في هذه المجتمعات المنحرفة، ولا يكلف هؤلاء الناعقون اللأمزون أنفسهم أن يراجعوا نظرة الإسلام وما أحدثته من ثورة في التطورات والأوضاع وفي المشاعر والضمان. وهي بعد نظرة علوية لم تنتشها ضرورة واقعية ولا دعوة أرضية ولا مقتضيات اجتماعية أو اقتصادية، إنما أنشأتها العقيدة الإلهية الصادرة عن الله الذي كرم الإنسان فاستتبغ تكريمه للجنس البشري تكريمه للأنتى، ووصفها بأنها شطر النفس البشرية فلا تفاضل بين الشطرين الكريمين على الله⁽¹⁾.

فالمجتمع الذي لا تسوده عقيدة صحيحة هو مجتمع بهيمي يفقد كل مقومات الحياة السعيدة؛ وإن كان يملك الكثير من مقومات الحياة المادية التي كثيراً ما تقوده إلى الدمار، كما هو مشاهد في المجتمعات الكافرة؛ لأن هذه المقومات المادية تحتاج إلى توجيه وترشيد؛ للاستفادة من خصائصها ومنافعها، ولا موجه لها سوى العقيدة الصحيحة.. فقوة العقيدة يجب أن لا تنفك عن القوة المادية؛ فإن انفكت عنها بالانحراف إلى العقائد الباطلة، صارت القوة المادية وسيلة دمار وانحدار؛ كما هو المشاهد اليوم في الدول الكافرة التي تملك مادة، ولا تملك عقيدة صحيحة⁽²⁾.

• لا سبيل لمعالجة هذه الانحرافات السلوكية في المجتمع إلا بالآتي:

1- التحاكم إلى كتاب الله وسنة نبيه:

إن التحاكم إلى كتاب الله وإلى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، والتمسك بهما، هو سبيل العلاج لهذه الانحرافات التي تحصل وتتفشى في المجتمعات فانه جل وعلا يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾⁽³⁾، يقول أبو مزريق: "أن هذا الكلام القرآني يؤكد توكيداً قاطعاً أن الإيمان لا يتحقق إلا بسلوك منهجه، وأن

(1) - إرشاد الحبران، لأبي مزريق (40/7-41) بتصرف يسير.

(2) - عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها أو ينقصها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، تأليف: الشيخ صالح فوزان الفوزان، الناشر: مكتبة دار المنهاج- للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى 1432هـ (14-13/1).

(3) - سورة النساء / الآية 65.

التحاكم إلى شريعة الله هي الطريق. ثم يزيد ذلك توكيداً بعد توكيد وتوضيحاً بعد توضيح فإنّ هذا التحاكم ليس مجرد الخضوع القهري، وإنما هو الاطمئنان والرضى والقبول، فهو اقتناع الوجدان، واطمئنان الضمير، وتسليم الرضى بذلك التحكيم والقبول التام لنتيجة هذا التحكيم⁽¹⁾.

2- بيان سنة النبي في التعامل مع الطوائف والأشخاص والعبادات:

ومن الأمور التي يعالج بها هذه الانحرافات هو: بيان سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - في التعامل مع الطوائف، وفي التعامل مع الأشخاص، وفي التعامل مع العبادات. فالنبي - صلى الله عليه وسلم - جاءنا بدين واضح، وتركنا على مثل البيضاء، لا يزيغ عنها إلا هالك، وتركنا على المحجة البيضاء، ما ترك النبي صلى الله عليه وسلم من شيء إلا وبينه؛ إما تحذيراً وإما ترغيباً. فالنبي - صلى الله عليه وسلم - وصفه ربه جل وعلا بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾⁽²⁾، يقول الشيخ أبو مزريق: " في هذه الآية توجيه وتذكير للعرب بمنة الله عليهم حيث بعث فيهم رسولاً من أنفسهم، وهو محمد - صلى الله عليه وسلم - فذكرهم أولاً بالتتويبه بصفاته الجامعة للكمال، ومن أخصها حرصه على هدايم، ورغبته في إيمانهم ودخولهم في جامعة الإسلام ليكون رءوفاً رحيماً بهم، وهذا من مظاهر الرحمة التي جعلها الله تعالى مقارنة لبعثه رسوله بقوله تعالى: ﴿يَوْمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾⁽³⁾؛ بحيث جاء في هذه الآية أنه يزيل الحرج من قلوب الفرق التي نزلت فيهم آيات الشدة وعوملوا بالغلظة تعقيباً للشدة بالرفق، وللغلظة بالرحمة⁽⁴⁾.

3- العمل بكتاب الله وسنة رسوله:

ومما ينبغي أن يعالج به الانحرافات: هو العمل بكتاب الله جل وعلا كله، والعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ

(1) - إرشاد الحيران، لأبي مزريق (64/3).

(2) - سورة التوبة/ الآية 128.

(3) - سورة الأنبياء/ جزء من الآية 107.

(4) - إرشاد الحيران، لأبي مزريق (303/5).

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا⁽¹⁾، يقول الشيخ أبو مزيريق: " هذا الحكم وارد فيما يقع الخلاف عليه؛ لأنَّ النص ليس قاطعاً فيه، أو لأنه لم يرد فيه نصٌّ، فمرده إلى الله ورسوله، فترد إلى الأصول الكلية لشريعة الله ورسوله. وبهذا تُقرر حدودُ الإيمان فمن لم يتبع هذا المنهج فليس متبعاً لمنهج الإسلام، فعلامة الإيمان ومقتضاه اتباع ذلك المنهج، وإقامة الحكم على هذا الأساس.. ففي هذا التوجيه إرشاد وتنبية؛ ذلك هو الخير، وذلك هو الإدراك الأفضل والتفسير الأحسن لمنهج الحكم في الإسلام، ولتحقيق الأمانة والعدل في هذا النظام"⁽²⁾.

4- لزوم سبيل الله ببعدها عن الانحرافات المجتمعية:

إن الله جل وعلا قال في كتابه العزيز: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾⁽³⁾، يقول الشيخ أبو مزيريق: " في هذه الآية القواعد الأساسية الواضحة التي تكاد تلخص العقيدة الإسلامية وشريعتها الاجتماعية، هذه هي صراط الله المستقيم المؤدي إليه..، فهو الصراط الذي لا يلتوي ولا يتعرج، صراط قام عليه دين الله؛ جامعاً بين صحة العقيدة في الله وبين سلامة النظم الموضوعية للحياة، وكلتاها متصلة بالأخرى فلا يمكن الفصل بينهما، وماعدا هذا الصراط فهي سبل متعرجة ملتوية متفرقة لا تؤدي إلا إلى الضلال"⁽⁴⁾.

✘ الخاتمة:

وفي الختام نحمد الله الذي يسر لي كتابة هذا البحث، فهو صاحب الفضل والنعم، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وكريم فضله وعظيم إحسانه، ونصلي ونسلم على خاتم رسله وخير خلقه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

ونختم بحثنا هذا ببعض النتائج والتوصيات:-

(1) - سورة النساء/ جزء من الآية 59.

(2) - إرشاد الحيران، لأبي مزيريق (69/3).

(3) - سورة الأنعام / الآية 153.

(4) - إرشاد الحيران، لأبي مزيريق (254/4-255) بتصرف يسير.

• أولاً: النتائج:

- 1- إن الانحراف السلوكي ليس سلوكاً فطرياً، بل هو نتيجة للسلوك المكتسب الذي اكتسبه الفرد من المحيط الاجتماعي (الأسرة، والمؤسسات التعليمية، والبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها.
- 2- ضعف الضابط أو الرادع الذاتي لدى الفرد يعد سبباً من أسباب الزلل والوقوع في الانحراف السلوكي، فالرادع الذاتي يحصن الإنسان من مخالفة قيم المجتمع وأخلاقه.
- 3- يتبين لنا من هذا البحث أن الغلو والتطرف والإرهاب من أهم المسببات في الانحراف السلوكي، مما يؤدي في النهاية إلى الاضطرابات في المجتمع وعدم الاستقرار.

• ثانياً: التوصيات: ومن أهم هذه التوصيات ما يأتي:

- 1- إن الانحراف السلوكي يشكل خطراً على الفرد والأسرة والمجتمع والدولة، لهذا ينبغي التعاون والتكامل بين المجتمع والدولة.
- 2- يجب على الدولة الاهتمام بالتعليم بمختلف مستوياته؛ لأن ارتفاع نسبة المتعلمين في المجتمع تحد من انحراف السلوك.
- 3- اهتمام الأسرة بالجانب التربوي، لا سيما تربية أبنائها التربية السليمة؛ لتعزز الكيان الذاتي لدى الأبناء، أي بناء الشخصية السوية لديهم، وغرس المبادئ الأخلاقية، وقيم الخير، والتكافل والتراحم.. إلخ.
- 4- قيام العلماء وخطباء المساجد، والاساتذة، والمتقنين بتوجيه وإرشاد الناس إلى اتباع الحق و الخير ، والابتعاد عن الانحراف السلوكي بكل أنواعه وصوره المختلفة على الفرد والأسرة والمجتمع والدولة، بل وعلى التنمية الشاملة؛ لأن في ذلك خير الأمة، وأمنها، واستقرارها.

وفي الأخير:

نسأل الله أن يوفقنا لما يحب ويرضاه وأن ينال هذا البحث الموجز والمختصر على الرضا والاستحسان ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

المصادر والمراجع :

- 1- القرآن الكريم.
- 2- أثر الإيمان في بناء الشخصية، سلسلة الدراسات الإسلامية ، العدد (11) تأليف: د. التهامي نقرة، الناشر: المطبعة العصرية- تونس، 1988م.
- 3- إحياء علوم الدين: تأليف : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) الناشر: دار المعرفة - بيروت.
- 4- إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن: للشيخ / أحمد عبد السلام أبو مزيريق، الناشر: دار المدار الإسلامي- بيروت- لبنان، الطبعة الأولى 2011م.
- 5- الإرهاب وخطره على السلم والأمن العالمي، تأليف: أبو لبابه حسين، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية - الأزهر الشريف - السنة الثامنة والأربعون - الكتاب الثالث- 1438هـ - 2017م
- 6- الأساس في السنة وفقهها - العقائد الإسلامية: سعيد حوى ، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الثانية، 1412 هـ - 1992 م .
- 7- أسس النهضة الراشدة ، أحمد القصص، رابطة الوعي الثقافي، طرابلس - لبنان- الطبعة الأولى 1416هـ- 1995هـ .
- 8- الإسلام دين ودوله ونظام ، تأليف: عبد الحي العمراني، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب-، 1983م.
- 9- الإسلام والشباب، تأليف: د. محمد الزحيلي، الناشر : دار القلم - دمشق- سوريا-، 1414هـ.
- 10- الاعتدال في التدين فكراً وسلوكاً ومنهجاً، تأليف: د. محمد مصطفى الزحيلي، الناشر: كلية الدعوة الإسلامية- طرابلس- ليبيا-، 1428هـ .

- 11- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان الطبعة السابعة، 1419هـ - 1999م.
- 12- الانحرافات السلوكية الأسباب والعلاج، تأليف: صباح عباس، الناشر: دار البيان العربي، - بيروت- لبنان، الطبعة الأولى 1414هـ - 1993م .
- 13- الانحرافات الفكرية والسلوكية وسبل معالجتها في ضوء أحاديث صحيح البخاري، إعداد الطالب: عبد الرحمن بن محمد بن نفيذ المذاهبي الحارثي، 1432- 1433هـ.
- 14- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: 1205هـ) المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
- 15- التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، تأليف: د. عبد الرحمن النحلاوي، الناشر: المكتب الاسلامي، - بيروت- لبنان-، الطبعة الثانية 1985م.
- 16- تعديل السلوك الإنساني في التربية الإسلامية، إعداد/ عماد عبد الله محمد الشريفين، رسالة ماجستير - جامعة اليرموك- المملكة الأردنية الهاشمية 1422هـ - 2002م .
- 17- تفسير القرآن العظيم، تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية 1420هـ - 1999م .

- 18- تفسير المراغي، تأليف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى 1365هـ - 1946م .
- 19- التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ) ، الناشر: عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت- القاهرة ، الطبعة الأولى 1410هـ - 1990م .
- 20- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويح الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى 1420هـ - 2000م .
- 21- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه " صحيح البخاري ": تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة الأولى، 1422هـ .
- 22- الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية -القاهرة - الطبعة الثانية، 1384هـ - 1964م .
- 23- حرية الاعتقاد في ظل الإسلام، تأليف: د. تيسير خميس العمر، الناشر: دار الفكر- بيروت- لبنان-، الطبعة الأولى 1998م.
- 24- حقيقة موقف الإسلام من التطرف والإرهاب، للدكتور، د / سليمان بن عبدالرحمن الحقييل، مطابع الحميضي، الطبعة: الأولى 2001م .

- 25- ركائز الإيمان، تأليف: محمد قطب، الناشر: دار الشروق ، القاهرة- جمهورية مصر العربية-، الطبعة الاولى 1422هـ- 2001م.
- 26- السلوك الإنحرافي في إطار التخلف والتقدم، تأليف: د. خيرى خليل الجميلي، الناشر: المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، عام 1998م.
- 27- سنن ابن ماجة - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.
- 28- السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك، تأليف: شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، الناشر: مكتبة الرشد، - الرياض- المملكة العربية السعودية-، الطبعة الأولى.
- 29- ظاهرة ضعف الإيمان، تأليف محمد المنجد،
www.saaid.net/book/index.php
- 30- ظواهر الانحراف الاجتماعي في المجتمع الإسلامي ومعالجتها " رؤية إسلامية": د. محمد عبد الصمد، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية (شيتا غونغ)- بنجلادش-، المجلد الرابع ديسمبر 2007م .
- 31- العقائد الإسلامية: تأليف: السيد سابق، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان،.
- 32- عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها أو ينقصها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، الشيخ صالح فوزان الفوزان، الناشر: مكتبة دار المنهاج- للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى 1432هـ .

- 33- فتح الباري شرح صحيح البخاري: تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379هـ.
- 34- الفقه الميسر: تأليف: أ. د. عبد الله بن محمد الطيار أ. د. عبد الله بن محمد المطلق، /د. محمد بن إبراهيم الموسى، الناشر: مدار الوطن للنشر، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1432/ 2011م .
- 35- الفكر التربوي العربي الإسلامي، تأليف: أحمد عبد الرحمن عبد اللطيف الناشر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1987م.
- 36- القاموس المحيط : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة، 1426 هـ - 2005 م.
- 37- القرآن والسلوك الإنساني، تأليف: محمد بهائي سليم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، - القاهرة - جمهورية مصر العربية ، 1987م .
- 38- لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ) الناشر: دار صادر- بيروت - الطبعة الثالثة 1414 هـ
- 39- مجلة البحوث الإسلامية - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، العدد الرابع والسبعون .

- 40- مختار الصحاح ، تأليف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا - الطبعة الخامسة، 1420هـ / 1999م .
- 41- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- 42- المشكلات الاجتماعية، تأليف: جبارة عطية جبارة، والسيد عوض علي، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية- مصر- الطبعة الأولى 2003م .
- 43- معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008م .
- 44- المعجم الوسيط: (مجمع اللغة العربية بالقاهرة)، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.
- 45- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: 1399هـ - 1979م .
- 46- مقدمة في الانحراف الاجتماعي، تأليف: د. مصطفى عبد المجيد كاره، الناشر: معهد الإنماء العربي، - بيروت- لبنان، الطبعة الأولى 1985م .
- 47- مؤتمر " الفهم الصحيح للتراث الإسلامي وأثره في علاج الانحراف الفكري" جامعه الأزهر - أسبوط - خلال الفترة من 21-23 فبراير 2016م.

48- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - "صلى الله عليه وسلم"، تأليف:
عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي،
الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الرابعة .